ööööö

ööööööö öööööööö رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ööööööö

ööööö öööööö ööööö

﴿ööööööööö ööööööö ööööööö﴾

ööööööö öööööööö öööööööööö ööö ööö

(öööööö ööööö)

ö2016 öö1437

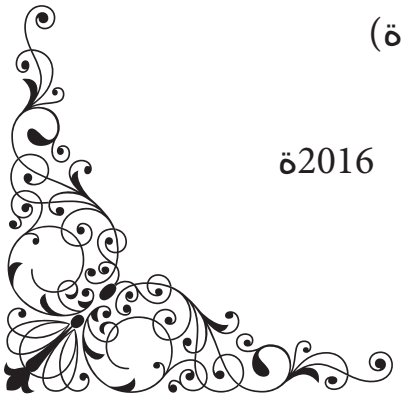

-13-

ÖÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖ

ÖÖÖ ÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖ

«ÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖ»

الدكتور جويدة غانم
قسم الفلسفة بجامعة عنَّابة

ةةةةةةة

الحديث عن ترجمة القرآن في إطار الاستشراق بصفة عامة و الحراك الاستشراقي الفرنسي بصفة خاصة، يفتح الحديث عن خصوصية النص القرآني من جهة، وإعادة النظر في ملابسات ترجمته وتحويله من معنى إلى معنى آخر غير اللسان الذي أنزل به من جهة ثانية، يجعل من التحقيق في أنساقه البنيوية واللفظية و الدلالية و الإعجازية بمثابة قراءة واقع التحولات في مرجعياتها التي عهدت لنفسها حق الترجمة، وإذا كانت هذه الأخيرة تشكل فعل حضاري وثقافي فإنَّ نيات الكتابة ومقاصدها تفتح البحث على تعيين مواطن الإشكال في ضرورة ترجمته والتي تقتضي البحث عن المقابل الصحيح والقريب للسان العربي ومعناه في جميع اللغات وهذا يقتضي وجوب الدقة والتحري لترشيد الألفاظ و المعاني، أو عدم الأخذ بترجمته بحكم أنَّ اللسان العربي فقط هو الذي يقرأ به القرآن، وهذا ما يجعل القرآن خاص بقوم أو بجماعة، وليس للعالمين مصداقا لقوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين)، ناهيك عمَّا يتعرض له القرآن من تحديات ظاهرة وخفية، ليست لغرض علمي محض بقدر ما أنها تحمل تحيزا فكرياً قد يدفعه إلى حرب لغوية ودينية وتاريخية قد يرفضها العقل لخروجها عن منطق وعي الفعل الحضاري والثقافي والقرآني ذاته.فما الحل إذن أمام تكاثر الترجمات وتعددها؟ وعلى أي أساس يمكن النظر فيها إذا ما دققنا البحث في شعار كل معرفة متبوعة بمصلحة؟ وإذا خصصنا الحديث في الترجمات الفرنسية للقرآن يرد علينا السؤال الآتي: ما واقع ترجمات جاك برك للقرآن في الاستشراق الفرنسي وما درجات استباحته واستحالته في تعيين لفظه و معناه؟

ööööö ööööö

ööööööööö öö ööööööööö ööö öööööööööö

(ööööö ööööö)

إذا كان الدين الإسلامي قد تربع على سائر الأديان، واللسان العربي تربع عرشه على سائر اللغات، فإن الناظر لمحتوى هذه العلاقة الإشتقاقية و البنيوية يستقرأ مدى التلازم الذي تميز به القرآن بما انه نزل بلسان عربي وهو الكتاب الوحيد الذي لم يناله التحريف، وإذا كان تبليغه أهم ركن في العقيدة الإسلامية، فإن المهمة الكبرى التي يقتضيها هو تبلغه للعالمين أجمعين و نشره، ما يطرح النظر في كيفية تبليغه، هل تكون عبر ترجمة معناه دون الخلل في مبناه؟ أم أن تفسيره هو الذي يترجم، ولكن تعدد التفاسير يطرح إشكالية أخرى، ما التفسير الذي يترجم له علما أن هذه التفاسير حمالة أوجه؟ وما التفسير الذي يؤخذ به حال الترجمة في ظل تعدد اللغات واتساع الثقافات؟ لم يترجم القرآن إلى لغات أخرى في عهد النبوة وقد أرسل رسول الله أصحابه للإقرار بنبوته لملك الروم هرقل وملك الفرس (كسرى) وملك الحبشة (النجاشي) وملك الأقباط (مقوقس)، ولكن باتساع رقعة الإسلام ودخول الشعوب غير العربية فيه ألزم النظر في واقع هذا الأمر وتحولاته على مستوى فهم النص وعلى مستوى إدراك معانيه وحفظها من سوء العلاقة الاختلالية في الكثير من الأحيان بين الثابت و المتغير .

عُني التراث الإسلامي منذ بداية تشكله بدراسة واقع ترجمة القرآن في عهوده الأولى إلى العديد من اللغات بحكم شموليته وعالميته، ووقفوا على مسائل معقدة في إطارها العقدي والفقهي واللغوي والدلالي والإعجازي، ما يدلل على أن الاهتمام بإشكال

ترجمته لم يكن وليد العصر الحديث والراهن، بل يعود إلى فترات متقدمة في تاريخ الترجمة، باستثناء مُدَّة النبوة ومابعدها إلى حوالي ١٢ قرنا حيث ذكرت الأبحاث أن الصحابي سلمان الفارسي قد ترجم معاني سورة الفاتحة للفارسية؛ لكي يتسنى لقومه أن يفهموها ويقرءوها في أثناء صلاتهم.[١]

كما أن الإمام أبا حنيفة قد أمر بقراءة القرآن بالفارسية وذلك بحكم جدة القرآن في ذلك الوقت وعدم معرفة كثير من الفرس العربية، فاقترح أبو حنيفة أن تترجم بعض سوره للفارسية وتكون بمثابة الدعاء الذي يقرأ في الصلاة، واستمر هذا الحال حتى أدركت الفرس اللسان العربي وخشي من تحديات وفتن فرضت على القرآن وأتباعه فأعرض بعد ذلك عن هذا الأمر، وألزمهم بقراءة القرآن عربيا.[٢]

ينبثق من هذا التحول في واقع الترجمة، معرفة مدى خصائصها واختلافها وشروطها وآفاقها المتعلقة بالمحافظة على وحدة النص ومعانيه الظاهرة والخفية، والبحث عن التقارب الدلالي الذي يفتح النص على قارئيه ومقرئيه من جميع الجنسيات، ما يحلل نمط تداخلها مع منهج التفسير ويطرح الإشكال الآتي: ما المسافة التي يطرحها تداخل الترجمة بالتفسير، وهل كل ترجمة تفسير أو أن كل تفسير ترجمة، أم أن التفسير غير والترجمة غير؟ تعرف الترجمة على حسب أقسامها والتي تنقسم إلى قسمين: أحدهما، ترجمة حرفية والتي يتم فيها نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة المترجم لخصائص نظم الكلام وقواعد تشكيل النص و بنائه، والمحافظة على انسجام معانيه في لغته الأصلية، والآخر ترجمة المعنوية او التفسيرية وهي التي تشرح الكلام بمعناه في لغة غير اللغة الأصلية التي

(١) جلال الدين بن الطاهر العلوش، (أحكام ترجمة القرآن)، دار ابن حزم للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص، ٠٧.

(٢) المرجع نفسه:، ص، ٤٥.

انطلقت منه هذا النوع من الترجمة، دون مراعاة نظم الأصل في اللفظ وبدون المحافظة على معانيه الأصلية في لغته الأولى.[1]

ومادام القرآن قد اخضع لهذا النوع من الترجمة، فما حكم تعددها وتباينها حال تطبيقاتها على النص القرآني؟، قد أشار العلماء في واقع ترجمة القرآن الكريم إلى ضرورة النظر في الصور التالية:

_ تحريف المصطلح اللغوي: تبديل المصطلح إخراجه إلى دلالات خارج مدلوله و منطوقه وعمله ، بجعل من الحقيقة القرآنية نسبية وهو الكلام الرباني المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وينجر عن هذا التحريف، تحريفات على مستوى العقيدة و الشريعة.

_ تحريف المصطلح العقدي:ويترتب عنه توجيه المصطلحات إلى وجهة غير وجهتها الحقيقية التي ضبطها النص وحددتها العربية بتضادها وترادفها ونحوها وإعرابها، وبالتالي لا تتفارق مفاهيم الإيمان و الكفر، و المسلمين و اليهود و النصارى.كما أن الوحي ليس هو الإلهام، والإيمان الإسلامي ليس هو الإيمان المسيحي أو اليهودي، بحيث يضطرب التصور في قراءة ترجمة من الترجمات التي لم يجيزها بالمطلق العلماء

_ تحريف المصطلح التشريعي:وينبثق من هذا التحريف عدم معرفة ضوابط التشريع التي عملت المصطلحات القرآنية من تحديدها وضبطها، وإخراج المصطلحات إلى وجهة في المعاني، وإعطائها دلالات غير دلالتها الحقيقية، بحكم القراءة الموضوعية لها مع متطلبات العصر والعرف الإنساني العام، ومن ثم تتعطل أحكام الشريعة ويتوجه

(١) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: (نقل معاني القرآن الكريم من لغة إلى أخرى أترجمة أم تفسير)، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ن ص١٥.

التشريع إلى مجالات أغمض وأعقد في التحقق.[1]

يتولد عن هذه الانحرافات أحكاما مختلفة للترجمة و المتمثلة في:

– حكمها من الناحية التفسيرية: يقول الله تعالى (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[2] ، ويعلل هذا الحكم الانحرافات اللغوية و العقدية و التشريعية، كما يستوضح البنية الشكلية للألفاظ من جهة، وطبيعة اندراجها ضمن النص المقدس من جهة أخرى ومعرفة الأبعاد الخصوصية لأصل اللسان العربي وتفرده بالخطاب القرآني، هذا ما يقدم رؤية أصلية لتفسيره من منطق اللسان الأصل، والإصرار على تبليغ القرآن بجميع وجوه العربية التي وقف على عللها و أصولها علماء اللغة العرب الأوائل.فكان لحياة النبي محمد ﷺ الدور الكبير في فهمه وإدراك معانيه.[3]

– حكمها حال نقلها من اللسان العربي إلى لغة أخرى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[4]، وهنا يتشكل الموضوع ويزداد توتره، فمن حيث النظر إلى مرجعية اللسان العربي، فإن علماء النحو و البلاغة والتفسير بجميع مدارسها قد أجمعوا على تفرد العربية بالصفات والأسماء وأدوات الربط والإضافة و الإشارة وخصائص الإعراب والتقديم و التأخير التي لا يوجد لها نظير في اللغة المترجم إليها. وبالتالي تستحيل الترجمة بشروطها العادية لكون أن القرآن معجز وإعجازه أنه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله، وترجمة القرآن لابد أن تتوفر فيها شروط

(١) فهد ابن عبد الرحمان بن سليمان الرومي:(تحريف المصطلحات القرآنية و أثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر)، مكتبة فهد الوطنية ، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٣ـ٧٦

(٢) سورة النحل: الآية، ٤٤.

(٣) (جلال الدين بن الطاهر العلوش (أحكام ترجمة القرآن)، ص، ٢٠.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

الوفاء و الصدق للمعاني كلها لتكون حينئذ الترجمة وفية للمعنى الأصلي.[1]

*** أما استحالتها الشرعية فهي تبنى على النقاط التالية:**

_ نظرا إلى أنَّ القرآن حمال أوجه وكل مفسر يأخذ بما يوافق تكوينه وتأويله، فإن ترجماته ستعدد بتعدد هذه الفهوم، ينتج عنه شبهة تعدد نسخ القرآن واختلاف رؤية كتاباته كل مترجم على حدا.وبالتالي يقال هذا قرآن فرنسي، وهذا قرآن إنجليزي، وهذا ألماني وتضيع العربية وعلومها التي صانت القرآن من التحريف و التشكيك ، _ وإذا اعتبر الناس هذه الترجمات قرآنا، فإن القرآن الرباني يغدو لا وجود له ولا موقع، ويصبح ظاهرة ترجماته حالها حال ترجمات الكتاب المقدس الذي اختلفت فيه هذه الترجمات ذاتها وشتان ما بين القرآن الكريم، وبين الكتاب المقدس.[2]

أما حكمها من حيث ترجمة تفسيره إلى لغة أخرى : فلا حرج أن تتم ترجمة بعض المفاهيم القرآنية وإحالتها على معنى قرآني يبسطها ويوضحها بلغة الآخر دون الاعتقاد الجازم بأنه قد ترجم القرآن نفسه، لذا فإن ترجمة المعاني الأصلية للقرآن كله أو لجزء كبير منه متتالي الآيات فيلحقها من الخلل ما يوجب الحذر منه، ولعل سبب الحذر هو أن يظن ظان أن هذا المترجم قد استوعب معاني القرآن كلها من جميع جوانبها ونقلها إلى اللغة الأجنبية.[3]

ومن ثم وقبل أن تكون لغة القرآن هي مجال الدراسة و التحويل فإنه يقتضي النظر إلى مصطلح عربية القرآن الذي يختلف عن العربية العادية ومن ثم فالإشكالية اللغوية لترجمة معاني القرآن ستظل تطرح إشكالات مستمرة لا تنفصل في جوهرها عن مشكل

(١) جلال الدين بن الطاهر العلوش (أحكام ترجمة القرآن)، ص، ٢٧

(٢) جلال الدين بن الطاهر العلوش (أحكام ترجمة القرآن: ص، ٣٠

(٣) المرجع نفسه: ص، ٣٢.

خطير متعلق بالسياق المعرفي و الديني و الحضاري الذي ينتمي إليه المترجم وسلبا».[1]

قد اختلف علماء السلف وفقهائهم في أحقية مبدأ جواز ترجمة القرآن إلى غير العربية فالشافعية أقرت أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير العربية سواء في الصلاة أو في غير الصلاة، والحنفية يقال كم أسلف ذكره انه أجاز الترجمة ثم بعد ذلك تراجع بمعرفه القوم اللغة العربية، أما المالكية فقد رفضت جواز الصلاة بغير العربية كما رفض ابن قتيبة (٨٢٨-٨٨٩م)ترجمة القرآن نظرا لقوة المجاز التي امتازت به العربية و الذي لا وجود له في اللغات الأخرى، كما عارض ابن حزم الظاهري (٩٩٤_ ١٠٩٤م) وابن تيمية (١١٩٢_١٢٥٥م) والإمام الغزالي (١٠٥٨ _١١١١م) والرازي (١١٥٠_١٢١٠م) بالإضافة إلى معارضة الإمام السيوطي(١٤٤٥_١٥٠٥م) وبدر الدين الزركشي (١٣٤٣- ١٣٩٣م) ومحمد عبده (١٨٤٩_١٩٠٥م).[2]

وفي مقابل هذا النفر الذي رفض الترجمة القرآن جملة وتفصيلا إمّا لاعتبارات خصوصية الدين أو لاعتبارات خصوصية اللغة، أو لاعتبارات خصوصية المقدس في القرآن، فإنَّ نفراً آخر من علماء المسلمين أجازوها لاعتبارات كذلك وهي الترجمة والقراءة به خارج الصلاة وهم: الإمام النفسي (٧١٠هـ- ١١٤٩م) والصنعاني (١٠٥٩هـ_١١٥٢م) والإمام الشاطبي(٥٩٠هـ_ ١١٤٩م)، وكانت آخر معركة حول ترجمة القرآن على إثر سقوط الدولة العثمانية التي كانت بين فريقين من العلماء، الأول مانع ومشدد على عدم ترجمته وكان يقوده الشيخ مصطفى صبري مفتي الديار العثمانية وألف في ذلك كتابا سمّاه (مسألة ترجمة القرآن) وفريق آخر يسمح بجواز ترجمته هو

(١) محمود العزب: إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم (اللغة و المعنى) دار نهضة مصر للطباعة و النشر، ط١، ٢٠٠٦ ص، ٣١، ٣٢.

(٢) محمود العزب: (إشكاليات ترجمة معاني القرآن):ص٣٨.

الشيخ مصطفى المراغي(١٨٨١ _ ١٩٤٥م) ولكن بشريطة ألا تعد الترجمة هي النسخة الحقيقية للقرآن وهو أول من استعمل عبارة ترجمة معاني القرآن[١].

لتنبثق مع الاحتكاك بين الشرق والغرب، أو بين الإسلام وأوروبا ترجمات كثيرة على إثر بداية الحروب الصليبية الأولى التي افتتحت ترجمة القرآن في الغرب، تلتها ترجمات عدَّة رافقت الحملات الاستشراقية على العالم الإسلامي وبتزايد اهتمام باحثيه وسياسيه بأهم ما ميز الحضارة الإسلامية لمعرفة بنياته من جهة وللسيطرة وتحريف المرجعية والتحكم فيها من جهة أخرى، وقد قدم الاستشراق الفرنسي ترجمات عديدة للقرآن ترافق في أغلب الأحيان في الصدام الذي يقع بين الإسلام و أوروبا وكان لجاك برك أن قدم ترجمة للقرآن، غرضه في ذلك وكما يقول خدمة الجالية العربية و المسلمة في فرنسا لكونها لا تعرف العربية وهي بحاجة ماسة للقرآن، فاضطررت لترجمته حتى يكون في خدمتهم!

فما طبيعة هذه الترجمة التي أقدم عليها جاك برك؟ ما خصائصها ؟

وعلى أي أساس ردت عليه وعلى ترجمته الباحثة المصرية زينب عبد العزيز ؟

❊ ❊ ❊

(١) المرجع نفسه: ص٣٩، ٤٠.

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةةة ةة ةةةةةةة ةةةةةةةةةة
ةةةةةةة ةةة ةةة ةةةةة ةةة ةةةةة

كان لترجمة جاك برك للقرآن إدراك جديد لتلك الشحنات الفكرية التي شكلتها الترجمة و التي كشفت عن تناقض المنطق الباركي الذي لم ينفصل عن منطق المدرسة الاستشراقية الفرنسية التي تكيل بمكيالين والتي كان من مهامها التاريخية هي إيقاف المد الإسلامي بأي طريقة خاصة في ظل تزايد الصراع الفكري بين الشرق والغرب، قد أحدثت هذه الترجمة إعادة النظر في رؤية الغرب إلى العرب و المسلمين المقيمين على مساحاته ومحاولة إعادة ترتيبهم على وفق الوعي المزيف الذي استحدثته موضوعات الترجمة والتي كان لجاك برك أن قدم عدة تبريرات لتملص من أخطائه ولتمويه الرأي العام الإسلامي من معرفة حقيقته الكبرى وهي تدمير الإسلام وادعائه معرفة العربية ومصادرها الكبرى التفسيرية .

من الشروط المسبقة التي تميز بها الاستشراق الفرنسي[1] ومنطلقاته هو الاهتمام

(١) اهتم الاستشراق الفرنسي بترجمة القرآن الكريم ، وكان لرئيس دير كلوني (بطرس المبجل) في برنجديا الصدارة الأولى في ترجمته إلى اللاتينية وبإشراف بطرس الطليطلي وروبرت كينيت وبمعاونة عربي مسلك يدعى محمد لا يعرف عنه نسبه أو كنيته شيء وقد كانت هذه الترجمة سنة ١١٤٣م وطبعت في سويسرا حيث أشرف دي بواتيه على مراجعة ترجمتها، وقد نشر هذه الترجمة تيودور بيلينادر وعن هذه الترجمة، تمت الترجمة الإيطالية سنة١٥٧٤م، وعن الترجمة الإيطالية كانت الترجمة الألمانية سنة١٦١٦م وكانت أول ترجمة للفرنسية سنة ١٦٤٧ من طرف دي ربير وقد ترجمت إلى لغات أخرى أوهي: الإنجليزية ثم إلى الهولندية ومن الهولندية إلى الألمانية.
ينظر:عبد القاهر داود عبد الله العاني: (الاستشراق والدراسات الإسلامية)، دار الفرقان للنشر و

البالغ بدراسات القرآن و الانفتاح في ترجمتها لأغراض علمية أو غير علمية، ما يقتضي فهم الفترات التي يم فيها ترجمة والأحداث الجارية العالمية الكبرى خاصة في حال تصدع و انشقاق في العلاقات أو في تقاربها وكان للإستشراق الفرنسي السعي إلى ترتيب البيت العلمي لمعرفة جوهر ما يحرك هذا الشرق الذي أصبح في نظر الكثير منهم أرض ظلام ، تربع على ساحة البحث الاجتماعي و الثقافي الفرنسي جاك برك[1] (Jacques Berque) وقدم في ذلك عدة دراسات متعلقة بسوسيولوجيا بلاد المغرب و الجزائر، كما أنجز ترجمة خاصة للقرآن اكتنفته جهودا كبيرة لإخراجه بشكله النهائي، خصوصية جاك برك لا تتحدد بموقعه الثقافي المتعدد مابين فرنسا والقاهرة و الجزائر فقط، ولكن قراءة كتاباته وترجمته هي التي تطلعنا على صورة أولية لعقله المحض وأنساقه الفكرية التي انطلق منها باعتبار القرآن وشرقه مادة دراسية خاصة لا تنفصل عن المهام الكبرى للإستشراق في فرنسا، ولا تنفصل عن محاولات

التوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١مص، ٢٤.

(١) ولد جاك برك من أصول فرنسية، في مدينة فرندة بولاية تيارت في الجزائر شهر يونيو عام ١٩١٥م، بعد إنهاء دراسته الثانوية في الجزائر، سافر إلى فرنسا ليواصل تعليمه الجامعي في السور بون، بعد ذلك عاد إلى المغرب وعين في عام ١٩٣٤ مراقب مدني في إحدى المحاكم الداخلية، ثم مساعد بلدي في مدينة فاس، أمضى قرابة ثلاث سنوات في الريف المغربي، وفي عام ١٩٤٣ التحق بالإدارة العام للانتداب بالرباط، تطورت الحركة الوطنية في المغرب ليصدر جاك برك تقريرا عنوانه " نحو سياسة فرنسية جديدة في المغرب عام ١٩٤٦م مما أدى به هذا التقرير في نفيه إلى منطقة الأطلس، حيث أنجز بحثه الدكتوراه حول هذه المنطقة، بعدها غير التوجه والترحال نحو مصر، ويهتم بدراية ما يسمى بالإسلاميات، ليمنح له عضو مجمع اللغة العربية ومن أبرز مؤلفاته: العرب بين الأمس و الغد١٩٥٩، أندلسيات١٩٨١م، القرآن محاولة ترجمة، ١٩٩١م، إعادة قراءة القرآن، ١٩٩٥م توفي سنة ١٩٩٥م.

ينظر:أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب(حوار الاستشراق)، المركز العربي للدارسات الغربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ص، ٢١، ٢٢.

ممن سبقوه كريجيس بلاشير Régis Blachére)). كما لا تستقل عن ردود الفعل العربية عن موضعة ترجمته في سياق مقبول أو مرفوض بناءا على التحيز المعرفي و الديني الذي ينتمي إليها أي ناقد أو مساند لعمل جاك برك، ومنطلقات جاك برك في ترجمته كانت من خلال البعد النظري الذي استلهمه من دروس اللسانيات المعاصرة ومناهج التأويل و التفكيك و الفينومينولوجيا التي باشرت تطبيقاها على الكتاب المقدس، يكون لجاك برك هذه المرجعية المنهجية و الفكرية التي أحالت الكتاب المقدس للتفكيك و التحليل، في محاولة إسلامية تطبيقية على القرآن لتقديم جديد له على ضوء فلسفات معاصرة جديدة.قد أشاد محمد أركون بهذه التطبيقيات في قوله: «تشكلت النصوص الكبرى، التوراة، والأناجيل، والمصحف، ولم أقل القرآن لأنه يدل على الشيء المادي الذي نمسكه بين بأيدينا(...) ولأنه يقابل التوراة و الأناجيل بالضبط(...) قد كرست هذه النصوص طبقا لمجريات مبلورة ومضبوطة من قبل السلطات العقائدية، ثم رسخت على هيئة مدونات نصية مغلقة(...) وقلت مغلقة لأنَّه لم يعد مسموحا لأي كان أن يضيف إليها أي كلمة أو يحذف منها أي كلمة، أو يعدل في المصحف أي قراءة معترف بأنها صحيحة».[1]

ومن هذا المنطلق كان لجاك برك أن يتبوأ صدارة ترجمة القرآن في حلته الجديدة، لتضاهي حتى علاقات الإسلام و الغرب المتأزمة لعلها ترأب صدى هذا الصراع في مكونه المحلي والعالمي، وفي خصوصيته الاجتماعية والعلمية و الطبقية، وهو الذي يرى في البنية التكوينية للقرآن معقدة وصعبة جدا من حيث النظر إلى طريقة كتاباته في شكله التوزيعي الذي يبنى من وإجماله وسورة وآياته إلى جمله ومفرداته وحروفه وأدوات ربطه

(١) محمد أركون: (الفكر الإسلامي نقد واجتهاد)، ترجمة وتعليق: هاشم صالح ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ٧٧.

بأشكال المنطق المتعدد ومناهج علم اللغة التي توصلنا إلى عدم بلوغ اليقين التام في الوصول إلى نتائج قاطعة.هذا ما يفسر قراءته التي شككت في ما يأتي:

_قضية جمع المصحف وتوحيده والذي يرى فيه جاك برك أنه لم يعتمد فيه الترتيب الزمني للآيات و السور.

_لم يراع فيه الترتيب الداخلي للآيات ، والتي يرى فيها فوضى وتداخل لا منطقي بين الموضوعات.

- لا معنى لعناوين السور التي لا تتطابق تطابقا كليا مع مضمون الآيات التي احتوتها.وبالتالي الجزم انه لا معنى موحد يوجد لكل سورة مستقلة عن الأخرى.[1]

بناءا على هذه المعطيات تكون ترجمة برك للقرآن واضحة لا من حيث المنهج الذي نظر به إلى تاريخية القرآن وظروف تشكله ولا من حيث المقصد والنية التي انعكست في عمله و الذي يوضحه الاضطراب في ترجمة عناوين السور و مضمونها، قد وقفت زينب عبد العزيزZaineb Abdul Aziz)[2] (الباحثة المصرية على أصول هذه الترجمة والتي تعد التفاتة كبيرة جدا لما لها القدرة الكبيرة في الرد على ترجماته، وبحكم تخصصها وتكونها ذو المرجعية الفرنسية، فإنها واكبت هذا الإشكال بكل حذافيره، انطلاقا من فهمها واستيعابها لحقيقة المناهج العلمية التي وصلت إليها المنظومة السياسية والعلمية الغربية آنذاك، وتعد صاحبة أول ترجمة لمعاني القرآن لكريم إلى اللغة الفرنسية، والتي استعملتها كمنهج علمي ولغوي وحضاري للرد على ماترجمه جاك برك وموضعاته اللغوية للكثير من المفاهيم الخاطئة حول القرآن وهذا ما عكسته مؤلفاتها التالية: الإلحاد

(١) محمد حسين أبو العلا: (القرآن وأوهام مستشرق)، المكتب العربي للمعارف ، ص١٣، ١٤

(٢) من مواليد الإسكندرية (١٩٣٥م)، متخصصة في الحضارة الفرنسية و الأدب الفرنسي، درست في جامعة المنوفية، وجامع الأزهر، ولديها مقالات كثيرة حول قضايا الصاع بين الإسلام و الغرب.

وأسبابه(الصفحة السوداء للكنيسة)، حرب صليبية بكل المقاييس، تنصير العالم(مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني)، من حائط البراق إلى جدار العار، محاصرة و إبادة(موقف الغرب من الإسلام) والتي أوضحت فيه زينب عبد العزيز المهمة الكبرى للغرب في الإطاحة بعرش القرآن ومحمد وتبرز أهم الدوافع التي انطلق منها جاك برك في ترجمته رغم وجود ترجمات قبله، فتقول في هذه الأمر مايلي: «إن ترجمة جاك برك للقرآن التي صدرت عام ١٩٩٠م، لم تكشف أنه ذو وجهين، فحسب، بل إنه يفتقد الأمانة العلمية في ترجمته وأسلوبه الذي يشي عن التعصب مغرض أدى به إلى تشويه صورة الإسلام(...) ومن المؤسف أن يقوم أحد تلاميذه ليعلن على لسانه في مؤتمر (نحو مشروع حضاري جديد)المنعقد في جامعة القاهرة في يونيو حزيران١٩٩٠م، عقب إشارتنا إلى هذه الترجمة المغلوطة قائلا: إنَّ جاك برك يتأسف لما صدر عنه عفوا وهو على استعداد لتصويب الأخطاء».[1]

ومن هذا يتوضح المنطلق الريبي الموجود في ترجمة جاك برك، فهل يعقل أنَّ مختصا في الدراسات الإسلامية و الشرقية، يقحم نفسه في ترجمة كتابة دون أن يدرِ بأدق تفاصيله وبحركاته وسكناته وبخصوصيته المتفردة عن سائر الكتب الدينية؟، ألم يدري بأن الكلام والخطاب و الحرف والإشارة و الأداة والذات والموضوع وغيرها من المسائل، تنفرد من نسق إلى نسق آخر وتختلف من حضارة إلى حضارة؟ أليس اعتذاره هذا كما أشارت إليه زينب عبد العزيز يحمل في ذاته وجهين: إما من وجهة فكرية على اتصال بها، وإما من وجهة علمية وعلمية بالموضوع الذي ترجمه لا اتصال دقيق بها.هذا ما أكدته زينب عبد العزيز من خلال وقوفها على أهم العلل التي استوقفتها الترجمة بالنظر إلى مساحات

(١) زينب عبد العزيز: موقف الغرب من الإسلام(محاصرة وإبادة) القدس للنشر و الإعلان، القاهرة، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٥٥

تكونه التي عكستها مقدمة ترجمته بالنظر إلى ما يأتي:

– تأثر القرآن بالشعر الجاهلي و الفكر اليوناني، _تأثر القرآن لمزامير داوود النبي، – احتواء القرآن لخط مثيلوجي.

–الفظاعة التي ظهرت بها صورة الله على حسي تخيله كما وردت في القرآن، ولكي يصحح هذه المعطيات لابد له من تطبيقيات لسانية وتاريخانية وسميولوجية تعيد النظر في المسائل الآتية:

– انتقاده لمعيارية القرآن وإخراجه إلى مساحات ابعد من تقنين التقنين.

–غموض الأحكام الموجودة في القرآن ولد في نظره صراع بين المذاهب و المفسرين.

–أدى هذا الغموض في الأحكام إلى تناقض الشريعة، مما دفع إلى تكون الجماعات الإسلامية وغلوها فيما بينها في قضية القرآن والتشريع ماضيا و راهنا.

– إثارته للقضية العلمانية وفصلها عن الدين بمسمى فصل الدين عن الدولة.

– وخلق قرآن جديد يتناسب مع الإنسان المعاصر، كما يتناسب ومبدأ العلاقات بين الإسلام و الغرب؟[1]

وإذا كانت هذه التساؤلات التي طرحها برك تنبع من تخصصه وعلميته التي تبحث عن الحقيقة الموضوعية في شكلها النزيه، فلماذا لم يساءل برك كتابه المقدس بشقيه القديم و الجديد، لأن البحث في الآخر يستلزم أولا وقبل كل شيء البحث في الأنا وفهمها واستيعابها وتصحيح أخطائها وأوهامها، قد ترك سقراط مقولته المشهورة وهي أعرف نفسك بنفسك، التي تستلزم (اعرف نفسك قبل غيرك)، أو (اعرف نفسك ثم غيرك)، لنسائل ترجمته كالتالي:إذا كان القرآن كلام الله تافه ومتشابه في صيغة تكرارية غامضة غير

(١) زينب عبد العزيز: (موقف الغرب من الإسلام) ، ص، ٥٧، ٥٨.

مفهومة، فهل نظر إلى التناقض المرتكب في دلالة الكلمة والرب في الأناجيل الأربعة؟ألم يساءل نفسه لماذا لم يكن إنجيل باسم عيسيى؟ ألم يطلع على انتقادات نيتشه وسبينوزا وموريس بوكاي لعهده الجديد؟.

وترى زينب عبد العزيز أن جاك برك قد تناقض في إبراز موقفه من الترجمة التي قدمها لها مبينا مرة مدى سلاسة الألفاظ وجمالها وتوافقها وفي مرة أخرى يبين الصعوبة التي واجهته في تعيين اللفظ وموضعته ضمن الإطار العام و الخاص للنص القرآني، ومن ثم لم يدرك بنيات وخصائص الكلمة واللفظة العربية ونقلها إلى الفرنسية ومحافظته على الترتيب العربي وترجمته مباشرة إلى الفرنسية، الأمر الذي أوقعه في مغالطة كبيرة، أدت إلى اعتذاره وإعادة طبعه لنسخة أخرى التي صدرت عام ١٩٩٣م .[1]

وعند إطلاعي على الترجمة الثانية لم أجد أي تغيير أو أي إصلاح ولا فرق بين الترجمة الأولى والترجمة الثانية، والملاحظات الدقيقة التي وجهتها له زينب عبد العزيز قد بقيت على حالها ما يثبت عدم جديته في التصحيح ، وان الاعتذار الذي تقدم به ما هو إلا مسرحية مثلها أمام العالم الإسلامي، وبقيت انتقادات عبد العزيز ثابتة على الترجمة الأولى والترجمة الثانية، وقد استعرضت نقدها لجاك برك في عدة قضايا ومواقع:

ةةةةة:ةةةةة ةةةة ةةةةة ةة ةةةةةة ةةةةة ةةةةة:

١- ما تعلق بأسماء السور:وقد تمثل في المحافظة على بعض العناوين من السور لم يترجمها وأبقاها على حالها الأصلي ولكنه دونها باللغة اللاتينية، ومن هنا يطرح السؤال:هل السور التي كتبها باللاتينية تبين فهمه لها في نطاق تكونه ومرجعيته، والسور التي ترجمها تبرز في الوقت نفسه عدم فهمه؟

(١) زينب عبد العزيز:ترجمات القرآن إلى أين(وجهان لجاك برك)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص، ١٤أ

مثل:سورة الحجر، فكتبها AL- Hijr وسورة الأحقاف كتبها AL-Ahqaf، اما المتاقض في أسماء السور الأخرى فقد أطلق عليها تسميات لا تحمل مضمونها أصل كما تتنافى مع جوهر القداسة النصية، فسورة الفاتحة ترجمها إلى ouverture بمعنى المفتوح، آل عمران: La famille de imran، مع أن هناك فرقاً بين آل والعائلة، الأولى: تطلق على النسب المستمر وبالتالي يقتضي فهمها الاتساع، والثانية: تطلق على أفراد قليلين، كأفراد الأسرة، وتأخذ معنى التحديد والضبط، سورة الحجرات Les Apartement، وسورة الإسراء، le Target nocturne ou les fils Israël بمعنى المسيرة الليلية حيث يجعل من هذا العنوان تلك التذكرة التي لا تنفصل عن قصة خروج بني إسرائيل، وبالتالي فهو يتعهد الكتاب المقدس في إحلاله معانيه مكان المعاني القرآنية وليقترب الحوار أكثر فأكثر ما بين اليهود و المسلمين في الحوار الحضاري لا في الصدام الحضاري كما يراه جاك برك، كما أنه يعطي الشرعية لبني إسرائيل ففي هذه السورة على ما عداهم وينفخ في نصوصها وألفاظها ومواقفها التاريخية أيضا، غير أن زينب عبد العزيز قدمت أسماء للسور في ترجمتها القرآن إلى الفرنسة وحافظت على الأسماء لكي تحافظ على معناها الظاهري و الباطني ردا على اقتراف برك وفي المقابل وضعت أسماء السور في ترجمتها بحسب نطقها في العربية مع اجتهاد كبير في تبيين البنية المورفولوجية لعنوان السور والتي وضعت لها بعض الرسوم الخاصة من الاستثناءات الفونيمية، وقابلت بين العناوين التي تم وضعها في نسخ المترجمة في اللغات الأوروبية وبين العناوين الأصلية حتى يتسنى للقاريء أن يفهم المعنى الحقيقي لكل السورة وفي نفس الوقت ذكاءا من زينب عبد العزيز لكي تحدث تغييرا تاما في محتوى الترجمات التي تم تحريفها من طرف من تولى ترجمة القرآن في اللغات الأوروبية، وعناوين السور هي كالتالي:

Al-fATIHA(I'Inaugurale)

وليس كما ترجمها جاك برك إلى OUVERTURE

AL-BAQARA (LA VACHE)، AL-IMR ANE(la famille,IMR ANE)، AN-NIS A(les femmes),AL M A'IDAH(la Cène)[1],AL-I'sr a(faire le partir de nuit).[2]

وما ميز نظام الترجمة عند زينب عبد العزيز أنها حافظت على حقيقة أسماء السور واجتهدت في وضع رموز خاصة لإعطاء الحرف العربي المتحول في اللغة الفرنسية حقيقته العربية القرآنية وليس الفرنسية.

٢- ما تعلق بالألفاظ التي استعملها:

أ- إلغاء نزول الوحي : أن كلمة النزول ترجمها بـ (Descente) والتي لا تتطابق مع مفهوم النزول ذاته والذي يقتضي تنزيل الوحي الذي تشكك فيه المدرسة التاريخانية هذا ما يثبت أن جاك برك قد عمد إلى هذا النوع من الترجمة من جهة ومن جهة أخرى نثبت جهله بأبسط قواعد المعنى في العربية، بشأن كلمة النزول تقول زينب عبد العزيز: «وبغض النظر عن ركاكة الترجمة، فإن كلمة (النزول) هنا تعبر عن حركة النزول المقابلة للصعود، أي أنها لا تدل مطلقا على التنزيل أو على تنزيل القرآن أو على الرسالة وهو ما تحاشى ترجمته حتى لا يوضح أن الإيمان بالغيب من أسس الإسلام مثلما هو من أسس

(١) أشارت زينب عبد العزيز إلى لفظ la Céne باعتباره الأنسب في الوضع من لفظ la table)) التي ترجم لها المستشرقون سورة المائده.

(2) ZEINAB ABDELAZIZ: Le Qur'ān ,Édition conveying Islamic Message society, Alexandria, Egypt, 1990.

العقيدة المسيحية الخالصة».[١]

فمن حيث الموضع القرآني لكلمة النزول(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)[٢].

ترجمها جاك برك :

ils croient à La descente sur toi opérée, a Celle avant toi opérée ; ils ont certitude ,eux, de la vie dernièr [3]

وترجمتها:إنهم بالنزول الذي تم عليك، وبالنزول الذي تم من قبلك، لديهم يقين، هم، بالحياة الأخيرة، وبالتالي فإنَّ الكلمة قد أخرجها من سياقها الخاص، ما ولد ركاكة فظيعة يستحيل أن تدرك بها المعاني الخصوصية و الشمولية للآية و السورة ، واقترحت زينب ترجمة بديلة وهي:

Et ceux qui croient en ce qui t'a été révélée ce qui a été révélé avant, toi, et croient foncièrement en La vie future.[4]

ب- عسكرة القرآن:موضع الآية قرآنيا: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) .[٥]

ترجمة جاك برك:

David Nous t'avons donné Lieutenance sur La terre. [6]

فكلمة خليفة ترجمها إلى Lieutenance والتي تعني رتبة عسكرية بمعنى ملازمية،

(١) زينب عبد العزيز:(وجهان لجاك برك)، ص، ٢٦

(٢) سورة البقرة، الآية، ٤

(3) Jaques Berque: Le Coran,(Editions revue et corrigé),Albin Michel,1995,Paris, P26.

(4) ZEINAB ABDELAZIZ: Le Qur'ān, SURAH,AL BAQA RA(la vache),p60.

(٥) سورة ص، الآية، ٢٦.

(6) Jaques Berque: Le Coran, p488.

ليثبت أن القرآن قد انتشر بالسيف .

وقد ترجمتها زينب عبد العزيز على الشكل التالي:

O David Nous Avons Fait De toi un remplaçant sur terre[١]

ج- في أن الله هو المسيح:الأصل القرآني(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) [٢]

ترجمة جاك بارك في طبعته الأولى:

Dénégateure sont ceux que assimilent à Dieu le messie fils de marie

وتعكس هذه الترجمة بالطبع الرؤية اللاهوتية[٣] للمسيح والتي جعلته مجاميعهم الكنسية خاصة في مؤتمر نيقية بأنه إله، وتقول زينب عبد العزيز على أن الغرض من هذا الموقف في مجمع نيقية[٤] هو القضاء على نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم،

(١) ZEINAB ABDELAZIZ: Le Qur'n, SURAH,S AD, p٥٥٧

(٢) سورة المائدة:الآية، ٧٢

(٣) اللاهوتية: Théologie مصطلح مكون من مقطعين يونانيين وهما:théos وLogos أي علم الله وصفاته وعلاقاته بالعالم وقد أخذ هذا المصطلح تعيينات مختلفة، ليرتبط بإنتاج مفهوم معين لدين معين كالدين اليهودي، تجذر أكثر في ما يسمى الديانة المسيحية التي أنتجت رؤية مغايرة للمسيح ولديانة المسيحية منذ حادثة الصلب إلى تباشير القديس بولس، إلى المجامع الكنسية، إلى إخراج هذا المفهوم في قوالب مختلفة :كلاهوت موت الله عند فريدريك نيتشه ، ولاهوت العلماني، واللاهوت الفيزيقي .

ينظر:مراد وهبة:المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة، القاهرة.٢٠٠٧م.ص، ٥٣٧، ٥٣٨ .

(٤) انعقد هذا المجمع سنة ٣٢٥م وكان الاختلاف يدور حول طبيعة المسيح أهو رسول من عند الله فقط، أم أن له بالله صلة خاصة اكبر من الرسول، فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله، لأن هو كلمته، ومن قال إنَّه ابن الله، له صفة القدم، كما لله تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم، واختلفت، وكل نحلة تزعم أنها الدين الصحيح الذي جاء به المسيح،

وعدم التسليم المطلق بمن يدعي من بعد المسيح بالنبوة، وقد استعمل جاك برك لفظة assimilent في الطبعة الأولى من ترجمته والتي تعني أنَّه يماثل الله بالمسيح و العكس، في اعتقاد بإسقاط التحريف عن المسيحية التي ابتدعوها، ورغم أنه بدلها في ترجمة الثانية (١) Dénégateure sont bien ceux qui disent que dieu serait le Messie fils De marie

فإنَّ المعنى واللفظ الذي استساغهما شوه المعنى أكثر وبالتالي فلا فرق بين الطبعة الأولى والثانية من ترجمته وقدمت زينب عبد العزيز البديل الآتي:

Devinrent sûrement mécréant ceux qui on dit; certes Allah est le Messie fils de Marie.(٢)

د_ في أمِّيَّة نبينا محمد ﷺ: الأصل القرآني(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ)(٣).

ترجمة جاك برك:

(٤).en faveur de ceux qui suivent L'Envoyé le prophète natif

فقد ترجم الأمي من الأمومي المنسوب إلى الأم Matirnal، على حسب الترجمة الأولى، وقد زاد الطين بلة في الترجمة الثانية وترجم الأمي إلى natif بمعنى الذي ولد، آو المولود، وبالتالي ينفي أمية النبي كونها القاعدة الأساسية لإثبات نبوته من جهة، ومن

أوهي النحلة التي فهمت جوهر المسيح وحقيقته.

ينظر:محمد أبو زهرة: (محاضرات في النصرانية)، الرئاسة العامة للإدارات و البحوث العلمية والإفتاء و الدعوة و الإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ، ص، ١٤٩.

(١) Jaques Berque: Le Coran,la table pourvue, p.١٣٢

(٢) زينب عبد العزيز: (وجهان لجاك برك)، ص، ٤٠.

(٣) سورة الأعراف: الآية، ١٥٧.

(٤) Jaques Berque: Le Coran,p ١٨١

جهة أخرى يثبت بشرية القرآن ، وعلى أنه من تأليفيه ومن نظمه، بل هو كلام من رب العالمين، وقد سلك مسلك المدرسة التاريخية في ترجمته متسلحا بمناهجها الهدامة لشريعة القرآن المقدسة، بحجة التنوير، وتسهيل عمل المتنورين في النظر إلى النص الديني وإعادة تبيئيه بالطرق التي تدعوا إليها انساق الحداثة وخطابات العلمانية، التي تشدق بها الكثير من المفكرين العرب على الرغم من التناقض الصارخ والفشل الذريع الذي منيت بها تطبيقاتها في الغرب ذاته سواء من جانب قراءة نصه الديني وتفكيكه، أوفي الترشيد العلماني الذي ابتلت به المؤسسات السياسية و الدينية أيضا. وقد لاحظت زينب عبد العزيز أثر هذا النهج في ترجمة جاك برك للقرآن، وكان له من الأحسن أن ينظر أولا في موضوع الحداثة و الأصولية في الغرب ويطلع على أبحاث الآباء المسيحيين من أمثال: ألفريد لوازي (و) إدوارد لوروا (و) آلبرت هوتين (والأسقف) دوشين (و) رودولف بولتمان، وما كتبوه اتجاه العقيدة المسيحية المحرفة.(١)

وقد ترجمة زينب عبد العزيز (النبي الأمي) من سورة الأعراف الآية ١٥٧ لتعطي للنبي حقيقته الأصلية و التي تثبت أميته من خلال أنه لا يقرأ، وردا على ما ترجمه برك في الشكل الآتي:

(٢).Ceux qui suivant le Messager le prophète analphabète

وبالتالي تظهر تناقضا كبيرة في فكر برك و ترجمته ما يكشف هذا التناقض موقع الثقافة التي انطلق منها والخلفية العلمية التي أسقطها على مشروع ترجمة القرآن، لتظل مشكلة عدم تناسق المفاهيم الخاصة بجاك برك مع محتوى المفاهيم القرآنية بمثابة المعركة التي لا تنتهي أطوارها إلا بفضح وكشف نية برك الخاصة اتجاه القرآن.

(١) زينب عبد العزيز: (وجهان لجاك برك)، ص، ٧٩.

(٢) ZEINAB ABDELAZIZ: Le Qur'n S'URAH AL- AR AF p٢٣٤.

والملاحظ لما قدمته زينب عبد العزيز وتقويمها لترجمته، يبين في الآن نفسه قدرتها في توضيح الكثير من الحقائق التي أهملها أغلب النقاد ، واهتمامها لهذه المسألة من وجهة حسها الحضاري و الإسلامي، جعلها تقدم على خطوة جريئة، لعلها ترد بها خطة جاك برك ومعاونيه في تشويه صورة القرآن، وكان لترجمتها للقرآن بالفرنسية بمثابة الإنجاز الحضاري المتميز الذي أحال ترجمة جاك برك الأولى، والثانية، المنقحة التي ادعى تصحيحها إلى الأرشيف الكاذب، الذي أخذ مجرى عدم فهم القرآن، و لربما استغنى في ترجمته للنيل من قداسته ومكانته عند عموم وخصوص المسلمين كما ترى زينب أن هذه الموضعات التي استحدثها في الترجمة و التي عَوَّل فيها على تغيير المفاهيم القرآنية الأساسية قد استند إلى هذه العناصر التي أظهرت مدى شقاقه ونفاقه في إعادة هيكلة القرآن من داخل حرفه ولفظه ونصه، وعمومه وخصوصه والتي تتمثل فيما يأتي:

_ يحاول اختلاق الغرض ليدس بعبارات، تجعل القارئ يلتفت إلى عدة تلميحات تقربه إلى الفهم المسيحي الذي يبدو لفظا غير ظاهر في النص لكن معناه يشير غلى هذه المسيحية.

_ قد قام جاك برك بطمس العبارة اللغوية العربية في القرآن، بحجة نقلها إلى اللغة الفرنسية بنفس الإيقاع و الأثر، ولكن هذا الاختيار أخرج ما ترجمه عن وظيفته ومبناه لأن اختيار المعنى هو في الحقيقة البعد عن المعنى الأصلاني الذي عبر عنه القرآن ، لتبقى محاولته في اختيار المعاني للألفاظ لا ترقى إلى مستوى الترجمة الحقيقية.

_ كما أكدت زينب عبد العزيز أنّه شرح السور و الآيات بناءً على بحور الشعر، وتبيان قواعد النظرية الشعرية داخل القرآن لإيهام القارئ بأنه لا فرق بين النص الشعري و النص القرآني.

_ وإذا ما كان جاك برك ينسج اللعب الإجرامي بالألفاظ بهدف تغبير وجهة القرآن

الحقيقية، إما لاعتقاده أن لا أحد يكشف مغالطاته، أو أنه يحتفي بترجمة أمينة لخدمة العرب و المسلمين الذين لا يعرفون العربية في فرنسا؟ ما يطرح قراءة جديدة لبرك من خلال القرآن الذي شكله والذي أظهره بوجه آخر يعطي في الوقت نفسه الصورة الحقيقية الأخرى لجاك برك.[1]

تصبح القراءة الاستشراقية للقرآن ومن هذا المنظور لا تمتلك في موضوعها و في منهجها أطر العلم الموضوعية التي تجعل من فهم الحقيقة إطار غير محدد باستيعاب مفاهيم المفارقات الحضارية المتمثلة في الغيب والبنية الذي أراد لها برك أن يحشرهما ضمن الفهم الودي للقرآن الذي ترجمه بالفرنسية وإيجاد مساحات العقلانية فيه ونبذ التعسف و العنف عن طريق نبذه وتبديله للمفاهيم التي تدعوا إلى هذا العنف[2] بالتالي يصبح الهدف المتوخى من الترجمة هو إيجاد نسخة مغايرة للنسخة الأصلية لإيقاف الحروب الصليبية الجديدة بين الإسلام و الغرب كما يزعم، وفي هذا يقول:» غالبا ما خرجت الترجمات القديمة بمعنى سخيف ومن دون منطق يربط بين الآية وغيرها مع أن هناك ترابطا بين الآيات، وفي ترجمتي انتهيت لذلك وخصصت اهتماما كبيرا للربط المنطقي، منطق التلاوة».[3]

فأي منطق يتكلم عنه برك؟ وأي منطق تلاوة يحاول إحداثه في ترجمته القديمة و الجديدة؟ علما أن التلاوة في العربية لها أركانها وشروطها وحروفها وقواعدها؟ أم يريد أن يقرأ القرآن مثلما تقرأ الكنائس أناجيلها ؟وبالتالي تتضح نية برك من هذه الترجمات

(١) زينب عبد العزيز: (وجهان لجاك برك)، ص٦٣

(٢) أحمد الشيخ: (من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب ، المركز العرب للدراسات الغربية)، ط١، يناير، ١٩٩٩م، ص٢٧

(٣) المرجع نفسه:ص٢٧

التي استحدث لها مفاهيم جديدة ومنطق قراءة جديد يتلازم مع علم التلاوة الذي يطمح إلى تحقيقه حتى تصبح الجالية العربية و المسلمة تقرأ القرآن بالفرنسية وتؤدى تلاوته بتلاوة جاك برك المبتدعة.وقد وضعت زينب عبد العزيز في ترجمتها للقرآن إطارا جديدا من التصور الشكلي و المفهوم للكلمات والمعاني، وأصرت أن تبقى الكثير من المفاهيم على حالها لأنَّ الضرورة الشرعية والعلمية والحقيقية القرآنية تقتضي ذلك ولا يجوز إبدالها إلى لغات أخرى لكونها لا تحمل نفس المعنى الذي أراده الله تعالى من جهة ، ومن جهة أخرى لا تتطابق مع أنساق الترجمات الفرنسية و الإنجليزية، فمثلا: Sūrah، سورة-سور، Suwar - القرآن، Qur'ān- وليس -Al ،ZaKāt ، Coran Anfāl التي ترفض زينب عبد العزيز ترجمتها إلى اللغة الفرنسية ب Surrogatoire، كما لا تكتب مكة بMecque بل تكتب بـ Makkah ولا تكتب المدينة بـ Médine بل تكتب بal-Madinah كما توضح حقيقة المصطلح في العربية من خلال سورة المؤمنون) AL-MU' MINūN)التي حافظت فيها على المفاهيم العلمية والتي رأت فيها من الصعوبة ترجمتها إلى اللغات الأوروبية، بحكم أنها إذا ترجمت لا تؤدي الوظيفة الحقيقية مثلما تؤديه داخل الخطاب القرآني، وهذه الكلمات هي: Firdawsوnutfah وalaqah وmudgah.[1]

وقد كانت هذه الترجمة كأنَّها إعادة تأسيس منطق كتابة جديد لا يمكن إخراج ترجمة القرآن إلى حال العبثية مثلما ادعته مدارسهم الفلسفية واللغوية التي تلاعبت بألفاظ والكلمات ودون أنْ تراعي في ذلك حقا للمقدس، لتظل الترجمة هي ذلك العلم بقواعد اللغات وأنساقها الحضارية وتكونها البنيوي، الذي لا ينفصل عن خصائص أي شعب

(١) ZEINAB ABDELAZIZ: Le Qur'n SURAH(AL-MU' MINN)p٤٢٥

من الشعوب، لنفهم من خلال هذا الطرح ما قدمه الاستشراق من ترجمات، والتي لم تخرج عن قلة فهمهم لمقام المقدس في القرآن أو لأنهم حال الترجمة «يفقدون أعصابهم وينسون مقامهم العلمي وترتج نفوسهم وتضطرب قلوبهم حينما يشغلون أنفسهم بالبحوث الإسلامية، وأحقاد العصور هي التي ملأت الصدور، وأمدت عليهم هذا الحقد و الغيظ الذي لم يستطيعوا كظمه في ظل حالاتهم».[1]

(١) أحمد نصري: (آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم)دار القلم للطباعة و النشر، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠٩م، ص٠٤.

ةةةةةةة

لم ينفصل النظر في ترجمة القرآن من الموقف الشرعي الذي لازمه طيلة عقود خلت من مرحلة انتشاره وتوسعه عبر الأقطار إلى التساؤل حول إمكانية نقله من لغة إلى لغة يعدَّه تحريفاً أم تفسيراً أم تخريجاً جديداً للنص جديد لا يمكن في أي حال من الأحوال التعبد به لأن صيغة التعبد مرتبطة بعربية القرآن وأحكامه القرائية، ما استلزم مراعاة أحكام التلاوة عبر منطق رسمه كما هو في المصحف، وعبر منطق تلاوته التي حددتها أحكام التلاوة في ذلك.

ـ قد أجمع العلماء وفي أغلبهم على عدم ترجمة القرآن إلى لغة غير العربية، بحكم خاصيته التي ميزته بها العربية التي لا يمكن لألفاظها أن يكون لها مقابل آخر في اللغات المترجمة، فضلاً عن النسق التعبدي الذي لا يجوز صلاة دون العربية، أما ماعداها من ذكر ومناجاة فهو جائز، وفريق آخر من العلماء أجازوها لاعتبارات عدم معرفة اللغة العربية في المناطق التي لا تعرف العربية ، لكن شريطة ألا يُعَدُّ قرآنا بل ترجمة لمعانيه.

ـ و بالنظر إلى واقع ترجمات القرآن في النسق الاستشراقي الفرنسي ومدارسه المختلفة، يلحظ تشويها واضحا لمفاهيمه وأنساقه خاصة من حيث البحث عن البديل من الألفاظ القرآنية في اللغة الفرنسية وسائر اللغات وبالتطرق إلى ترجمة (جاك برك) التي ادعى تعديلها يلحظ مدى التشويه و التلبيس الذي طال مفهوم الله والمقدس والنبي و التنزيل وغيرها، حيث كانت ترجمة برك منقادة أو مطواعة لتفاسير ومفاهيم الكتاب المقدس الذي يحيل مباشرة إلى البعثرة والفوضى و العدمية التي نبذها القرآن في حكمة مزدوجة ربانية وهي (الجمع بين عالم الغيب وعالم الشهادة).

قد كان للباحثة المصرية (زينب عبد العزيز) نصيب كبير في نقد ترجمة برك والتي قوضتها من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون، فمن ناحية الشكل لم تحافظ ترجمة برك على الصور الأولى لأسماء السور ودلالاتها، وإنما كان اجتهاده مخالفا تماما لما هو موجود في علم التنزيل الذي تمحور حول حقيقة أسماء السور و المفردات القرآنية وبالطبع لم يكن له اطلاع صحيح وجدي على علوم القرآن وعلوم العربية أيضا، أما من ناحية المضمون فانتقدت تلاعبه لمحتوى القرآن وذلك بإعطاء ترجمات لألفاظ عربية بألفاظ فرنسية لا تتطابق مع جوهر النص وموضوع القرآن جملة وتفصيلا ما يثبت السذاجة التي انطلق منها (جاك برك)في الترجمة ناهيك عن الأخطاء الفادحة في تعيين الأسماء في أماكنها الصحيحة، بالتالي قدمت ترجمة جديدة وباللغة الفرنسية كانت بمثابة الرد الأكبر على سائر الترجمات الفرنسية والغربية عموما وأظهرت براعتها في المحافظة على أصول الألفاظ وأصول رسم المصحف وغيرها، ليعد تحدي في وجه من يريد أن يفكر في ترجمة للقرآن أن يمعن النظر في خصائص ترجمة القرآن التي اعتمدتها (زينب عبد العزيز).

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةةة

١. زينب عبد العزيز: موقف الغرب من الإسلام(محاصرة وإبادة)القدس للنشر والإعلان، القاهرة، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

٢. زينب عبد العزيز:ترجمات القرآن إلى أين (وجهان لجاك برك)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م

ةةةةةة:

١. أحمد الشيخ:(من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، المركز العرب للدراسات الغربية)، ط١، يناير، ١٩٩٩م.

٢. أحمد نصري: (آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم) دار القلم للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠٩م.

٣. جلال الدين بن الطاهر العلوش، (أحكام ترجمة القرآن)، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي: (نقل معاني القرآن الكريم من لغة إلى أخرى أترجمة أم تفسير)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي:(تحريف المصطلحات القرآنية و أثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر)، مكتبة فهد الوطني، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦. عبد القاهر داود عبد الله العاني: (الاستشراق والدراسات الإسلامية)، دار الفرقان للنشر و التوزيع ، عمان، الأردن ، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٧. محمود العزب: إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم(اللغة و المعنى)دار نهضة مصر للطباعة و النشر، ط١، ٢٠٠٦م.

٨. محمد أبو زهرة: (محاضرات في النصرانية)، الرئاسة العامة للإدارات و البحوث العلمية والإفتاء و الدعوة و الإرشاد ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ.

٩. محمد أركون: (الفكر الإسلامي نقد واجتهاد)، ترجمة وتعليق: هاشم صالح ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

١٠. محمد حسين أبو العلا: (القرآن وأوهام مستشرق)، المكتب العربي للمعارف .

ةةةةةةةة:

1. ZEINAB ABDELAZIZ: Le Qur'ān ,Édition conveying Islamic Messagesociety, Alexandria, Egypt, 1990.

2. Jaques Berque: Le Coran,(Editions revue et corrigé),Albin Michel,1995,Paris,

❋ ❋ ❋

-14-

ööööö ööööö ööööö ööööö

ööööööööö ööööööööö ööö

ööö ööööö ööö ööööööö ööööööö ööööööö

ööööööö öö(ööööööö ööööööööööö ööööö ööööö)

الدكتور عبد الله عبد المومن

أستاذ الفقه وأصوله بجامعة ابن زهر

كلية العلوم الشرعية السمارة

المملكة المغربية

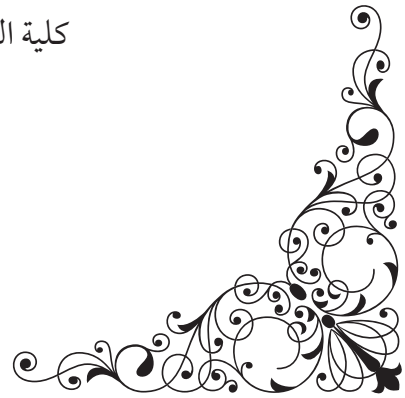

ةةةةةةة

الحمد لله المستفتح بحمده كل أمر ذي بال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير الصحب والآل، والضراعة إليه جلّ اسمه في توفيقي وتسديدي لما أدبّره وأحبّره من مقال.

أمَّا بعد، فلمَّا كانت دعوة التجديد مما قد أخذت حيّزا بالغ الأهمية في الطروحات الفكرية المنهجية المعاصرة، إذ تنبئ بحاجة ملحة تمخّضت عن تماه بين لواقح الأفكار وقضايا وحوادق العصر التي هي أحوج ما يكون في هذا الإبّان إلى الاستمداد من موارد كافية شافية، أضحى شمولها لجميع قضايا المعرفة مما لا غنى عنه تحقيقا لمعنى الجدّة والعمق في تناولها، وواقعية الاستمداد من معينها.

وقد أمّلت العلوم منَّا إصلاحا لها، وإنَّ إصلاحها بإصلاح التآليف حولها، فما العلوم إلا معاني التآليف، وإنَّ جوهر تجديد العلم والدين في إبانتنا بإصلاح تلك التآليف، تسديدا لفهمها وتيسيرا لتداولها. وقد عدّ جلة علمائنا كالشاطبي وابن خلدون مداخل الخلل في العلوم من جهة التفريع وأساليب التقرير، وتخليط المعارف، وتفصيل المجملات، وكيفيات مباحثة أهلها، وردّوا ذلك كله إلى إخلال التآليف الذي هو مرد كل اضطراب[1].

وقد اقتضى تجديد هذه المعارف العناية بأولاها في إثبات العقيدة الإسلامية، وهو مجال علم أصول الدين أو علم التوحيد، والذي اعتراه التخليط بين المباحث، والتفريع على القواطع، وطغيان الخلافيات الاصطلاحية التي لم تغن مجال المدارسة والممارسة إلا بالتعصب والخلاف، والذي لم يولد من رحم الجدل إلا جدلا.

(١) بتصرف عن أليس الصبح بقريب لابن عاشور: ١٧٨

إنَّ فقه التجديد والتغيير حافز حضاري في تاريخ الأمة، منذ المراحل الأولى لترسيخ العقيدة في النفوس، وكان وما زال المقصد الأسنى الذي انبنى عليه التشريع مع مراعاة الأحوال والمُلابِسات، وإن التجديد المؤالف لروح التشريع ليستدعي في كل حين، إن تحقق معناه بوصف الجدّة وهو الرجوع إلى القوة والحيوية، أن نستحضر هذا الفقه حتى تنبعث النفوس من صدى الجمود والتبعية، وهذا وإن تحصّل في قضايا البناء والتأسيس لمنظومة الاجتهاد في قضايا الدين المشروعة لمصالح الأمة، فإنَّه مما يجدر أن يستحضر في كل محفل ومقام ليؤسس منهجا تربويا يتكيف ظاهرا وباطنا مع إلزامات الوحي، ويجاوره في طريقه نحو الوقوع[1].

وقد ابتغيت بهذه المباحثة المتواضعة وضع اليد على دواعي ومجالات التجديد والإصلاح في مجال أصول الدين، استمدادا من المنابع الصحيحة الثابتة، واسترشادا بالمغزى العملي الأخلاقي الواقعي لعقيدة أهل السنة والجماعة، وحصرا لمباني الخلاف العقيم، إما بتبيين مداركه، أو إخراجه من مباحث هذا العلم إلى ما يشمله من الفروع والعمليات.

❊ ❊ ❊

(١) رؤى معرفية في الأصول والمقاصد، د عبد الله عبد المومن:٢٢٢

ةةةةة ةةةةة
ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة

لعله كان وما زال من الإشكالات المستصحبة للنظر في علم أصول الدين وغور التعمق في معانيه، توقف كثير من أهل العلم بخصوص التداخل بين هذا الفن وعلم الكلام، إلى درجة صدق التعبير به عنه، أو استبطانه إياه، وقد وجهت إليه سهام النقد مذ بزوغه، وتدوول إنكاره من أئمة السنة والفقه، إلى أن صرح ابن خلدون في القرن التاسع بقوله: فينبغي أنْ يعلم أنَّ هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا.

وأما الآن، فلم يبق منها إلا كلام تنزه البارىء عن الكثير من إيهاماته وإطلاقاته. ولقد سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مر بهم من المتكلمين يفيضون فيه، فقال: ما هؤلاء؟ فقيل: قوم ينزهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص؟ فقال: «نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب».

لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها[1].

فإلى أي حد يمكن الوصل أو الفصل بينهما ولا سيَّما أنَّ هذا الإشكال قديم حديث؟، وما صدقُ مناهجه على الاستفادة من هذا الفن عمليا لابتنائه على الجدل وما تولد عنه؟، وكيف الارتقاء بمناهج هذا العلم مع تجديد في مقاصده ومصطلحاته بمنأى عما ليس تحته عمل؟

(١) مقدمة ابن خلدون: ٣/ ٣٦

أقول: لقد ارتبط التجديد مذ أول وهلة بالنظرة النقدية الفاحصة المستأصلة للرأي المجرد والتبعية والتقليد على زعم الاهتداء والاقتداء، والمؤيدة لإعمال النظر والاستدلال بوصفه ثابتا شرعيا دون أدنى مواربة. وقد أرشد المنهج القرآني إلى تأسيس ذلك في معترك الحجاج وإقامة البرهان على حقيقة التوحيد، قال تعالى: «قل ارآيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات، إيتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين»[1]، ولا يتوصل إلى تلكم النتيجة دون التدرج عبر مدارك النظر والاستدلال بالأدلة المنقولة والمتعقّلة[2]. وتحقيقا لذلك كله لم يخل الله عباده من تجديد الآيات، وما يقوم مقام تجديدها، وذلك بأمور أعظمها: إعجاز القرآن العظيم، وبقاؤه في الأمة، وحفظه له عن التغيير[3].

وإنَّ محل فن الكلام في هذه المنظومة لهو تقرير الأدلة وإسناد الحجة والبرهان، تحقيقا لفحوى النظر والاستدلال، فهل رده على إطلاق أو قبوله مع اتفاق من إشكاليات تجديد هذا العلم؟ هذا ما سنعرض له بحول الله في المباحث الآتية.

❊ ❊ ❊

(١) الأحقاف: ٣

(٢) رؤى معرفية في الأصول والمقاصد: ١٣، ١٤

(٣) إيثار الحق لابن الوزير: ٧٦

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةّة ةةة ةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةة ةةةة ةةةة

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةةةةة ةةةة

لا بد من بيان أمر غاية في الأهمية، وهو التوقف عند آراء المؤيدين لعلم الكلام في مراحل تاريخية وسياقات متغايرة، ومرد ذلك في كلٍّ مراعاتهم لدور الكلام في الحجاج وسوق البراهين في مقام المجادلة والمحاجة، وقد صرح الآمدي به في التأسيس للتوسل بعلم المنطق إلى صفاء الذهن واستيعاب قضايا الكلام، قال رحمه الله: «إن من حصلت عنده المواد الصادقة المقترنة بالصور الحقة التي يتولى بيانها المنطقي، لم يجد في نفسه جحد ما يلزم عنها..»[1].

وألف أبو الحسن الأشعري رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام، وحسبك بأبي الحسن وقد عُدّ من المجددين على رأس الأربعمائة، قال ابن عساكر: وقول من قال إنَّه أبو الحسن الأشعري أصوب لأنَّ قيامه بنصرة السنة إلى تجديد الدين أقرب، فهو الذي انتدب للرد على المعتزلة وسائر أصناف المبتدعة[2].

وتابعه الغزالي رحمه الله في الإحياء مبرزا استمداد هذا العلم من أرقى المصادر الشرعية، ومنه قوله: «وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار، فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»[3]، وفي

(١) غاية المرام في علم الكلام للآمدي: ١٨.
(٢) تبيين كذب المفتري: ٥٣
(٣) سورة الأنبياء، آية ٢٢.

النبوة: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله»[1]، وفي البعث: «قل يحييها الذي أنشأها أول مرة»[2]، إلى غير ذلك من الآيات والأدلة، ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يُحاجّون المنكرين ويجادلونهم، قال تعالى: «وجادلهم بالتي هي أحسن»[3]، فالصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا يحاجّون المنكرين ويجادلون. ولكن، عند الحاجة، وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم، وأول مَنْ سَنَّ دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق علي ابن أبي طالب رضي الله عنه»[4].

وقد راوح بعضهم مسار التأييد إلى التسديد والتسنيد، لما أسندوا المنطق والفلسفة إلى الكلام، وهذا ما تبناه عضد الدين الإيجي في كتابه المواقف، فمزج فيه بينهما مضمونا ومنهجا، بل سار في تبويبه على سنن المناطقة حتى بنى معظمه على القواعد والتصورات المنطقية، وتابعه غيره أيضا. وهذا التأييد في الحقيقة ليس هو إلا من لبنات التفرد بنظريات فلسفية إسلامية كانت وراء الخصوصية الكلامية في المنافحة عن عقيدة الإسلام. وقد صرح بيير دوهيم P.Duhem بأنَّ رجال العلم المسلمين كان عليهم أن يتجرءوا فيناقضوا آراء المعلم الأول. ولقد حتمت عليهم كسر نير المشائية قوتان: قوة العلم التجريبي، وقوة علم الكلام اللاهوتي. فالأول: أجبرهم على التسليم بوجوب التنازل عن العقل إذا هم أرادوا اتباع حس أرسطو. والثاني: أكد لهم أن ثقتهم في قول أرسطو تناقض إيمانهم بكلام الله»[5].

(١) سورة البقرة، آية ٢٣.
(٢) سورة يس، آية ٧٩.
(٣) سورة النحل، آية ١٢٥.
(٤) إحياء علوم الدين للغزالي: ١/ ١٨٦.
(٥) مصادر الفلسفة الإسلامية لبيير دوهيم ترجمة أبو يعرب المرزوقي: ص ١٨

ةةةةةة ةةةةة

ةةةة ةةةةةةةةة

كانت أولى النظرات الناقدة لهذا العلم فيما ارتآه السلف رضي الله عنهم بحكم المعرفة والتداول، وقد تناقلت الأجيال آراءهم في الباب، فروي عن الإمام مالك: «لو كان الكلام علما، لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل»[1]. وقول الإمام أحمد: «إنه لا يفلح صاحب كلام أبدا، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»[2].

وتجسد هذا الموقف عمليا في تصانيف أبي حنيفة والشافعي، وهما من أوائل المتكلمين من الفقهاء وأرباب المذاهب[3].

وقد تقدم رأي ابن خلدون من أهل القرن التاسع، وهو رأي ينتقد المنهج بغض النظر عن إبانه وزمانه، ومدرك النقد فيه طريقة ومنهج العرض التي لا تبارح آراء التيارات والمذاهب في مباحث العقيدة، وتحميل المتلقي والملقن في طرق التحمل والأداء مادة معرفية جامدة المبنى والمعنى.

ولا ينكر هنا في الطرف الآخر مدى التداخل الإيجابي بين مباحث أصول الدين والكلام ولا سيما وما تحصل منه من الاستفادة والاستمداد، ولذا توجهت سهام

(١) شرح السنة للبغوي: ١/ ٢١٧

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ٢/ ١٩٤

(٣) ومنها، لأبي حنيفة «الفقه الأكبر» والذي وصفه بالرد على القدرية وإن كان أعم، وتنسب له «رسالة في نصرة قول أهل السنة في الاستطاعة مع الفعل». وللشافعي أيضا: كتاب في الرد على الأهواء، وكتاب في تصحيح النبوة والرد على البراهمة. انظر، الفرق بين الفرق للبغدادي: ٣٩٧، ٣٩٨.

المعارضة والنقد إلى الإفراط في تداول المنهج الأرسطي حتى حصل التماهي بين المباحث منهجا ومضمونا، وهذا لعمري كان دافعا بإلحاح إلى تعثر مناهج هذا العلم، وبعدها عن الجانب العلمي والعملي، ونأيها عن السداد والتقريب مدارسة وممارسة، دونه الواقعية والانفتاح على القضايا الحياتية والحاجات المجتمعية، والتي إن لم يضطلع أشرف العلوم بمسايرتها وتوجيهها في جوهر الإيمان والقول والعمل فلا هداية ترجى منها ولها، وهذا مما فتح الباب إلى الهجر والنقد، وحسبك ما سودت به صفحات في الباب.

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةةةة ةةةةة

أرى –والله أعلم– قبل مقاربة قضايا تجديد هذا العلم، لابُدَّ مِنْ حل إشكال الوصل أو الفصل بين علم التوحيد والكلام، ويروق في الباب تسديد الوجهة بمعرفة ماهية الكلام الذي لا يمكن أن يرقى إلى المقابلة والموازنة، ولا سيما مجاله مجال الوسائل، بمعنى أنه طريق لإثبات العقيدة والتي كانت مؤصلة معروفة من قبل، فهو عبارة عن الجدل في العقيدة لا على العقيدة، ولذا كان تعريف العضد في المواقف فاصلا بأنه: «علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل»[1].

فإذا سلمنا بذلك فلا إشكال في توظيفه وتجديد النظر فيه، والتوسل به إلى مقاصد من صميم وجوده لا غير، وهذا على خلاف نبذه نبذ النواة، قال ابن جماعة: نعم إن بعض السلف كره الخوض في محاورة أهل الأهواء والضلالات لما في ذلك من نقل أقوالهم ثم تفنيدها وذلك مما يشغل القلب وقد يظلمه، ويشغل عن الأهم من العلوم عندهم – كما نقل من إنكار الإمام أحمد بن حنبل على الإمام الحارث المحاسبي رحمهما الله تعالى خوضه في مسائل الاعتقاد والرد على أهل الضلال – وأما إذا حقت المسألة وتحققت الحاجة فهم يقولون فيها بعقولهم العظيمة من خلال أصول الدين، لأن حفظ العقائد أهم العلوم وأولاها[2].

(١) المواقف: ١/ ٣١ .
(٢) إيضاح الدليل لابن جماعة: ٢٢ .

ةةةةة ةةةةةة ةةة ةةةةة ةةةةة:

أولهما: صلوحية منهج الكلام للمناظرة والحوار في واقع الجدل والخلاف، وهذا قد نبه إليه مع التحفظ من موقفه المعارض له ابن خلدون وغيره كما سبق بيانه، ولذا يتوقف عند رد بعض المفكرين عليه كالدكتور عبد المجيد النجار[1] وغيره لتجاوزهم مسألة من الأهمية بمكان، وقد ضمنها خاتمة كلامه حين نص على حسن الاستفادة منه لحامل السنة، والاضطلاع بفائدته وثمرته في الحوار والجدل..[2]

ثانيهما: مدى واقعية قضاياه بالنسبة لبيئته، وهذه لا تلزم المناهج إلا من جهة استمداد ما نبهت إليه آنفا، أي الاستفادة منها عن طريق الوسائل دون المقاصد. يقول النجار: «فعلماء العقيدة الكبار قد انطلقوا في الفقه الأكبر من رصد دقيق لما كان يروج في الواقع الفكري والثقافي والعقدي، من آراء ومذاهب وتصورات، ثم قاموا باجتهاد معياري لإثبات العقيدة الإسلامية، وتزييف المقولات التي تعارضها من المعتقدات الدينية والآراء الفلسفية»[3].

وعموما ففائدة العلم وثمرته في واقعنا بمواجهة التحديات الفكرية والثقافية العالمية، وعلاج ما استعصى من شيوع التطرف والشذوذ الفكري، فآلة الجدل والمناظرة مع نشدان الإصلاح والعلاج يفرض الواقع تدوالها بوسائله المتجددة إعلاما وتواصلا، والوسائل لها حكم المقاصد كما لا يخفى.

(١) انظر، في فقه التدين فهما وتنزيلا، د عبد المجيد النجار: ١٠٦.
(٢) انظر، المقدمة: ٣/ ٣٦.
(٣) في فقه التدين فهما وتنزيلا: ٧١.

ربما أخلّت مناهج الدرس العقدي بالمقصود منها، وحادت عن المنشود فيها مدارسة ونظرا: أي في طرائق التعلمُّ دراسة وتدريساً، وتحملا وأداء، إن بالمباشرة كالأخذ عن العلماء وحضور مجالسهم، أو الواسطة كالكتب والمصنفات، وممارسة وتطبيقا: أي تنـزيل العلم النظري على تصرفات الناس وواقعهم والمتوقع لهم، وخوض غمار الفتن ونوازلها بمقررات العلم اليقينية العملية.

يقول الأستاذ محمد عبده لما دعي إلى تدريس بعض العلوم بالمدرسة السلطانية: «رأيت المختصرات في هذا الفن – أي علم التوحيد – ربما لا تأتي على الغرض من إفادة التلامذة، والمطولات تعلو على أفهامهم، والمتوسطات ألفت لزمن غير زمانهم»[1].

*** ويمكن رد أهم أسباب هذه الآفات إلى ما يأتي:**

۞۞۞۞۞ ۞۞۞۞۞
۞۞۞۞۞ ۞۞۞۞۞ ۞۞۞۞۞

وهذا يشمل أغلب العلوم الإسلامية، ويعد عائقا دون تجديدها إذ يقابل الباحثَ المطلع زخم من توجيه خفي للنصوص ناسبت واقعا ما، وأثرت الخلاف حوله لسبب ما، لكن لا يمكن عدها على امتداد الأزمان مادة لذلك العلم أو ثمرة معرفية له، وإنما لا تعدو توجيهات للقضاة والأمراء وحتى أهل الاجتهاد في ذلك الزمان لا غير، فدراستها ومدارستها إنما هي بالدرجة الأولى دراسة للتاريخ، والفقه الحقيقي الواقعي يتخطاها إلى

(١) رسالة التوحيد لمحمد عبده: ١١.

ما يناسبه دون أن يتبنَّاها، أو حتى يسلم بها. والأولى في هذا السياق التمييز بين مكونات الفكر في حقبة معينة، ومكونات الموقف التاريخي اللازم عنها، وإدراك «الفروق بين دائرة الخطاب ودائرة الحوادث»[1].

وقد تراكمت قضايا عدة وتزاحمت في فصول هذا العلم، حتى لكأنها منه، بل الأدهى أنها قدمت مباحث اعتقادية لا يجب أن يغفل عنها طالب العلم، وهي قضايا يجدر تناولها في كتب الفرق، أو تاريخ الكلام، وما إليه إذ لا تعدو الأحداث والوقائع، وبحلولها موقع الموجه في هذا العلم تولدت عنها رؤى واجتهادات عكست توجهات مذاهب ومواقف توارث الناس على مدى العصور استحالة التقريب بينها. وقد ذكر الدكتور أحمد الريسوني أنموذجاً من الفكر التاريخي الذي ما زال يقدم للناس على أنه من صميم الإسلام ومن صميم عقيدة الإسلام، فقال: نقرأ مثلا في كتيب للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز عن (العقيدة الصحيحة)، حيث يقول رحمة الله عليه متحدثا عن عقيدة أهل السنة: «ويعتقدون أنَّ أفضلهم -أي الصحابة- أبو بكر الصديق، ثم الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، رضي الله عنهم أجمعين، ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويعتقدون أنهم في ذلك مجتهدون...» وكل هذه «المعتقدات» ولّدها التمذهب الذي جاء فيما بعد وهي مجرد آراء وتقديرات، أو في أحسن الحالات استنتاجات واستنباطات قد يكون بعضها راجحا، ولكنه على كل حال لا يدخل في مسمى «العقيدة»، وإلا أصبحنا كالشيعة الذين أدخلوا الإمامة وعددا من أحكامها في باب العقيدة، وأي بأس على مسلم يرى -مثلا- أن عليا أفضل من عثمان؟ ولو أني أرى أنَّ الخوض في مثل الشأن إنما هو تكلف وفضول.

(١) التعليم الديني بين التجديد والتجميد، د طه جابر العلواني: ١٧٦

وأي بأس كذلك على من خاض في نزاعات الصحابة رضي الله عنهم، مع كامل التقدير لهم والأدب معهم، وبموضوعية علمية نزيهة؟ هل هو مبتدع؟ هل هو خارج عن «العقيدة الصحيحة»؟! ثم يتابع الشيخ رحمه الله حديثه عن أهل السنة وعقيدتهم فيقول: «ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ويسبونهم ويغلون في أهل البيت...» وهذا أيضا مجرد إدخال للتاريخ في العقيدة، أو هو إدخال للعقيدة في التاريخ[1].

❊ ❊ ❊

(١) انظر، بحوث منتقاة للدكتور أحمد الريسوني نشرت في منتديات الجلفة، وموقع الألوكة وغيرها. وعنوان البحث: تجديد العلوم الشرعية بين المدارسة والممارسة

لا موارية أنَّ من غفلة الناس عن هذا الفقه تقديم غيره عليه، وشحة العناية به، وكأني بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه قد تفطن من قبل إلى ضرورة العناية بمنهج المدارسة والممارسة لعلم التوحيد فنعت هذا المجال بالفقه الأكبر إكبارا وإجلالا، قال رحمه الله: الفقه في الدين لأفضل من الفقه في الأحكام، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير.

قال أبو مطيع، قلت: فأخبرني عن أفضل الفقه؟ قال أبو حنيفة: أن يتعلم الرجل الإيمان بالله تعالى، والشرائع، والسنن، والحدود، واختلاف الأمة واتفاقها[1].

وقد نبه إلى هذا ابن جماعة بقوله: حفْظُ العقائد أهم العلوم وأولاها ولقد سمَّى الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى علم التوحيد الفقه الأكبر[2].

ذاك منهج الربط بين المعرفة والتكليف، فكل تكليف مشروط بالعلم[3]، وكل تكليف لا يخلو عن التعبد[4]، وتلك واقعية هذا العلم في تناول قضايا ومقاصد المكلفين، بأثره على السلوك وتوجيهه إلى أقوم سبيل، فالجانب الإيماني العقدي هو الذي يوجه المكلف إلى الاستجابة، ومن ثم إلى صلاح الحال والمآل، ولعل هذا ما ألمح إليه من أئمة السلف الإمام جعفر الصادق بتقديم نظرية المعرفة على الإيمان، حين سئل: لماذا ندعو الله

(١) الفقه الأكبر لأبي حنيفة: ٨٢
(٢) إيضاح الدليل: ١٠
(٣) التحرير والتنوير: ٩/ ٣٢٤
(٤) الموافقات: ٢/ ٥٣٦

ولا يستجاب لنا؟ فأجاب: إنكم تدعون من لا تعرفون، فلو أنكم عرفتم الله أولا ثم توجهتم إليه بالدعاء لاستجاب لكم[1]. وقد تنبه لهذا اصطلاح أهل الكلام وإن لم يفوا بمقاصده، قال الشهرستاني: فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا، والأصول: معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته...

وعلى خلاف هذا دُبّر الأمر في مناهج هذا العلم فطغى التداخل والتزاحم بين قضايا فصار إلى التجريد أقرب، وربما كان صلاحه لزمانه فحسب، لأنه عالج واقعا بمذاهبه وتياراته، وقد نبه ابن الوزير إلى أن كثرة التعنت في النظر تؤدي إلى طلب تحصيل الحاصل والتشكيك فيه، فكيف إذا وقع هذا السبب في محارات العقول، ودقائق الكلام، وتوهم المبتلي بالوسوسة أنه لا طريق له إلى معرفة الله تعالى إلا تلك الدقائق الخفية، والقواعد المختلف فيها بين أذكياء البرية، ومن أمارة عدم اليقين فيها استمرار الخلاف بعد طول البحث من الأذكياء من أهل الإنصاف، ومن علماء أهل الإسلام.[2]

❊ ❊ ❊

(١) أربعون مسألة في أصول الدين للإمام السكوني: ٥٤

(٢) إيثار الحق لابن الوزير: ١٢٠

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةة ةةةةة

تكاد تخفى الحقائق الإيمانية التي ضمنها المنهج القرآني أسلوب الوضوح والجلاء بمسالك التعقيد والتمديد في تصورات ذهنية مردها إما إلى الجدل أو الخيال، وكلاهما لا حَظَّ له في هذا العلم اليقيني المؤتم بوضوح مصادره وصفاء أصوله، ومن ثم عد أهل الشأن كل ما يبنى على الظن والتخمين فلا سبيل له إلى الاعتقاد، كيف ومن شرط المقدمات أنْ تكون أجلى وأنْ لا تكون بالشك والإختلاف أولى!، فخوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائما أو غالبا على الخوض في مقدمات لتلك العقائد وجميع تلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام دع عنك غيرهم،...ولذلك لا يختلف علماء العربية والمعاني والبيان في كل دقيق بل يتفقون حيث تكون المقدمات صحيحة وإنْ دقت، ولا يختلفون إلا حيث تكون المقدمات ظنية. بل المتكلمون في الحقيقة كذلك لكنَّهم إنما يتفقون في أمور يستغنى في معرفتها عن علم الكلام، وعن معرفتها في علم الكلام، ثم يختصون من بين أهل العلوم بدعوى القطع في مواضع الظنون، وتركيب التعادي والتأثيم والتكفير على تلك الدعاوى، إلا أفرادا من أئمتهم وأذكيائهم توغلوا حتى فهموا أنهم انتهوا إلى محارات منتهى العقول فيها الميل إلى إمارات ظنية، فرجعوا إلى التسليم وترك التكفير[1].

وقد ينجم عن هذا التعقيد والأيلولة إلى مزالق محارات العقول التداخل

(١) إيثار الحق لابن الوزير: ١٢٢

الموضوعي بين المصطلحات والاستعمالات، مما يجعل المباحث عقيمة غير متزنة، والرؤى مضطربة غير موقنة، حتى يرى بعضهم الأمر الواضح في القرآن والسنة منافيا للتنزيه الواجب لله تعالى، ومناقضة المسلمات بميزان التعقيد والتخمين ولو في مباحث الصفات دون غيرها احترازا من إثبات الجهة وغيرها ونشدانا للتنزيه مما لا يحصر، وتتبعه يطول، وقد يدفع الوهم إلى تغيير العبارات وتشعب الألفاظ وهذا لا يألفه عقل ألف النظر الصحيح ولم تفسد فطرته بالمماحكات اللفظية. ولو اكتفى المتكلم بالأصل لشفي، فمن اعتقد أنَّ من جاء بعد رسول الله ﷺ أفصح للأمة في أمر العقيدة فقد ضلَّ وأضلَّ.

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةة ةةةةة ةةةةةة

ليس من الغريب أن تقحم في مباحث العلوم قضايا لها دورها في دعم الخلاف أو شد أزر المذاهب والتيارات خصوصا تلكم التي نشأت على أنقاض المذهبية السياسية، والصراع حول أغراضها، ولم يسلم هذا العلم من حشر قضايا لا تمتّ إلى مباحث الإيمان الجامعة أفنت للأسف مناهج الدرس والتحصيل الأنفاس في اجترارها وتوكيد الخلاف حولها، تلقينا وحفظا، ومنها مسألة الإمامة، وخلق القرآن، وترجيح اتباع أئمة المذاهب...، واصغ إلى طريقة العرض والتحليل لمثل هذه القضايا، ومنها قول بعض أهل الكلام: وما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد والمناعة من معاوية لعلي، وعلي رضي الله عنه كان مصيبا في جميع ما عمل من خروجه وصلحه وغيرهما وقد دار الحق حيث دار كرم الله وجهه...، وقد قيل لكل مجتهد نصيب، وكل مجتهد مصيب، إذ ظن علي أن تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة في بدايتها، فرأى التأخير أصوب. وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب العزل من الإمامة وتعرض دماء للسفك. وقد قيل المصيب واحد فلم نذهب إلى تخطية علي رضي الله عنه فثبت تخطية معاوية بالضرورة[1]. ومثله خلافهم فيمن خرج على الإمام الحق بغيا وعدوانا: فإن كان

(١) كتاب أصول الدين للغزنوي: ٢٥٨، وانظر، الإبانة للأشعري: ٢٥١، وانظر، شرح المقاصد للتفتازاني:٢/ ٢٣٨ .

صدر خروجه عن تأول واجتهاد سمي باغيا مخطئا، ثم البغي هل يوجب اللعن؟ فعند أهل السنة: إذا لم يخرج بالبغي عن الإيمان لم يستوجب اللعن. وعند المعتزلة: يستحق اللعن بحكم فسقه والفاسق خارج عن الإيمان[1].

فأيهما في الباب أولى، هل معرفة الخلق للحق كما ينبغي أن يعرف، وبما عرف به نفسه سبحانه؟، أو الاسترسال في مخالفة الخلق للخلق والتي مردها إلى مباحث الفقه السياسي المحض، فأين هذا من عقيدة صافية نأت عنها المناهج والمدارج، واستبدلت بظلمة ليل الشك الداج؟.

❊ ❊ ❊

(١) الملل والنحل: ١/ ٢٠٠ .

ةةةةةة ةةةةةة
ةةة ةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةة ةةةةةة

استوقفتني في مسار نقد الدرس العقدي والدعوة إلى تجديده آراء جديرة بالتنبيه في اعتبار مدركها وملاكها واستكشافه مليًّا، ومنها:

١ـ يقول الشيخ محمد عبده ١٣٢٣هـ: « هذا هو السبب في خلط مسائل الكلام بمذاهب الفلسفة في كتب المتأخرين كما تراه في كتب البيضاوى والعضد وغيرهم، وجمع علوم نظرية شتى وجعلها جميعا علما واحدا، والذهاب بمقدماته ومباحثه إلى ما هو أقرب إلى التقليد من النظر فوقف العلم عن التقدم.

ثم جاءت فتن طلاب الملك من الأجيال المختلفة وتغلب الجهال على الأمر وفتكوا بما بقى من أثر العلم النظرى النابع من عيون الدين الإسلامي، فانحرفت الطريق بسالكيها، ولم يعد بين الناظرين في كتب السابقين إلا تحاور في الألفاظ أو تناظر في الأساليب...

هذا مجمل من تاريخ هذا العلم ينبئك كيف أسس على قواعد من الكتاب المبين وكيف عبثت به في نهاية الأمر أيدى المفرقين حتى خرجوا به عن قصده وبعدوا به عن حده[1].

٢ــ يقول العلامة ابن المواز الفاسي ١٣٤١هـ في كتابه: «خطوة الأقلام في التعليم والتربية والإسلام»: «...ثم لما ظهرت أحزاب الأهواء والبدع وصاروا يحكمون عقولهم ويؤولون متشابهات القرآن على مقتضى آرائهم القاصرة، وصار بعض الملوك ينتصرون لهم، تصدى

(١) بتصرف عن رسالة التوحيد: ١٤ .

علماء الملة الإسلامية لضبط قواعد التوحيد والرد على المبتدعين، وألفوا عدة تآليف في علم الكلام وأدخلوا فيها ما توقفوا عليه والاستدلالات الفلسفية ومباحث الأمور العامة ليقيموا براهين الاحتجاج على المبتدعين ويبطلوا بمناظرتهم وسائس المدلسين، والذنب في ذلك على من ألجأهم لذلك الإدخال حتى اتسع خرقه مع تسلسل الأجيال»[1].

٣ـ يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «فهذه فصول في العقيدة، تتضمن جملة من الأمور التي كثر ــ ولا يزال يكثر ــ فيها التنازع بين الاتجاهات والطوائف الإسلامية يما بين الغلاة والمقصرين...، وقد اخترنا في هذه الأمور منهجا وسطا، قد لا يعجب بعض إخواننا السلفيين، الذين تعصبوا لرأي واحد، لا تتنازلون عنه، ولا يتساهلون فيه.

وقد أطلنا النقل في هذه القضية لنجليها للباحث والقاريء المنصف، الذي يريد أن يعرف الحقيقة، دون عصبية لرأي قديم، أو عبودية لفكر جديد»[2].

وقد تعالت أصوات داعية إلى تجديد العلم ولا تزال برؤى عملية إن في تجديد بعض مباحثه، أو تجديد المنهج ككل، وقد تزعمها الدكتور علي سامي النشار والدكتور النجار، والدكتور طه عبد الرحمان...، وغيرهم.

❊ ❊ ❊

(١) خطوة الأقلام في التعليم والتربية والإسلام: ٢١، ٢٢ مخطوط خاص.

(٢) فصول في العقيدة بين السلف والخلف (آيات وأحاديث الصفات،الأولياء وكراماتهم،القبور ومبتدعاتها، التوسل)، له: ٧، ٨ .

ةةةةة ةةةةة
ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةة ةةةةة

ةةةةة ةةةةة
ةة ةةةةةةةة

لعل أول ما يواجهنا من مدارك التجديد في هذا العلم تحديد اصطلاحه وحدّه ابتداءً، ومدى قابليته لاستقلاله عن باقي العلوم النقلية والعقلية، إن كان استقلالا تاما بإخراجه من قيود علم الكلام، أو تفرده بذاته ومنهجه.

ةةةةة ةةةة
ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةّة

لقد نبه بعض الدارسين إلى إشكالات تصاحب الضابط الموضوعي لهذا العلم، ومدى صحة إطلاق مصطلح العقيدة عليه، لأنَّه من المصطلحات المولدة لعدم احتواء نصوص القرآن والسنة، وكذا المعاجم والمصادر اللغوية القديمة لهذا المصطلح، فالكلمة لم تكن متداولة في الصدر الأول، وكان الناس قبل توليدها يكتفون بكلمة «اعتقاد»، وهي تدل على إيمان القلب بفكرة ما، والتزامه بها، أي أن دلالتها منحصرة في تصوير الرابطة الانفعالية بين القلب والفكرة موضوع الاعتقاد[1].

ولعل إثارة إشكالات حد العلم كانت وراء استبطانه الخلاف، فصدق كما نبه الدكتور الريسوني أن مصطلح العقيدة هو نفسه مصطلح تاريخي لا مصطلح شرعي! ثم

(١) عربية القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين: ١٨٤

لو تركنا هذا المصطلح التاريخي (العقيدة) وغموضه وتشويشه، واستعملنا المصطلحات الشرعية مثل (الإيمان)، هل سيأتي من يقول لنا: إنَّ الإيمان يدخل فيه تفضيل الصحابة بعضهم على بعض؟ ويدخل فيه الامتناع عن التحدث فيما شجر بين الصحابة؟ ويدخل فيه معرفة الروافض والتبرؤ منهم؟ لا أظن أحدا -حينئذ- يجرؤ على شيء من هذا، لأن «الإيمان» عرفه الشرع وفَصَّلَه في آياته وأحاديثه[1].

وقد ورد أيضا تسمية ما يتضمن قضايا الباب بالسنة، وهو على خلاف المعهود في اصطلاحها بلزوم القول والفعل النبوي، قال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة[2]: ومنها كتب تعرف بكتب السنة، وهي الكتب الحاضة على اتباعها، والعمل بها، وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء.

قال الحافظ أحمد بن الصديق الغماري: ليس المراد بكتب السنة هذا، وإن كان آخر كلامه قد ينطبق عليها. وإنما المراد بها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والصحابة والتابعين في أسماء الله تعالى، وصفاته، والإيمان بها، كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل، والرد على المبتدعة في ذلك، وفي مسألة خلق القرآن، والإيمان، ودخول الأعمال فيه، والخلافة، ونحوها، مما ابتدع القدرية، والمرجئة، والجهمية، والخوارج، والرافضة الكلام فيه على خلاف الوارد عن السلف الصالح. فهذا مرادهم بالسنة، وفيه صنفوا الكتب المذكورة.

أما الحض على اتباع السنة والعمل بها فموضوع آخر، وفيه مؤلفات أخرى، كالبدع

(١) المصدر السابق: العلوم الشرعية بين المدارسة والممارسة.
(٢) الرسالة المستطرفة، له: ١٨٧

والنهي عنها لابن وضاح، وما أشبهه.[1] ولهذا أيضا وجه من التسديد.

وفي نظري والذي تبنته الدراسة والله أعلم أنَّ اصطلاح أصول الدين والتوحيد وهو: أسّه وعماده كفيل بالمراد[2].

قال السيوطي: أصول الدين يبحث عمَّا يتوقف صحة الإيمان عليه وتتماته. ولست أعني به علم الكلام، وهو ما تنصب فيه الأدلة العقلية، وتنقل فيه أقوال الفلاسفة، فذاك حرام بإجماع السلف، نَصَّ عليه الشافعي رحمه الله تعالى[3].

قال بعض المتكلمين: الأصول: معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم. وبالجملة: كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول، ومن المعلوم أنَّ الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع. فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيا[4].

والأصلية هنا صنو القطعية والكلية في إثبات التقدم على باقي العلوم بمعرفة حقائق الإيمان وجوهره.

قال الأشموني الشافعي ١١٦٤هـ: وأصول الإسلام خمسة، ومنها: أصل ترجع إليه جميع الأصول وهو التوحيد، وفروعه الاقتداء بالقرآن وبسنة نبيه ﷺ[5].

(١) الأمالي المستظرفة على الرسالة المستطرفة: ٦٠.

(٢) قال اليوسي في قانون العلم ١٧٨: وسمي به لانبناء الدين عليه. وقد عرفه ابن عجيبة الحسني بأنه: علم التوحيد على طريق البرهان. الفهرسة: ١٠١

(٣) انظر، إتمام الدراية لقراء النقاية: ٤

(٤) الملل والنحل للشهرستاني: ١/ ٤٠

(٥) القول المتين في بيان أمور الدين للأشموني الشافعي: ورقة ٢ مخطوط خاص.

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةةةةةةة

لعل الإغراق في التعقيد والإيهام في التنظير كان وراء حيْد ألفاظ العلم عن مشربها الصحيح ومعناها الصريح، فبزغت ألفاظ من مثل الجوهر والعرض والهيولى والجرم...، وكلها تفتقر إلى قواميس ومعاجم، قال الإيجي: «قد علمت أنَّ العالم إمَّا جوهر أو عرض، وقد يستدل على إثبات الصانع بكل واحد منهما إما بإمكانه أو بحدوثه، فهذه وجوه أربعة»[1].

وقال الكندي في وصف الحق سبحانه: إنه ليس نفسا. وعرف هذا اللفظ قائلا: تمامية جرم طبيعي ذي آلة قابل للحياة، ويقال: هي استكمال أول بجسم طبيعي ذي حياة بالقوة، ويقال: هي جوهر عقل متحرك من ذاته بعدد مؤلف[2].

ولعل هذا العوز المفاهيمي في التوظيف والاستعمال لمصطلحات غارقة في التعقيد والإشكال مما جعل بعض كبار المتكلمين يعمدون إلى وضع قواميس شارحة لمرادهم، ومبينة لإشكالاتهم ومنها ما ينسب إلى الكندي تحقيقا: رسالة في حدود الأشياء ورسومها.

إنَّ تجديد الرسوم والألفاظ وسيلة إلى تجديد المقاصد، ولا سيما ما يتعلق بتحديث صياغة العلم، والحق أن تجديد مصطلحات العلوم حسب تداعيات الواقع والوقائع أمر ملح في الرجوع بها إلى جدّتها، واستقلاليتها بحيويتها. ومن ثم عد من لوازم تحديث الصياغة العقدية أمران:

---

(١) المواقف: ٧/ ٣

(٢) رسالة في حدود الأشياء ورسومها: ١١٣

- اقتباس المصطلحات القرآنية وتوظيفها في تجديد صياغة المنهج العلمي العقدي، أو تبسيط المعاني باصطلاح يناسب تقريب الأصول من الأفهام مع الإشباع والإقناع.

- بناء منظومة اصطلاحية تناسب تحديات الواقع من المنطلق القرآني أيضا ربطا بقضايا العقيدة وأثرها في الارتقاء بالسلم الحضاري، ومنها: تخصيص بعض مباحث الاعتقاد للتعريف بالفكر وضوابطه من منطلق الوحي، والعناية بأساليبه وعوائقه، وتطوير مهارات النقد البناء، ومنطق العقل ودوره في الاعتقاد، وتضمين مادة الحضارة والإبداع، وعليه تجديد مفهوم الأمة، والأسرة، والتكافل...

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةةة
ةة ةةةةةةة

سبق الحديث في مبحث آفات المنهج في الدرس العقدي عن تأثر مجال المدارسة والممارسة بالعقم المنهجي، وكيف آل الحال إلى ضمور أثر هذا العلم على السلوك العام، ولا سيما في مجال التناحر والخلاف، والذي يأخذ بزمام التكفير والتفسيق دون هوادة، فاحتيج في مسار التجديد إلى عنصرين:

١ - **التبسيط**: وهذا مسلك يروم تبسيط قضايا هذا العلم وتسويغها للقبول والتصديق والإذعان، فالبصيرة في المعلومات كالبصر في المحسوسات. يقول الأستاذ محمد عبده لما دعي إلى تدريس العلوم ومنها - علم التوحيد -:

«...رأيت من الأليق أن أملي عليهم ما هو أمس بحالهم، فكانت أمالي مختلفة تتغاير بتغاير طبقاتهم، أقربها إلى كفاية الطالب ما أملي على الفرقة الأولى في أسلوب لا يصعب تناوله، وإن لم يعهد تداوله: تمهيد مقدمات، وسير منها إلى المطالب، من غير نظر إلا إلى صحة الدليل، وإن جاء في التعبير على خلاف ما عهد من هيئة التأليف..»[1].

٢- **التقصيد**: ويعنى بتوظيف المقاصد العامة من الوجود كالكون والإنسان، واستنباط الهاديات المنهجية من القرآن الكريم، وفصل الجدال والجدل عن العلم والعمل، واستكناه الحقائق التربوية والسلوكية المقصود تجليها على سلوك العارف بالله العابد، وسيأتي الحديث عنه في قسم المقاصد.

ويمكن عمليا عرض طرائق منهجية في تناول الدرس العقدي فيما يأتي:

(١) رسالة التوحيد لمحمد عبده: ١١.

ةةةةة ةةةةة

ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةةة ةة ةةة ةةةةةة ةةةةةة

ةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةة ةةةةة ةةةةةة

لعل الإشكالات الحاصلة في تناول مبحث الإعجاز في الدراسات المعاصرة نتيجة لإقصاء هذا المبحث من علم التوحيد، إذ الحقيقة العناية بالآيات النفسية والأفقية وتوظيفها في تزكية قضايا الإيمان، بل والاعتماد على النتائج والتحقيقات العلمية، فما إشكالية النظر والتبصر والاعتبار في نصوص العقيدة إلا لتحقيق هذه الغاية، وهي أوفى في مجال الإفهام والإقناع.

قال ابن الوزير: كيف الطمع في هداية قوم قد أقام ربهم عليهم الحجة مرارا؟ أولها: بخلقهم على الفطرة، وثانيها: بطول المهلة، وثالثها: ببعثه الرسل بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، إلى غير ذلك من تجديد الدلائل بخلق المخلوقات المشاهد حدوثها من الغمام والأمطار، والحيوان والأشجار، فجحدوا الجميع وكفروا الكفر الفظيع مع إيمانهم بأبطل البواطل التي لا يتصور الإيمان بمثلها من عاقل حتى قال الله تعالى فيهم: «ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله»، وقال تعالى فيهم: "قتل الإنسان ما أكفره الآيات"، وقال تعالى: "فبأي حديث بعده يؤمنون"[1].

❊ ❊ ❊

(١) إيثار الحق على الخلق: ٣١

ةةةةةة ةةةةة
ةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة

عبارة هذا الباب في الأصل الأول واللباب كلام الله تعالى سلسة لينة سهلة تخاطب مجامع الإنسان، وتزكي النفس والوجدان، فقد كان رسول الله ﷺ يبلّغ عن الله تعالى من غير زيادة استدلال ولا تجديد احتجاج[1].

ولم يؤت التعقيد إلا من الجدل، فأدلة التوحيد بينة كافية شافية، وذاك مكمن الفقه الحق في التحمل والأداء للعلم بأدلته، ولذا جعل الإسلام لفظ «فقيه» خاصا بمن عرف العلم المخصوص بأدلته، حتى إنَّ المقلد يُعَدُّ عاميا، وصير لفظ عالم لمن حصل أي علم لكن بشرط العمل[2].

فالدعوة ملحة إلى تجريد مباحث العقيدة وقضايا الإيمان وأركانه ومقوماته لترتبط بالقرآن المجيد القطعي في ثبوته ودلالاته لئلا تخبو جذوة الإيمان في قلوب أهله[3]. وما اضمحلت حكم وأسرار الفهوم في الأنفس والآفاق إلا بهجر طرائق الحق في براهين العلوم، قال ابن الوزير عن أهل الكلام: وإنما أُتُوا من أنهم تركوا الإعتماد على تعلم الحق من الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي أنزله من أنزل الميزان ليتعرف به الحق بعد دلالة الإعجاز على صدقه[4]. ويستلزم هذا المطلب بعد تجديد النظر في خصائص التعبير العقدي في القرآن الكريم، التسليم بخاصيتين متلازمتين، بهما انجلى وتجلى، وبأثرهما زكى وتزكى، فهو:

---

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم: ٢/ ٥٨٣ .
(٢) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للإمام محمد بن الحسن الحجوي:١/ ٤ .
(٣) التعليم الديني بين التجديد والتجميد: ١٢٧ .
(٤) إيثار الحق: ١٢٤

ةةةة: ةةةةة ةةةةة

إنَّ التعبير القرآني عن حقائق الإيمان بالله وأسمائه وصفاته مخصوص بالتوقيفية التي لا يتجاوزها أهل التبصر والمعرفة، ولا سيما وليس هنالك أصدق وأوضح مما عبر الله به عن ذاته وصفاته.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا ينبغي لأحد أن ينطق في الله تعالى بشيء من ذاته، ولكن يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه شيئا برأيه تبارك الله رب العالمين[1]. ثم إن الله تعالى قد أودع كتابه من البراهين العظام ما أربى على فني المنطق والكلام، لما فيه من النفع العام للخواص والعوام، وللسلامة مما اشتملا عليه في الجليات من فضلات الكلام[2].

ةةةة: ةةةة ةةةة

إن الطريق إلى إثبات حقائق الإيمان لا يخرج عن خطاب القلب والوجدان، ومن ثم فلا حياد عن تسخير آلته للتفاعل قصد الاستجابة والإذعان، فليس من درك لحقائق التوحيد إلا عن طريق المحبة، ومنهجها القرآني واضح في التداول المعرفي، فلا ينبغي البتة التساهل وإغفال الأسلوب العاطفي الروحي في تجديد مناهج العلم[3]، فإذا سلمنا بذلك فإنَّ الطريق معبّد لالتزام المنهج القرآني، والروم به شطر التزكية الروحية، قال ابن القيم: محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر، ولا نسبة لسائر المحاب إليها وهي حقيقة لا إله إلا الله[4].

---

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة: ٢٢

(٢) انظر، مقدمة كتاب: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير: ٧

(٣) خلافا لما قرره د النجار في فقه التدين: ١١٧ بأنه يفيد مع بعض الناس، وفي بعض الأحيان.هـ فلا بد من التكامل الزوجي بين العلمية والأخلاقية.

(٤) مدارج السالكين: ٣/ ١٨ .

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةةة ةةة ةة ةةةةةة ةةةةة ةةة

يقول الإمام الشاطبي: «كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل دليل على استحسانه، وأعني بالعمل: عمل القلب، وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعا».[1]

والإسلام جاء جامعا بين العلم والعمل، والذوق والعقل، والبرهان والإذعان، والفكر والوجدان[2].

فالجمع بين النظري والعملي ينبغي أن يوجه مسار التمييز في آراء المتكلمين، ويناقش ما صرح به بعض أهل العلم بخصوص مرحلة ما بعد الكندي وتوجه الفارابي وغيره إلى تحكيم الفلسفة اليونانية وإبعاد الفكرة الدينية تماما...[3]

وقد تفطن السيوطي رحمه الله مبكرا للفصل بين قسميه، فقال: علم أصول الدين علم يبحث فيه عما يجب اعتقاده وهو قسمان: قسم يقدح الجهل به في الإيمان كمعرفة الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية، والرسالة والنبوة، وأمور المعاد. وقسم لا يضر كتفضيل الأنبياء على الملائكة. فقد ذكر السبكي في تأليف له أنَّه لو مكث الإنسان في مدة عمره ولم يخطر بباله تفضيل النبي على الملك لم يسأله الله تعالى عنه[4].

---

(١) الموافقات: ١/ ٤٣ .

(٢) خطوة الأقلام لابن المواز: ٦ مخطوط .

(٣) انظر المحاضرات المغربيات لابن عاشور: ١٧٦ .

(٤) إتمام الدراية لقراء النقاية:٥، وانظر، على سبيل المثال كتاب: «استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات» للشيخ محمد الخضر الشنقيطي، فقد أطال النفس التفضيل بين الملائكة والبشر،

وقريب من هذا فقد فنيت الهمم في معالجة القول بقدم العالم وهي من المسائل الجوهرية في العلم، ورد المتكلمون على الفلاسفة كالكندي وغيره، والحق أنَّ ابن رشد جعل الخلاف الواقع بين المتكلمين وجمهور الفلاسفة في هذه المسألة، خلافا لفظيا، فقال: «وأما مسألة قدم العالم أو حدوثه، فإنَّ الاختلاف فيها عندي بين المتكلمين من الأشعرية والحكماء المتقدمين يكاد أن يكون راجعاً للاختلاف في التسمية، وبخاصة عند بعض القدماء»[1].

وهنا تجدر الإشارة بإلحاح إلى مقاربة الواقع في الدرس العقدي، وهذا ما يوجه استبدال الخوض في الفرق الكلامية وتتبع قضاياها، بالمذاهب الفلسفية المعاصرة ومناقشتها، انظلاقا من قضايا جوهرية في علم التوحيد، مثل فكرة اللادينية الدنيوية Secularism والتي أفرزت مذهب العلمانية، أضف إلى ذلك دراسة المذاهب الوجودية والمادية، فلكل منها مختاروه والمائلون إليه في واقعنا[2].

❊ ❊ ❊

وأدلة تفضيل النبي على الملك في جزء مهم من الكتاب.

(١) فصل المقال لابن رشد: ٤٠.

(٢) ويروق في الباب نموذج: المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وكتابات أخرى على شحتها.

ةةةةةة ةةةةةة
ةة ةةةةةة

يعتزم هذا المبحث في مسار التجديد تجسيد الجانب العملي والسلوكي في الدرس العقدي مزجا بين العلمية والأخلاقية، حتى يتماهيا في مسالك النظر والأثر.

*** ويمكن عرض نقاط التلاقح من خلال المطالب الآتية:**

ةةةةةة ةةةةّ
ةةةةة ةةة ةةة ةةةةةة ةةة ةةةةة

تخلق الجيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم بما اعتقدوه، وتخلقوا بما فعلوه، وصدق ذلك على سلوكهم ظاهرا وباطنا، فتوافق عندهم الاعتقاد والتكليف. وتقرر بناء عليه أنه كلما اضمحل التوافق إلا وتأزم السلوك، فتجد المرء يعتقد الخير في شيء ولا يستطيع إتيانه، أو يعتقد الشر في شيء ولا يستطيع تجنبه، وهذا مرد ما يتخبط فيه إنسان العصر من أزمة الأخلاق والقيم.

إنَّ المتأمل في واقع الأمة وتطلعاتها المستقبلية يلحظ أنَّ ما سبق من نداءات أهل البصائر إلى تحقيق الثورة المعرفية من أجل الإصلاح قد أعوز معطى منهجيا بالغ الأهمية، إن لم نقل عين الإصلاح وجوهره، وهو تحقيق ثورة أخلاقية تسعف الأذواق وتقارب المقاصد بدل الوسائل ، وذلك راجع إلى سببين:

- **أنَّنا لم نحلّ مشكلات الثورة الثقافية التي تتضخم يوما إثر يوم.**
- **عَدُّ الجانب الخلقي جزءا مكونا للثقافة**[1].

(١) قضايا الإصلاح والتجديد والحوار الحضاري، د عباس الجراري. حوار مجلة الإحياء عدد: ٣٠،

فالجمود الذي استصحب الدرس العقدي لم يزد مناهج المدارسة والممارسة للعلوم الشرعية إلا تقهقرا ورجوعا دونه المواكبة لقضايا العصر وتغير طرائقه، ودونما استثمار جاد بواسطة أرقى العلوم في تحقيق النهوض الحضاري والمعرفي الذي تتطلع إليه الأمة الإسلامية، ولا سبيل إليه إلا بالإئتمام بمنهج الوحي، قال ابن الوزير: من نظر في القرآن تعلم منه الأدلة من غير تقليد، بل القرآن العظيم هو الذي منه تعلم المتكلمون النظر لكنهم غالوا في النظر[1].

إنَّ دعوة الشريعة إلى إعمال النظر وترجيح التكليف به «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق»، «تفكر ساعة خير من عبادة ليلة»، كل لاستواء الإدراك الحسي ثم العقلي ثم السلوكي، وهذا منهج العقيدة الإسلامية الصحيحة، الذي يتمثل رسوخا في الحس والوجدان، ولا تسعفه إلا طرائق الموازنة بين الاعتقاد والعمل، يقول الفاضل بن عاشور: جعل القرآن الكريم الفكر الذي هو في معنى النظر طريقا إلى تحصيل العقيدة، وجعل العقيدة متحكمة في السلوك، بحيث إنه مزج مزجا عجيبا بين هذه العناصر التي كانت متنافرة متناثرة وهي: الفكرة والعقيدة والسلوك[2]. وهذا لا يتأتى إلا برسم منظومة أخلاقية متفرعة عن مباحث العقيدة، إنَّ في الإلهيات أو النبوات أو السمعيات، والتي يحتاج اجتلاء الدروس منها خصوصا ما يتعلق بعالم الغيب والقيامة وأشراط الساعة أكثر من أي وقت مضى، فلربما تصدق على فتن واقعة بله المتوقعة.

يروق في الباب من زاوية المنهج المزج بين علم الكلام وفقه الكلام[3]، وليس هذا

---

٣١. ص ٨٦، ٨٧ .

(١) نفس المصدر: ١٧ .

(٢) المحاضرات المغربيات، له: ١٦٩ .

(٣) وقد أثار هذا المعنى بجلاء د خالد زهري في حديثه عن: مستويات الإبداع في علم الكلام

بأبعد من تغلغل علم الكلام في الفقه والسلوك، ومن ثم عد التصوف بالنسبة إلى الفقه وعلم الكلام روحهما، كما أنَّهما له كالجسد. لا إكمال لهما إلا به، كما لا ظهور له بدونهما. فهما شرطان في صحته، كما أنَّه شرط في كمالهما.

ولما كان الإنسان مفطورا على أخلاق التوحيد ومعانيه التي يجمعها الإسلام وجب على المسلم أن يسعى إلى أخذ فقهه الحي من هذه الفطرة نفسها...، فالمسلم لا يحتاج إلى «صناعة الفقه» بقدر ما يحتاج إلى تزكية النفس. فالتزكية تزيل عن الروح طبقات النفس فيشرق فيها نور الفطرة[1].

❊ ❊ ❊

الأشعري عند المغاربة، في أعمال ندوة جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري:١٣٩ فما بعدها.

(١) روح الدين (من ضيق العلمانية إلى سعة الإئتمانية)، د طه عبد الرحمن: ٤١٧ المركز الثقافي العربي الدار البيضاء. ط٢ ٢١٠١م

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةةةةةة ةةةةةة ةةة ةةةة ةةةة

إنَّ منهج الاستجلاء من نصوص الوحي هو الأسلم لتجديد صياغة هذا العلم، وتبني الإصلاح بمنهجه، وإن تعذر في هذه المباحثة السياحة على مباحث العلم واستقراء آثار الإصلاح، فإنَّه من أركان التربية الحقة ركنين أساسيين عليها المعتمد في تحديث الصياغة:

أحدهما: تحصيلي عرف باسم «ركن القدوة»، أو باصطلاح آخر :»النموذج الصادقّ.

والآخر: توصيلي، عرف باسم «ركن الإشارة»، أو باصطلاح آخر: «التعبير القاصد». فالركن التحصيلي يتعهد بالتربية على الصلة بين العلم والأخلاق، بينما يتولى الركن التوصيلي التربية على الصلة بين العقل والغيب[1].

فالجمع بين كل علم والاعتبارات الخلقية هو طريق إلى تصحيح القصد وإمحاضه، وهو مقتضى العلم النافع الباعث على العمل، والموصل إلى الجمع بين العقل والتوجهات الغيبية وهو مقتضى العقل الكامل المفضي إلى القرب من الله. قال ابن عباد الرندي: حيث ما وقع العلم في كتاب الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنما المراد به العلم النافع، المخمد للهوى، القامع للنفس، الذي تكتنفه الخشية، وتكون معه الإنابة، قال تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء»، فلم يجعل علم من لم يخشه من العلماء علما[2]. وذاك منهج التربية في أشرف العلوم وأولاها وهو مسار التخلق بالتوحيد سلوكا وعملا،

(١) بتصرف عن التربية الروحية الإسلامية والخروج من أزمات المعرفة المعاصرة للمفكر الدكتور طه عبد الرحمن. نشر بمجلة الأزهر، عدد: أبريل، ماي: ٢٠١٣م. الجزء:٦، ص:١١٨٩

(٢) الدرة المشيّدة في شرح المرشدة لابن عباد الرندي: ورقة ٤١ مخطوط خاص.

قال السنوسي: وإسقاط حظوظه – أي الهوى – في الوجهة إلى الله تعالى وتصحيح العزم بإمحاض القصد في معاملة الربّ وسداد السعي لموافقة القلب، حتى يجتمع القصد والسعي على منهاج التوحيد.(١)

وختاما، فقد تعدّ هذه اللبنات مدخلا إلى تجديد علم أصول الدين، من جهة اصطلاحاته ومنهجه ومقاصده، حتى يحصل به الانفتاح على قضايا العصر، ومعالجة حوادثه في ضوء الثوابت الكلية القطعية، التي يستمد منها التصديق والتسليم لقضايا الوحي والكون والإنسان، فلا تحقيق للانسجام الحضاري والتواصل الثقافي دون الائتمام بالمرجعية الصادقة الثابتة، والتخلق بأخلاقها، ولا ريادة دون إمعان النظر وتجديد القصد والأثر، وإن حال الأمة اليوم كفيل بالاستمداد من واضح الدلالة وسليم العبارة، حتى تتحق معاني الحاكمية للشرع الحنيف، بامتداد دعوته إلى عقيدته الصفية النقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

❊ ❊ ❊

(١) شرح مقامات الدين: ورقة ٣ مخطوط خاص.

ةةةةةةةة ةةةةةةةة

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ةةةةةةةةة:

ـ خطوة الأقلام في التعليم والتربية والإسلام لابن المواز الفاسي: مخطوط خاص

ـ الدرة المشيدة في شرح المرشدة لابن عباد الرندي. مخطوط خاص.

ـ شرح مقامات الدين (شرح المقامات الواردة في حديث جبريل عليه السلام) لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (محفوظات دار الحديث بتلمسان).

ـ القول المتين في بيان أمور الدين لأحمد بن عبد الكريم الأشموني الشافعي ١١٦٤ه،. مخطوط خاص

ةةةةةةةة:

ـ الإبانة لأبي الحسن الأشعري. دار الأنصار، القاهرة: ١٣٩٧.

ـ إتمام الدراية لقراء النقاية للإمام جلال الدين السيوطي.

ضبطه الشيخ إبراهيم العجوز. دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥هـ.

ـ إحياء علوم الدين للغزالي. دار المعرفة بيروت.

ـ استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات للشيخ محمد الخضر الشنقيطي دار البصائر. ٢٠٠٨م.

ـ أصول الدين للغزنوي. دار البشائر الإسلامية. ١٩٩٨م.

ـ أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية للشيخ الطاهر بن عاشور. دار سحنون ودار السلام. ط ١: ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م .

ـ الأمالي المستظرفة على الرسالة المستطرفة للحافظ أحمد بن الصديق. دار البيارق، عمان. ٢٠٠١م

ـ إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد لابن الوزير. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٧م

ـ إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة. دار السلام. ١٩٩٠م

ـ تبيين كذب المفتري لابن عساكر. دار الكتاب العربي. بيروت

ـ ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني. ط القاهرة/ ١٣٤٩هـ.

ـ التعليم الديني بين التجديد والتجميد، د طه جابر العلواني. دار السلام/ ط ١: ٢٠٠٩م

ـ تفسير التحرير والتنوير للأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس/ د.ت.

ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر. مؤسسة الريان، دار ابن حزم. ٢٠٠٣م

ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للإمام محمد بن جعفر الكتاني بعناية محمد المنتصر الكتاني دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة السادسة: ١٤٢١، ٢٠٠٠

ـ رسالة التوحيد لمحمد عبده. مطابع دار الكتاب العربي. ١٩٦٦م

ـ رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام لأبي الحسن الأشعري، اعتنى بإخراجه قسم الدراسات والتحقيق في دار الحديث الكتانية، المملكة المغربية، طنجة، ٢٠١٢ م.

ـ روح الدين (من ضيق العلمانية إلى سعة الإئتمانية)، د طه عبد الرحمن: ٤١٧ المركز

الثقافي العربي الدار البيضاء. ط٢ ٢١٠١م

ـ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم. دار عالم الفوائد.

ـ رؤى معرفية في الأصول والمقاصد، د عبد الله عبد المومن. منشورات الرابطة المحمدية للعلماء.ط: ١ ، ٢٠١٤ مطبعة المعارف الجديدة: الرباط.

ـ شرح السنة للبغوي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط المكتب الإسلامي.

ـ شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني. دار المعارف النعمانية. ١٩٨١م .

ـ الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة. محمد بن عبد الرحمن الخميس. مكتبة الفرقان. ١٩٩٩م

ـ عربية القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين. مكتبة الشباب

ـ غاية المرام في علم الكلام للآمدي. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة:١٣٩١م

ـ فصل المقال لابن رشد، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ

ـ في فقه التدين: فهما وتنزيلا للدكتور عبد المجيد النجار، الزيتونة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم لأبي منصور البغدادي. تحقيق: محمد فتحي النادي. دار السلام. ط١: ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م

ـ فصول في العقيدة بين السلف والخلف للدكتور يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة. ط١/ ٢٠٠٥م

ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للإمام محمد بن الحسن الحجوي، تعليق عبد العزيز القاري. ط١. دار الرشاد، ١٣٩٦هـ

ـ الفهرسة لابن عجيبة. تحقيق: د عبد الحميد صالح حمدان. دار الغد العربي. القاهرة،

ط ١/ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م

ـ القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم للعلامة اليوسي. تحقيق: حميد حماني. مطبعة شالة، الرباط. ط١/ ١٩٩٨م.

ـ ـ المحاضرات المغربيات للإمام محمد الفاضل بن عاشور. طبعة: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)/ الدار التونسية للنشر، شارع الحرية. تونس.

ـ مصادر الفلسفة الإسلامية لبيير دوهيم ترجمة أبو يعرب المرزوقي، دار الفكر، دمشق .

– المواقف للإيجي.تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة. دار الجيل – بيروت.ط ١: ١٩٩٧

ـ الملل والنحل للشهرستاني. دار المعرفة، بيروت. ١٤٠٤هـ.

ـ الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي بشرح فضيلة الشيخ عبد الله درّاز. دار الكتب العلمية: د.ت.

ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةة ةةةةةةةة:

ـ جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري: بحوث الندوة العلمية التي نظمها مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية بالرابطة المحمدية للعلماء بكلية أصول الدين بتطوان. جمادى الثانية ١٤٣٢هـ/ ماي ٢٠١١م

ـــ مجلة الإحياء. عدد ٣٠، ٣١. نونبر ٢٠٠٩م.تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب.

ـ مجلة الأزهر. عدد جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ، أبريل/ ماي ٢٠١٣م. الجزء: ٦.

❊ ❊ ❊

-15-

ةةةةةةة ةة ةةةةةةة ةةةةةةة

ةةةةةةة ةةةةةةة ةة

ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةة ةةة ةةةة ةةة

ةةةةةةة ةة(ةةةةةةة ةةةةةةةةةةة ةةةة ةةةةة)

إعداد

الشيخ عبد اللطيف محمد خضر

إمام أول بوزارة الأوقاف المصرية

ةةةةةةة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل :١٢٥] وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً رسول الله ﷺ النبـي المصطفى والرسول المجتبى، إمام الدعاة وخير المبلغين عن رب العالمين .

أما بعد : فإنَّ الدعوة إلى الله بالحكمة بالموعظة والحسنة، وتبليغ هذا الدين وتوصيله إلى الخلق أجمعين مهمة جليلة وشريفة، وإذا كانت الدعوة تمثل هذا القدر من الأهمية فإنَّ الخطاب الدعوي لابد أن يكون مؤثراً وفعالاً، وأن يكون محتواه مواكباً للظروف والبيئات والأزمنة المختلفة، وأن تكون أساليب ذلكم الخطاب الدعوي هي الأخرى مناسبة لمستجدات العصر وتطورات الزمان والمكان.. حتى يؤتي الخطاب الدعوي ثمرته.

*** إذن يمكن القول:**

إنَّ الخطاب الدعوي بحاجة ماسة إلى إحيائه مرة أخرى وتجديده غير أن ذلك مقيد بالمنهج الإسلامي القائم على الكتاب والسنة ؛ ولذا كان هذا البحث المتواضع الذي نحاول فيه بيان مفهموم التجديد الصحيح، والتجديد في المجال الدعوي ومتى يكون مقبولاً، ومتي يكون منبوذاً لكونه في هذه الحالة انحرافاً عن الإسلام تماماً.

*** خطة البحث : احتوى مخطط البحث على :**

مقدمة، وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة .

المقدمة بينت فيها أهمية الموضوع والخطة

والتمهيد بينت فيه – أسباب اختيار الموضوع، مشكلات البحث، صعوبات البحث.

المبحث الأول: التجديد من السنن الكونية.

المبحث الثاني: بيان مفاهيم : التجديد، والخطاب، والدعوة، ومفهوم تجديد الخطاب الدعوي .

المبحث الثالث: معالم التجديد المقبول في الخطاب الدعوي .

المبحث الرابع: ميدان التجديد المردود المذموم في الخطاب الدعوي.

ثم الخـاتـمة وقد تضمنت : أهم النتائج والتوصيات، ثم صحيفة المراجع والفهرس.

❊ ❊ ❊

ةةةةة

ةةةةة ةةةةةة :

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنَّ الخطاب الدعوي المجدد هو الترجمة العملية لصلاحية الإسلام كمنهج الحياة لبني الإنسان في كل زمان ومكان، وحتى تظل المرجعية لهذا الدين يفرض على الدعاة مواكبة كل تقدم معتبر شرعاً وعقلاً .

ةةةةة ةةةةةة ةةةةةة:

لما كان لتجديد الخطاب الدعوي هذه الأهمية - المشار إليها - خصوصاً في هذه الوقت من الزمان ولما كان الخطاب الدعوي هو أداة الإتصال المعرفي والحضاري . وللدور المهمّ للخطاب الدعوي في بناء المجتمع الإسلامي، وهو ما بنا حاجة إليه إلى خطاب بناء مثمر وتوعوي يبرز الإسلام من كل جوانبه ويرد شبه المخالفين، وينهض بالأمة نهوضاً حقيقياً، حتى تواكب الأمة سير الأمم الأخرى لكن على وفق المنهج الإلهي، كل ذلك وغيره دعانا نحو هذا الموضوع المهم.

ةةةةة ةةةة :

تكمن مشكلات البحث في محاولة عن هذه الأسئلة :

هل التجديد يعد من الرفاهية أو يعد من الضروريات والسنن الكونية ؟

وما مدلول التجديد؟ وما المراد من تجديد الخطاب الدعوي في المنظور الإسلامي ؟

هل التجديد وسيلة أو غاية ؟ ومتى يكون التجديد مقبولاً ومطلوباً ؟

ومتى يعد التجديد مردوداً وانحرافاً عن صحيح الإسلام ؟

هل التجديد ينصب على الإسلام أو على الخطاب الدعوي ووسائله ؟

صعوبات البحث:

- مصطلح «التجديد» شهد عبر تاريخه التباسًا واشتباهًا أيضًا، وقد جاء الالتباس من استعماله من التيارات الفكريَّة المختلفة الباحثة عن مشروعية لأطروحاتها.

- كما جاء الاشتباه من تلك التوظيفات السلبية له.

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةةة ةةة ةةةةة ةةةةةة ةةةةة

يعد التجديد بصفة عامة من سنن الحياة وقانون الوجود وقد عبر عن ذلك أحد الفلاسفة اليونانيين بقوله (إنَّ الأشياء في تغير متصل) و يصور ذلك بجريان الماء في النهر بقوله (أنت لا تنزل النهر مرتين فإن مياهاً جديدة تجري من حولك أبداً) فالعالم الذي نعيش فيه عالم متغير، ولا يوجد فيه شئ يبقى على حاله إلى الأبد. (١)

ولما كان الأمر كذلك، فإنَّ الخطاب الدعوي الإسلامي ليس استثناءً من القاعدة العامة، فهو به حاجة ماسة إلى التجديد المتواصل ليواكب حركة الحياة، ومتغيرات العصر، حتي يستعيد العالم الإسلامي مكانته في عالم اليوم. (٢)

فالتجديد المستمر في أسلوب الخطاب الدعوي، وفي مضمونه ضرورة في توصيل الرسالة التي نريدها لتصل ليس فقط إلى العقول بل إلى القلوب كذلك، فإذا انفصل الخطاب الدعوي عن واقع الحياة ومستجداتها، فلن يجد من يلتفت إليه، أويعيره اهتماماً. (٣)

فلم يعد من المقبول ولا من المعقول أن يظل خطابنا الدعوي - في ظل الظروف المتغيره - دون مستوى الأحداث، وأن يظل خطابا تقليديا جامداً متجاهلاً واقع الحياة ومستجدات العصر.

حاصل الأمر: أنَّ الخطاب الدعوي في عالمنا المعاصر قد توقفت مسيرته، وركن إلى السكون، وفقد حيويته ولا يجادل في ذلك إلا مكابر.

---

(١) انظر: سلسلة الفكر (الدين والحياة)، د محمود حمدي زقزوق، مكتبة الأسرة ٢٠١٠م ص١٤٤.
(٢) انظر: تجديد الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية - مصر ٢٠٠٩م (التقديم) ص٥.
(٣) انظر: تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف؟، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية (الخطاب الديني ومواكبة متغيرات العصر)٢٠٠٢ م ص٥.

ولَّما كان الإسلام بطبيعته دين متسق مع سنن الحياة والفطرة الإنسانية، ومن هنا يشجع على التجديد المستمر لحركة الحياة والمجتمع وصولا إلى الأفضل في جميع المجالات، وعلى رأسها الوصول إلى الأفضل في المجال الدعوي لتصل الرسالة إلى المتلقي صافية حقيقية عن صورة الدين وجوهره بعيدة عن الجمود والانغلاق والانحراف الذي- مما لا ريب فيه- يؤثر على الدعوة والرسالة مما قد يؤدي إلى وصولها بطريقة غير سليمة أو مشوهة .

فالناس يتغيرون - أعماراً وأفكاراً - خلال قرن، فاقتضى أمر الدين وواقع الناس بعث مجددين يعبرون عن المرحلة الجديدة، ويقولون للناس كلاماً، ويقدمون لهم أفكاراً هي غير الأفكار التي قدمت قبل مائة عام، ولما كانت نصوص الإسلام كاملة الهداية، محفوظة من الزيادة والنقصان، تعين أن يكون تجديد الدين عبارة عن فهم جديد للنص، وصياغة جديدة لهذا الفهم، تناسب مستوى تفكير الناس، والعصر الذي يعيشون فيه.

إنَّ بنا حاجة ماسة إلى تجديد يتيح لأمة الإسلام التفوق في فروض الكفايات من العلوم الكونية والرياضية وتطبيقاتها التكنولوجية في المجالات المدنية والعسكرية، ويجعل أمة سورة الحديد قادرة على تصنيع الحديد، وعلى استغلال ثرواتها المطمورة، بحيث لا تكون عالة على غيرها، في القوت الذي يحييها، وفي السلاح الذي يحميه. (١)

ولهذا كله فإن الدعوة إلى تجديد الخطاب الدعوي تعد أحد مرتكزات الإسلام ومن قواعده العامة، ولا أدل على ذلك من قول النبي ﷺ فيما يرويه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» (٢)

يقول الإمام المرتضى الزبيدي: استنبط العلماء من هذا الحديث التجديد ، فالله سبحانه

(١) انظر: الإسلام والتجديد في مصر، د. تشارلز آدمز ترجمة: عباس محمود تقديم: مصطفي عبد الرازق، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية بدون تاريخ.

(٢) رواه أبو داود رقم٤٢٩١، وصححه السخاوي في «المقاصد الحسنة» ١٤٩، والألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم/ ٥٩٩.

يرسل الواحد من البشر إثر الواحد حتى يجدد اللاحق معالم ما وضعه السابق مع زيادات تقضيها الحال وتدعو إليها الحاجة .[١]

فالحديث السابق من شأنه أن يدفع علماء الدين المسلمين إلى التجديد المستمر في الخطاب الدعوي خصوصا والفكر الإسلامي عموماً، لأن الدين بطبيعته قد جاء ليكون ديناً للحياة بجميع أبعادها، ومن ثم فلا يجوز أن ينفصل عن الحياة، وهذا من جمال ومحاسن الدين الإسلامي الخالد.[٢]

فهو إخبار من الصادق المصدوق من وجه، وتكليف دائم ومستمر للأمة المسلمة بالتجديد والاجتهاد والمراجعة ونفي نوابت السوء والعودة إلى الينابيع الأولى من وجه آخر؛ ذلك أن التجديد هو الهاجس الدائم الذي يحمي المسيرة من السقوط ويسدد الخطوة ويرتقي بالمسلمين ليكونوا بمستوى الإسلام والعصر.[٣]

فقانون التَّجدُّد أو التَّغيُّر إنَّما هو في الأصل قانونٌ قُرآنيٌّ، وهو سُنَّةٌ من سُنن الكون التي لا تَتبدَّلُ ولا تَتحوَّلُ، وقد وضعَه اللهُ شَرطًا إلى الأفضل في نُصوص قُرآنية واضحة وُضُوحَ الشَّمْس: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوم حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِم﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَومٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].[٤]

والتجديد كما هو مطلب شرعي واجتماعي، هو كذلك مطلب عقلي، إذ ليس من العدل والإنصاف أن نطلب من أحد أن يأخذ بفكر من سبقه، من غير مناقشة أو إبداء رأيه ـ

(١) انظر: دليل الإمام في تجديد الخطاب الديني: وزارة الأوقاف المصرية ص١٣، والتجديد في الإسلام :للشيخ السيد عفيفي ص٤.

(٢) انظر: سلسلة الفكر (الدين والحياة)، د محمود حمدي زقزوق ص١٤٧.

(٣) انظر: مقدمة كتاب دعوة الجماهير، عبد الله الزبير عبد الرحمن، ص١٧.

(٤) انظر: التجديد فضيلة الإمام الأكبر، دأحمد طيب شيخ الأزهر، مجلة الأزهـر، عدد رجب ١٤٣٤هـ.

خاصة إذا كان أهلاً لذلك ـ فهذا – في الحقيقة – تعطيل لوظيفة العقل، فإنَّ علماءنا لا يزالون يناقشون آراء السابقين إلى اليوم، فتارة يؤيدونها، وتارة يردونها، وأخرى يضيفون إليها، ولم يعب أحد عليهم هذا الصنيع، ما دام يتم ذلك في إطار البحث عن الحق والحقيقة.

ولعل من أهم الأسباب التي تظهر حاجتنا إلى التجديد التطور المستمر في الحياة، تلبية حاجات الإنسان، حل المشكلات، وإيجاد البدائل، الضعف العام لأمة الإسلام، ومواجهة خطر العولمة .

فبتَأَمُّلَ هادئَ في طَبيعةِ رسالةِ الإسلام – كبَيانٍ من اللهِ للنَّاسِ يَتخطَّى حُدودَ الزَّمانِ والمكانِ – يُبرهنُ على أنَّ مُسلَّمةَ التَّجديدِ إنْ لم تكن هي والإسلامُ وَجهين لعُملةٍ واحدة، فإنَّها – على أقلِّ تقديرٍ – إحْدى مُقوِّماتِه الذَّاتيَّة، إذا تَحقَّقت تَحقَّقَ الإسلامُ نِظامًا فاعلًا في دُنيا النَّاسِ، وإنْ تَجمَّدتْ تَجمَّدَ وانسحَبَ من مَسْرحِ الحياةِ، واخْتُزِلَ في طُقوسٍ تُؤَدَّى في المساجدِ أو المقابرِ، وتُمارسُ على استحياءٍ في بعضِ المناسباتِ..... [1]

فالقُدرةُ على التَّجديدِ أو التَّجَدُّدِ الذَّاتيِّ هو الوصف الدَّقيقُ الصلاحيَّةِ الإسلامِ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، ولولاه ما استَطاعتْ هذه الرِّسالةُ أنْ تَنتشرَ في الشَّرقِ والغَرْبِ بينَ أُممٍ تَتغايرُ فيما بينها تَغايُرًا جَذْريًّا في شتَّى مناحي الحَياةِ

جملة القول: إنَّ التجديد ليس بغريب في الإسلام، أو شَاذًّا في تُراث الإسلام أو هو مُجرَّدُ ((آلة)) مُلصقةٍ به من الخارجِ وليس من مبتكرات العصر وإنَّما هو من أصول الشرع وقواعده الأساسية.

فأي خطاب فيه جديد وصلاح ونفع للوجود وخير للعالم إضافة للإسلام والمسلمين يدعو إليه الإسلام .

(١) انظر: التجديد فضيلة الإمام الأكبر دأحمد الطيب شيخ الأزهر مجلة الأزهر ١٤٣٤ه عدد رجب .

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةةةةة ةةةةة

مفهوم التجديد:

أ- التجديد في أصله اللُّغوي:

التجديد في اللغة العربية من أصل الفعل "تجدد" أي صار جديدًا، تقول جدده وأجدّه واستجده أي صيّره جديدًا. والجديد نقيض الخَلَق والبِلى، وضدّ القديم بمعنييه ـ القديم زماناً، والقديم بقاءً، وهو التقادم ـ، فيُقال: بلي بيت فلان ثمّ أَجَدَّ بيتاً مِنْ شَعْر.. ويُقال لليل والنهار: الجديدان، لأنهما لا يبليان أبداً.

والتجديد فيه طلب واستدعاء، إذ التاء للطلب، فيكون تجديد الشيءِ يعني طلب جِدَّتِه بالسعي والتوسّل إلى ما يجعله جديداً.[1]

من خلال ما سبق يمكن القول: إنَّ التجديد في الأصل معناه اللغوي يبعث في الذهن تصورًا تجتمع فيه ثلاثة معانٍ متصلة:

أ- أن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجودًا وقائمًا وللناس به عهد.

ب- أن هتذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديمًا.

جـ- أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق.[2]

فالتجديد - إذاً - لا يستلزم إقامة شيء جديد على أنقاض القديم، ولا يعني رفض القديم كله بحسبان نفود صلاحه، وأنه صار سلباً غير نافع يجب إلغاؤه والإتيان بجديد

(١) انظر: الصحاح ٢/ ٤٥٤، لسان العرب ٣/ ١١١٠.

(٢) انظر: بسطامي محمد سعيد: مفهوم تجديد الدِّين، دار الدعوة، الكويت، ط/ ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، ص ١٤-١٥

مغاير منقطع عنه أصلاً ووصفاً. ولذلك يعرِّف الدكتور يوسف القرضاوي التجديد لشيء ما بأنه هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وهِيَ منه، وترميم ما بلى، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى .[1]

ب- معنى التجديد اصطلاحا :

مصطلح «التجديد» شهد عبر تاريخه التباسًا واشتباهًا أيضًا، وقد جاء الالتباس من استعماله من التيارات الأيديولوجية المختلفة الباحثة عن مشروعية لأطروحاتها، كما جاء الاشتباه من تلك التوظيفات السلبية له. [2]

ولقد اكتسب التجديد شرعيته من وروده في الحديث النبوي الشريف الذي قال فيه النبي ﷺ قال : [إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة]. [3]

قال ابن كثير: (الظاهر أنَّ الحديث يعم جملة من العلماء من كل طائفة وكل صنف من مفسر ومحدث وفقيه ونحوي ولغوي وغيرهم). [4]

والتجديد يعني: مرونة العقل لإحلال الأوضاع الجديدة محل الأوضاع القديمة، أو تعديل القديم ليتفق والجديد في الرؤية المستقبلية. وهذا التعريف للتجديد من الناحية النفسية. [5]

---

(١) انظر: مجلة مركز بحوث السنة والسيرة - دولة قطر، تجديد الدين في ضوء السنة د يوسف القرضاوي العد (٢) عام١٩٨٧.

(٢) انظر: التجديد الفكري الإسلامي: مقاربة نقدية. د معتز الخطيب مجلة التفاهم، العدد الرابع عشر.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) انظر: فيض القدير، المناوي، ٢/ ٣٥٧، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ ه - ١٩٩٤ م.

(٥) انظر: تجديد الخطاب الديني الدعوي، د السعيد محمد علي، ط وزارة الأوقاف المصرية ص١٢.

فالتجديد في المنظور الإسلامي: إحياء ما اندرس وانطمس من معالم الدين، ونشرها بين الناس، وحملهم على العمل بها بالتي هي أحسن؛ عن طريق الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

قال الفقيه الشافعي محمد بن عبد الرحمن العلقمي في معنى التجديد: معنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسُنَّة والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات .[1]

حاصل القول إنَّ التجديد: هو في حقيقته تجديد وإحياء وإصلاح لعلاقة المسلمين بالدين والتفاعل مع أصوله والاهتداء بهديه؛ لتحقيق العمارة الحضارية وتجديد حال المسلمين باستعمال خطاب دعوي مناسب ولا يعني إطلاقا تبديلاً في الدين أو الشرع ذاته.[2]

ةةةةة ةةةةةة:

أ- الخطاب لغة : على وزن فعال من خاطب ومصدره خطابا و مخاطبة على وزن مفاعلة والمفعول مخاطَب والْخطاب معناه الْكَلَام وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿فَقَالَ أَكفِلنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾[ص : ٢٣][3] وأيضاً الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام تقول خاطبه فِي أمرٍ: أَي : راجعه وحدَّثه في شأنه ومنه ﴿وَلَا تُخَٰطِبنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغرَقُونَ﴾ [هود : ٣٧]". [4]

ب- معنى الخطاب اصطلاحاً:

يستعمل لفظ الخطاب اصطلاحاً بمعانٍ شتى تبعا لطبيعة الموضوع الذي ينصب

(١) انظر: فيض القدير للمناوي ٢/ ٣٧٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود،.
(٢) انظر: التجديد بقلم أ.د.سيف الدين عبد الفتّاح الأهرام ديسمر ٢٠٠٧ العدد ٤٤١٩٨.
(٣) انظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٤٣.
(٤) انظر: لسان العرب١/ ٣٦١ معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٦٥٩.

عليه الخطاب، وتبعا للأغراض التي يتوقى تحقيقها منه على النحو الذي يحدده المنطق، والايدلوجية المتبناة في صياغة التشريعات.

معنى هذا : أن الخطاب يتجاوز الشكلانية اللغوية، ويمتد إلى وسائل الإقناع، ونوعية البرهان، وأدوات الأسلوب البياني [١].

وإذا كان الخطاب هو الكلام، فإنَّ هذا الكلام، قد يراد به التبليغ، أو التدليل لإظهار الحجة، أو التوجيه لبث القيم في الأقوال تستنهض همة الغير في العمل أو إيضاح المعنى، أو الفصل في القول وتتفاوت قدرة الناس في ذلك. [٢]

وإذا كان الخطاب هو الكلام الذي يتكلم به المتكلم فإنْ كان الكلام منسوباً إلى الإسلام الذي جاء به محمد رسول الله وخاتم الأنبياء كان خطابا وبيانا إسلامياً وكان المتحدث عن الإسلام داعية وكلامه هو الخطاب الدعوي.[٣]

وفي التعريفات للجرجاني عن مفهوم الخطاب : هو قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منه ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم.[٤]

ةًّة ةةةةةةة :

أ- الخطابة لغة : من خطُبَ يَخطُب، خَطابَةً، فهو خَطِيب وخطُب فلانٌ: صار خطِيبًا، وكان بارعًا في الخَطَابة أي :حذق فنَّ البلاغة فخطُب.

والخطبة : قطعة من الكلام توجَّه إلى جمهور النَّاس، أو كلامٌ يخاطب به المتكلِّم جمعًا

(١) انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د صلاح فضل صـ ٩٠.
(٢) انظر: أصول الحار وتجديد علم الكلام، د طه عبد الرحمن صـ٢٧.
(٣) انظر: الخطاب الديني والواقع المعاصر، د أحمد السايح بتصرف كثير صـ١٠.
(٤) انظر: التعريفات للجرجاني ١/ ١٣٤.

من النَّاس لإعلامهم وإقناعهم[1].

ب- والخطابة : فنٌّ مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته -كما عرفها الدكتور الحوفي -[2]

ةةةة ةةةةةة:

أولاً: الدعوة في اللغة من دعا يدعو ، فهو داعٍ، والمفعول مَدْعُوّ ودعيّ وتطلق على عدة معاني منها النداء، والصيحة، والطلب والتجمع للمشاركة في الشيء والسوق إليه...

تقول : دعاه إلى الأمر: أي : ساقَه إليه، ودعا الشَّخصَ: أي: استعانَ به «﴿وَادعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ﴾[البقرة : ٢٣]»، ودعا إلى الأمر: أي: حثَّ على اعتقاده ونادى به ﴿ادعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ [النحل : ١٢٥] ودعا إلى نفسه أو دعا لنفسه: أي: أراد أن يُعترف به سلطانًا.

ودعا فلانًا أو دعا بفلانٍ: ناداه وصاحَ به، أهاب به «﴿وَلَا يَأبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾[البقرة : ٢٨٢] : نودوا وسُئلوا- ﴿يَومَ نَدعُواْ كُلَّ أُنَاسِ بِإِمَٰمِهِم﴾[الإسراء : ٧١]»، ودعا الشَّيءُ إلى كذا: أي : احتاج إليه ومنه هذا الأمر يدعو إلى التريّث. [3]

هذا . ووردت الدعوة في القرآن بعدة معانٍ: منها : الحث على فعل الشيء أو الدخو ل فيها: قال تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [ال عمران ١٠٤] وهـذا المعـنى هو الـمراد في بـحـثنا هذا .

ثانياً: المقصود بالدعوة في الاصطلاح [4]:

عرفها الدكتور أحمد غلوش بأنها: العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة

(١) انظر: معجم اللغة العربية العاصرة ١/ ٦٥٩.

(٢) انظر: فن الخطابة د أحمد الحوفي، ط نهضة مصر صـ٥.

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٧٤٧.

(٤) انظر: محاضرات في أصول الدعوة قسم الدعوة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر صـ٩-١١.

الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق.

وعرفها الشيخ علي محفوظ: بأنها حث الناس على الخير والهدي . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل.

وعرفها الدكتور عبد الكريم زيدان: بأنها الدعوة إلى دينه، وهو الإسلام الذي جاء به النبي محمد.، وقد بلَّغ النبي هذا الأمر العظيم أحسن تبليغ، وظل يدعو إلى الله منذ أكرمه الله بالرسالة حتى انتقل إلى جوار ربه.

جملة القول : إنَّ الدعوة تدور في فلك المفاعلة بين طرفين، أحدهما داع، والآخر مدعو و هذه المفاعلة إما في موضوع أو مسألة تخص العقيدة والشريعة والأخلاق وتصنيف هذ الموضوع يحددها الداعية وفق عقيدة المدعو، وأحواله .... [1].

وعلى هذا: **فيُراد بالخطاب الدعوي** : البيان الموجه إلى الآخر، سواء لبيان الأحكام والآداب والأخلاق الإسلامية، أو للإقناع بالإسلام وبقضايا المسلمين، أو لبيان أمر ما يتعلق بالتعايش السلمي والتحاور والتثاقف والتعاون. [2]

وبناءً على ما سبق : يقصد بتجديد الخطاب الدعوي في الفكر الإسلامي:ـ

يقصد به : العودة إلى الأصول وإحيائها في حياة الإنسان المسلم؛ بما يمكن من إحياء ما اندرس، وتقويم ما انحرف، ومواجهة الحوادث والوقائع المتجددة، من خلال فهمها وإعادة قراءتها امتثالاً للأمر الإلهي المستمر بالقراءة: «﴿اقرَأ بِسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]».

وبتعبير آخر أن التجديد ربط حبل الدِّين وتوثيقه في وسائله ووسائطه التعبدية والخلقية والوجدانية، إذا أوشك أنْ ينتقض، استمساكاً بعروة الدِّين الوثقى، وحفاظاً

(١) المرجع السابق ص١٢.

(٢) انظر: التجديد من منظور مقاصد الشريعة د نور الدين الخادمي مجلة التفاهم العدد العشرون.

على أسبابه المثلى، التزاماً وثباتاً.

فتجديد هذا الخطاب معناه: تحديثه بما يحقق مقاصده وفوائده، أو فعله على وفق المطلوب الشرعي على مستوى المحتوى والأسلوب.[1]

فالمراد بالتجديد المنسوب للدين : هو إحياء معاني الدين الحق في النفوس، ومحاولة العودة إلي ما كان عليه الدين يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد وذلك بتقوية ما وهي منه، وترميم ما بلي، ورتق ما انفتق حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى.

وعلى هذا يمكن القول : إنَّ مفتاح تجديد الدين هو الوعي والفهم للإسلام من ينابيعه الصافية بحيث يفهم فهماً سليماً خالصاً من الشوائب بعيداً عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، مسترشدين - لتحقيق ذلك - بهدي الجيل الأول الذين كانوا أفهم الناس لمقاصد الإسلام وأحرصهم علي الالتزام والعمل به، غير غافلين عن ما تميز به الإسلام من الشمول والاعتدال والتيسير، مميزين بين ما من شأنه الثبات والخلود وما من شأنه المرونة والتغيير .

فالتجديد إنما هو إرادة الإصلاح والرغبة في إخراج المخاطَب من دائرة الهوى إلى دائرة الالتزام الديني والخلقي والحضاري.

إذ تقرر أنَّ المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف من داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله اختياراً، كما هو عبد لله اضطراراً.[2]

فنخلص إلى أنَّ مفهوم التجديد يقوم على:

- العلم النافع والاستزادة من علم الشريعة الظاهرة والباطنة ومعرفة النصوص والمقاصد والمآلات.

(١) المرجع السابق نفس الموضع.

(٢) الموفقات في أصول الشريعة ٢/ ٢٨٩.

– إحياء ما غاب عن الناس من مفاهيم، فأول مراحل التجديد بعد العلم هو إزالة الغربة عن الدين بمفاهيمه وأحكامه ورسم الصورة الصحيحة الواضحة.

– إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما وما ترك الناس من سنن ومعالم الدين.

– الرد على أهل الباطل وأهل البدع وكسر شوكتهم والبراءة منهم وترك أعزارهم.

– تعديل أوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين. [1]

فالتجديد لا يعني: تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهوائهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين. [2]

فغاية التجديد: جعل أحكام الدين نافذة تهيمن على أوجه الحياة والمسارعة إلى رأب الصدع في العمل بها وإعادة ما ينقض من عراها.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: التجد يد .. مفهومه وضوابطه ومجالاته، الشيخ مراد بن أحمد القدسي (موقع منبر علماء اليمن) على الإنترنت.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب محمد حامد الناصر ٣٥٥، ٣٥٦.

ةةةةةة ةةةةة
ةة ةةةةة ةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة

توطئة: إنَّ التجديد إنما يكون في ميدان الخطاب الدعوي - أي مضمونه ومحتواه-، والتجديد كذلك يكون في وسائل الدعوة، بمعنى: أن أي وسيلة جديدة يتَفَتَّق عنها العصر الحاضر أو العصور القادمة إذا لم تكن محرمة -لم يقم الدليل على تحريمها- فالأصل جواز استخدامها في الدعوة إلى الله تعالى، ولا يشترط في الوسيلة أن تكون توقيفية، بمعنى: أن تكون منقولة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد استخدم المسلمون في الدعوة وأمور الإسلام وسائل لم تكن موجودة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام: كتدوين الدواوين، وتنظيم الجند، وقضايا بيت المال، وقضايا الكتب، وغيرها من الأمور والوسائل التي جدَّت في عصور متأخرة؛ فأخذها المسلمون عن الأمم الأخرى وانتفعوا بها، فالأصل في الوسائل الإباحة.

ولا شك أنَّ العصر الحاضر **تَفَتَّقَ** عن وسائل كثيرة للدعوة إلى الله تعالى، ومما يُعاب على الدعاة أنهم ما زالوا جامدين على وسائل قديمة، ولم يفكروا في الاستفادة من الوسائل الجديدة في الدعوة إلى الله.[1]

فالتجديد في ميدان الدعوة ذاتها : من خلال مضمون الخطاب الدعوي، وعناصره المكونة له، وذلك كله بالإعتماد على العلم، وتصحيح المفاهيم المغلوطة والأفكار الخاطئة على أسس موضوعية بعيداً عن الانفعال والتشنج، وفي إطار ذلك الإرتفاع بمستوى المخاطبين وتزويدهم بالثقافة الدينية السلمية، وأيضاً إبراز الجانب الإنساني في تعاليم

(١) مفهوم التجديد في الإسلام: د سليمان العودة بحث على شبكة الإنترنت (موقع إسلام أون لاين).

الإسلام، وكيف يحترم الإسلام الإنسان حقوقه وواجباته، وكيف كرم المرأة، ونحو ذلك، وكذلك إبراز الجانب الحضاري فيه، وحفز المواطنين على العمل والإنتاج، والإسهام الجدي في أعمال الخير التي تعود على البشرية كلها بالخير، خروجاً من المضامين التقليدية للخطاب الدعوي التي أصابته بالجمود والتكرار وأصبح خطاباً مستهلكاً ألفه الناس وأصبح خطابا غير مؤثر وغير فعال. (١)

لذلك فإنَّ عملية تجديد الخطاب الدعوي ينبغي أن تكون أوسع من أن تنحصر في الدين بمفهومه الدقيق، لكي تتصل بالأبنية الإجتماعية والسياسية والإقتصادية، فيكون تجديداً متصلاً متفاعلاً مع عملية الرؤية الاجتماعية و الرؤية السياسية و الرؤية الاقتصادية حتى يكون الداعية الذي ينطلق في نهاية المطاف لكي يتحدث بخطاب ديني جديد لديه المقومات السابقة التي ينظر من خلالها إلى العالم من مرجعيته الإسلامية، وحضارته العربية. (٢)

إنَّ بنا حاجة إلى تجديد قادر على أن يعيد عرض الإسلام بلغة العصر، مخاطبًا كل قوم بلسانهم، واعيا لخصائص العصر، وخصائص الإسلام، وخصائص الأقوام.

إنَّ التجديد في السلوك الفردي والاجتماعي، وذلك من خلال العمل على صياغة حياة المسلم بتفصيلاتها، صياغة إسلامية شرعية والإفادة من المعاني الوجدانية التي يفترض أنها بدأت تستيقظ في النفوس، بربط الأحكام التفصيلية بها.

ومن معالم تـجديد الخطاب الدعوي في مجال العقيدة بالمنظور الإسلامي : اعتماد منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة، والسلف الصالح فى أمر العقيدة والبعد عن اصطلاحات الجدليين والكلاميين واعتماد القرآن ومنهج السلف، إذ أنهم أصفى الناس

(١) انظر: تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية بتصرف ٢٠٠٢ ص١٧.
(٢) المرجع السابق نقلاً (مرتكزات الخطاب الديني المعاصر)كلمة د محمد كمال إمام صـــ٨٢.

فطرة، وألينهم قلوبا، وأدقهم إدراكا للمقاصد، وأعرفهم بمواقع الألفاظ، الجمل والتراكيب، وأعذبهم تذوقا لدقائق المعانى والمشاعر.

وكذلك الاهتمام ببيان أثر العقيدة على النفوس: فالعلم بالله والمعرفة بأسمائه وصفاته هى أجل أنواع العلوم، لأنها إذا استقرت فى النفوس واستولت على القلوب أثمرت حقائق إيمانية ومعارف وجدانية ووصلت الأرواح بالملأ الأعلى.

وأيضاً اعتماد طريقى المعرفة النقلية والعقلية فى العقيدة: فالمعرفة النقلية مصدرها الوحى بشقيه الكتاب والسنة، والمعرفة العقلية مصدرها الكون بشقيه الطبيعى والبشرى، وذلك وفق قاعدة موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ودرء تعارض العقل والنقل.

ورد الشبهات العقدية الحديثة: والوقوف فى وجه التحديات الراهنة مثل الإلحاد، والمادية الجدلية ، ونحوها، وهذا فى الحقيقة إعمال لمنهج السلف الذين جابهوا تحديات عصرهم وزمانهم.[1]

ومن معالم التجديد في الخطاب الدعوي إبراز الجانب الحضاري في الإسلام: وذلك من خلال خطاب ينمي آفاق التواصل الحضارى، ومن ذلك الإفادة من الحضارات الأخرى فى المنهج العلمى فى الكونيات والنظم الإدارية المتقدمة، وتجديد الإحساس بقيمة الوقت وقيمة العدل فى ظل مناخ كريم، والدعوة إلى قيام شراكة إنسانية صحيحة وقويمة- التبادل العادل للمصالح- والسعى الجاد لخفض أصوات الغلاة من الطرفين.

وكذلك خطاب يُعَوِّل على المنظومة القيمية فى علاقاتنا مع الحضارات الأخرى والقائمة على وحدة الأصل الإنسانى، ومنطلق التكريم الإلهي للإنسان: ﴿وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء :٧٠]، وإحياء مبدأ التعارف ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات :١٣]،

(١) انظر: التجديد مفهومه وضوابطه وآفاقه فى واقعنا المعاصر الدكتور/ عصام أحمد البشير، مؤتمر التجديد فى الفكر الإسلامى مايو ٢٠٠١م.

وتعميق الأخوة الإنسانية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات :١٠]، والتعامل بالبر والعدل مع المسالمين ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة :٨] .

وفي إطار ذلك التَّعويل على إظهار القيم الجمالية فى الإسلام وربطها بالعقيدة، فقد بسط الخالق سبحانه مظاهر الجمال والزينة فى كل أرجاء الكون.. من سماء ذات أبراج ﴿بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [ق :٦] ، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر :١٦] وأرض ذات فجاج ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف:٧] وحيوانات ذات جمال ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:٦] ونباتات ذات بهجة ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:٧] ، ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[النمل :٦٠] كل ذلك يبين أن لهذا الكون إلها واحدا.. جميلا يحب الجمال.. خلق فأحسن.. وصور فأبدع.. وقدَّر فهدى.

ومن معالم الخطاب الدَّعوي الحضاري إيجاد القواسم المشتركة والإعلاء من شأن الأنساق المتفقة، فالحضارات تتقاسم أقداراً من القيم مثل العدل والمساواة والحرية.. الخ، وأهل الحكمة من كل ملة يستحقون الشكر والعرفان.

وهذا من منطلق الإيمان بالتعددية الحضارية التشريعية والسياسية ﴿لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَيٰكُمْ﴾ [المائدة :٤٨]، فليس من الإنصاف أن تزهو حضارة الغرب بتعدديتها الحزبية وينحسر طرفها عن التعددية الكونية الحضارية. (١)

ومن معالم التجديد التيسير في التبليغ والتفهيم في العبارة والطريقة والمحتوى، وإعانة المدعو على تحمل الخطاب بيسر وسهولة وبالتدريج المعقول، وذلك لإخراجه من حبائل شيطانه العنيد الذي لا يسلِّم بسرعة أو ربما لن يسلِّم كما توعد بذلك في قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ

(١) المرجع السابق.

أَجمَعِينَ﴾ [ص:٨٢]، وفي قوله: ﴿لَأَقعُدَنَّ لَهُم صِرَطَكَ لُمستَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦].

و مراعاة المناسبة والمقام في توجيه المحتوى واعتماد الأسلوب، فلا يجوز مثلا تلاوة آيات قرآنية في الطلاق والفراق في مناسبة زواج، ومراعاة حال المخاطب ومستواه الثقافي والعلمي والوظيفي والاجتماعي. وأيضا مراعاة أحوال العصر ومنجزاته ومستحدثاته والإفادة بها. ومن هذا القبيل: الاعتماد أو الاستئناس بالمنجزات العلمية والتكنولوجية كشبكة المعلومات الدولية (الانترنت) والمحطات الفضائية، وذلك لضمان إيصال الخطاب إلى أكبر عدد ممكن من المخاطبين.

ولضمان تحقيق الاستجابة بأقدار مهمة، قد تتفاوت بتفاوت درجات هذا الاعتماد وبتفاوت مراتب واجتهادات القائمين عليه. [1]

التجديد والإلمام بالواقع وفي إطار التجديد في المحتوى والمضمون الإلمام بفقه الواقع الذي يجعل الخطاب الدعوي أكثر فاعلية وحيوية تجعله قريباً إلى المتلقي من الجمهور.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: إنما نعني بالواقعية: مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة ووجود مشاهد، ومراعاة واقع الحياة من حيث هي مرحلة حافلة بالخير والشر تنتهي بالموت وتمهد لحياة أخرى، توفى فيها كل نفس بما كسبت. ومراعاة واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو نفخة من روح الله في غلاف من الطين، ففيها العنصر السماوي والعنصر الأرضي. ومن حيث هو ذكرًا أو أنثى لكل منهما تكوينه ونزعاته ووظيفته، ومن حيث هو عضو في مجتمع لا يستطيع أن يعيش وحده، ولا أن يفنى تمامًا في المجتمع، ولهذا تصطرع في نفسه عوامل الأنانية والغيرة، ولا غرو أنَّ راعي الإسلام الواقع في أصول العقيدة، والجوانب التشريعية والأخلاقية، وفي كل

(١) انظر: التجديد من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية ،د نور الدين الخادمي مجلة التفاهم، العدد العشرون.

ما دعا إليه، وأمر به. [1].

يقول الإمام ابن القيم: حكي عن كثير من السلف أنَّه كان لا يتكلم فيما لم يقع، وكان بعض السلف إذا سأله الرجل عن مسألة قال: هل كان ذلك؟ فإن قال نعم تكلف له الجواب وإلا قال دعنا في عافية، فإن المسألة إذا كانت بعيدة الوقوع أو مقدرة لا تقع لم يستحب الكلام فيها.

صفوة القول إنَّ الواقعية : أن يرتبط الخطاب الديني بواقع الحياة ومشكلات الناس فلا يعيش بمعزل عنها. فالنزول إلى ميدان الناس وإبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعانتهم واستطاعتهم وما يعرض لهم يوضح لنا كيفيات وآليات التعامل مع ذلك، ومواصفات الخطاب الموجه بناءً على هذا الواقع . إنما هو فقه الواقع.

إذن فقه الواقع يمكن أن يدلنا على على المنهج المطلوب، كما يفتح لنا باب التجديد ويضع معالم التغيير، كل ذلك تحت المنهج الشرعي واستمدادا من أصوله.

وعليه فإن الجهل بالواقع والغفلة عنه يؤدى إلى أن يسود الجمود والتحجر والإنغلاق، وأن تغيب سماحة الإسلام وسعته، وتندثر مقاصده....

فالخطاب الدعوي المتجدد هو المحاول للتوحيد بين الأنموذج الشرعي المثالي وبين البيئة المادية والإجتماعية الوقعية أي تكامل الخطاب بعلم الواقع الإجتماعي، محلياً أو دولياً مادياً أو إجتماعياً. [2]

فبدون معرفة الداعية بواقع الناس ومشكلاتهم يعيش في واد والناس في واد آخر فلا تأثير لبيانه ولا جدوى من خطابه، فلا يكفي الداعية أن يكون قد حصَّل العلوم الإسلامية، وجال في مراجع الأدب واللغة والتاريخ، وأخذ بحظه من العلوم الإنسانية،

(١) المرجع السابق صـــ٨٢.

(٢) انظر: فقه الواقع أصول و وضوابط بتصرف ص ٤٣، ٧٤، ٨٦، ٨٧.

ومن العلوم التجريبية، ولكنه في هذا كله لا يعرف عالمه الذي يعيش فيه، وما يقوم عليه من نظم، وما يسوده من مذاهب، وما يحركه من عوامل، وما يصطرع فيه من قوى، وما يجري فيه من تيارات، وما يعاني أهله من متاعب وبخاصة وطنه الإسلامي الكبير من المحيط إلى المحيط، بآلامه وآماله، وأفراحه ومآسيه، ومصادر قوته، وعوامل ضعفه، وبعد ذلك وطنه الصغير وبيئته المحلية، وما يسودها من أوضاع وتقاليد، وما تقاسيه من صراعات ومشكلات، وما يشغل أهلها من قضايا وأفكار. (١)

ومما يؤسف له حقًّا وجود هذا الانفصام بين الخطاب الإسلامي وواقع الحياة المعاصرة، واهتمام كثير من الخطابات الإسلامية بأمور بعيدة عن الواقع، وقضايا المسلمين، وإغفالها لواقع العالم الإسلامي، وما يكال ويدبر له من مكائد، وما وقع على بعض بلدانه من احتلال وغزو، واعتداءات وحشية ألمت بأهله، وإساءة للمصحف تارة وإساءة لنبي الإسلام تارة أخرى. لذا كان من الأهمية اللازمة لتجديد الخطاب الإسلامي مراعاته لواقع الحياة، ودعوة الإسلام بما اشتملت عليه من تشريعات وحدود وأخلاق تحوي العلاج النافع لأمراض المجتمعات والأمم على مدى العصور والأزمان. (٢)

التجديد وفقه الموازنات والأولويات : ويدخل في معالم التجديد، فقه الموازنات في الخطاب الإسلامي: ويعني الموازنة بين المصالح بعضها مع بعض من جهة، أو المفاسد بعضها مع بعض من جهة ثانية، أو الموازنة بين المصالح والمفاسد من جهة ثالثة وتقديم الراجح منها وفق ضوابط محددة مستمدة من الشريعة الإسلامية.

(١) انظر: ثقافة الداعية، دكتور يوسف القرضاوي صـ ١١٩

(٢) انظر: رؤية معاصرة في تجديد الخطاب الدعوي الإسلامي، د جمال نصار مؤتمر الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين ٢٠١١م بعنوان (سمات الخطاب الإسلامي).

وأمَّا فقه الأولويات: فهو وضع الأحكام والقضايا في مراتبها الشرعية بدون تقديم أو تأخير. فلا يؤخر ما حقه التقديم، ولا يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يكبر الأمر الصغير.

والعلاقة بين فقه الموازنات والأولويات هي التلازم والتداخل، ففقه الأولويات مرتبط بفقه الموازنات، إذ غالبًا ما تنتهي الموازنة إلى أولوية معينة، فهنا تدخل في فقه الأولويات.(١)

والاستدلال على مراعاة الإسلام لفقه الموازنات والأولويات ثابت بالكتاب والسنة، وفعل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم. فمن الكتاب: ﴿أَجَعَلتُم سِقَايَةَ الحَآجِّ وَعِمَارَةَ المَسجِدِ الحَرَامِ كَمَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَستَوُۥنَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهدِي القَومَ الظَّٰلِمِينَ ١٩ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَموَٰلِهِم وَأَنفُسِهِم أَعظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠]

فهنا موازنة بين مصالح مشروعة هي: سقاية الحاج أو عمارة المسجد الحرام، والإيمان بالله والجهاد في سبيله، وقد جعل الله الإيمان والجهاد أعظم درجة وأرفع منزلة. وفي الموازنة بين المفاسد: يقول تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَت لِمَسَٰكِينَ يَعمَلُونَ فِي البَحرِ فَأَرَدتُّ أَن أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِك يَأخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصبا﴾ [الكهف: ٧٩]. في الموازنة بين المصالح والمفاسد يقول تعالى ﴿يَسـَٔلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَآ إِثم كَبِير وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَآ أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا﴾ [البقرة : ٢١٩]. ومن السنة: عندما أرادت قريش عقد صلح الحديبية، وأرسلت سهيلاً بن عمرو مندوبًا عنها لمفاوضة النبي ﷺ حدثت

(١) انظر: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة صـ٣٤، ٣٦، ٣٥.

خلافات، نظر إليها وفد قريش على أنها جوهرية، ونظر إليها النبي ﷺ على أنَّها سطحية، وانتهى بالموازنة إلى أولوية إتمام الصلح على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم، وكتابة باسمك اللهم.

وبتطبيق ذلك: نجد أنَّ الناظر إلى ساحة العمل الدعوي يجد أن هرم الأولويات مقلوب في أعم وأغلب تيارات الخطاب الإسلامي، إذ بعض هذه التيارات يسيطر عليه المنهج الحرفي المتميز بالسطحية والشكلية والجزئية في الاهتمام، والجفاف والخشونة في الدعوة وبعضها يميل إلى الخرافة والأساطير يتميز منهجها بالابتداع والجمود، والتقليد والسلبية، والمراهنة السياسية فتنعدم لديهم الرؤية الصحيحة في فهم المصلحة وتقديم الأولى.

ومما يثير الدهشة حقًّا: أنَّ بعض المتحدثين باسم الإسلام، لا يعرفون عن حقائق الدين وأهدافه، وأولوياته شيئًا. (١)

التجديد و تفعيل دور العقل في الـخطاب الإسلامي الدعوي: إن من أعظم ما عنى به الإسلام ـ في مجال الدعوة ـ هو تكوين الخطاب العقلي العلمي، ورفض الخطاب الظني الخرافي المقلد، الذي ينقل كل ما يقرأ أو يسمع، دون أن يعرضه على العقل، أو يضعه موضع اختبار وتمحيص بل يأخذه قضية مُسَلَّمة.

فعلى الرغم من دور الوحي في تحديد معالم هذا الدين، وموقفه من القضايا العِقْديَّة والتشريعية والأخلاقية المتصلة بالإنسان والحياة، فإنَّ دور العقل في فهم هذه الأمور، وإدراكها يظل دورًا بارزًا لا يتصور إغفاله أو إنكاره. ففيما عدا حقيقة ذات الله، وحقيقة الغيبيات فإن مسئولية العقل شاملة كل ما من شأنه أن يعلم، ولا بد أن يعلم بالبرهان، ودور العقل: هو القيام بالنظر، وتحصيل البرهان، ولا بد أن يكون الخطاب مستقى من

(١) انظر: المرجع السابق.

البرهان، وقائمًا عليه، ومشمولاً به، وإلا كان الخطاب خرصًا أو تخمينًا، أو رجمًا بالغيب في متاهات الظنون.

ومن دور العقل الذي يجب إعماله في الخطاب الديني أيضًا شرح وتأويل النصوص بما يتناسب مع معطيات العصر حتى لا تطغى الموروثات الشعبية على النصوص، فتوجهها إلى مساندة الخرافات في السلوك الاجتماعي، وتمكين المفاهيم اللامعقولة في فكر المؤمنين فتغيب عقولهم في بحور من الأوهام. وهناك مجالٌ أوسع وأرحب لإعمال العقل، وإبراز دوره، وهو «ما لم يرد فيه نص ديني من الكتاب أو السنة فدور العقل هنا الاجتهاد في إطار الروح العامة للتشريع، مع مراعاته للأزمنة والأمكنة وما يجري في دنيا الناس». [1]

ومن دور العقل في الخطاب الديني - أيضًا - مراعاته للتوازن بين متطلبات الحياة المادية والروحية التي جاء بها الوحي، حتى لا تطغى مطالب الروح على الجسد والعكس، فيكون التفريط في عمارة الكون، والعزلة عن الحياة العامة، والإقامة في المساجد ليلاً ونهارًا، وإهمال الحقوق الأسرية، والتفريط في حقوق الوطن في العمل والإنتاج، أو إهمال مطالب الروح والانغماس في الحياة المادية فيكون الجفاء الروحي، الذي يكون بدوره سببًا من أسباب الشقاء في الدنيا قبل الآخرة. [2]

ومـن أمثاله اشتمال الخطاب على الإقناع العقلي الذي يؤيد الدعوى: الخطاب الإسلامي دائمًا يعتمد في سوقه للحقائق، ودعوته إلى الإيمان بها على البراهين والأدلة العقلية والإقناعية، التي تقنع المدعو بالإيمان بها، وفي ذلك تقدير للعقل - عقل المخاطب

(١) انظر: دور العقل فى الخطاب الدينى أ. د. عبد المعطى محمد بيومى عميد كلية أصول الدين بالقاهرة المؤتمر الثالث عشر: التجديد فى الفكر الإسلامى مايو ٢٠٠١م.

(٢) انظر: رؤية معاصرة في تجديد الخطاب الدعوي الإسلامي، د جمال نصار مؤتمر الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين ٢٠١١م (بعنوان (سمات الخطاب الإسلامي).

– من ناحية، وتوجيه له أن لا يؤمن بشيء إلا إذا تحقق له الدليل أو البرهان عليه من ناحية أخرى.

وهذا هو سيدنا إبراهيم يستعمل المنهج العقلي في دعوته إلى عبادة الله دون غيره، قال تعالى ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبرَٰهِيمُ . قَالَ بَل فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُم هَٰذَا فَسـَٔلُوهُم إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ . فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِم فَقَالُوٓاْ إِنَّكُم أَنتُمُ الظَّٰلِمُونَ . ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِم لَقَد عَلِمتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ . قَالَ أَفَتَعبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُم شَيـًٔا وَلَا يَضُرُّكُم. أُفّ لَّكُم وَلِمَا تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعقِلُونَ﴾ [الأنبياء ٦٢-٦٧].

التجديد والسنن الإلهية: ومن معالم التجديد مراعاة الخطاب الديني للسنن الإلهية في الكون والمجتمع وعدم مخاطبة الناس بما يخالفهما: فمراعاة الخطاب الإلهي لذلك يعد عاملاً من عوامل التجديد.

ومن السنن الإلهية: الجزاء على العمل، فالأخذ بالأسباب في أمور الحياة والرزق، والطب بالتداوي، والجهاد، وترك الإتكال والكسل والاعتماد على الغير من الأمم والدول والأفراد يتبعه جزاء هو من سنن الله في الكون والحياة.ومخاطبة الناس بما يخالف ذلك خروج بالعقل إلى الخرافة، وتغطيته عن الحقيقة. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا استَطَعتُم مِّن قُوَّة وَمِن رِّبَاطِ الخَيلِ تُرهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُم وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِم لَا تَعلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعلَمُهُم وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيء فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لَا تُظلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وقال: ﴿وَلَو قَٰتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ الأَدبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّا وَلَا نَصِيرا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبدِيلًا﴾ [الفتح : ٢٣، ٢٢] وقال: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَواْ مِن قَبلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ للَّهِ تَبدِيلا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

إنَّ على الدعاة ضرورة تجنب مخاطبة الناس بما يخالف السنن الإلهية في الكون والمجتمع من الخرافات والترهات التي تملأ بعض الكتب الإسلامية وخاصة كتب

الوعظ والإرشاد.

وكذلك ضرورة تجنب الانتصارات المذهبية، والجمود على الفتاوى الموروثة – التي تغير زمانها – في الخطاب الديني.[1]

وكل هذه المطالب في الثقافة الدعوية ترد إلى جملة مقاصد، منها: إصلاح المدعو، وإسعاده في الدنيا بمزاولة متطلبات الفطرة النافعة له ولغيره، وإسعاده في الآخرة بالظفر بمرضاة الله –سبحانه– وبجناته العلية. ولهذه المقاصد وسائل، وهي التسهيل في العبارة والأسلوب، ومراعاة المقام والحال، واعتماد الديمومة والاستمرار، وغير ذلك مما هو مقرر في كتب المقاصد وكتب الدعوة والخطابة والوعظ والمناظرة.[2]

زبدة القول : إنَّ محاور التجديد كثيرة الجوانب متشعبة المسالك لا تنحصر فى ميدان واحد، ولا تقتصر على مدى محدود، وسوف نكتفي بهذ القدر نظراً للظروف التحكمية للمؤتمر.

ةةةةةة ةةةةةة

(١) انظر: رؤية معاصرة في تجديد الخطاب الدعوي الإسلامي، د جمال نصار مؤتمر الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين ٢٠١١م بعنوان (سمات الخطاب الإسلامي).

(٢) انظر: التجديد من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية، د نور الدين الخادمي مجلة التفاهم، العدد العشرون.

ةة ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة

تمهيد.....إنَّ هناك نوعاً من التجديد في الخطاب الدعوي الديني الذي ينادي به بعضهم هو في حقيقة الأمر تجديد عبثي تجديد لا يقوم على أساس سليم، أو قواعد منضبطة، فهو في الظاهر تجديد للخطاب الدعوي، لكنه في حقيقة الأمر نسف لمسلمات الدين وحقائقه الثابتة التي لا تقبل النقاش، أو التجديد في ذاتها، وإنما قد تقبل التجديد في أسلوب العرض أو كيفية توجيه تلك الموضوعات وطرحها للجمهور.

فمجال العقيدة : لا يقبل فيها بحال من أحوال التطور أو التجديد ، فالعقيدة هي هي، فلا تختلف العقيدة الإسلامية من بيئة لأخرى، ولا من زمان لزمان، ولا من مكان لمكان. (١)

فالقول – مثلا– إنَّ هناك حاجة إلى تجديدها لأنَّ بها أشياء لا تتفق مع العقل – حسب من يزعم ذلك– ، وأن كل ما هو ليس بمحسوس فهو غير مصدق وهذا الفكر الإلحادي المنحرف عن الفطرة السليمة، لا يمكن أن يقول به أحد، أو يقبل به بدعوي التجديد ومواكبة التطور الحضاري.

إنَّما التجديد في العقيدة – بحق – تخليص العقيدة من الإضافات البشرية لتصبح نقية صافية، ورفض الانحرافات الجوهرية التي تعيش اليوم بين المسلمين مما له تعلق في جوانب الاعتقاد مع بيان خطرها والتحذير منها.

كذلك أيضاً الأخلاق في الإسلام هي الأخري لا يمكن القول بأنها في حاجة إلى تطور

(١) انظر: منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع د عبد الحليم محمود صـ٣٣.

وتجديد [1]. بحجة الرجعية والجمود ، وعدم مواكبة هذا العصر الذي فيه أصبحت الأخلاق فيه من الشيء النادر، فكيف يمكن القول إنَّ بها حاجةً إلى تجديد، إن الحقيقة إنَّ بها حاجة إلى زيادة ترسيخ وتوطيد في النفوس والعقول والقلوب. والكتاب و السنة ليس فيهما مجالٌ للتجديد، ولا هما جزءاً من التراث، وينبغي أن يكون هذا واضحاً لمثقفينا، لأن افتراءً كبيراً قد يحدث على الكتاب والسنة تحت مسمى أو تحت مسمى أن التجديد يتعلق بالتراث وأن هذه الأصول جزء من التراث . [2] إنما هى ثوابت وأعمدة الدين الرئيسة.

فرفض الأحاديث الصحيحة جزئياً أو كلياً بحجة ملائمة ظروف العصر الحاضر. أو إنكار السنة ـ كلياً أو جزئياً ـ بدعوى تعارضها مع العقل، أو القرآن بزعمهم، أو تعارضها مع علوم العصر الحاضر. هو هدم لأصول الإسلام.

إنَّ التجديد وإنْ تعلق بالنظم لا يتعلق بالنظم القطعية الإسلامية التي جاءت فيها النصوص القطعية الإسلامية، سواء أكان نظام الحدود أو كان نظام المواريث أو غيرهما أيضاً، إن النظر إلى هذه الموضوعات ونظائرها على أنها لون من التجديد أو لون من الاقتراب من العالم الغربي، المساس بهذه النظم القطعية الإسلامية، إنما هو تبديد للدين وللشريعة الغراء، [3] ولا يمكن القول إنَّ ذلك تجديد لخطاب إسلامي معاصر.

إنَّ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يحاول بعضهم أن يفسرها تفسيراً حديثاً دون مراعاة أسس سليمة أو قواعد صحيحة بحجة مواكبة التطور، وأن ذلك يعد من ألوان تجديد الخطاب الديني الدعوي، غير ان ذلك قد يؤدي إلى هدم بنيان تلك الآيات والأحاديث وجعل المسلمات الدينية أمور تقبل المراجعة والحوار، إن ذلك الأمر هو هدم

(١) المرجع السابق نفس الموضع.
(٢) انظر: تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية٢٠٠٢ صـــ٨٢.
(٣) المرجع السابق صـــ٨٩.

للدين تحت ستار التجديد.

ونضرب لذلك مثلا [1]، حينما تدخل فكرة التجديد المزعوم مثل ذلك، إنَّ أحد المفكرين الإسلامين حين أراد تفسير آيات قصة آدم في القرآن، وأمر الله سبحانه وتعالى للملائكة بالسجود... فسرها على أنها تصوير، ومجرد وهم، ومجرد تمثيل، كل ذلك حتى لا يلتزم قضية أن آدم إنما هو أول البشرية حقا أنشأه الله سبحانه وتعالى، سواه بيده، ونفخ فيه من روحه.

وإذا كانت قصة آدم تمثيلاً وتصويراً، فلا يبقى شيءٌ في القرآن لا يمكن أن يؤول، وفي تأويل كل شئ قضاء على الإسلام.. كل ذلك بحجة التجديد أو التطوير .

وليس من التجديد الدعوة إلى الانعتاق من أسر الشريعة إلى بحبوحة القوانين الوضعية إلى تحقق الحرية والتقدم حتى قيل: إنَّ العالم اليوم قد بلغ سن الرشد وليس به حاجةٌ إلى وصاية السماء.

كل هذه النواحي إذا أدخلت في ميدان التجديد أعني محيط العقيدة، أو محيط الأخلاق، تجعل من الدين مجموعة من المبادئ النسبية أي أنها ليست حقائق مطلقة، وبالتالي يأتي علينا يوم من الإيام وقد انفصلنا عن الدين انفصالا كاملاً بحجة التجديد.

فلا تجديد في حقائق الدِّين بحال، إلاَّ إذا قُصد بتجديدها إزالة الغبار العالق بها، وما أُدخل فيها من الشُبَهِ، وتعلق بها من الخرافات والخزعبلات، فتنقية حقائق الدِّين من هذه العوالق، وتصفيتها من الدخن والوهن وكل ما أصابها يكون من صميم التجديد.

صفوة القول: أنَّ التجديد ينصب على الخطاب الإسلامي، وليس على الإسلام نفسه، فقد أتمه الله وأكمله وأجمله، وأمتنَّ علينا بقوله تعالى: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ

(١) راجع :منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع د عبد الحليم محمود صـ٣٣

عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلٰمَ دِينا﴾ [المائدة :٣].

إذا : التجديد الممنوع شرعاً وعرفاً وعقلاً هو كل تجديد لا يستند إلى أسس ثابتة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولا ينضبط بضوابط تزن أعماله و تصحح مساره و تقوّم أخطاءه، فهو مرفوض، وكل دعوة إليه تعتبر باطلة، وأصحابها غير أكفاء، وأصحاب هذا الاتجاه في الحقيقة عملاء مغرضون أو جهلاء مغرورون متعالمون، تنقصهم جميعًا الدراسة الواعية، ويتملكهم الغرور المتعالي، وتسيطر على أقلامهم وعقولهم اللامبالاة.

❊ ❊ ❊

ةةةةةةة

*** من خلال ما سبق يمكنني رصد الآتي :**

– إنَّ التجديد يعد من سنن الحياة وقانون الوجود، وأنَّ الدعوة إلى تجديد الخطاب الدعوي تعد أحد مرتكزات الإسلام ومن قواعده العامة، ولا أدل على ذلك من قول النبي ﷺ [إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا].

– إنَّ الداعي إلى التجديد :ضرورة المواكبة والمسايرة لروح العصر وتطوراته وتغيراته، وضرورة وضع الحلول والبدائل للمشكلات والقضايا الحياتية المختلفة.

– إن القُدرةَ على التَّجديدِ أو التَّجَدُّدِ الذَّاتيِّ هو التَّعبيرُ الدَّقيقُ عن صلاحيَّةِ الإسلامِ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ.

إنَّ التجديد يعني إحياء ما اندرس وانطمس من معالم الدين، ونشرها بين الناس، وحملهم على العمل بها بالتي هي أحسن، عن طريق الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

إنَّ التجديد لا يعني تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهوائهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين.

إننا في حاجة إلى تجديد قادر على أن يعيد عرض الإسلام بلغة العصر، مخاطبًا كل قوم بلسانهم، واعيا لخصائص العصر، وخصائص الإسلام، وخصائص الأقوام.

– من معالم التجديد الدعوي مراعاة أحوال العصر ومنجزاته ومستحدثاته والإفادة بها، ومن هذا القبيل: الاعتماد أو الاستئناس بالمنجزات العلمية والتكنولوجية كشبكة

المعلومات الدولية (الانترنت) والمحطات الفضائية.

- لابد أن يرتبط الخطاب الديني بواقع الحياة ومشكلات الناس فلا يعيش بمعزل عنها لأن فقه الواقع يمكن أن يدلنا على المنهج المطلوب، كما يفتح لنا باب التجديد ويضع معالم التغيير، كل ذلك تحت المنهج الشرعي واستمداداً من أصوله.

إن من أعظم ما عنى به الإسلام - في مجال الدعوة -هو تكوين الخطاب العقلي العلمي، ورفض الخطاب الظني الخرافي المقلد، الذي ينقل كل ما يقرأ أو يسمع، دون أن يعرضه على العقل، أو يضعه موضع اختبار وتمحيص بل يأخذه قضية مسلمة.

ومن معالم التجديد مراعاة الخطاب الديني للسنن الإلهية في الكون والمجتمع وعدم مخاطبة الناس بما يخالفهما.

إنَّ غاية التجديد إصلاح المدعو، وإسعاده في الدنيا بمزاولة متطلبات الفطرة النافعة له ولغيره، وإسعاده في الآخرة بالظفر بمرضاة الله -سبحانه-.

إنَّ التجديد ينصب على الخطاب الإسلامي، وليس على الإسلام نفسه، فقد أتمه الله وأكمله وأجمله، وامتنَّ علينا بقوله تعالى: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلٰمَ دِينا﴾ [المائدة :٣].

التجديد الممنوع شرعاً وعرفاً وعقلاً هو كل تجديد لا يستند إلى أسس ثابتة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولا ينضبط بضوابط تزن أعماله و تصحح مساره و تقوم أخطاءه، فهو مرفوض، وكل دعوة إليه تعتبر باطلة، وأصحابها غير أكفاء.

ةةةةةةةة :

أوصي بما يأتي:

ضرورة اهتمام علماء المسلمين بالإفادة بما استجد من حقائق علمية مستقرة فى مجالات الطب والاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا ما دامت لا تخالف حكما قطعيا ولا تؤدى إلى فساد خلقي.

تجديد البرامج والمخططات والمقررات العلمية وتجديدها باستمرار، وتطعيمها ببعض علوم الوسائل، بشرط ألاّ يعود ذلك التجديد على أصل العلم والمعرفة الحقة بالإبطال والإخلال.

الإفادة من العلوم والمنجزات العصرية في مجال التكنولوجيا والاتصال والعلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية بما يخدم الخطاب الدعوي الإسلامي.

دعم العاملين في المجال الدعوي مادياً ومعنوياً، وسد حاجتهم بما يجعلهم متفرغين للعمل الدعوي الدقيق والمثمر.

رصد مظاهر الجمود العقلي - عند بعض العلماء - على خطابات وفتاوى السابقين وطبعها ونشرها وتوزيعها على العاملين في حقل الدعوة حتى يتجنب الدعاة والخطباء الوقوع في دائرتها.

توزيع الكتب التي تكشف عن معالجة قضايا العصر والتي تراعي فقه الواقع ومعالجة مشكلاته حتى يهتم بها الدعاة ويجعلونها محور خطابهم وموضوع حديثهم.

تدريس بعض كتب الفكر الإسلامي المستنير في دورات خاصة بالأئمة والدعاة، وتعقد لها الاختبارات، مع ضرورة ربط هذه الاختبارات بالمنح أو الترقيات حتى تتكون الملكة الفكرية والتجديدية لدى الدعاة والقائمين بالخطاب الديني.

صحيفة المراجع بعد القرآن

التجديد : فضيلة الإمام الأكبر د أحمد طيب شيخ الأزهر، مجلة الأزهـر١٤٣٤ عدد رجب.

التجديد: بقلم أ.د.سيف الدين عبد الفتّاح الأهرام ديسمر ٢٠٠٧م العدد ٤٤١٩٨.

التجديد:مفهومه وضوابطه ومجالاته، الشيخ مراد بن أحمد القدسي (موقع منبر علماء اليمن)على الإنترنت.

التجديد الفكري الإسلامي: : مقاربة نقدية. د معتز الخطيب مجلة التفاهم، العدد الرابع عشر.

التجديد من منظور مقاصد الشريعة : د نور الدين الخادمي، مجلة التفاهم، العدد العشرون.

التعريفات للجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني، ط :دار الكتاب العربي، بيروت ط:١، ١٤٠٥، ت : إبراهيم الأبياري.

الخطاب الديني والواقع المعاصر: د أحمد السايح، ط: وزارة الأوقاف المصرية، مصر، ٢٠٠٥.

الدين والحياة : د محمود حمدي زقزوق، ط :مكتبة الإسرة، مصر ٢٠١٠.

العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب : محمد حامد، مكتبة الكوثر – الرياض، ط:٢، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة : الإمام الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط: دار الكتاب العربي.

أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة: د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة

تجديد الخطاب الديني الدعوي : د السعيد محمد على، ط: وزارة الأوقاف المصرية، مصر، د.ت

تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف :ندوة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ط: ٢، ٢٠٠٣م.

تجديد الدين في ضوء السنة د يوسف القرضاوي العد (٢) عام١٩٨٧. مجلة مركز بحوث السنة والسيرة – دولة قطر .

تجديد الفكر الإسلامي:مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط: وزارة الأوقاف المصرية ٢٠٠١م

ثقافة الداعية : دكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة .

دليل الإمام في تجديد الخطاب الديني: الشيخ سالم عبد الجليل، والشيخ محمد زيدان، ط : وزارة الأوقاف المصرية، مصر ٢٠٠٣م.

رؤية معاصرة في تجديد الخطاب الدعوي الإسلامي : رؤية معاصرة في تجديد الخطاب الدعوي الإسلامي، د جمال نصار مؤتمر الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين ٢٠١١م بعنوان (سمات الخطاب الإسلامي).

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها : أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط :مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط:١ .

فقه الواقع أصول وضوابط: الأستاذ أحمد بوعود، كتاب الأمة، العدد٧٥، المحرم ١٤٢١هـ، ط :وزارة الأوقاف القطرية.

فيض القدير شرح الجامع الصغير : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) ط : المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط:١،

لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى المتوفى: ٧١١هـ ط : دار صادر - بيروت، ط: ٣ - ١٤١٤ هـ.

محاضرات في أصول الدعوة : قسم الدعوة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ٢٠١٢م.

مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ط مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ١٤١٥ ه- ١٩٩٥ م، ت :محمود خاطر.

معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر المتوفى: ١٤٢٤هـ وآخرون ط :عالم الكتب ط:١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع: الإمام الأكبر د عبد الحليم محمود، ط :مكتبة الأسرة٢٠٠١م.

❊ ❊ ❊

-16-

ÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖ
ÖÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖ ÖÖ

ÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖ

ÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖ ÖÖÖÖ ÖÖÖ
ÖÖÖÖÖÖ ÖÖ(ÖÖÖÖÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖ ÖÖÖÖ)

د.سعد محمد علي حسين القيسي
كلية الإمام الأعظـم الجامعة
قسم الفقه وأصوله/ بغداد

ةةةةةةة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث فينا رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ من أهمِّ خصائص الشريعة الاسلاميَّة أنَّها متجدِّدةٌ لتواكبَ معطياتِ الحياةِ وحوادثَها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ولا سيَّما في الفروعِ ؛لأنَّ النُّصوصَ الشرعيَّةَ متناهيةٌ، والحوادثُ غيرُ متناهيةٍ، ومنها المستجداتُ المعاصرةُ التي ظهرتْ هنا وهناكَ، خصوصًا في مسائلِ الإرْث، وهي وإنْ كانت قليلةً، وبعضُها على وجه النُّدرةِ، إلاَّ أنَّ شريعتَنا الغرَّاءَ لا تقفُ موقفَ المتفرِّجِ منها، فكان لابدَّ معالجتُها بإصدارِ الأحكام الشرعيَّة عليها، على وفق الضوابطِ والشروطِ التي تجعلُهُا في مسارِها الصحيحِ، متوافقةً لمقاصدِ الشَّريعةِ الكلِّيَّةِ، ومحقِّقةً لمناطِ التكليفِ فيها.

ةةةةة ةةةةة:

إنَّ الحاجةَ إلى تجديد الفقه الإسلامي بضوابطهِ الشرعيةِ، حاجةٌ قائمةٌ في كلِّ عصر بما يتناسب ومستجداتِ العصر وروحه، ولأنَّ علمَ المواريثِ، من أجلِّ العلومِ الشَّرعيَّةِ قاطبةً، إلاَّ أنَّه ليس له الصَّدارةُ في اهتمامِ الفقهاءِ الباحثينَ فيه، وقلَّما تجدُ فرضيًّا حاذقًا من بينِ الكثير من الفقهاءِ، ولاسيَّما في وقتِنَا الحاضرِ؛ لذلك هو يحتاج إلى آلياتٍ تُجَدِّدُه من حيث طريقةُ تعلُّمه وتعليمه، واستعمال الوسائلِ والعلومِ الحديثةِ في حلِّ مسائلهِ، والتعرضِ لمستجداتهِ بما يناسبُ الشَّريعةِ ليواكبَ روحَ العصرِ، وفي ضوء ذلك كان بحثي هذا بعنوان: (التَّجديدُ الفقهي في علم المواريث- ضوابطه ومصطلحه ووسائله وأساليبه الحسابية).

ةةةةة ةةةةةةة ةةةةة ةةةةة:

إنَّ علم المواريث والفرائض ،علم لم يحضَ باهتمام الباحثين كما ينبغي، ووجدت من خلال تدريسي له، أنَّ الطلاب، بتغايرِ مستوياتهم، يعانون من مسألة التلقي من كتب المتقدِّمين، وفهم عباراتهم في شرح جزئيات هذا العلم الجليل والإحاطةِ بها، فضلا عن وسائلَ إيصالِ المعلومةِ للمتلقي بما يتوسلون به من وسائلَ تكاد تكون غيرَ مفهومةٍ في عصرنا هذا ؛لما يعتريها من صعوباتٍ في استحصالها، ولأنَّ محاولات تجديد هذا العلم، من حيث الضوابطُ والوسائلُ والاساليبُ، محاولاتٌ تكاد تكون نادرةً، علاوةً على عدم شمولها كلَّ ما يُحتاج إليه في هذا العلم من تجديد؛ لذا كان سبب اختياري لهذا البحث؛ أن يكون مساهِمًا في تجديد علم المواريث والفرائض، ونشره بالطرائقِ الحديثةِ وبأساليبَ جديدةٍ، والله سبحانه من وراء القصد.

ةةةةةةة ةةة ةةةةةةة ة ةة ةةة ةةةة:

لا يخلو بحث من صعوبات يواجهها الباحث في عمله، فبعض الصعوبات التي واجهتها عند محاولتي توثيق ما هو جديد في هذا البحث، على ما يبدو لي، ولاسيَّما التجديد في مصطلح هذا العلم، وكذلك بوضع قانون رياضيٍّ لحلِّ بعض مسائل الميراث، وإظهارها بنسيجها الجديد، وإن كانت بضاعتي مزجاة في علم الرياضيات، ولكن بحمد الله ومنِّه تمكنت من وضع هذا القانون، مستعينًا، بعد الله تعالى، بأهل الدِّراية في هذا العلم، وتأكَّدت من صحته عندما قارنته بالوسائل القديمة المتاحة ،فكانت النتائجُ متطابقةً تمامًا. والحمد لله ربِّ العالمين.

ةةة ةةةةة:

انتظم هذا البحث في مقدِّمة وثلاثة مباحثَ وخاتمة مع التوصيات والمقترحات: فتناول المبحث الأول: حقيقة التجديد الفقهي، وكان في ثلاثة مطالب: الأول: في تعريف التجديد لغة واصطلاحًا، والثاني: في مشروعيته، والثالث: في ضوابطه، وأمَّا المبحث الثاني فتناول فيه: حقيقة علم المواريث، فكان في ثلاثة مطالب: الأول: في تعريفه لغة واصطلاحًا، والثاني: في الألفاظ ذات الصلة، والثالث: في أهميته بين العلوم الشرعية، أما المبحث الثالث فتناول فيه: التجديد في علم المواريث، فكان في ثلاثة مطالب، الأول: التجديد في مصطلح علم المواريث، والثاني: التجديد في الوسائل المستخدمة لتدريس علم المواريث، والثالث: التجديد في الأساليب الحسابية للميراث، ثمَّ الخاتمة التي وضَّحتُ فيها أفضلَ النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا ،ثمَّ التوصيات والمقترحات، واللهَ تعالى أسألُ وهو من وراء القصدِ، وصلَّى الله تعالى وسلَّم على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يومِ الدِّينِ، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

الباحث

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةة ةةةةةةةة ةةةةةة

ةةةةةة ةةةةة: ةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةةةةً

التجديد لغة:

مصدر جدَّد يجدد تجديدًا، وهو ضدُّ القديم، وتجدَّد الشيء: صار جديدًا، وجدَّده أي استحدثه وصيَّره جديدًا، ويقال: جدَّد ثوبه: أي لبسه جديدًا.[1]

والتجديد اصطلاحًا:

تنوَّعت عبارات العلماء في تعريف التجديد في الفقه خصوصًا وفي الدين عمومًا[2]، ولكنها لا تخرج عن ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الاول: إحياء ما اندرَسَ من معالم السنن ونشرها بين النَّاس، وحثَّهم على العمل بها، قال العلقميُّ[3]:(معنى التجديد: إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما).[4]

---

(١) ينظر: مختار الصحاح- للرازي، (ص٥٤)،وتاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي،(٧/ ٤٧٨).

(٢) ينظر: التجديد في الفكر الاسلامي – د. عدنان محمد أمامة – (ص١٦-٢٠)،ومن ضوابط تجديد الفقه الاسلامي – دراسة تطبيقية – أ.د حسن السيد حامد خطاب – (ص١٠-١٢).

(٣) هو: محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقميّ، شمس الدين، ولد في(٨٩٧هـ)،وهو فقيه شافعيّ، عارف بالحديث، كان من تلاميذ الجلال السيوطي، ومن المدرسين بالأزهر، له الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير،وله حاشية على تفسير الجلالين سمَّاه بـ«قبس النيرين» وغيرها من لمؤلفات ، توفي في(٩٦٩هـ).[ينظر:كشف الظنون للحاجي خليفة(١/ ٥٦٠)، والأعلام للزركلي- (٦/ ١٩٥)].

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي – (٢/ ٢٨١).

الاتجاه الثاني: قمع البدع والمحدثات، وتنقية الاسلام منها، قال المناوي: (يبين السنَّة من البدعة ،ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم).[1]

الاتجاه الثالث :الاجتهاد، وهو ما عرَّفه الشاطبي(ت:٧٩٠هـ)، بأنَّه:(اسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ أَوِ الظَّنِّ بِالْحُكْمِ)[2]، أي: تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجدُّ من وقائع وأحداث، ومعالجتها معالجة شرعية، كما قال عمر عبيد حسنة: (ليس المراد بالاجتهاد والتجديد الإلغاء والتبديل وتجاوز النصوص، وإنما المراد: هو الفهم الجديد القويم للنصِّ، فهماً يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقعه في كلِّ عصر يعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي).[3]

وعرَّف د.نور الدِّين مختار الخادمي التجديدَ بأنَّه:(الاجتهاد في الامور المستجدة ومعالجتها، وتنزيل الخطاب الاسلامي عليها، وإيجاد الحلول الشرعية لها).[4]

ومن مجموع التعاريف الآنفة الذكر باتجاهاتها الثلاثة، يمكن استخلاص تعريفٍ يجمعها، فالتجديد هو: إحياء ما اندرس من أمور الدين، وتنقيته من كلِّ ما هو غير شرعيٍّ ،وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها.[5]

ةةةةةة ةةةةةة: ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة

التَّجديد في الدِّين بصورة عامة، وفي الفقه بصورة خاصة، سنَّة من سنن الاسلام، وهو مشروع بالكتاب والسنة والأثر والمعقول:

(١) المصدر نفسه(٢/ ٢٨١)،وينظر: عون المعبود للعظيم آبادي،(١١/ ٢٦٣).
(٢) الموافقات (٥/ ٥١).
(٣) الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية-(ص٢٠).
(٤) أبحاث في مقاصد الشريعة – للخادمي (ص٩٤).
(٥) التجديد في الفكر الاسلامي – د. عدنان محمد أمامة – (ص١٩)،وينظر: الفقه الاسلامي بين الاصالة والتجديد للقرضاوي (ص٢٨-٣١).

أما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[1].

وجه الدلالة:

الآية تدل على وجوب التفقُّه في أمور الدين على طائفة من المسلمين؛ لتتحمل مسؤولية بيان الأحكام الشرعيَّة في الأمة الإسلاميَّة، ومواجهة مشكلاتها المتجدِّدة والأحداث غير المتناهية بقبال النُّصوص المتناهية.[2]

وأما السنَّة: فقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّه قال: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا).[3]

وجه الدلالة:

بأنَّ التَّجديد من سنن الله تعالى لهذه الأمة المحمدية، فلا يخلو عصر من المجددين ينفون عن الدِّين ما ليس منه، ببيان السنَّة من البدعة وبنصرة العلم وأهله وتكثيره وبكسر الجهل وأهله وتقليله.[4]

وأما الأثر: فقد جاء في صفوة الصفوة:(وعن كميل بن زياد قال أخذ عليٌّ بن أبي طالب بيدي...ثمَّ قال... اللهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ

(١) سورة التوبة- الآية ١٢٢.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، (١٦/ ١٧٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٨/ ٢٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه-كتاب الملاحم- باب ما يذكر في قرن المائة-(٤/ ١٠٩) ح(٤٢٩١)،والحاكم في مستدركه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص-كتاب الفتن والملاحم-حديث أبي عوانة-(٤/ ٥٦٧) ح(٨٥٩٢)، وقال السخاوي: (وسنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات). [المقاصد الحسنة (ص٢٠٣)].

(٤) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي(١١/ ٢٦٠).

اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ).[1]

وأما المعقول: فإنَّ الحاجة الماسَّة قائمة في كلِّ وقت وفي كلِّ مكان إلى مجدِّدين لأمر هذا الدِّين، يحملون على عاتقهم أمانة تفهيم النَّاس لأحكام الله تعالى فيما استجدَّ من أمور ليس فيها نصٌّ من كتاب أو سنَّة أو تطرَّق إليه أحد من الصحابة الكرام، قولاً أو عملاً، ففي كلِّ عصر مقتضياته ودواعيه تفرض نفسها بضرورة وجود من يرشد النَّاس الى الهدى ومعرفة الأحكام الشرعيَّة؛ لذا فالتجديد أمر عقليٌّ، تقتضيه الحكمة، علاوة على أنَّه شرعيٌّ.[2]

ةةةةةة ةةةةةة: ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة

إنَّ للتجديد في الفقه الاسلاميِّ ضوابطَ لابدَّ من مراعاتها،وإلاَّ كان الامر اتباعًا للهوى، وهو ممَّا لا شكَّ فيه منهيٌّ عنه،ومن أهمِّ هذه الضوابط، نوردها مجملة ثمَّ تفصيلا، على النحو الآتي:

١. أن يكون التجديد فيما يجوز فيه الاجتهاد.

٢. أن يكون التجديدُ فيما هو ظنِّيُّ الدلالة أو الثبوت من الاحكام.

٣. أن يكون التجديد وثيق الصلة بواقع المسلمين، بعد تكييف واقعهم على ضوء النُّصوص الشرعيَّة.

٤. أن يكون للتجديد واقع عمليٌّ يراعى فيه مقاصد الشرع ومصالح العباد.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- للأصبهاني،(١/ ٧٩)- وينظر: صفوة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٢٣-٢٤).

(٢) ينظر: حجة الله البالغة للدهلوي، (١/ ١٥٣-١٥٤)،والفقه الاسلامي في طريق التجديد للعوَّا ص(٤٢-٤٣).

الضابط الأول: أن يكون التجديد فيما يجوز فيه الاجتهاد

وهذا الضابط يجمع نقاطًا عدَّة، من أهمِّها :

١- أن لا يكون التجديد فيما علم من الدِّين بالضرورة كالإيمان بالله تعالى، وملائكته، واليوم الآخر، ووجوب الصلاة، والصيام، وتحريم الربا...إلخ، فهذه ثوابت لا يجوز فيها الاجتهاد أو التجديد.(١)

٢- أن لا يكون التجديد في الأحكام التي فيها نصٌّ قطعيُّ الدلالة والثبوت، مثل سائر المقدرات المنصوص عليها في الكتاب والسنَّة المتواترة، القولية منها والفعلية، كالحدود، والكفارات ومقادير الزكوات، وعدد الصلوات المفروضة وشروطها، ومناسك الحج، ونحوها، فلا مجال للاختلاف فيها أو التجديد.(٢)

٣- أن لا يكون التجديد رافعًا للقدر المشترك بين أقوال الصحابة رضي الله عنهم في مسألة ما في حالة تعدُّدِها، بحيث يحدث قولًا جديدًا يخالف جميع الأقوال من كلِّ وجه، ومن دون أن يتوافق مع أيٍّ منها، أما إذا كان لهم قولًا واحدًا في مسألة ما، فمن باب أولى أن لا يكون للتجديد مجالًا فيه، في حالة عدم التوافق معه في وجه ما، أما إذا توافق القول الجديد في وجه ما مع القول الواحد او الأقاويل وخالفها من وجه، فذلك جائز، ومثالًا على ذلك اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في توريث الجدِّ مع الأخوة والأخوات لأبوين أو لأب، فمنهم من جعل الجدَّ كالأب يحجب الأخوة إذا كانوا معه، ومنهم من جعله كالأخ يرث معهم، فإرث الجدِّ هو القدر المشترك المجمع عليه، والخلاف وقع في حجبه للإخوة أو عدم حجبه لهم، أما القول بحرمانه من الإرث تمامًا، فهو قول ثالث يرفع ما أجمع عليه مجتهدو

(١) ينظر: المستصفى للغزالي،(ص٣٤٥)،والثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الاسلامي المعاصر-أ. د. صلاح الصاوي (ص٧٧-٧٨).

(٢) ينظر: المصدران السابقان.

العصر الأول، فهذا ممَّا لا مجال للاجتهاد فيه أو التجديد، فلا يجوز.[1]

٤- يجوز إحداثُ قولٍ جديدٍ يخالفُ إجماعًا سنده المصلحة المرسلة[2]، عند من قال بحجيتها، ومخالفة الحكم المجمع عليه وتبديله، في حالة انتفاء المصلحة التي كانت سندًا لهذا الاجماع؛ لأنَّ الحكم الثابت به يدور مع المصلحة وجودًا وعدمًا، ولا يجوز في الإجماع الذي مستنده نصٌّ من كتاب أو سنة أو قياس، فإنه يكون دليلًا أبديًا ،والحكم الثابت فيه حكمًا قطعيًّا، ومثالًا على ذلك أنَّ الفقهاء من التابعين قد أفتوا بجواز تسعير السلع؛ محافظةً على أموال النَّاس ومصالحهم، مع سبق الإجماع من الصحابة رضي الله عنهم على ترك التسعير.[3]

الضابط الثاني: أن يكون التجديدُ فيما هو ظنِّيُّ الدلالة أو الثبوت من الاحكام.

فالنصُّ إمَّا أن يكون ظنِّيَّ الدلالة قطعيَّ الثبوت، أو قطعيَّ الدلالة ظنِّيَّ الثبوت، أو ظنِّيًّا فيهما، أو قطعيًّا، وفي كلِّ حالة من هذه الحالات تصلح أن تكون محلًّا للتجديد سوى ما كان قطعيًّا فيهما، فذلك ليس محلًّا للاجتهاد أو التجديد(٤)، وتفصيله على النحو الآتي:

١- ما كان ظنِّيَّ الدلالة قطعيَّ الثبوت، جاء في المهذب:(وهذا يكون في الآية،

---

(١) ينظر :كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري،(٣/ ٣٤٧-٣٥٠)،وأصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الاسلامي للكبيسي(ص٩٨-١٠٠).

(٢) المصلحة المرسلة: «وهي الَّتي سكتَ عنْهَا الشَّرعُ فلمْ يتعرَّض لها باعتبار ولا إلغاء، وليسَ لها نظيرٌ وردَ بهِ النَّصُّ لتُقاس عليهِ». [تيسير علم أصول الفقه للعنزي(ص: ١٩٩)، وينظر:أصول الأحكام للكبيسي(ص١٥٠)].

(٣) ينظر:كشف الأسرار للبخاري(٣/ ٣٦٩-٣٧٠)، وأصول الأحكام للكبيسي(ص١٠٣-١٠٤).

(٤) ينظر:الْمُهَذَّبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ لعبد الكريم النملة(٥/ ٢٣٢٠)،وأصول الاحكام للكبيسي (ص٤٥٥-٤٥٦).

الذي دلَّ لفظها على الحكم دلالة ظنية، والحديث المتواتر الذي دلَّ لفظه على الحكم دلالة ظنية، مثاله: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[1]، فهذا قطعي الثبوت؛ لأنه قرآن، ولكنه ظني الدلالة؛ لأنَّ لفظ « القرء «يحتمل أن يكون معناه « الحيض»، ويحتمل أن يكون معناه :»الطهر»، فيجتهد المجتهد للوصول إلى المراد من أحد المعنيين).[2]

٢- ما كان قطعيَّ الدلالة ظنِّيَّ الثبوت ،جاء في المهذب:(وهذا يكون في خبر الواحد الذي دلَّ على معناه دلالة قطعية، مثاله: قوله ﷺ : «في كل خمس من الإبل شاة»[3]، فإنَّ هذا نص قطعي الدلالة؛ لأنَّه لا يدل إلا على معنى واحد فقط، ولكنه ظني الثبوت؛ لأنه لم ينقل إلينا بطريق التواتر، فيجتهد المجتهد بالبحث عن سنده، وطريق وصوله إلينا، وحال رواته من العدالة والضبط).[4]

٣- ما كان ظنيَّ الثبوت والدلالة معًا، جاء في المهذب:(وهذا يكون في خبر الواحد الدال على معناه دلالة ظنية، مثاله: قوله ﷺ : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[5]، فإن المجتهد يجتهد هنا في أمرين هما: الأول: في سند الحديث، وطريق وصوله إلينا، وحال رواته من العدالة والضبط. الثاني: في دلالة الحديث؛ لأن الحديث يحتمل معنيين

(١) سورة البقرة - من الآية ٢٨٨.

(٢) المهذب في علم أصول الفقه المقارن لعبد الكريم النملة(٥/ ٢٣٢٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري، وقال عنه: «حديث أبي سعيد حديث حسن صحيح»-كتاب الزكاة -باب ماجاء في صدقة الزرع والتمر والحبوب-(٣/ ٢٢) ح(٦٢٧).

(٤) المهذب في علم أصول الفقه المقارن لعبد الكريم النملة(٥/ ٢٣٢٠).

(٥) أخرجه البخاري عن عبادة بن الصامت في الجامع المسند الصحيح المختصر -كتاب صفة الصلاة- باب وجوب القراءة للإمام والمأموم-(١/ ٢٦٣) ح (٧٢٣)، وأخرجه مسلم عن الراوي نفسه في المسند الصحيح المختصر -كتاب الصلاة- بَابُ وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ- (١/ ٢٩٥) ح (٣٩٤).

هما: لا صلاة صحيحة إلا بفاتحة الكتاب»، و «لا صلاة كاملة إلا بفاتحة الكتاب»).[1]

٤- ما لم يرد فيه نصٌّ من كتاب أو سنَّة، وهذا محلٌّ للتجديد بحثًا عن معرفة حكم الشرع فيه، جاء في المهذب:(الاجتهاد فيما لا نصَّ فيه ولا إجماع، وهذا يكون في حادثة لم يرد حكمها في نصٍّ ولا إجماع، فيبذل المجتهد ما في وسعه في تحصيل حكم لتلك الحادثة، وذلك. باستعمال أدلة أرشده إليها الشارع مثل: القياس، والاستحسان ... ونحو ذلك[2])[3]، وذلك مثل استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه على المسلمين بعد انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكذلك جمع المصحف بعد حروب الردة، وجمع قراءاته في عهد عثمان رضي الله عنه، وغير ذلك ممَّا لم يرد فيه نصٌّ، حيث اجتهد الصحابة رضي الله عنهم فيه إعمالًا لمبدأ المصلحة، أما الأمور القطعية، فلا يجوز فيها التجديد أو الاجتهاد ولا يغيرها العرف مهما تباعدت العصور.[4]

ةةةةةة ةةةةةة: ةة ةةةة ةةةةةةة ةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةة ةةةة ةةةة ةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةة ةةة ةةةةُة ةةةةةةً.

مجتمعاتنا المعاصرة واقع لم يصنعه الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه، إلَّا اللهم ما

(١) المهذب في علم أصول الفقه المقارن لعبد الكريم النملة(٥/ ٢٣٢٠-٢٣٢١).

(٢) القياس :(«هو إلحاق واقعة لا نصَّ على حكمها بواقعة ورد نصٌّ بحكمها، في الحكم الذي ورد به النصُّ، لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم» والاستحسان : «هو عدول المجتهد عن مقتضى قياس جلي إلى مقتضى قياس خفي، أو عن حكم كلي إلى حكم استثنائي لدليل انقدح في عقله رجَّح لديه هذا العدول»).[علم أصول الفقه- لعبد الوهاب خلاف (ص٥٢، ٧٩)].

(٣) المهذب في علم أصول الفقه المقارن لعبد الكريم النملة (٥/ ٢٣٢١).

(٤) ينظر :الفقه الاسلامي للشيخ جاد الحق(ص١٤١-١٤٢)،ومن ضوابط التجديد الفقهي الاسلامي -أ.د.حسن السيد(ص٢٢-٢٣).

ندر، ولم يصنعه المسلمون بإرادتهم وعقولهم وأيديهم سوى النزر اليسير منه، وإنما أكثر واقعهم صنع لهم، وفرض عليهم، في زمن غفلة وضعف وتفكك منهم، فورثه الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، وبقي الأمر كما كان.

وعليه فالتجديد من حيث صلته بواقع المسلمين يجب أن يكون ذات صلة وثيقة بمصالحهم التي لا تتعارض مع شريعة الاسلام، حتى يكون واقعًا يجمع بين محكمات الشرع الحنيف، وبين مقتضيات العصر ومتطلباته، وهذا يقتضي مراعاة ما يأتي:

١- الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبالأخذ بالجديد النافع الذي يحقق مصالح العباد والبلاد ،والتمسك بالقديم الصالح.

٢- أن نأخذ من أنظمة الغير ما يتفق مع شريعتنا، وتحقيق المصلحة لمجتمعنا المسلم بما يناسب قيمه ومعتقداته الدينية، ولا يتعارض مع ثوابت الإسلام ونصوصه القطعية.

٣- مراعاة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان ،وعدم افتعالها لإضفاء الشرعية على ما يوهم بأنَّه من التجديد والاجتهاد الصحيح ،من دون ضوابط شرعية تحدد مسلكه السوي.

٤- يراعى في التجديد الاعتدال، والعلم، والورع ؛لأنَّ الاعتدال هو العاصم من الغلوِّ والتفريط، والعلم هو العاصم من الجهل والخطأ، والورع هو العاصم من الضلال والهوى.[1]

(١) ينظر: الفقه الاسلامي بين الاصالة والتجديد للقرضاوي(ص٤٦-٤٧)،والاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط للقرضاوي (ص٩١)، ومن ضوابط التجديد الفقهي الاسلامي - أ.د. حسن السيد(ص٢٣-٢٤).

ةةةةةة ةةةةةة: ةة ةةةة ةةةةةةة ةةةة ةةةةٌ ةةةةة ةة ةةةةة ةةةةة ةةةةةة ةةةةةة.

إنَّ كلَّ تجديدٍ لا يقوم على أصول ثابتة، ولا على قواعد عاصمة، محكوم عليه بالفشل والانحراف، وهو ليس غاية بحدِّ ذاته، وإنَّما هو وسيلة لمواكبة الفقه للواقع، والالتزام به، فإذا لم يجد الاجتهاد مجالًا للتطبيق، فلا جدوى منه إلَّا إذا ترجم إلى سلوك عملي وواقع حياة، فالتطبيق العملي هو الذي يثبت صلاحيته للحياة، ويكشف به عمَّا به من سلبيات يمكن معالجتها؛ لتصبح أكثر ملائمة للعمل بها، وأكثر تأثيرًا في الواقع وجلبة لمصلة العباد والبلاد، فإذا وجدت المصلحة فثمَّ شرع الله، وذلك فيما لم يرد فيه نصٌّ قاطع، ولم يعارض حكمًا شرعيًّا مقررًا، فيجب أن يشمل التجديد كلَّ نواحي الحياة، وفقًا لضوابط المنهج الإلهي، من دون إفراط ولا تفريط.[1].

❊ ❊ ❊

(١) ينظر: الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط للقرضاوي (ص٩٤-٩٥)، ومن ضوابط التجديد الفقهي الاسلامي -أ.د. حسن السيد(ص٢٣٤-٢٤٥).

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةة ةةةةةةةة

علم المواريث أو الْفَرَائِضَ مِنْ أَهَمِّ الْعُلُوم بَعْدَ مَعْرِفَةِ أَرْكَانِ الدِّينِ، وهو علم قرآنيٌّ، إذ تولَّاه الله تعالى وقدَّره بنفسه، فلم يترك مجالًا للاجتهاد فيه كبيرًا سوى ما كان مستنبطًا على وفق ضوابط التجديد الفقهي والاجتهاد الآنفة الذكر[1]؛ ولأَهميَّة هذا المبحث كان على خمسة مطالب:

ةةةةةة ةةةةة: ةةةةة ةةة ةةةةةةةة ةةة ةةةةةةةً

علم المواريث لغة: المواريث في الأصل جمع ميراث، وهو مِن ورِثَ يَرِثُ وراثَة وميراثًا. ولفظ ميراث يطلق على معنيين، أحدهما: البقاء، والآخر: انتقال الشيء من قوم إلى آخرين، فتقول: وَرِثَ فلانٌ أَباه يَرِثُهُ وِراثَةً ومِيراثًا، أي انتقل مال الأب إليه، وأَوْرَثَ الرجلُ وَلَدَهُ مَالًا إِيراثاً حَسَناً، أي: بَعد موتِهِ فانتقلَ الميراثُ إلى ولدِهِ، وَيُقَالُ: وَرِثْتُ فُلَانًا مَالًا، أي: صار له بعد انتقاله إليه وِراثَة .[2]

علم المواريث اصطلاحًا: هو علم اختصَّ بدراسة الإرث أو الميراث، وللفقهاء في مفهوم الميراث تعاريف عدَّة، من أهمِّها:

١- الميراث عند الحنفية هو: (انْتِقَالُ مَالِ الْغَيْرِ إِلَى الْغَيْرِ عَلَى سَبِيلِ الْخِلَافَةِ).[3]

---

(١) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢٩/ ١٣٦)،والاختيار في تعليل المختار للموصلي(٥/ ٨٥).
(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور(٢/ ١٩٩-٢٠٠).
(٣) الاختيار لتعليل المختار للموصلي (٥/ ٨٥).

٢- الميراث عند المالكية: (وَهُوَ الْفِقْهُ الْمُتَعَلِّقُ بِالْإِرْثِ، وَعِلْمُ مَا يُوَصِّلُ لِمَعْرِفَةِ قَدْرِ مَا يَجِبُ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ فِي التَّرِكَةِ).[١]

٣- الميراث عند الشافعية: (بأنَّه فقه المواريث، وعلم الحساب الموصل إلى معرفة ما يخص كل ذي حق من التركة).[٢]

٤- الميراث عند الحنابلة: (هِيَ مَعْرِفَةُ الْوَرَثَةِ وَسِهَامِهِمْ، وَقِسْمَةُ التَّرِكَةِ بَيْنَهُمْ).[٣]

ومن خلال تعاريف الفقهاء التي مرَّت بنا، فالتعريف المختار لعلم المواريث من مجموعها، بأنَّه: العلم المختصُّ بدراسة قسمة التركات ،وما يجب لكلِّ مستحقٍّ فيها شرعًا، وتوسلًا بعلم الحساب.

ةةةةةة ةةةةةة: ةةةةةةة ةةة ةةةةة

إنَّ لعلم المواريث ألفاظًا ذات صلة، من أهمِّها علم الفرائض، والفريضة لغة: لها إطلاقات عدَّة، من أهمِّها:

١- الواجب: قال ابن منظور:(فرَضْت الشَّيْءَ أَفْرِضه فَرْضاً وفَرَّضْتُه لِلتَّكْثِيرِ: أَوْجَبْتُه... وفَرائضُ اللهِ: حُدودُه الَّتِي أَمرَ بِهَا ونهَى عَنْهَا، وَكَذَلِكَ الفَرائضُ بالمِيراثِ... وفرَض اللَّهُ عَلَيْنَا كَذَا وَكَذَا وافْتَرَضَ أَي أَوْجَب....).[٤]

٢- التقدير: قال الفيومي:(وَفَرَضَ الْقَاضِي النَّفَقَةَ فَرْضًا أَيْضًا قَدَّرَهَا وَحَكَمَ بِهَا وَالْفَرِيضَةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ وَالْجَمْعُ فَرَائِضُ قِيلَ اشْتِقَاقُهَا مِنْ الْفَرْضِ الَّذِي هُوَ

(١) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحطاب(٦/ ٤٠٦).
(٢) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للبكري(٣/ ٢٦١).
(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٧/ ٣٠٣).
(٤) لسان العرب (٧/ ٢٠٢).

التَّقْدِيرُ لِأَنَّ الْفَرَائِضَ مُقَدَّرَاتٌ).[1]

ومِمَّا تقدَّم تبين أنَّ هنالك فرقًا لغويًا بين معنى الميراث ومعنى الفريضة، فالميراث قد ينتقل الى الوارث من غير تقدير أو وجوب، بينما الفريضة تكون مقدرة في كتاب الله وواجبة حتمًا، فبين الفريضة والميراث عموم وخصوص مطلق، فكلُّ فريضة من الله تعالى مقدَّرة في كتابه العزيز وجوبًا، هي من الميراث، وليس العكس، بفارق أنَّ هنالك من الميراث لم يقدَّر، لا في الكتاب ولا في السنَّة، وإنَّما كان محض اجتهادٍ من الصحابة رضي الله عنهم ، مثل تقدير ثلث الباقي للامِّ عند اجتماعها مع أحد الزوجين ومع الاب[2]، وعليه يكون تعريف علم الفرائض أخصَّ من علم المواريث اصطلاحًا؛ بناءً على الفارق اللغوي والاصطلاحي بين الفريضة والميراث، ولكنَّ الترادف بينهما أصبح حقيقة عرفيَّة[3]، فمتى ما أُطلقَ أحدهما منفردًا قُصدَ الآخرُ بكلِّ متعلقاته، ومتى ما اجتمعا معًا اختصَّ علم الفرائض بالفروض المقدَّرة في كتاب الله العزيز، وفي السنَّة الصحيحة، وعمَّ علم المواريث ليشمل ما ثبت من دونه بالاجتهاد، بالإضافة إلى ما اشتمل عليه.[4]

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (٢/ ٤٦٩).

(٢) ينظر: شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة للمارديني(١/ ١٤٢-١٤٥).

(٣) الحقيقة العرفية:(وهي: قول خُصَّ في العُرف ببعض مسمَّياته وإن كان وضعها للجميع حقيقة، وهي: إما أن يكون للاسم معنيان، فيستعمله أهل اللغة لمعنى واحد فقط دون الآخر، أو يخصِّصونه به، ويعرف بينهم، مثل لفظ "الدابة"، فإنه خصِّص في العرف للفرس ،ولكل ذات حافر، مع أنَّه يطلق في اللغة على كلِّ ما يدبَّ على الأرض، وإما إن يشيع استعمال الاسم في غير ما وضع له أصلاً بحيث لا ينكره أحد، كلفظ " الغائط " فإنه يطلق لغة على المطمئن والمنخفض من الأرض، ثمَّ استعمل عرفاً في الخارج المستقذر من الإنسان، وهذا الاستعمال وإن كان مجازاً إلا أنَّه اشتهر وشاع حتى صار هو المتبادر إلى الفهم عند الإطلاق، ونُسي الأول).[الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح لعبد الكريم النملة (ص:١٨٠- ١٨١)].

(٤) ينظر: الاختيار لتعليل المختار للموصلي (٥/ ٨٤-٨٥)، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ

والله تعالى أعلم.

ةةةةةة ةةةةةة: ةةةةً ةةة ةةةةةةةة ةةة ةةةةةة ةةةةةة

تبرز أهميَّة هذا العلم في نقاط عدَّة، أذكر أهمَّها، على النحو الآتي:

١- إنَّ الله تعالى واضع هذا العلم، فقد تولَّى تقسيم الفرائض في كتابه العزيز بنفسه، ولم يتركها لنبيٍّ مرسل، ولا لملك مقرَّب[١]، فقد قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ... ﴾، إلى أن قال سبحانه في نهاية الآية نفسها: ﴿ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[٢].

وجه الدلالة :

أنَّ الله تعالى قدَّر الفرائض في كتابه العزيز، وأوجبها كما هي من دون زيادة ولا نقصان مسموح لنا بهما؛ لأنَّه أعلم بمصالح العباد.[٣]

٢- إنَّ النَّبيَّ ﷺ حثَّ على تعلمه وتعليمه، فقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهَا، فَإِنَّهُ نِصْفُ الْعِلْمِ وَهُوَ يُنْسَى، وَهُوَ أَوَّلُ شَيْءٍ يُنْزَعُ مِنْ أُمَّتِي)[٤]، وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ:

المنهاج(٤/ ٦-٧).

(١) ينظر: العذب الفائض شرح عمدة الفارض للمشرقي الحنبلي(١/ ٩).

(٢) سورة النساء - من الآية ١١

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٢)، ومفاتيح الغيب للرازي (٩/ ٥١٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه-كتاب الفرائض-باب الحثِّ على تعليم الفرائض-(٢/ ٩٠٨) ح(٢٧١٩)،وقال عنه ابن الملقن:(رواه ابن ماجه، والحاكم، والبيهقي، وقال: تفرد به حفص بن عمر وليس بالقوي.قلت: بل واه فقد رماه يحيى النيسابوري بالكذب. وقال البخاري: منكر الحديث).[خلاصة البدر المنير (٢/ ١٢٨)].

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ، وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهَا النَّاسَ، فَإِنِّي امْرُؤٌ مَقْبُوضٌ، وَإِنَّ الْعِلْمَ سَيَنْقُصُ حَتَّى يَخْتَلِفَ الِاثْنَانِ فِي الْفَرِيضَةِ، فَلَا يَجِدَانِ مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا).[1]

٣- حثُّ الصحابة رضي الله عنهم على تعلم هذا العلم وتعليمه، فقد قال عمر رضي الله عنه: (تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ دِينِكُمْ)[2]، وروي عنه أيضا، عَنْ قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: (كَتَبَ عُمَرُ: « إِذَا لَهَوْتُمْ فَالْهُوا بِالرَّمْيِ، وَإِذَا تَحَدَّثْتُمْ فَتَحَدَّثُوا بِالْفَرَائِضِ).[3]

٤- اعتنى السلف الصالح عمومًا في هذا العلم حتى كثرت مناظراتهم وأجوبتهم وفروعهم فيه أكثر من غيره من العلوم، فمن استكثر منه فقد اهتدى بهداهم رضي الله عنهم ، والاعتناء به فيه خيري الدين والدنيا ،وفي إهماله وتضييعه مفسدة فيهما، أما ما يتعلق في تضييعه من جهة الدين ؛فلأنَّه من فروض الكفاية، فإذا أُضيع وأُهمل، فقد أُثم الجميع ، وأمَّا ما يتعلق في تضييعة من جهة الدُّنيا؛ فلأنَّ في إهماله وعدم تقسيم التركة بموجبه، وكما أراد الله تعالى، فيكون ذلك بمثابة أخذ الأموال بغير استحقاقها، ممَّا يفضي ذلك إلى التهارج والتقاتل، بسبب النزاع وفتنة اتباع الهوى ومخالفة الشرع، وكلُّ ذلك منهيٌّ عنه.[4]

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين-كتاب الفرائض-(٤/ ٣٦٩)ح(٧٩٥٠)- وقال عنه:(هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وَلَهُ عِلَّةٌ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بِشْرِ بْنِ مُوسَى، عَنْ هَوْذَةَ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ عَوْفٍ -التعليق - من تلخيص الذهبي-٧٩٥٠ - صحيح).[المصدر نفسه].

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى-كتاب الفرائض-باب الحث على تعليم الفرائض-(٦/ ٣٤٤) ح(١٢١٧٨)

(٣) أخرجه البيهقي في المصدر نفسه.

(٤) ينظر: العذب الفائض(١/ ١٢).

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةةة ة ةة ةةة ةةةةةةةة

ةةةةةة ةةةةة: ةةةةةةة ة ةةةةة ةةة ةةةةةةةة

إنَّ المشهور في تسمية العلم الذي يبحث في قسمة التركة وحسابها وتوزيعها على مستحقيها من الوارثين، هو علم المواريث أو علم الفرائض، على التفصيل الذي ذكرناه آنفًا، ولم أجد من متقدمي الفقهاء ومتأخريهم من الفرضيين، من أطلق على هذا العلم غير هذين التسميتين، إلاَّ أنِّي وجدت من يطلق عليه من المتأخرين، بأنَّه علم التركات[1]، والتركة لغة هي: الميراث المتروك من قبل المورِّث، قال الزبيدي: (وتَرِكَةُ الرَّجُلِ المَيِّتِ كفَرِحَة: مِيراثُه، وَهُوَ الَّذِي يُخَلِّفُه بعدَ المَوْتِ وَهُوَ فَعِلَةٌ بِمَعْنى المَفْعُولِ، أَي: الشيءُ المَتْرُوكُ)[2]، والتركة اصطلاحًا:(ما ترك الإنسان صافيًا خاليًا عن حق الغير).[3]

والتركة في حقيقة الأمر، هي موضوع علم المواريث أو علم الفرائض، فكيف يسعنا أن نطلق موضوع الشيء على اسمه؟، فذلك لا يستقيم إلاَّ إذا قدَّرنا محذوفًا، فيكون حينئذٍ بعد التقدير: علم قسمة التركات، فيصدق الاسم في هذه الحالة على المسمَّى.[4]

(١) ينظر: الأساليب الحسابية في حلِّ المسائل الإرثية (قديمًا وحديثًا)-دراسة تطبيقية- رسالة ماجستير - مولود الراوي- (ص١١).
(٢) تاج العروس للزبيدي (٢٧/ ٩١).
(٣) التعريفات للجرجاني (ص: ٥٦).
(٤) ينظر: التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية- للباجوري (ص٤٣-٤٤).

والتجديد في الفقه الاسلاميِّ عمومًا، وفي المصطلحات الفقهية خصوصًا، لا بأس به بحسب الضوابط التي مرَّت علينا آنفًا، وما دام الاسم يصدق تمامًا على مسمَّاه ويبرز خصائصه، قال د. يوسف القرضاوي:(إنَّما التجديد الحقُّ، هو تنمية الفقه الإسلامي من داخله، وبأساليبه هو، مع الاحتفاظ بخصائصه الأصليَّة، وبطابعه المميَّز).[1]

وعليه، فإنَّ علم المواريث يمكن أن نطلق عليه اسمًا جديدًا، وهو العلم الثلاثيُّ، وقد وجدتُ من قد نوَّه بهذا الاسم من المتقدِّمين باحتياج هذا العلم إلى ثلاثة علوم، ومن المتأخرين بإطلاقه بأنَّه ثلاثيٌّ.

أمَّا من المتقدِّمين فقد قال الشربينيُّ:(وَعِلْمُ الْفَرَائِضِ يَحْتَاجُ كَمَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عَنْ الْأَصْحَابِ إلَى ثَلَاثَةِ عُلُومٍ:عِلْمِ الْفَتْوَى بِأَنْ يُعْلَمَ نَصِيبُ كُلِّ وَارِثٍ مِنْ التَّرِكَةِ، وَعِلْمِ النَّسَبِ بِأَنْ يُعْلَمَ الْوَارِثُ مِنْ الْمَيِّتِ بِالنَّسَبِ وَكَيْفِيَّةِ انْتِسَابِهِ لِلْمَيِّتِ،وَعِلْمِ الْحِسَابِ بِأَنْ يُعْلَمَ مِنْ أَيِّ حِسَابٍ تَخْرُجُ الْمَسْأَلَةُ).[2]

وأمَّا من المتأخرين، فقد قال الشيخ ابن عثيمين:(هذا العلم يمكن أن نقول: ثلاثي، أسبابه ثلاثة، موانعه ثلاثة، شروطه ثلاثة، أقسام الميراث به ثلاثة أيضاً).[3]

وباستقراء أهمِّ كليَّات علم المواريث أو علم الفرائض وجزئياته، فقد تبيَّن بأنَّ أغلبها ثلاثيَّة العدد، وعلى النحو الآتي:

أمَّا مصادر تشريعه، فهي ثلاثة[4]، وهي:

١- الكتاب.

(١) الفقه الاسلامي بين الاصالة والتجديد- د. يوسف القرضاوي (ص٢٨).
(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٤/ ٧)
(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١١/ ٢٠٤).
(٤) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢٩/ ١٣٨).

٢- السنَّة.

٣- الإجماع.

وأمَّا أصناف الوارثين فيه، فهي ثلاثة[١]، وعلى النحو الآتي:

١- أصحاب الفروض المقدَّرة في كتاب الله تعالى.

٢- أصحاب العصبات، وهم ثلاثة أنواع أيضا:(عصبة بالنفس، عصبة بالغير، عصبة مع الغير).

٣- ذوو الأرحام.

وأمَّا أركانه[٢]، فهي ثلاثة[٣]، على النحو الآتي:

١- المورِّث: وهو الميت أو الملحق بالأموات.

٢- الوارث: وهو الحيُّ بعد المورِّث ،أو الملحق بالأحياء.

٣- حقٌّ موروث: وهو سواء أكان حسِّيًا كالأموال المنقولة وغير المنقولة، أم كان معنويًا كالخيار والشفعة والقصاص وغيرها.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) قال الجرجاني: (ركن الشيء: لغةً: جانبه القوي فيكون عينه، وفي الاصطلاح: ما يقوم به ذلك الشيء من التقوُّم؛ إذ قوام الشيء بركنه؛ لا من القيام؛ وإلا يلزم أن يكون الفاعل ركنًا للفعل، والجسم ركنًا للعرض، والموصوف للصفة. وقيل: ركن الشيء ما يتم به، وهو داخل فيه، بخلاف شرطه، وهو خارج عنه).[التعريفات (ص:١١٢)].

(٣) ينظر: فتح القريب المجيب بشرح كتاب الترتيب – للشيخ الشنشوري (١/ ٩)، والعذب الفائض شرح عمدة الفارض للمشرقي الحنبلي(١/ ٢٣).

وأمَّا شروطه[1]، فهي ثلاثة[2]، وعلى النحو الآتي:

١- تحقُّق موت المورِّث عيانًا بالمشاهدة، أو إلحاقه بالأموات حكمًا في المفقود وتقديرًا في الجنين.

٢- تحقُّق حياة الوارث حياة مستقرَّة بعد موت مورِّثه، أو إلحاقه بالأحياء تقديرًا في الجنين الذي انفصل حيًّا عن أمِّه وأُلحق بمن نسب إليه، بعد تحقُّق وجوده قبل موت مورِّثه ولو كان نطفة.

٣- العلم بالجهة المقتضية للإرث وبالدرجة، من زوجية أو غيرها، مع تعين جهة القرابة، من بنوة أو أبوَّة أو غيرهما.

وأمَّا أسبابه[3] المجمع عليها، فهي ثلاثة[4] أيضا، وعلى النحو الآتي:

١- النِّكاح الصَّحيح.

٢- ولاء العَتَاقة.

٣- القرابة.

---

(١) قال عبد الوهاب خلاف:(الشرط: هو ما يتوقف وجود الحكم على وجوده ويلزم من عدمه عدم الحكم. والمراد وجوده الشرعي الذي يترتب عليه أثره. فالشرط أمر خارج عن حقيقة المشروط يلزم من عدمه عدم المشروط، ولا يلزم من وجوده وجوده).[علم أصول الفقه(ص: ١١٨)].

(٢) ينظر: فتح القريب المجيب بشرح كتاب الترتيب – للشيخ الشنشوري (١/ ٩)، والعذب الفائض شرح عمدة الفارض للمشرقي الحنبلي(١/ ٢٣-٢٥).

(٣) قال عبد الوهاب خلاف:(السبب هو: ما جعله الشارع علامة على مسببه وربط وجود المسبَّب بوجوده وعدمه. فيلزم من وجود السبب وجود المسبَّب، ومن عدمه عدمه، فهو أمر ظاهر منضبط، جعله الشارع علامة على حكم شرعي هو مسبِّبه، ويلزم من وجوده وجود المسبَّب، ومن عدمه عدمه). [علم أصول الفقه (ص: ١١٧)].

(٤) ينظر: شرح الرحبية للماردِيني مع الدرَّة البهية لمحمد محيي الدِّين عبد الحميد (ص١١-١٢).

وأمَّا موانعه[1]، فهي ثلاثة[2] كذلك، وعلى النحو الآتي:

١- الرِّقُّ بجميع أنواعه، فلا يرث العبيدُ، ولا الإماء.

٢- القتل، فلا يرث القاتلُ مقتولَهُ.

٣- اختلاف الدِّين بالإسلام والكفر، فلا توارث بين المسلم وغير المسلم.

وإذا نظرنا إلى الفروض المقدَّرة في كتاب الله تعالى، نجدها على مجموعتين، مجموعة النِّصف ومجموعة الثلثين، وكلَّ مجموعة متكونة من ثلاثة أنواع، أمَّا المجموعة الأولى، فتتكون من :

١-النِّصف .

٢- نصفُ النِّصفِ ،وهو الربع.

٣- نصفُ نصفِ النِّصف، وهو الثمن، وأمَّا المجموعة الثانية، فتتكون من:

١- الثلثان.

٢- ونصفهما، وهو الثلث.

٣- ونصف نصفهما، وهو السدس.[3]

وأمَّا بالنسبة إلى الحجب، فستة لا يحجبون حجب حرمان أبدًا، وهم: الأب والأم، والزوج والزوجة، والابن والبنت[4]، والأخوة الأشقاء وأخواتهم، يحجبهم ثلاثة فقط: الابن، وابنه، والأب، عند جمهور الفقهاء، وأولاد الأمِّ(الأخوة والأخوات

(١) قال عبد الوهاب خلاف:(المانع: هو ما يلزم من وجوده عدم الحكم، أو بطلان السبب، فقد يتحقق السبب الشرعي وتتوافر جميع شروطه ؛ولكن يوجد مانع يمنع ترتب الحكم عليه).[علم أصول الفقه(ص١٢٠-١٢١)].

(٢) ينظر: شرح الرحبية للماردِيني مع الدرَّة البهية لمحمد محيي الدِّين عبد الحميد (ص١٣-١٥).

(٣) ينظر: شرح السراجية للجرجاني(ص٢٦-٢٧).

(٤) ينظر: إرشاد الفارض إلى كشف الغوامض في علم الفرائض والمواريث(ص١٢٨).

من الأمِّ) يحجبهم ستة إجماعًا، وهم: الابن، وابنه مهما نزل، والأب، والجدُّ مهما علا، والبنت، وبنت البنت، مهما نزل أبوها، والعدد «٦» هو ضعف العدد «٣»،كما هو معلوم.[١]

وإذا نظرنا إلى أصحاب الفروض والعصبات، من الذكور فقط، نجدهم خمسة عشر نفرًا ،ولو نظرنا إلى أصحاب العصبات من الذكور والاناث معًا، نجدهم أثنى عشر نفرًا ،ولو نظرنا إلى أصحاب الفروض من الإناث فقط، نجدهم تسعة إناث ،والأعداد: «١٥» ،«١٢» ،«٩» نجدها كلَّها من مضاعفات الرقم«٣»[٢]، واذا ما أراد الفرضيُّ أن يحلَّ أيَّ مسألة من مسائل الميراث، فلابدَّ أن يحتاج مبدئيًّا إلى ثلاثة حقول لحلِّها: أحدها: يذكر فيه أنصباء الورثة، والثاني: الوارثين أنفسهم، والثالث: أصل المسألة، وهكذا سنجد أنَّ الرَّقم «٣» مرافقٌ لعلم المواريث أو الفرائض في أغلب تفاصيله وأموره المهمَّة، فإذا ما أردنا أن نطلق عليه اسمًا جديدًا، وهو العلم الثلاثي، بعد هذا الاستقراء، فإنَّه يصدق على مسمَّاه في أغلب أفراده، والغرض من هذه التسمية الجديدة، هو إبراز أهميَّة هذا العلم، لا أن يكون بديلًا عن تسميته المعروفة، وثمرة ذلك تظهر عندما يستعرض طالب هذا العلم جزئياته كيف تكون ثلاثيَّة في أغلبها حتى أُطلق على هذا العلم بسببها بالثلاثيِّ، فيكون ذلك مدعاة إلى متابعته وحصر أهمِّ جزئياته من خلال هذا التصنيف الثلاثيِّ.والله تعالى أعلم.

ةةةةةة ةةةةةة: ةةةةةة ةة ةةةةةة ةةةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةةةة

(١) ينظر:شرح الرحبية للماردِيني(ص١٦-١٧)،وكتاب الترتيب- للشنشوري(١/ ٦٧)،والعذب الفائض(١/ ١٣٤).

(٢) ينظر: شرح السراجية للجرجاني(ص٢٦-٢٧).

إنَّ أبرز الطرق المتبعة في التدريس، في كليات الشريعة عمومًا،ولاسيَّما في الفقه الاسلامي، وخصوصًا في علم المواريث والفرائض،هو الطريق التقليدي بالاعتماد على المحاضرة والتلقين وحشو الأذهان،من دون أن يكون للطالب فيه دور في المشاركة الفعلية في تكوين بنية معرفية متماسكة،أو التعبير عن رأيه ولو قليلًا؛لذلك نحتاج إلى إعادة النظر في الأساليب المطبقة في تدريس الفقه الإسلامي وأصوله،من أجل تخريج فقهاء مفكرين ومنظرين، لهم قدرة على الاستنباط، وإيجاد الحلول الشرعية للنوازل، لا نقلة فقه، ليس للعقل والتفكير فيه دور، سوى في كيفية شحنه بالمعلومات، وتفريغه منها،وتلقينها للآخرين؛ لذا نحتاج إلى ضرورة الاستفادة من أساليب التدريس ووسائله الحديثة في تدريس الفقه الاسلامي عمومًا،مع ضمان جودة المعلومة ووصولها للطالب بصورة صحيحة[1]، ومن أهمِّ هذه الوسائل الحديثة الخرائط المفاهيمية،التي يمكن تعريفها بأنَّها: (عبارة عن شكل تخطيطي يربط المفاهيم ببعضها البعض،عن طريق خطوط أو أسهم يكتب عليها كلمات تعرف بكلمات الربط، تبين العلاقة بين مفهوم وآخر، وعند إعداد هذه الخرائط يراعى وضع المفاهيم الأكثر عمومية في قمة الشكل، ثمَّ تتدرج إلى المفاهيم الأقل فالأقل)[2].

ةةةةة ةةةةة: ةةةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةةة ةةةٍةةةةة.

إنَّ استراتيجية الخرائط المفاهيمية ذات أهمِّية بالغة في العملية التعليمية،وذلك؛

(١) ينظر: مشكلات طلبة كليات الشريعة في الجامعات الأردنية الرسمية، وعلاجها من منظور إسلامي- إبراهيم الزعبي- (ص٥١، ٧٨-٧٩).

(٢) اثر تدريس استراتيجية خرائط المفاهيم للشكل (vee) في تحصيل وتنمية التفكير الابداعي لدى طالبات الصف الرابع الادبي في مادة قواعد اللغة العربية- د. اميرة محمود خضير-(ص٩٧).

لأنَّها[1]:

١. تساعد الطلبة على تعلمهم كيف يتعلمون، مما يؤدي إلى تنمية المهارات العقلية لديهم، وتزيد من قدرتهم على التفكير.

٢. تسهل حدوث التعلم ذي المعنى، بحيث يقوم الطلبة بربط المعرفة الجديدة بالمفاهيم السابقة التي لها علاقة بالمعرفة الجديدة.

٣. تجعل الطلبة قادرين على تعلم المفاهيم ومعرفة العلاقات وأوجه الشبه والاختلاف، مما ييسر تعلمها .

٤. تقود الطلبة إلى المشاركة الفعلية في تكوين بنية معرفية متماسكة متكاملة مرتبطة بمفهوم أساسي.

٥. توفير قدر من التنظيم الذي يُعد جوهر التدريس الفعال، وذلك بمساعدة الطلبة على رؤية المعرفة المفاهيمية الهرمية الترابطية.

٦. تعمل على تنمية التفكير الإبتكاري لدى الطلبة، وتصحيح المفاهيم الخطأ لديهم.

٧. تساعد على توضيح بنية المادة في صورة شبكة مفاهيم تمكن الطلبة من فهم المادة واستيعابها بصورة أفضل.

---

(١) ينظر: أثر استخدام خرائط المفاهيم في تحصيل المفاهيم الشرعية وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى الطلبة في مادة التربية الإسلامية- ماجد زكي- مجلة جامعة الملك سعود م ١٨- العلوم التربوية والدراسات الإسلامية(٢، ١٤٢٦/ ٢٠٠٦)-(ص٦١١-٦١٢)- وأثر التكامل بين استراتيجيتي التدريس البنائيتين: دورة التعلم والخارطة المفاهيمية في فهم الطلبة للمفاهيم العلمية واتجاهاتهم نحو العلم وإدراكاتهم للبيئة التعليمية الصفية- شريف سالم اليتيم- أطروحة دكتوراه- الجامعة الأردنية- ٢٠٠٦م-(ص٣-٤)، وأثر التدريس بطريقتي حل المشكلات والخرائط المفاهيمية في اكتساب المفاهيم العلمية وتنمية مهارات التفكير الإبداعي والاتجاهات العلمية لدى الطلبة -وليد عبد الكريم صوافطة-أطروحة دكتوراه- جامعة عمان العربية للدراسات العليا،٢٠٠٥م- (ص ٣٤-٣٥).

٨. تساعد خرائط المفاهيم الطلبة على مواجهة التحديات التي تواجههم عند تعلمهم مادة دراسية معينة، وتكوين علاقات بين المفاهيم، ومعرفة كيف يتعلمون.

٩. تساعد خرائط المفاهيم على التنظيم الهرمي للمعرفة، ومن ثمّ يتبعها تحسين في قدرة الطلبة على استعمال المعلومات الموجودة لديهم.

١٠. تزود الطلبة بملخص تخطيطي مركز لما تعلموه.

١١. تساعد على الفصل بين المعلومات الهامة والمعلومات الهامشية.

١٢. تساعد المعلم على معرفة سوء الفهم الذي قد ينشأ عند الطلبة .

١٣. تساعد المعلم على التركيز حول الأفكار الرئيسة للمفهوم الذي يقوم بتدريسه.

١٤. تساعد على بقاء أثر التعلم لأطول مدّة .

١٥. تقلل القلق عند الطلبة وتغير اتجاهاتهم نحو المفاهيم الصعبة.

ةةةةة ةةةةةة: ةةةةة ةةةة ةةةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةةة:

أمَّا خطوات بناء استراتيجية الخرائط المفاهيم، فهي على النحو الآتي[1]:

١- تحديد الموضوع.

٢- قراءة الموضوع واستخراج المفاهيم الأساسية فيه.

٣- كتابة المفاهيم على السبورة أو جهاز العرض الرأسي أو الحاسب الآلي.

٤- ترتيب المفاهيم من العام إلى الخاص.

٥- استعمال الترتيب كدليل لبناء الخرائط المفاهيمية على شكل خطٍّ عموديٍّ، بحيث توضع المفاهيمُ الأعمُّ في القمَّة، والمفاهيم الفرعية المرتبطة بالمفهوم الرئيسِ في الأسفل.

(١) ينظر:المصادر السابقة،والضوابط العلمية لدراسة وتجديد الفقه الإسلامي- د.علي جميل خلف- (ص١٧).

٦- وضع المفاهيم في مربعات أو أشكال بيضاوية أو أشكال دائرية والربط بينها بخطوط.

٧- وضع الجمل أو الكلمات المناسبة على الخطوط لوصف العلاقة أو الرابطة بين المفاهيم.

٨- تعديل خرائط المفاهيم في ضوء التغذية الراجعة الناتجة من المتعلمين.

٩- إعطاء المتعلمين وقتا كافيا لقراءتها وتأملها واستخلاص النتائج منها.

١٠- إجراء تقويم ختامي؛ للتأكد من تنظيمها وترتيبها وفهم المتعلمين لها.

ةةةةة ةةةةة: ةةةةة ةةةةة ةةةةةةةةة ةةةةةة ةةةةةةة ةة ةةة ةةةةةةة

للخرائط المفاهيمية أنواع عدَّة، وأشكال مختلفة، وهذه أهمُّها، وعلى النحو الآتي:

ةةةً- ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةة ةةة ةةة ةةةةةة ةةةة ةةةة ةةةة [1]:

(١) ينظر: العذب الفائض شرح عمدة الفارض – للمشرقي الحنبلي(١/ ١٠١).

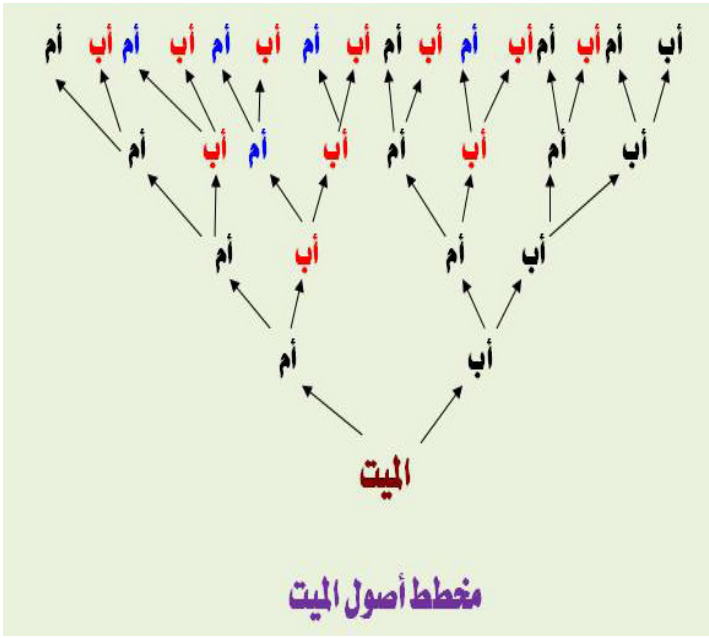

ةةةةً- ةةةةة ةةةةةةةةة ةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةٍ:

يستفاد منها في حصر الموضوع المراد معرفته لكل أفراده ،وهذه خريطة ذات محاور متعدِّدة، تبيِّن الوارثين من الرِّجال والنِّساء بالفرض والتعصيب[1] وعلى النحو الآتي:

ةةةةةةة ةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةًةة ةة ةةة ةةة ةةةة ةةة

(١) الفرض والتعصيب هما نوعا الإرث المجمع عليهما، ولا ثالث لهما، فالفرض: هو نصيب الوارث بالفروض المقدَّرة الستة في كتاب الله تعالى، وهي:(١/ ٢ - ١/ ٤- ١/ ٨- ١/ ٣ - ١/ ٦ - ٢/ ٣)، والتعصيب ،هو: نصيب الوارث المتبقي بعدما يأخذ أصحاب الفروض فروضهم.[ينظر:شرح الرحبية- للماردينى(ص١٦-٣٩)].

ةةةةةةةةة ةةةة ةةةةةةةةة ةةةة ةةة

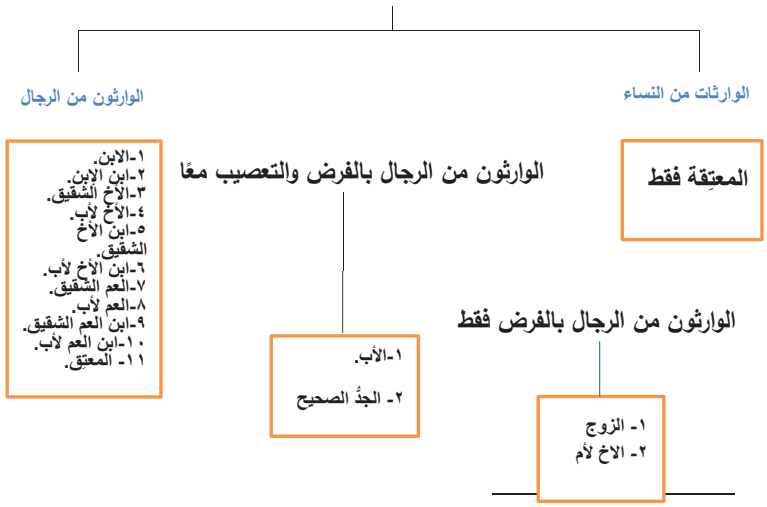

ةةةةً- ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة:

لإبراز العَلاقَةِ بين البنت الواحدة وبنت الابن فأكثر، فتأخذ البنت الواحدة فرضها، وهو النِّصف، وتأخذ بنت الابن فأكثر فرضها، وهو السدس تكملة الثلثين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ،تأخذ الأخت الشقيقة الواحدة فرضها ،وهو النِّصف، وتأخذ الأخت لأب فأكثر فرضها، وهو السدس تكملة الثلثين، كالعَلاقة بين البنت الواحدة وبنت الابن فأكثر آنفًا.

وعَلاقة الأخت الشقيقة والأخت لأب ، سواء أكانت إحداهما متعدِّدة أم منفردة، مع البنت وبنت الابن، سواء أكانت إحداهما متعدِّدة أم منفردة، فبعد أن يأخذن البنات عمومًا فرضهنَّ ،وهو النِّصف في حالة انفرادهنَّ، والثلثان في حالة تعدُّدِهنَّ، وفي حالة انفراد البنت، يكون نصيبها النِّصف، ونصيب بنت الابن فأكثر معها، السدسَ تكملة

الثلثين، ففي كلِّ هذه الأحوال يأخذنَ الأخواتُ معهنَّ بالتعصيب، عصبة مع الغير[1]، وكلُّ ذلك بيانه في آنٍ واحد، في هذه الخريطة الفقاعيَّة ،وقد سمَّيتُها بالمربع الذهبيِّ ؛لأَهمِّيَّتِها في ترسيخ هذه العَلاقات الأربع فيما بينها لدى الطلاب، وقد وجدتُّ أكثرهم يُشكل عليه ضبطها، ممَّا دعاني ذلك إلى ابتكار هذه الخريطة في أثناء تدريسي لهذه المادة لهم، وهي على النحو الآتي:

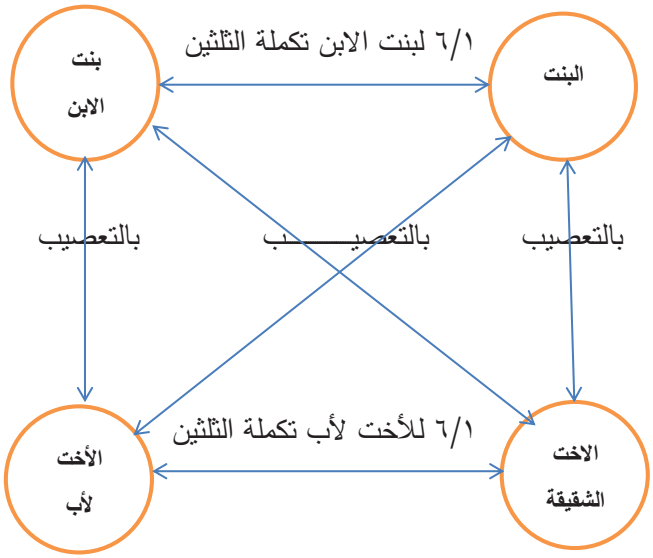

(١) التعصيب على ثلاثة أنواع:عصبة بالنفسأوعصبة بالغيرأوعصبة مع الغيرأأمَّا العصبة بالنفس:فهم المتعصبون من الذكور بأنفسهمأوهم:الابنأ وابن الابن مهما نزلأوالابأ والجد لأب وإن علاأوالأخ الشقيقأ والأخ لأبأوابن الأخ الشقيقأوابن الأخ لأبأ مهما نزلاأوالعمُّ الشقيق أوالعمُّ لأبأ وابن العمِّ الشقيقأوابن العمِّ لأب مهما نزلاأ والمعتقةأ وهي الوحيدة من النساء التي تعصَّبت بنفسهاأ وأمَّا العصبة بالغير:البنات والأخوات عمومًاإذا اجتمعت إحداهنَّ مع أخيها فتتعصب بهأوأما العصبة مع الغير:فالبنات عمومًا يعصبنَ الأخوات عمومًا إذا اجتمعنَ معهنَّ.[ينظر:العذب الفائض(١/ ٨٣-٨٤ أ١٠٨-١١١أ ١٢٠-١٢١أ١٢٥-١٢٦)].

ةةةةةة ةةةةةة ةة
ةةةةةةة ةة ةةةةةةةة ةةةةةةةة ةةةةةةة

اهتمَّ المسلمون القدامى اهتمامًا بالغًا بعلم الحساب؛ وذلك لتعلق كثيرٍ من أسس العبادات والمعاملات في الاسلام بمعرفة الحساب والجبر وعلم الرياضيات عمومًا، كتحديد مواقيت الصَّلاة، وبدايات الأشهر ونهاياتها حسابًا فلكيًّا، ومقدار الزكاة، وقسمة المواريث والغنائم وغيرها.[1]

إنَّ علم المواريث، وما يتطلبه من حساب، كان من الاسباب المباشرة لتطور علم الحساب عمومًا، والذي عاد بالنفع على كلِّ العلوم وعلى البشرية والحضارات كلِّها.[2]

ومن مظاهر التجديد في الأساليب الحسابية لعلم الميراث، ظهور طرق وأساليب حديثة في معالجة العمليات الحسابية في حلِّ مسائله، لم تكن موجودة سابقًا ،واخترت نماذج منها؛ لذا تكوَّن هذا المطلب من أربعة أفرع، وعلى النحو الآتي:

ةةةةة ةةةةة: ةةةةةةة ةة ةةةةةةةة ةة ةةةةة ةةةةةة ةة ةةٍ ةةةةةةة ةةةةةةً

عندما نريد حلَّ أي مسألة في المواريث ،لابدَّ أن نلجأ إلى استعمال النسب الأربع بين الأعداد عمومًا، وهي: «التماثل، والتداخل، والتوافق، والتباين»[3]، وذلك بالمقارنة بين

(١) ينظر: الأساليب الحسابية في حل المسائل الإرثية - مولود الراوي-١٤٣٥هـ -(ص١٤٧-١٤٨).

(٢) المصدر نفسه (ص٣٦٣).

(٣) التماثل : هو أن يتساوى عددانْ فيكون أحدهما مثل الآخر تمامًاْ كأربعة وأربعةْ والتداخل: هو

عددين مفروضين، وما ينتج عنهما نقارنه بالأعداد المتبقية في المسألة إن وجدت، من أجل أن نحصل على أقلِّ عدد يقبل القسمة على جميع الأعداد المفروضة في المسألة، وهو ما يسمَّى بأصل المسألة[1]، وهذه هي الطريقة القديمة في حلِّ مسائل المواريث عمومًا، وما زالت تستخدم حتى اليوم، ولكن استُجدَّت طرقٌ أخرى في حلِّها أسرع من الطرق القديمة وابسط منها ،وهذا واضح جدًّا عند حلِّ المسائل المطوَّلة في المواريث، ومن هذه الطرق الحسابية التي دخلت في عالم المواريث في وقت ليس بالبعيد، هو استخدام المضاعف المشترك البسيط أو الأصغر، والقاسم المشترك الأكبر أو الأعظم[2]، فمثلًا: توفي رجل عن زوجة، وجدَّة، وبنت، وبنت ابن، وأخوين لأم، فإذا أردنا أن نعرف نصيب كلٍّ منهم، فلابدَّ من تحديد أصل المسألة أوَّلًا باستخراجه من مقامات الانصبة

أن يدخل أصغر العددين ضمن الأكبر ؛بحيث يفني أصغرهما أكبرهما؛ لو طرح منه من دون باقي لأكثر من مرَّة؛ كالستة والثلاثة ؛٦-٣=٣-٣=٠؛ والتوافق: هو أن يشترك عددان بعدد ثالث؛ إذا طرح منهما لأكثر من مرَّة لأفناهما تمامًا من دون باقي؛ كالستة والأربعة؛ والتباين: هو أن يختلف العددان؛ بحيث لا يقبل أحدهما القسمة على الآخر من دون باقي ؛لعدم اشتراكهما بعدد ما؛ كالخمسة والأربعة. [ينظر: إرشاد الفارض إلى كشف الغوامض في علم الفرائض والمواريث (ص١٥٨-١٥٩)؛ والعذب الفائض(١/ ٢١٠-٢١١)].

(١) ينظر: شرح الرحبية للماردِيني (ص٥٤-٥٥).

(٢) المضاعف المشترك البسيط ويرمز له "م.م.ب " أو بالأصغر ويرمز له "م.م.أ" : وهو كلُّ عدد يقبل القسمة على عددين فأكثر من دون باق أو كسر؛ ويتم إيجاده بتحليل الأعداد إلى عواملها الأولية ؛ثمَّ ضرب بعضها ببعض؛ فينتج أصغر أو أبسط عدد يقبل القسمة على جميع الأعداد التي تمَّ تحليلها؛ مثل:"٤؛٦" فبعد تحليلها ينتج= ٢×٢×٣= ١٢؛هو أصغر عدد يقبل القسمة عليهما.والقاسم المشترك الأكبر أو الأعظم ويرمز له"ق.م.أ"= =:هو أكبر عدد يقبل القسمة عليه من قبل عددين فأكثر؛ ويتمُّ إيجاده بعد تحليل الأعداد إلى عواملها الأوَّلية؛ وضرب العوامل المشتركة منها فقط ؛فينتج أكبر أو أعظم عدد يقبل القسمة عليها جميعًا؛ فمثلًا "٤؛٨" فالعوامل المشتركة بينهما =٢×٢=٤ هو أكبر عدد يقبل القسمة عليهما.[ينظر: الأساليب الحسابية في حل المسائل الإرثية(ص١٧٦-١٧٧)؛ والرياضيات للفقيه- للشيخ محمد اليعقوبي(ص٢٤-٢٨)].

للوارثين، فللزوجة ١/ ٨، وللجدَّة ١/ ٦، وللبنت ١/ ٢، ولبنت الابن ١/ ٦، وللأخوين لأم ١/ ٣، ومن أجل أن نحظى بمقارنة ناجعة بين الطريقتين القديمة والحديثة، نستخرج أصل المسألة بوساطتهما معًا، ثمَّ نقارن بينهما؛ لنستنتج أنَّ الأفضل هو الطريقة الحديثة، وعلى النحو الآتي:

الطريقة القديمة:

وهي أن نأخذ مقامات أنصبة الوارثين على الترتيب، هي: ٨، ٦، ٢، ٦، ٣، نلاحظ هنالك متماثلين من الأعداد وهما العددان ٦و ٦، نأخذ أحدهما، فيكون أول عدد عندنا ٦، ثمَّ نلاحظ أنَّ العددين ٢ و٣ متداخلان في العدد ٦ نفسه، وهو الأكبر منهما، فنكتفي به عنهما، فيبقى لدينا مع العدد ٦، العدد ٨، فإذا نظرنا بينهما نجدهما متوافقان في النصف، فنأخذ وفق أحدهما- وهو العدد الناتج عن قسمته على النصف الذي توافق به مع غيره من الأعداد- ونضربه في الثاني فينتج العدد ٢٤، فإذا أخذنا العدد ٨ فوفقه العدد ٤،نتيجة قسمة ٨/ ٢=٤، والعدد ٦ وفقه العدد ٣،نتيجة قسمة ٦/ ٢=٣،فالقاعدة هي: وفق أحدهما × تمام الآخر= أصل المسألة، فوفق العدد ٨=٤ × تمام الآخر، وهو العدد ٦= ٢٤، أو وفق العدد ٦=٣× تمام الآخر، وهو العدد ٨= ٢٤، فالنتيجة واحدة وهي العدد ٢٤ الذي هو أصل المسألة، ولو كانت الأعداد متباينة فيما بينها لاكتفينا بضرب بعضها ببعض لاستخراج أصل المسألة.[1]

ةةةةةةة ةةةةةةة:

وهي أن نأخذ مقامات أنصبة الوارثين على الترتيب، هي: ٨، ٦، ٢، ٦، ٣، ثمَّ نحلِّلها إلى عواملها الأولية باستخراج م.م.ب لها جميعا، وذلك أن نقسم كلَّ عدد منها على

(١) ينظر: إرشاد الفارض إلى كشف الغوامض (ص١٥٨-١٥٩)، والعذب الفائض (١/٢١٤-٢١٥).

أول الأعداد الأوَّلية، وهو العدد «٢» ،فإن لم تكن القسمة صحيحة انتقلنا بالقسمة إلى العدد الأولي التالي، وهو «٣»، ثمَّ «٥»، وهكذا، إلى أن يُفنى العدد، أي: يكون حاصل القسمة الأخير لكلِّ عدد منها =١، ثمَّ نضرب الأعداد الأوَّلية، التي استخدمناها في تحليل الاعداد، بعضها ببعض فينتج أصغر عدد يقبل القسمة على جميع الاعداد التي يراد معرفة أصل المسألة من خلالها، وتكون طريقة التحليل المعتادة في علم الرياضيات على النحو الآتي:

٨، ٦، ٢، ٦، ٢ ٣

٤، ٣، ١، ٣، ٣ ٢

٢، ٣، ١، ٣، ٣ ٢

١، ٣، ١، ٣، ٣ ٣ م.م.ب = ٢×٢×٢×٣ = ٢٤ أصل المسألة

١، ١، ١، ١، ١

ونلاحظ ممَّا تقدَّم أنَّ طريقة المضاعف المشترك البسيط، هي أسهل من طريقة القدامى في استخراج أصل المسألة، واسرع منها، وأقلُّ احتمالاً للخطأ منها، وهذه نتيجة مطَّردة في جميع مسائل الميراث.[1]

وهنالك طريقة جديدة مبتكرة، نستخرج منها أصل المسألة من دون أن نستخدم طريقة القدامى، أو الطريقة الحديثة بالمضاعف المشترك البسيط، فقد سمَّاها صاحبها بالطريقة السريعة، وعلى النحو الآتي:

ةةةةةةة ةةةةةةة[2]:

تعتمد هذه الطريقة على تقسيم الفروض المقدَّرة في كتاب الله تعالى على مجموعتين،

(١) ينظر: الفرائض–د.عبد الكريم اللاحم(ص١٥-١٦),والأساليب الحسابية في حلِّ المسائل الإرثية(ص١٧٦).

(٢) ينظر: علم الفرائض والمواريث-إيضاح المنظومة الرحبية- م. مولود مخلص الراوي-(ص٢٣).

وهذا التقسيم مشتهر في كتب الفرضيين القدامى والمتأخرين منهم، الأولى مجموعة النصف»١/ ٢»، ونصفه «١/ ٤»، ونصف نصفه «١/ ٨»، والثانية مجموعة الثلثين «٢/ ٣»، ونصفها «١/ ٣»، ونصف نصفها «١/ ٦» [1]، فنسمِّي الأولى بمجموعة « أ »، ونسمِّي الثانية بمجموعة « ب»، وعلى النحو الآتي:

المجموعة " أ "	مجموعة النصف ونصفه ونصف نصفه	٢/١	٤/١	٨/١
المجموعة " ب "	مجموعة الثلثان ونصفهما ونصف نصفهما	٣/٢	٣/١	٦/١

وتكون على حالتين:

١- إذا كانت الفروض في المسألة من مجموعة واحدة، سواء أكانت من « أ » أو من « ب»:

فأصل المسألة = أكبـــــر مقـــــام فيها

(١) ينظر: فتح القريب المجيب بشرح كتاب الترتيب للشنشوري(١٧/١).

مثال أ: <u>جميع الفروض من المجموعة " أ "</u> :

نحو : " ١/٤ " و " ١/٢ " ..... فأصل المسألة منهما العدد الأكبر=٤

و"١/٨ " و "١/٢ " و "١/٤" ..... فأصل المسألة منهما العدد الأكبر=٨

مثال ب: <u>جميع الفروض من المجموعة " ب "</u> :

نحو : " ١/٣" و" ١/٦" ..... فأصل المسألة منهما العدد الأكبر=٦

و" ٢/٣ " و"١/٣ " و " ١/٦ " ..... فأصل المسألة منهما العدد الأكبر= ٦

٢- <u>إذا كانت الفروض في المسألة من المجموعتين " أ" و "ب " معًا</u> :

فأصل المسألة = (أكبر مقام من المجموعة " أ ") × ٣

مثال أ: « ١/ ٤ » و« ١/ ٣».. فأصل المسألة منهما، العدد الأكبر من المجموعة « أ « =٤ ×٣=١٢

مثال ب:« ١/ ٨ » و« ١/ ٢ » و« ١/ ٦ »..فأصل المسألة منها، العدد الأكبر من المجموعة « أ»=٨×٣=٢٤

مثال ج:« ١/ ٢ » و« ١/ ٤ » و« ٢/ ٣»..فأصل المسألة منهما العدد الأكبر من المجموعة « أ»=٤×٣=١٢

ةةةةةة ةةةةةة: ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة ةةةةةةة

إنَّ أول من ابتكر الكسور العشرية هم العرب المسلمون، ثمَّ انتقلت معرفته إلى أوربا قبل منتصف القرن السابع في عام ١٥٦٢م، والكسور العشرية لم تستخدم في علم الفرائض والمواريث ؛لأنَّ العرب المسلمين لم يكن يعرفونها آنذاك وقت نزول القرآن وعصر الصحابة وتابعيهم رضي الله عنهم، إلى حدِّ القرن التاسع الهجري، فضلًا عن

العرب قبل الإسلام؛ لذلك كانت محاولة استخدامها في حلِّ المسائل الإرثية، ولاسيَّما في تصحيح أصولها، محاولة جديدة، وطريقة مبتكرة لم تلقَ رواجًا في علم المواريث لحدِّ الآن.[1]

ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة:

هو كلُّ عدد يكتب باستعمال الفاصلة العشرية(،)، وهو حالة من حالات الكسر العادي مقامه العشرة أو مضاعفاتها «١٠، ١٠٠،...»، حيث وضعت الفاصلة العشرية بدلًا عن خط الكسر.

وسمِّيت الفاصلة العشرية بهذا الاسم؛ لأنَّها تفصل بين الاعداد الصحيحة وأجزائها العشرية، فمثلًا: (١/ ١٠) هو عشر، أي: جزء من عشرة أجزاء، ويكتب بالصيغة العشرية هكذا (١،٠).[2]

ولحلِّ مسائل الميراث، بتصحيح أصولها بطريقة الكسور العشرية ،لابدَّ أن نتبع الخطوات الآتية:

١- تحويل الكسور الاعتيادية للفروض الستَّة المقدرة في كتاب الله تعالى إلى كسور عشرية، وذلك بقسمة بسط كلِّ فرض على مقامه، وعلى النحو الآتي:

١. النصف:(١/ ٢) = ٥،٠ ..... ٤. الثلثان:(٢/ ٣)=٦٦٦،٠

٢. الربع:(١/ ٤) = ٢٥،٠ ..... ٥. الثلث:(١/ ٣)= ٣٣٣،٠

٣. الثمن:(١/ ٨) = ١٢٥،٠ ..... ٦. السدس:(١/ ٦)=١٦٦،٠

٢- يكون أصل كلِّ مسألة فرضية، هو الواحد الصحيح، ونصيب كلِّ وارث فيها،

---

(١) ينظر: طريقة مبتكرة لتصحيح مسائل الفرائض وقسمة التركات- م. مولود مخلص الراوي- (ص٧٤-٨٢)، والأساليب الحسابية في حل المسائل الإرثية (ص٣١٨-٣٢٠).

(٢) ينظر:الأساليب الحسابية في حلِّ المسائل الإرثية(ص٣١٩).

هي نسبة عشرية من أصلها، وهو العدد «١» .

٣- يكون نصيب العصبة، وهو الباقي بعدما يأخذ أصحاب الفروض فروضهم، أي: الباقي من الواحد الصحيح، الذي هو أصل المسألة، بعد طرح مجموع الفروض منه، فتكون قاعدته:

مجمل نصيب العصبة = ١ - مجموع نصيب أصحاب الفروض

ولمعرفة نصيب كلِّ فرد من العصبة، نقسِّم مجمل نصيبهم على عدد رؤوسهم، فللأنثى سهم واحد وللذكر سهمان، فتكون قاعدته:

$$\text{نصيب كل فرد من العصبة} = \frac{\text{مجمل نصيب العصبة}}{\text{عدد الرؤوس}}$$

مثال عن ذلك: ماتت امرأة عن زوج وإبن وبنت، فما نصيب كل وارث؟

			١	١
٤/١	زوج	٠,٢٥	٠,٢٥	٠,٢٥
الباقي عصبة	ابن	٠,٥	٠,٧٥	
	بنت	٠,٢٥		

الباقي(نصيب العصبة)=١- نصيب الزوج
= ١- ٠,٢٥ = ٠,٧٥

$$\text{نصيب البنت} = \frac{\text{مجمل نصيب العصبة على عدد الرؤوس}}{\text{عدد الرؤوس}} = \frac{٠,٧٥}{٣} = ٠,٢٥$$

نصيب الابن=٢×نصيب البنت=٢×٠,٢٥=٠,٥

٤- في حالة وجود انكسار بين عدد رؤوس الورثة وسهامهم، ففي الحالة المعتادة نحتاج إلى تصحيح المسألة، وفي حالة توزيع التركة، نحتاج لمعرفة الحصة الواحدة كي

نقسم مقدار التركة على أصل المسألة فينتج قيمة الحصة الواحدة فنضربه بعدد الحصص أو السهام لكل وارث كي نستخرج مجمل نصيبه، في حين يكون الحلُّ بطريقة الكسور العشرية لا يحتاج إلى تصحيح ،ولا يحتاج إلى معرفة الحصة الواحدة لاستخراج كل وارث، فقط يكون باستخدام القاعدة الآتية :

حصة كلِّ وارث = نصيبه بالكسر العشري × مقدار التركة

ولأجل المقارنة بين الطريقة القديمة المعتادة، وبين طريقة الكسور العشرية المستحدثة، نحلُّ هذه المسألة الفرضية بالطريقتين معًا، وعلى النحو الآتي:

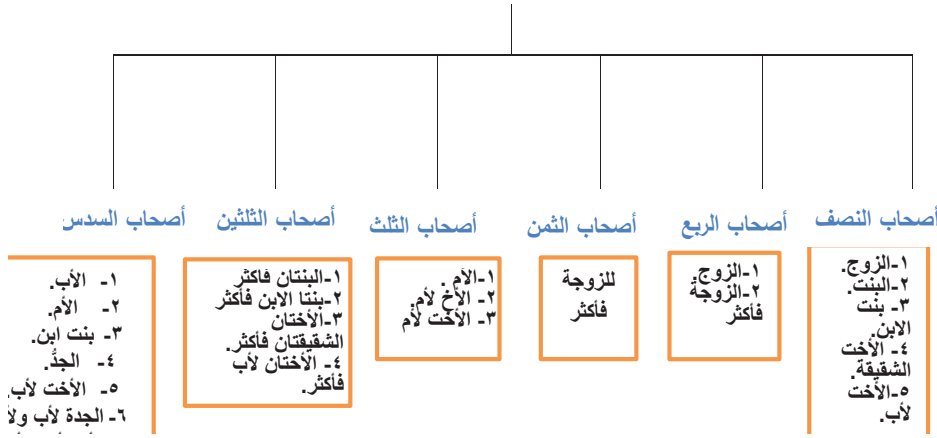

ومِمَّا سبق تبين أن نتائج الحلِّ واحدة، ولكن طريقة الكسور العشرية أخصر وأسرع.[1]

الفرع الثالث: الطريقة المبتكرة في حساب الجدَّات غير الوارثات

كلَّ كتب الفقه، ولا سيَّما التي اختصَّت بعلم المواريث، سواء أكانت عند القدامى، أو عند المتأخرين من الفقهاء، لم أجد لهم قانونًا رياضيًّا واحدًا، يُعرف من خلاله عدد الجدات

(١) ينظر: الأساليب الحسابية في حلِّ المسائل الإرثية (ص٣٢٥-٣٢٨).

اللآتي لا يرثن مع الوارثات منهنَّ، إذا تعددن معهنَّ، وكنَّ في طبقة واحدة متحاذيات، على حدٍّ علمي المتواضع، وإنَّما كانوا يستقرؤن عددهنَّ من خلال رسمهنَّ التخطيطي ،أو إحصائهنَّ عددًا، فيحدِّدون من خلاله اللآتي يرثن واللآتي لا يرثن[1]، غير أنَّ بعض كتب الفقه، قد نوَّه أصحابها عن طريقة حسابية تعدُّ بحدِّ ذاتها طريقة مبتكرة في حساب المواريث، في معرفة الجدات غير الوارثات ،نسبة لمن سبقهم، فقد قال الموصلِّيُّ: (وَلَوْ سُئِلْتَ عَنْ عَدَدِ جَدَّاتٍ وَارِثَاتٍ كَمْ بِإِزَائِهِنَّ سَاقِطَاتٍ، فَخُذْ عَدَدَ الْمَسْئُولِ عَنْهُ بِيَمِينِكَ، ثُمَّ انْقُصْ مِنْهُ اثْنَيْنِ وَخُذْهُمَا بِيَسَارِكَ، ثُمَّ ضَعِّفْ مَا فِي يَسَارِكَ بِعَدَدِ مَا فِي يَمِينِكَ فَمَا بَلَغَ فَاطْرَحِ الْمَسْئُولَ مِنْهُ فَمَا بَقِيَ فَهِيَ سَاقِطَةٌ. مِثَالُهُ: سُئِلْتَ عَنْ أَرْبَعِ جَدَّاتٍ خُذْهَا بِيَمِينِكَ ثُمَّ انْقُصْ مِنْهُ اثْنَيْنِ وَخُذْهُمَا بِيَسَارِكَ، ثُمَّ ضَعِّفْ مَا فِي يَسَارِكَ بِعَدَدِ مَا فِي يَمِينِكَ يَكُنْ ثَمَانِيَةً، اطْرَحْ مِنْهُ عَدَدَ الْمَسْئُولِ وَهُوَ أَرْبَعَةٌ تَبْقَى أَرْبَعَةٌ فَهِيَ سَاقِطَةٌ، وَلَوْ سُئِلْتَ عَنْ ثَلَاثَةِ خُذْهَا بِيَمِينِكَ ثُمَّ انْقُصْ مِنْهُ اثْنَيْنِ وَخُذْهُمَا بِيَسَارِكَ ثُمَّ ضَعِّفْ مَا فِي يَسَارِكَ بِعَدَدِ مَا بَقِيَ فِي يَمِينِكَ يَكُنْ أَرْبَعَةً اطْرَحْ مِنْهُ عَدَدَ الْمَسْئُولِ عَنْهُ وَهُوَ ثَلَاثَةٌ بَقِيَ وَاحِدَةٌ سَاقِطَةٌ.).[2]

وخلاصة ما ذكر عن معرفة الجدات الوارثات من غير الوارثات، في النَّصِّ الوارد آنفًا: أنَّ عدد الجدات الصحيحات، وهو العدد «٢»، يطرح منه العدد «٢»، وهو ثابت، فما تبقى يُضاعف بقدره العدد «٢»، وهو ثابت أيضًا، أي يضعف مرَّتين، فالضِّعف الأول يصير به العدد «٢» إلى«٤»،والضِّعف الثاني يصير به العدد «٤» إلى «٨»، ثمَّ يطرح

(١) ينظر: المبسوط للسرخسي(٢٩/ ١٦٥-١٦٦)، والكافي في فقه أهل المدينة للنمري القرطبي (٢/ ١٠٦٢-١٠٦٣)، والحاوي للماوردي(٨/ ١١١)، والمغني لأبن قدامى(٦/ ٣٠٤-٣٠٥)، وشرح السراجية(ص٥٠-٥٤)، والعذب الفائض(١/ ١٠٠-١٠١).

(٢) الاختيار لتعليل المختار(٥/ ١٠٤)، وينظر: فتح القريب المجيب بشرح كتاب الترتيب – للشيخ الشنشوري(١/ ٧٤-٧٥).

منه العدد الأوَّل للجدات الصحيحات، وهو العدد «٤»، فينتج عنه عدد الجدات غير الوارثات، وهو العدد «٤»، فكما موضح في النَّصِّ أعلاه، وتوضيحه يكون على النحو الآتي:

٤ – ٢ «ثابت» =٢ مقدار التضعيف.

٢ = عدد ثابت في المسألة المطلوب تضعيفه مرَّتين، بناءً على مقدار التضعيف، وكما في المثال نفسه.

إذن: ٢×٢=٤ هو ضعف واحد للعدد «٢» الثابت.

ولأجل أن نحقق ضعفين له نضربه في العدد «٢» مرة أخرى ،فيكون:

٢×٢×٢=٨ هو ضعفي العدد «٢»... وإذا شئتَ قلت: ٢×٤=٨ هو صحيح أيضًا فالنتيجة واحدة.

٨– ٤(عدد الجدات الصحيحات في المثال نفسه)= ٤ عدد الجدات غير الوارثات.

ومثال آخر، كما هو مذكور في النصِّ أعلاه نفسه: نفترض فيه عدد الجدات الوارثات «٣» ، فما عدد غير الوارثات منهنَّ؟

الجواب:

٣–٢=١ مقدار التضعيف.

٢×٢= ٤ نتيجة لتضعيف العدد «٢» لمرَّة واحدة، بناءً على مقدار التضعيف.

٤–٣=١ جدة واحدة لا ترث.

وهذه الطريقة الحسابية، وإن كانت جديدة لم يسبق مؤلفها أحد قبله، إلاَّ أنَّها لا تمثل قانونًا رياضيًّا مستقلًا يستخرج منه عدد الجدات بصورة مطَّردة وسهلة مهما كثرن ؛لذا ارتأيت أن أبتكر قانونًا رياضيًا مستنبطًا من هذه العملية الحسابية، يستفاد منه في استخراج

عدد الجدات غير الوارثات المحاذيات للوارثات منهنَّ بطريقة الأسس الرياضيَّة[1]، وعلى النحو الآتي:

أولًا: نرمز لعدد الجدَّات الوارثات بالرمز «س».

ثانيًا: نعوِّض بدلًا عن الرمز «س» في القانون الآتي، بعدد الجدَّات الوارثات، من أجل أن نستخرج من خلاله عدد اللآتي لا يرثن منهنَّ، وهذا هو القانون:

(س-١) ٢ – س= عدد الجدات غير الوارثات

وهذه بعض الأمثلة التطبيقية على هذا القانون:

مثال ١: ما عدد الجدَّات غير الوارثات، علمًا أنَّ الوارثات المحاذيات لهنَّ وفي الطبقة نفسها يبلغ عددهنَّ: «٣»...؟

الجواب:

(س-١)٢ – س= عدد الجدات غير الوارثات

(٣-١)٢ – ٣= ؟

(٢)٢ – ٣ = ؟

٢×٢ – ٣ =١ جدَّة واحدة لا ترث.

مثال ٢: ما عدد الجدَّات غير الوارثات، علمًا أنَّ الوارثات المحاذيات لهنَّ وفي الطبقة نفسها يبلغ عددهنَّ: «٤»...؟

الجواب:

---

(١) الأس: هو عملية اختصار لضرب العدد في نفسه لمرات عديدة، بإحصاء عدد المرات ووضعها رقمًا فوق العدد المراد ضربه في نفسه، بدلًا من التكرار، اختصارا للحساب، فبدلًا من ضرب: ٢×٢×٢×٢=١٦، نضع فوق العدد ٢ عدد المرات التي ضرب بها بنفسه، وهي اربع مرات، فيكون: "٢٤"، يعبر عنه بأن العدد "٢" مرفوع للأس "٤". [ينظر: الرياضيات للفقيه(ص٣٦)].

$٢^{(س-١)}$ – س= عدد الجدات غير الوارثات

$٢^{(٤-١)}$ – ٤ = ؟

$٢^{(٣)}$ – ٤ = ؟

٢×٢×٢ – ٤ = ٤ أربع جدات لا يرثن.

مثال ٣: ما عدد الجدَّات غير الوارثات، علمًا أنَّ الوارثات المحاذيات لهنَّ وفي الطبقة نفسها يبلغ عددهنَّ : «٥»...؟

الجواب:

$٢^{(س-١)}$ – س= عدد الجدات غير الوارثات

$٢^{(٥-١)}$ – ٥ = ؟

$٢^{(٤)}$ – ٥ = ؟

٢×٢×٢×٢ – ٥ = ١١ جدَّة لا ترث.

وهكذا، كلَّما ازداد عدد الجدَّات طبقة، ازداد عدد اللآتي يرثن وبإزائهنَّ اللآتي لا يرثن، وهذه صورة لمخطط الجدَّات، عند الفرضيين، البالغ عددهنَّ ست عشرة جدَّة وارثة وغير وارثة في الطبقة الخامسة، واللآتي يرثن منهنَّ مؤشر عليهنَّ بعلامة نجمة ،عددهنَّ خمس جدَّات، واللآتي لا يرثن منهنَّ عددهن إحدى عشرة جدَّة، ليس عليها في الرسم أي علامة، وهذا المخطط الدائري يؤكد صحة قانوننا الرياضي، وما ذهبنا إليه، فالنتائج واحدة، وعلى النحو الآتي[١]:

(١) ينظر: العذب الفائض(١/١٠٠).

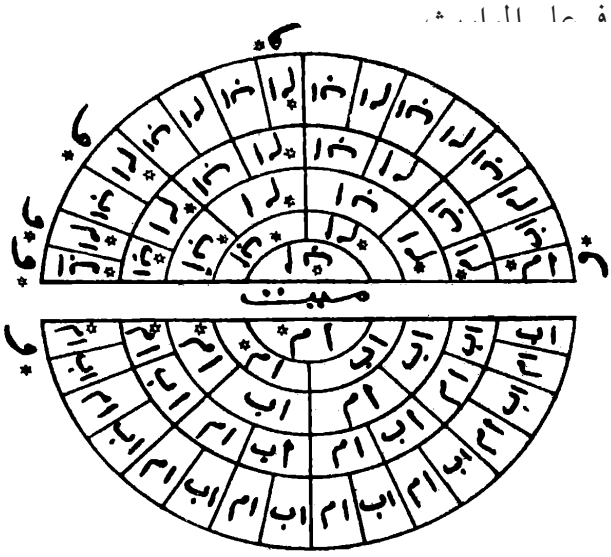

❊ ❊ ❊

ةةةةة ةةةةة: ةةةةةة ةةةةةةةةةةة ة ةةةة ةةةةة ةةةةةةة ةةةةة ةةةةةة

انتشرت في الوقت الحاضر برامج حاسوبيَّة عدَّة، تتولى تقسيم أنصبة المواريث وحساب المسائل الإرثية بدقَّة متناهية، أغلبها تعمل بمبدأ طريقة الكسور العشرية؛ لأنَّ الحاسبات مصمَّمة في حسابها للأعداد أساسًا للتعامل مع الأعداد التي بصيغتها العشرية، وهنالك برامج تعطي نتائج مباشرة، من دون تفاصيل التصحيح ومتعلقاته، وأخرى تعمل كما يعمل الفرضي العادي في حلِّه للمسألة الفرضية، بإجراء التصحيح وما شاكل ذلك، وفيما يأتي أهمِّ البرامج الألكترونية، المتداولة حاليًّا، في حلِّ مسائل الميراث:

١- برنامج القسام الشرعي/ هو برنامج معد من قبل م. مولود مخلص الراوي؛لحلِّ مسائل الميراث، وقد استعمل في بعض محاكم بغداد منذ عام ١٩٨٨م،ثمَّ اعتمده ديوان الوقف السنِّي عام ٢٠٠٦م، وهو منتشر في المواقع الألكترونية عبر الأنترنت لأستعماله

من قبل الجميع، وهو برنامج مجاني.

٢- برنامج الشركة العالمية لتقنية المعلومات/ وهو برنامج تجاري، غير مجاني.

٣- برنامج شركة ضاد لتكنولوجيا المعلومات / وهو برنامج تجاري، غير مجاني.

٤- عالم المواريث/ وهو برنامج خاص بالقانون التونسي، غير مجاني.

٥- برنامج الفرائض / من برمجة: محمد السيد حسن محمد / وفق القانون السوداني.

٦- برنامج حساب المواريث / من برمجة د. أحمد علي محيي الدين / برنامج مجاني.

٧- برنامج الزكاة والمواريث/ موسوعة مكنون / برنامج مجاني.

٨- برنامج الميراث/ على موقع وزارة العدل السعودية/ ويعمل مباشرة على الأنترنت (On Line).

٩- برنامج الإرث - وفق المذهب المالكي/ ويعمل مباشرة على الأنترنت.

١٠- برنامج المواريث باللغة الإنكليزية -للدكتور أيمن أبو مصطفى- THE ISLAMIC INHERITANCE PROGRAM / ويعمل مباشرة على الأنترنت، إلى غير ذلك من البرامج الكثيرة [١].

والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: الأساليب الحسابية في حلِّ المسائل الإرثية (ص٣٥١-٣٥٢).

❊ ❊ ❊

ةةةةةةة

بعد الرحلة مع هذا البحث توصلت لأهم نتائجه ، وهي على النحو الآتي:

١ – من أهمِّ أسباب إبداع المسلمين في علم الحساب والجبر، حاجتهم إلى حلِّ مسائل الميراث، فكلَّما استجدت مسألة فيه ،كلما توخوا في علم الحساب طرقًا جديدة في التوصل إلى الحلول الصحيحة في الميراث.

٢ – التجديد في علم المواريث بضوابطه الشرعية، يثري هذا العلم بعدما كاد يكون مندثرًا عند أهل العلم وطلابه ،فسهولة الطريقة وبساطة الاسلوب كفيلتان في توصيل المعلومة الى المتلقي مع تحبيبه بهذا العلم .

٣– من مظاهر التجديد في علم المواريث، تجديد مصطلحه، فالشائع بين أهل العلم وطلابه أنه يعرف بعلم المواريث، وكذلك بعلم الفرائض، في حين تبيَّن من خلال هذا

البحث، أنَّ له مصطلحًا جديدًا يعرف به، وهو العلم الثلاثي، ممَّا له الأثر البليغ في إبراز أهميَّة هذا العلم وبيان ماهيته.

٤- ومن مظاهر تجديد هذا العلم، أنَّ الوسائل الحديثة، والأساليب الجديدة في تحقيق مباحثه وفي طرق تدريسه ،وإجراء العمليات الحسابية الجديدة فيه، من شأنها إظهار كنوز هذا العلم المخفية، وتسهيل دراسته على طلبة العلم، والوصول إلى حقائقه والإبداع فيه، فضلا عن تسهيل حساب مسائله التي كانت من الصعوبة بمكان.

٥- ومن مظاهر التجديد في هذا العلم أيضا، في حساب الجدات اللآتي لا يرثن مع الجدات الوارثات، وإنَّهنَّ يزداد عددهنَّ كلما ازدادت طبقاتهنَّ، أنَّ هنالك قانونًا رياضيًّا توصلنا له من خلال هذا البحث، يستخرج منه عدد اللآتي لا يرثن إذا عرفنا الوارثات منهنَّ، وهذا من شأنه حصر عددهنَّ في كلِّ طبقة اجتمعن فيهنَّ وهنَّ متحاذيات، وتسهيل معرفتهنَّ بطريقة مبتكرة جديدة، بعدما كان السبيل الوحيد لمعرفتهنَّ هو الرسومات والتخطيطات المعقَّدة.

٦- إنَّ الكسور العشرية لم تكن مستعملة سابقًا، وما زالت ذات رواج غير شائع مع أنَّها طريقٌ سهل ومختصر في حلِّ المسائل الإرثية، من دون تصحيح لأصولها، ومن دون تعقيد.

٧- إنَّ علم المواريث، كلَّما تقدَّمنا في حلِّ مسائله بالطرائق الحديثة ،سهل امره ،وزال غموضه، وكانت نتائجه أدق من ذي قبل وأقرب للفهم والأذهان.

والله تعالى أعلم.

ةةةةةةةة:

نوصي ببعض الأمور التي نراها من الأهميَّة بمكان، وعلى النحو الآتي:

١- إعطاء أهميَّة أكبر لهذا العلم، من حيث المناهج التدريسيَّة له، ففي كليتنا الموقرة

،يدرس هذا العلم في كتاب شرح الرحبية إلى حدِّ المناسخات فهي غير مقررة، مع أنَّها من الأهميَّة بمكان في علم المواريث وحلِّ مسائله، نوصي بإدخالها ضمن المنهج بالإضافة إلى متعلقات هذا العلم الأخرى في كتاب شرح الرحبية نفسه.

٢- التشجيع على إقامة الدورات التعليمية فيه، في المدارس والكليات، ليس فقط لأنَّه علم يستحقُّ الدراسة والتدريس، فحسب، بل لأنَّه فيه وصيَّة المصطفى ﷺ في تعلمه وتعليمه.

٣- نوصي أيضا في التشجيع على تحقيق المخطوطات التي تتناوله، فتراثنا زاخر بهذا العلم وعلمائه.

ةةةةةةةةة:

هذه بعض المقترحات نقدِّمها، لعلَّها تجد يومًا حيِّزًا للتنفيذ؛ للارتقاء بهذا العلم في أعلى درجاته، وعلى النحو الآتي:

١- إنشاء مركز متخصِّص بدراسة علم المواريث والوصايا وعلم الحساب، ورفده بالوسائل الحديثة لإظهاره على أحسن وجه، ويكون معتمدًا حكوميًّا ومعترفًا به، لمدَّة سنتين دراسيَّتين بعد الدراسة الإعدادية، ولاسيَّما الإسلامية منها، يكون المتخرج منه متخصِّصًا لحلِّ المسائل الإرثية والوصايا وما يتعلق بهما، ويكون محلُّ تواجدهم في المحاكم.

٢- نقترح إعداد مسابقات عالمية أو محليَّة في هذا العلم، من أجل إحيائه، وترغيب الشباب به، وإظهار من اندرس منه، على غرار المسابقات العلمية والمحلِّة، التي تقام سنويًّا في حفظ القرآن الكريم وقراءته.

٣- نقترح أن تدخل مادة حساب المواريث وبعض من فقهه، إلى طلبة الدراسات

المتوسطة والاعدادية، كجزء من مادة الرياضيات ،أو الجبر التي يدرسونها ضمن مناهجهم الدراسيَّة، فبدلًا من أن تكون المسألة الرياضية في أمور عامَّة فقط، تكون متركِّزة على حلِّ المسائل الفرضيَّة ،بالإضافة إلى العامَّة المقرَّرة عندهم، والله تعالى وليُّ التوفيق، وهو أعلم بالصواب وأحكم.

هذا هو جهد المقل، والله تعالى اسأل، أن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يسهل أمري في نشر هذا العلم وتعليمه للآخرين، وصلِّ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

ööööööööö ööööööööö

* القرآن الكريم.

١. أبحاث في مقاصد الشريعة- دراسة مقاصدية لبعض قضايا الاجتهاد والتجديد والمعاصرة- د. نور الدين مختار الخادمي- مدير قسم الشريعة، ورئيس وحدة فقهاء تونس- جامعة الزيتونة- تونس-مؤسسة المعارف-بيروت- ط١- ١٤٢٩ه.

٢. أثر استخدام خرائط المفاهيم في تحصيل المفاهيم الشرعية وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى الطلبة في مادة التربية الإسلامية- ماجد زكي- مجلة جامعة الملك سعود م ١٨- العلوم التربوية والدراسات الإسلامية(٢، ١٤٢٦/ ٢٠٠٦).

٣. أثر التدريس بطريقتي حلِّ المشكلات والخرائط المفاهيميَّة في اكتساب المفاهيم العلمية وتنمية مهارات التفكير الإبداعي والاتجاهات العلمية لدى الطلبة-وليد عبد الكريم صوافطة-أطروحة دكتوراه- جامعة عمان العربية للدراسات العليا-٢٠٠٥م.

٤. أثر التكامل بين استراتيجيتي التدريس البنائيتين: دورة التعلم والخارطة المفاهيمية

في فهم الطلبة للمفاهيم العلمية واتجاهاتهم نحو العلم وإدراكاتهم للبيئة التعليمية الصفية- شريف سالم اليتيم- أطروحة دكتوراه- الجامعة الأردنية-٢٠٠٦م.

٥. اثر تدريس استراتيجية خرائط المفاهيم للشكل(vee) في تحصيل وتنمية التفكير الابداعي لدى طالبات الصف الرابع الادبي في مادة قواعد اللغة العربية-بحث مقدم من قبل د. اميرة محمود خضير -كلية التربية الاساسية - جامعة ديالى- العراق- العدد السابع والاربعون - مجلة الفتح - تشرين الاول لسنة ٢٠١١.

٦. الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط- د. يوسف القرضاوي- دار الاسلامية للطباعة والنشر-القاهرة -د ط - ١٤١٤هـ.

٧. الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية-عمر عبيد حسنة-المكتب الاسلامي- بيروت -ط١-١٩٨٨م.

٨. أحكام القرآن- أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت:٣٧٠هـ)- المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف- دار إحياء التراث العربي - بيروت-دط- ١٤٠٥هـ.

٩. الاختيار لتعليل المختار- عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي(ت:٦٨٣هـ)-عليها تعليقات:الشيخ محمود أبو دقيقة-مطبعة الحلبي-القاهرة(وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)-د ط- ١٣٥٦هـ .

١٠. إرشاد الفارض إلى كشف الغوامض في علم الفرائض والمواريث- بدر الدين ابي عبد الله محمد بن محمد المارديني(٨٢٦-٩١٢هـ)- تحقيق: مجدي محمد سرور باسلوم المكي- دار الاستقامة - السعودية- ط١- ٢٠٠٠م.

١١. الأساليب الحسابية في حلِّ المسائل الإرثية (قديمًا وحديثًا)-دراسة تطبيقية- رسالة ماجستير مقدَّمة إلى مجلس كليَّة الإمام الأعظم الجامعة لنيل شهادة الماجستير في

الشريعة الاسلامية –تخصص «الفقه وأصوله» – للباحث مولود مخلص حماد الراوي– بإشراف أ.م.د أحمد حسن الطه– بغداد–١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

١٢. أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الاسلامي– أ. د. حمد عبيد الكبيسي– دار السلام – دمشق–ط١–١٤٣٠هـ.

١٣. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)– أبو بكر(المشهور بالبكري)عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (ت:١٣١٠هـ)– دار الفكر – بيروت – ط١– ١٤١٨هـ.

١٤. الأعلام– خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي(ت: ١٣٩٦هـ)– دار العلم للملايين – ط١٥ – ٢٠٠٢ م.

١٥. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف–علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي(ت:٨٨٥هـ)–دار إحياء التراث العربي–ط٢–د ت.

١٦. تاج العروس من جواهر القاموس– محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزبيدي(ت: ١٢٠٥هـ)–المحقق: مجموعة من المحققين– دار الهداية– د ط – د ت.

١٧. التجديد في الفكر الاسلامي – د. عدنان محمد أمامة –دار ابن الجوزي– السعودية–ط١ – ١٤٢٤هـ.

١٨. التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية – للشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي(ت:١٢٧٧هـ)– وفي الهامش: الفوائد الشنشورية، في شرح الرحبية، للشيخ عبد الله بن بهاء الدين محمد بن عبد الله بن علي العجمي الشنشوري الشافعي الفرضي– مطبعة البابي الحلبي وأولاده – مصر– د ط – د ت.

١٩. التعريفات- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(ت:٨١٦هـ)- المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلمية- بيروت -ط١- ١٤٠٣هـ.

٢٠. تيسيرُ علم أصول الفقه- عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي- مؤسسة الريان- بيروت-ط١- ١٤١٨ هـ.

٢١. الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الاسلامي المعاصر -أ. د. صلاح الصاوي- رئيس الأكاديمية والأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا-ط١-١٤٣٠ه.

٢٢. الجامع الصحيح سنن الترمذي- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي- تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي - بيروت-د ط- د ت .

٢٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت:٢٥٦هـ)- تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق- دار ابن كثير- اليمامة - بيروت-ط٣- ١٤٠٧ه.

٢٤. الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت:٦٧١هـ)-تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية - القاهرة-ط٢- ١٣٨٤هـ.

٢٥. الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح- عبد الكريم بن علي بن محمد النملة-مكتبة الرشد- الرياض-ط١- ١٤٢٠هـ.

٢٦. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي(ت:٤٥٠هـ)

٢٧. حجة الله البالغة- أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن

منصور المعروف بـ«الشاه ولي الله الدهلوي»(ت:١١٧٦هـ)-المحقق: السيد سابق- دار الجيل، بيروت -ط١- ١٤٢٦هـ.

٢٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني(ت:٤٣٠هـ)- دار الكتب العلمية- بيروت - د ط - ١٤٠٩هـ.

٢٩. خلاصة البدر المُنير- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت:٨٠٤هـ)- مكتبة الرشد- الرياض-ط١- ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٣٠. الرياضيات للفقيه- استدلالات رياضية معمَّقة على بعض المسائل الفقهية والأصولية- للشيخ محمد اليعقوبي-العراق - النجف - دار الصادقين - ط٥ - د ت.

٣١. سنن ابن ماجه- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت:٢٧٣هـ)-تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية-مصر - فيصل عيسى البابي الحلبي-دط-دت.

٣٢. سنن أبي داود- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني(ت:٢٧٥هـ)-المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية، صيدا - بيروت- د ط - ك ت.

٣٣. شرح الرَّحبية - للشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن بدر الدِّين الدِّمشقي المصري الشافعي(ت:٥٧٧ه)، سبط جمال الدِّين عبد الله بن خليل أبن يوسف بن عبد الله المارديني، ومعه كتاب: الدرَّة البهية بتحقيق مباحث الرحبية- لمحمد محيي الدِّين عبد الحميد- دار الطلائع-القاهرة- د ط- تاريخ الإيداع -٢٠٠٥م.

٣٤. شرح السراجية - للسيِّد الشريف علي بن محمد الجُرجاني(ت:٨١٤)- على كتاب الفرائض المشهور بالسراجية تصنيف: سراج الملة والدين: محمد بن محمد بن عبد

الرشيد السجاوندي الحنفي- تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد- مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده- مصر-د ط -١٣٦٣ه.

٣٥. شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة- محمد بن محمد بن أحمد الغزال الدمشقيّ، بدر الدين،الشهير بسبط المارديني(ت:٩١٢هـ)-المحقق: أحمد بن سليمان بن يوسف العريني- دار العاصمة-د ط- ١٤٢٥هـ .

٣٦. الشرح الممتع على زاد المستقنع- محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت: ١٤٢١هـ)- دار ابن الجوزي-ط١- ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.

٣٧. صفة الصفوة- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت: ٥٩٧هـ)-المحقق: أحمد بن علي-دار الحديث، القاهرة - د ط - ١٤٢١هـ.

٣٨. الضوابط العلمية لدراسة وتجديد الفقه الإسلامي- د. علي جميل خلف- العراق- جامعة ديالى- كلية العلوم الإسلامية - قسم أصول الدين- د ط- د ت.

٣٩. طريقة مبتكرة لتصحيح مسائل الفرائض وقسمة التركات-بحث مقدم من قبل: م. مولود مخلص الراوي-مجلة التربية الاسلامية-وزارة الأوقاف العراقية-العدد ١٢٥، ١٢٦ -١٢نيسان ١٩٧٩م.

٤٠. العذب الفائض شرح عمدة الفارض - للشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الفرضي المشرقي الحنبلي(ت:١١٨٩) ، على منظومة عمدة كلِّ فارض في علم الوصايا والفرائض المعروفة بألفية الفرائض للشيخ صالح بن حسن البهوتي الأزهري الحنبلي(ت:١١٢١هـ)- خرج أحاديثه ووضع حواشيه: محمود عمر الدمياطي - دار الكتب العلمية - بيروت-ط١ - ١٤٢٠ه.

٤١. علم أصول الفقه- لعبد الوهاب خلاف(ت:١٣٧٥هـ)- مكتبة الدعوة - شباب الأزهر(عن الطبعة الثامنة لدار القلم)- د ت .

٤٢. علم الفرائض والمواريث – إيضاح المنظومة الرحبية– م. مولود مخلص الراوي– بغداد– الإصدار الثاني– ٢٠١٢م.

٤٣. عون المعبود شرح سنن أبي داود،ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته– محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي(ت: ١٣٢٩هـ)– دار الكتب العلمية – بيروت– ط٢– ١٤١٥هـ.

٤٤. فتح القريب المجيب بشرح كتاب الترتيب – للشيخ عبد الله ابن الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ عبد الله ابن الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ الصالح نور الدين علي الجمعي الشنشوري الفرضي(ت:٩٩٩هـ)، الخطيب بالجامع الأزهر–مطبعة التقدم العلمي–القاهرة– د ط – ١٢٤٥ه.

٤٥. الفرائض – د. عبد الكريم بن محمد اللاحم– مكتبة المعارف – الرياض ط١– ١٩٨٦م.

٤٦. الفقه الاسلامي بين الاصالة والتجديد– د. يوسف القرضاوي–مكتبة وهبة– القاهرة–ط١–١٤١٩ه.

٤٧. الفقه الاسلامي في طريق التجديد– محمد سليم العوَّا– سفير الدولية للنشر– القاهرة –ط٣–١٤٢٧ه.

٤٨. الفقه الاسلامي مرونته وتطوره – الشيخ جاد الحق– المجلس الاعلى للشئون الاسلامية – القاهرة – د ط – د ت .

٤٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير– زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(ت:١٠٣١هـ)–

المكتبة التجارية الكبرى - مصر- ط١- ١٣٥٦ه.

٥٠. الكافي في فقه أهل المدينة- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ)-المحقق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني- مكتبة الرياض الحديثة، الرياض-ط٢- ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٥١. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي- عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (ت:٧٣٠هـ)-المحقق: عبد الله محمود محمد عمر- دار الكتب العلمية -بيروت-ط١- ١٤١٨هـ .

٥٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون- مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)- مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)- د ط- ١٩٤١م.

٥٣. لسان العرب - محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت:٧١١هـ)- دار صادر - بيروت - ط٣ - ١٤١٤هـ.

٥٤. المبسوط- محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)- دار المعرفة - بيروت- د ط -١٤١٤هـ .

المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية- بيروت -ط١-١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

٥٥. مختار الصحاح-زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت: ٦٦٦هـ)-المحقق: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا - ط١- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٥٦. المستدرك على الصحيحين- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)- تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية - بيروت-ط١- ١٤١١ هـ.

٥٧. المستصفى- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت:٥٠٥هـ)-تحقيق:محمد عبد السلام عبد الشافي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٤١٣هـ .

٥٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله r- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)-المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي - بيروت-د ط -د ت.

٥٩. مشكلات طلبة كليات الشريعة في الجامعات الأردنية الرسمية، وعلاجها من منظور إسلامي- إبراهيم الزعبي-رسالة ماجستير- جامعة اليرموك-الاردن- ٢٠٠٢م.

٦٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس(ت: نحو٧٧٠هـ)- المكتبة العلمية - بيروت- د ط - د ت.

٦١. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج- شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت:٩٧٧هـ)- دار الكتب العلمية - ط١- ١٤١٥هـ .

٦٢. مفاتيح الغيب - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت:٦٠٦هـ)- دار إحياء التراث العربي - بيروت-ط٣ -١٤٢٠هـ.

٦٣. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة- شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)-المحقق: محمد عثمان

-17-

ةة ةةةةةةة

ةةةةة ةةةةةة ةةةةة

«ةةةةةةة ةةةّةةة ةةةةةةً»

ةةةةة ةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةة

ةةةةة ةة(ةةةةة ةةةةةةةةةة ةةةةة ةةةة)

إعداد

د. علي عبدالله أحمد الراوي

ةةةةةةة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق سيد الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد: فإن التجديد ضرورة حياتية ملحة سواء أكان ذلك في العلوم أم الفنون، إذ تغير الأزمنة والأمكنة وتحول المفاهيم والعلوم، وما يلازمها من تطور وتوسع في جميع الميادين يوجب علينا مراعاة ذلك كله، ومن هذه المراعاة التجديد بما يتناسب وروح العصر، والعلوم الشرعية حالها حال العلوم الأخرى تحتاج إلى التجديد، ويكون مرة بأسلوب الخطاب، وأخرى بطريقة التأليف والكتابة، أو التمثيل، وكذا الاختصار والشرح، ويقع كله بحسب مقتضى الواقع وروح العصر الذي عاشه المؤلف، ومن الأساليب ما اشتهر بجميع العلوم البشرية وهو التقسيم للمادة العلمية.

وقد كان تناول بحثي جانبا من جوانب علم التفسير، للمساهمة في تطوير آلية دراسة العلوم الشرعية، وذلك استجابة لروح العصر مع استنادي على ضوابط التفسير التي سار عليها علماء الأمة من المفسرين وغيرهم، ولسعة الموضوع قصرت النظر على تفسير القرآن بالسنة، وهو أول تقسيم بعد تفسير القرآن بالقرآن، وآثرت هذا الأنموذج لعدم استيفاء حقه من جانب العلماء، إذ يحتاج إلى التجديد مع مناسبة روح العصر، وكان عنوان بحثي: (التجديد في تفسير القرآن الكريم- التفسير بالسنة أنموذجا)، ليكون طريقي في بيان الحاجة للتجديد بطريقة عرض هذا العلم مع متطلبات العصر وضروریاته، لذا جاء بحثي واقعا على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، جعلت المبحث الأول في مفهوم التجديد وعلاقته بالتفسير، ووقع على مطلبين، الأول في تعريف التجديد لغة واصطلاحا، والثاني

في بيان العلاقة بين التجديد والتفسير.

أما المبحث الثاني فقد جعلته لبيان التقسيم وأثره في التجديد، ووقع على مطلبين، الأول: التقسيم في التفسير، والثاني عن التجديد في تفسير القرآن بالسنة .

أما المبحث الثالث فقد ذكرت فيه أنموذجين من تفسير القرآن بالسنة، الأول سورة الفاتحة، والثاني العشرون آية الأولى من سورة البقرة، ثم ذكرت بعد ذلك خاتمة تضمنت أهم النتائج، وبعدها المصادر ضمنتها أهم النتائج، ثم ملخص باللغة الإنكليزية .

وآخر دعائي أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةة ةةةةة

ةةةةةةة ة ةةةةة

أصله من جدد، ولها معانٍ كثيرة في اللغة:

فمن معانيها أن يراد بها الجيد وهو ضد الرديء جاد يجود جُودة، وجَودة، صار جيدا، وأجاده غيره وأجوده، وجاد وأجاد: أتى بالجيد فهو مجواد. واستجاده: وجده أو طلبه جيدا[1].

وقد ذكر ابن منظور باقي المعاني اللغوية[2]:

فمنها: الجدة نقيض البلى، وثوب جديد في معنى مجدود، وتجدد الشيء: صار جديدا. ويقال لليل والنهار الجديدان؛ لأنهما لا يبليان أبدا .

وكذا الجد نقيض الهزل، والاجتهاد في الأمور .

ومنها: القرب: جدة النهر وجُدَّته ما قرب منه من الأرض .

ومنها: الطريق والطريقة، والجمع جُدد، قال الزجاج: (كل طريقة جُدة وجادة) .

(١) ينظر: القاموس المحيط/ محمد بن يعقوب، العلامة اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي، (ت/ ٨١٧هـ)، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/ ٨، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م: ٢٧٥ .

(٢) ينظر: لسان العرب/ محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأفريقي، (ت/ ٧١١هـ)، تحقيق: عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف – القاهرة: ١/ ٥٦١- ٥٦٤ .

والجَد والجُد والجديد والجُدد: كله وجه الأرض، والأرض الغليظة أو الصلبة، وقيل: المستوية، أي: لا وعث فيها ولا أكمة ولا جبل وتكون واسعة وقليلة السعة .

ومنها: الوضوح؛ وجادة الطريق: مسلكه بما وضح منه .

ولما تبينت لنا المعاني اللغوية لجدد، آن لي أن أنقلها إلى صيغة التفعيل، فيكون معنى التجديد اللغوي هو (التصيير، والتقريب، والتسهيل، والتوسيع) من غير رداءة ولا تكرار وملل .

ةةةةةةة ةة ةةةةةةةة

لا بد لي من توضيح معنى التجديد بِعَدِّه مصطلحاً عامًّاً، وقد تفاوتت فيه تعريفات المعاصرين، يقول الشيخ القرضاوي بعد ذكر كلام علماء الأمة السابقين عن التجديد: (إن التجديد لشيء ما: هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وهى منه، وترميم ما بلى، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى)[1].

ويعرفه الدكتور عدنان محمد إمامة بأنه: (إحياء وبعث ما اندرس منه، وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها)[2].

وعرفه محمد عمارة بقوله: (التجديد: استصحاب الثوابت الجوهرية والنقية في الموروث، وينظر فيها بعقل معاصر، مع التجديد في المتغيرات والمستجدات)[3].

---

(١) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا/ د. يوسف القرضاوي، دار الشروق الأولى- القاهرة، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م: ٣٠.

(٢) التجديد في الفكر الإسلامي/ د. عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي- الرياض، ط/ ١، ١٤٢٤هـ : ١٩

(٣) الاسلام والتحديات المعاصرة/ د. محمد عمارة، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة، ط/ ٤، ٢٠٠٩م: ٨٣ .

وكذلك يقول: (التجديد الإسلامي: هو السبيل لتحقيق إرادة الله سبحانه وتعالى أن تكون الشريعة الإسلامية هي العالمية والخاتمة لرسالات وشرائع السماء وأن تظل حجة الله على عباده قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها)[1].

إنَّ المعنى اللغوي للتجديد منسجم ومتوافق مع المعنى الاصطلاحي، غير أنَّ فيها تفاتا في جمع شتاته واستيفائه كاملا، وبعد استقرائي لكتاباتهم ودراساتهم تجمعت عندي كلمات عسى أن تسهم في تحديد معنى التجديد ورسمه، وما يتناسب مع عبارة (التجديد الإسلامي) مفهوماً، **لذا أقول:**

التجديد هو: إعادة صياغة وهيكلة العلوم الإسلامية وفق ما تقتضيه الضرورات، وبما يخدم الدين الحنيف، وإلباسها ثوب المعاصرة في العبارة والأسلوب والمهارات التي يحتاج إليها في الاتصال، مستندا على موروث الأمة من أول لحظات ولادتها إلى يومنا هذا.

❊ ❊ ❊

(١) المصدر نفسه: ٧٩ .

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةةة ةةة ةةةةةةة ةةةةةةةة

إنَّ العلوم تنشأ وتتدرج في نموها واستقلالها حتى تربو على يد أصحابها لتقف على سوقها، ثم تندرج تحتها المؤلفات، ويقف على رسومها وحدودها العلماء، فتبلغ غاية ما تبلغ من الرسوخ والثبات، ثم يتعلمها الطلاب، ويتوارثونها جيلا عن جيل، وكابرا عن كابر، فإذا بَعُد الزمان، وبطأت الأقدام عن بلوغ فهم تلك العلوم ومراميها، شرع العلماء في تيسير الخطاب على الطلاب بتأليفات تشرح ما يشكل عليهم، وتوضح ما أبهم، حتى إذا تطاول الزمان زادت الحاجة إلى التجديد والاستجابة لروح العصر، فتنبري الأقلام بأيدي العلماء، وتأخذ بأمرهم منحى مختلف في الخطاب، وهكذا يكون الحال كلما دار الزمان واختلف المكان وتنوعت العلوم والأفهام، ولمن طالع كتب أهل العلوم والفنون وجد ذلك واضحا غاية الوضوح، والتفسير ليس بمنأى عن ذلك فهو في مقدمة الركب، إذ تعلقه بكتاب الله تعالى يوليه السبق في العناية والتدبر لآياته الكريمة، وإيصال فهمه إلى العقول بشتى المجالات(لغوية-علمية- عقلية- شرعية) والأماكن والأزمنة، وهذا يعطي صورة لحالة التجديد المتكررة للتفسير وهي تقع ضمن حاجة أهل العصور المتعاقبة.

وقد تحدث العلماء مطولا في مقدمات تفاسيرهم وكتبهم التي تعنى بعلوم القرآن عن مراحل تطور علم التفسير، وجاء ذلك التطور لأن تراكم الخبرات – ما تركه العلماء لنا من تفاسير- تحتاج إلى طرق اتصال مناسبة لإيصالها عبر العصور والأماكن؛ وذلك أدى إلى تجدد الكتابة بالتفسير، وتنوع الأساليب المعتمدة عند كتابتها انسجاما مع روح العصر المكتوبة فيه، ومراعاة للعلوم المتجددة مثل الاكتشافات العلمية الحديثة والتي أخبر الله

تعالى عنها في كتابه الكريم .

لذا فإنَّ تطور العلوم وتجدد العصور ودخول الناس في الاسلام وحاجة المسلمين إلى الدعوة بترجمة التفاسير وغيرها احتياجات تطالب العلماء أن يفسروا آيات القرآن تفسيرا يتناسب مع مقتضيات الفهم التي تناسبهم، فالمسلم غير العربي به حاجةٌ إلى ترجمة التفسير على لغته لئلا يؤول النص بغير ما يحتمله من المعاني، وصاحب الطب يتوجه بنظره إلى الآيات المتعلقة بالطب وهكذا غيرهما، علما أن التجديد لا يعنى هجر الماضي واستبداله، وإنما عرضه بحلة مناسبة للعصر والمخاطبين وأماكنهم، لذا وضعت شروحا وحواشي على التفاسير القديمة ولم يهجروا التفاسير الأصيلة؛ وذلك لتقريبها للأذهان كما نسمع كثيرا عن الحواشي المكتوبة على تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله[1] .

وقد ذكر الدكتور عبدالستار حامد كلاما أختم به المبحث فهو مثال على ضرورة التجديد في التفسير، إذ يقول: (إن تطور العلوم وتقدمها في عصرنا الحاضر يقتضي أن تفسر بعض الآيات العلمية والكونية والنفسية بحسب مستوى تطورنا العلمي، فنحن نعيش في عصر برزت فيه مشكلات متجددة، ومسائل علمية مستحدثة لا تزال تتحدانا للنظر في حلها، ولم ينقل إلينا فيها عن السلف تفسير؛ لأنها لم تظهر في عصرهم...)[2].

❊ ❊ ❊

(١) ينظر: التفسير والمفسرون / محمد حسين الذهبي : ١/ ٣٢- ٢٨٧، ودراسات في التفسير والمفسرون / د. عبدالقهار داود عبدالله العاني، مطبعة أسعد- بغداد، ١٩٨٧م: المقدمة، و: ١٢- ١٦، ومباحث في علم التفسير/ د. عبدالستار حامد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- جامعة بغداد، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م: ٩٩- ١٢٩ .

(٢) مباحث في علم التفسير: ٦١ .

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةة ةةةةة ةة ةةةةة ةةةةةةة

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةةة ةة ةةةةةةة

جرت عادة العلماء في التأليف والتصنيف الاعتماد على التقسيم، لما له من أثر بالغ في خدمة العلوم، وتيسير الفهم، وسرعة الحفظ، واستقرار المعلومات في الذهن بالتتابع أو بغيره، ولا نبتعد عن القرآن الكريم المحفوظ إلى يوم الدين، ففيه الحجة البالغة والبرهان المبين، إذ نراه مقسما إلى سور وآيات، فهذا التقسيم والتقطيع لم يأتِ اعتباطيا، بل له اعتبارات لا يستوعبها بحثي، ثم جاء العلماء فعمدوا لتقسيمه على أجزاء وأحزاب وأرباع، وتتبعوا مواضع الوقف والابتداء، وهذا كله يندرج تحت مسمى التقسيم، ثم التفسير هو أيضا دخله التقسيم أصالة؛ لتعلقه بالقرآن الكريم، فقسم على حسب ترتيب الآيات والسور والأجزاء، ثم جعل له العلماء بمرور الزمان قسمة ثانية وقعت بناء لمتطلبات التجديد واستجابة لروح العصر، وهذه القسمة جاءت تبعا للمنهج التفسيري الموضوع، فانقسم التفسير إلى تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وبأقوال التابعين، وهذه الأربعة يطلق عليها مجموعة (التفسير بالمأثور أو الرواية).

وكذا تفسير القرآن باللغة على أساس المفردة القرآنية كما فعل الراغب في المفردات، والتفسير النحوي والصرفي للقرآن كما فعل الزجاج والنحاس في كتابيهما، والتفسير البلاغي الذي شاع في زماننا ويعتبر لونا من ألوان التجديد، كما فعلت الدكتورة عائشة

عبدالرحمن الشاطئ، والدكتور فاضل السامرائي، وهناك تفاسير اعتنت بالجانب العلمي والتربوي والإشاري وقد أطلق عليه العلماء (التفسير بالرأي أو الدراية) .

وهذه التقسيمات داخل تفسير القرآن الكريم قد تكون مجتمعة أو متفرقة، فالمفسر قد يغلب عليه التفسير بالمأثور ويشترط ذلك عند كتابته، أو باللغة ، أو التفسير العلمي، وهذه التقسيمات مع غلبتها لكن هي لا تمنع من إيجاد أنواع أخرى جديدة موافقة لروح العصر وحاجات الأمة الإسلامية، وهناك كثير من العلوم برزت اليوم على الساحة يمكن أن تأخذ طريقها في تفسير القرآن الكريم لتطوير الفهم الإسلامي للواقع المعصر كفرد أو مجتمع أو أمة ثم التعامل به للوصول به إلى هداية الناس، كما يسهم في إيجاد حلقة وصل مع أهل العلوم الموضوعة حديثا.

لذا فإنَّ الحاجة تستدعي الانتباه إلى العناية بالتفسير المأثور مثلا؛ لينال عناية أوسع مما سبق في التأليف، أو استحداث تقسيم فرعي له، فعلى سبيل التمثيل نحتاج إلى فرز تفسير الصحابة بعضهم عن بعض، أو عن تفسير التابعين في تفاسير متخصصة بصورة أدق، وكما سأتحدث عن تقسيم التفسير بالسنة فيما بعد، وإنما دعا لذلك التجديد والاستجابة لروح العصر، وافراد كل قسم تفسيري على حدة ليسهل الوصول إليه، وتيسير الوصول إلى تفسير الصحابي أو التابعي بالذهاب إلى التفسير الخاص المجموع عنه عند الباحثين، فهذا يقدم خدمة عصرية جليلة .

يتبين من ذلك أنَّ التقسيم يسهم في تجدد العلم وتطوره، ويتناغم مع العصر إيجابيا، نظرا إلى سرعة الزمن وقلة بضاعة طلبة العلم اليوم، واختلاط الأفكار والعلوم، وله من الفوائد ملا يسع المجال لذكره .

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةة ةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةةة ةةةةة

لا بد من تعريف السنة قبل الكلام عن تقسيم التفسير بالسنة، لذا أقول:

السنة في اللغة:

دلت على معانٍ عدة، منها القصد، والنهج، والجهة، كما أنها جاءت بمعنى الطريقة سواء أكانت محمودة أم مذمومة، لكنها عند الاطلاق تنصرف إلى المحمودة المستقيمة(١).

وفي الاصطلاح:

كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية(٢).

وفي اصطلاح علم التفسير:

كل ما ورد عن النبي ﷺ في القرآن من تفسير آية ،أو إيضاح مشكل، أو تفصيل مجمل، أو تقييد مطلق، أو تخصيص عموم أو غير ذلك، إذ لا بد للمفسر من الرجوع إلى السنة إن أعياه عن طلبه في القرآن(٣).

بعدما تبين لنا معنى تفسير القرآن بالسنة كمصطلح، يسهل علينا الذهاب إلى الكلام عن التقسيم الجديد الذي أطرحه في بحثي حول التجديد، وذلك أن التقسيم المعتمد عند

(١) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٢١٢٤ – ٢١٢٥ .

(٢) ينظر: أعلام المحدثين/ د. محمد بن محمد أبو شهبة، مطابع دار الكتاب العرب – بمصر: ١/ ٦ ، وتيسير مصطلح الحديث/ د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف – الرياض، ط/ ٨، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م :١٥ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن/ الإمام محمد بن عبدالله، بدر الدين الزركشي (ت/ ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة التراث – القاهرة :٢/ ١٧٥– ١٧٦، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه/ د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة– الرياض، ط / ٤، ١٤١٩هـ :٧٧، وقواعد التفسير جمع ودراسة/ خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان ، ط/ ١، ١٤٢١هـ: ١٣٠ –١٣٩ .

العلماء لأنواع التفسير قابل للتجديد، إذ المرونة بهذا الجانب لها متسع، ووقع اختياري لإثبات إمكانية التجديد في التفسير على تفسير القرآن بالسنة، وله ضرورة ملحة، وهو جزءٌ من تفسير القرآن لم يأخذ استحقاقه من التقسيم كما حدث للتفسير اللغوي مثلا، كما لم يأخذ حقه من الاهتمام مثلما وقع الاهتمام بتقسيم السنة عند المحدثين من حيث الصحة والحسن والضعف، لذا أخذت بعض الآيات التعويل الأحاديث الصحيحة والحسنة الواردة في تفسيرها، لا لمناسبة جاءت موافقة لتفسير النص القرآني أو المفردة، بل أقصد ما قاله رسول الله ﷺ في معنى الآية، وفي ذلك إبراز لدور السنة وأثرها في تفسير القرآن، فما ورد منها مفسرا لنص الآية وهو حديث صحيح، راجح على ما لم يرد في تفسير الآية مع كونه حديثا صحيحا، فما بالك بما يتناقله بعض من فسر القرآن بالسنة ويرجح معنى على معنى بناء على روايات من السنة، ولم يعتن بدرجتها من حيث الصحة والحسن والضعف، أو من حيث ورودها في نص الآية من عدمه، وهذا ما يغفله كثير من أهل الاختصاص في زماننا.

لذا فإنَّ بنا حاجة إلى تأليف تفاسير تضع لنا تقسيما جديدا للسنة يعنى بجانب تقسيم تفسير القرآن بالسنة على غرار تقسيم المحدثين، لنقف بذلك على الراجح والمرجوح من المعاني التفسيرية المستفادة من السنة النبوية ثم الوقوف عند مراد الله تعالى، ولئلا يأخذ البعض تفسيرا بالسنة ويبني عليه حكما ويجعله أصلا لا يجوز الاختلاف عنه أو تعديه ثم يتبين بعد التحري عن صحة الحديث وتعلقه بالنص القرآني كونه ضعيفا وبعيدا عن النص، أو نجد ما ورد بالنص القرآني وإسناده صحيح، بل الأولى تحري السنة جميعا، وحفظ ما ورد من المعاني التي دلت عليها، وترتيب المعاني الواردة بحسب تعلقها بالنص القرآني وقوة أو درجة الإسناد، ثم إن هذا كله يجري تحت الضوابط المتفق عليها المذكورة عند المفسرين في كتب علوم القرآن، والله أعلم .

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة

ةة ةةةةةة ةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةة:

جمع ما فسره رسول الله ﷺ من الآيات بالترتيب على المصحف، نقلا من الكتب التي عنيت بجمع السنة النبوية.

اعتمد على صحيحي البخاري ومسلم، إن لم أجد زيادة عند غيرهما، وإن وجدت أخذت بها، وإن لم أجد فيهما عن الآية شيئا ذهبت لكتب الحديث، فإن وجدت ضالتي اكتفيت، فإن لم أجد ذهبت لكتب التفسير بالمأثور وغيرها مما فيه رواية السنة بالإسناد لأجد ضالتي، فإن لم أجد أمسكت عن تفسير الآية أو السورة أو السور. علما أني لا أذكر الأسانيد؛ لأن العمل بها يذهب بالمقصود ولا أذكر حديثا قال عنه العلماء: بأنه موضوع .

لا أفسر النص إلا بما ورد عن النبي ﷺ صريحا بتفسير الآية نفسها، ولا أذكر ما ليس له علاقة بالآية القرآنية أو لمجرد توافق اللفظ بين القرآن والسنة، بشرط ألا تكون الرواية موضوعة.

أبتدئ بذكر السورة ثم ما ورد في فضلها إن وجد، وأسمائها وأسباب نزولها وإن كانت موقوفة على الصحابة ؛ فإنَّ اسباب النزول التي رواها الصحابة رضي الله عنهم لها حكم المرفوع[1]، ثم أفسر السورة أو مجموعة الآيات.

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن/ لشيخ الإسلام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، (ت/ ٩١١هـ)، وبهامشه إعجاز القرآن/ للباقلاني، المكتبة الثقافية – بيروت، ١٩٧٣م: ٢/ ١٧٩ .

أولا: سورة الفاتحة.

ة- ةةة ةةةةةة:

فقد روى البخاري بسنده عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي. فقال: (ألم يقل الله: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[1]. ثم قال لي: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد). ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له ألم تقل: (لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن). قال (﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)[2]، وروى الدارمي بسنده عن عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ: (في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء)[3]. وروى النسائي بسنده عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، فهي خداج، فهي خداج). قال: يا أبا هريرة إني أحيانا أكون وراء الإمام، قال: يا فارسي، اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:(قال الله عز و جل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل قال العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال:﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله: أثنى

(١) قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٤)

(٢) الجامع الصحيح المختصر/ محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبدالله البخاري، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير – بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م: ٤/ ١٦٢٣، رقم: (٤٢٠٤).

(٣) سنن الدارمي/ عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل، ابو محمد الدارمي، (ت/ ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم الداراني، دار المغني- المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ١٤١٢هـ = ٢٠٠م: ٢/ ٥٣٨، رقم: (٣٣٧٠)، باب فضل فاتحة الكتاب، قال المحقق حسين سليم أسد: إسناده صحيح غير أنه مرسل .

علي عبدي. فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال الله: مجدني عبدي أو قال: فوض إلي عبدي. فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ قال: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل). قال سفيان: دخلت على العلاء بن عبد الرحمن في بيته وهو مريض فسألته عن هذا الحديث فحدثني به[1].

وأخرج الدارقطني بسنده عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت أنَّ النبي ﷺ قال: (أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها منها بعوض) تفرد به محمد بن خلاد عن أشهب عن ابن عيينة[2].

ة- ةةةةة ةةةةةة:

سبق ورود أسماء للسورة عند ذكر فضلها؛ منها: أم القرآن، السبع المثاني، القرآن العظيم، والشافية لما روى الدارمي بسنده عن عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ: (في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء)[3].

ج- كيفية قراءة النبي ﷺ:

فقد ذكر أبو يعلى بسنده عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ: (﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ يعني: حرفا حرفا)[4].

(١) السنن الكبرى/ أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبدالرحمن النسائي، (ت/ ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/ ١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م: ٥/ ١١، رقم (٨٠١٢).

(٢) سنن الدار قطني/ علي بن عمر بن أحمد، أبو أحمد الدارقطني، (ت/ ٣٨٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط/ ١، ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٤م: ١/ ٣٢٢، رقم ٢٠، باب وجوب قراءة أم الكتاب في الصلاة.

(٣) سنن الدارمي: ٢/ ٥٣٨، رقم: (٣٣٧٠)، باب فضل فاتحة الكتاب.

(٤) مسند أبي يعلى/ لأحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث- دمشق، ط/ ١، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م: ١٢/ ٣٥٠، رقم:(٦٩٢٠)، قال حسين سليم

وروى ابن أبي زمنين بسنده عن الزهري: (أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرؤونها ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ بكسر الكاف)[1].

٥- ٥٥٥٥٥:

روى الواحدي بسنده عن أبي ميسرة: (أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع مناديا يناديه: يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هاربا، فقال له ورقة بن نوفل: إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك: قال: فلما برز سمع النداء: يا محمد، فقال: لبيك، قال: قل أشهد أنَّ لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال: قل: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ حتى فرغ من فاتحة الكتاب)[2]، وروى ابن أبي شيبة بسنده عن مجاهد قال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أنزلت بالمدينة[3]، قال الحسين بن الفضل: (لكل عالم هفوة وهذه بادرة من مجاهد)؛ لأنه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه[4].

٥٥- ٥٥٥٥٥٥:

وروى الطبري بسنده عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة، قال: قال النبي ﷺ: (إذا قلت: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾. فقد شكرت الله فزادك) والحديث

أسد : رجاله رجال الصحيح .

(١) تفسير القرآن العزيز/ محمد بن عبدالله بن عيسى، أبو عبدالله الألبيري، الشهير بابن أبي زمنين، (ت/ ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبي عبدالله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفروق الحديثة – القاهرة، ط/ ١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م: ١/ ١١٨- ١١٩ .

(٢) أسباب النزول/ لعلي بن أحمد، أبي الحسن الواحدي النيسابوري، تحقيق: طارق طنطاوي، مكتبة الساعي – الرياض، ١٩٩١م: ١/ ١١ .

(٣) المسند/ عبدالله بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر بن أبي شيبة، (ت/ ٢٣٥هـ)، تحقيق: عادل يوسف العزازي، وأحمد فريد المزيدي، دار الوطن- الرياض، ط/ ١، ١٩٩٧م: ٧/ ١٨٥ .

(٤) ينظر: أسباب النزول/ للواحدي: ١/ ١١ .

ضعيف[1]، وروى بسنده أيضا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:(وذكر القرآن فقال: هو الصراط المستقيم)[2]. وروى بسنده أيضا عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، والصراط الإسلام.)[3]. وكذا عن عدي بن حاتم قال: سألت النبي ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾: قال: (هم اليهود)[4]، وأيضا عن عدي بن حاتم قال: سألت النبي ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ؟ قال: (النصارى هم الضالون)[5].

ةةةةة: ةةةة ةةةةةة ةةةةةة (1-20).

ةةة ةةةةةة:

روى عن أسيد بن حضير: (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير. قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤- ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية- بدار هجر: ١/ ١٣٦ .

(٢) جامع البيان: ١/ ١٧٢ . وينظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين/ للحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، أبي حاتم الرازي، (ت/ ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض، ط/ ١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م: ١/ ٣٠.

(٣) جامع البيان: ١/ ١٧٥ . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١/ ٣١ .

(٤) جامع البيان: ١/ ١٨٦ . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١/ ٣١ .

(٥) جامع البيان: ١/ ١٩٤- ١٩٥ .

فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها. قال: وتدري ما ذاك؟ قال: لا. قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم.)[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)[2]، وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لكل شيء سناما، وسنام القرآن سورة البقرة)[3]، وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول.)[4].

ومنه ما ورد في فضل آية الكرسي، فعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾. قال: فضرب في صدري. وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر)[5]، وعن أبي أمامة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن في سورة البقرة وآل عمران وطه)، قال: فالتمستها فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[6] وفي سورة آل عمران:

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٩١٦.

(٢) صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت: ١/ ٥٣٩ .

(٣) المستدرك على الصحيحين/ محمد بن عبدالله، أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ ١، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .: ١/ ٧٤٨.

(٤) المستدرك: ١/ ٧٤٩

(٥) صحيح مسلم : ١/ ٥٥٥

(٦) سورة البقرة/ الآية: ٢٥٥

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[1]، وفي سورة طه: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾[2][3]، وعن محمد بن عمرو بن أبي بن كعب عن جده أبي بن كعب رضي الله عنه: (أنه كان له جرين تمر فكان يجده ينقص، فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام المحتلم، فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال: أجني أم إنسي؟ فقال: بل جني. فقال: أرني يدك، فأراه فإذا يد كلب وشعر كلب، فقال: هكذا خلق الجن، فقال: لقد علمت الجن إنه ليس فيهم رجل أشد مني، قال: ما جاء بك؟ قال: أنبئنا أنك تحب الصدقة فجئنا نصيب من طعامك. قال: ما يجيرنا منكم قال: تقرأ آية الكرسي من سورة البقرة: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾. قال: نعم. قال: إذا قرأتها غدوة أجرت منا حتى تمسي، وإذا قرأتها حين تمسي أجرت منا حتى تصبح. قال: أبي فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك. فقال: صدق الخبيث)[4].

ومنه ما ورد في فضل أواخر سورة البقرة، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:(من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)[5]، وعن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: (فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت الأرض لنا مسجدا وجعل ترابها طهورا، وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من بيت كنز تحت العرش لم يعط أحد منه قبلي ولا يعطى أحد منه بعدي.)[6]، عن أبي ذر

(١) سورة آل عمران/ الآيات: (١- ٢) .
(٢) سورة طه/ الآية: ١١١.
(٣) المستدرك:١/ ٦٨٦ .
(٤) السنن الكبرى/ : ٦/ ٢٣٩. المستدرك: ١/ ٧٤٩ ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٥) صحيح البخاري: ٤/ ١٩١٤.
(٦) سنن البيهقي: ١/ ٢١٣.

رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلموهن وعلموهن نساءكم فإنها صلاة وقرآن ودعاء)[1].

ومنه ما ورد في فضل سورتي البقرة وآل عمران، فعن النواس بن سمعان الكلابي يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد. قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما)[2]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما خيب الله عبد اقام في جوف الليل فافتتح سورة البقرة وآل عمران ونعم كنز المرء البقرة وآل عمران)[3]

ةةةةة ةةةةةة:

الزهراوان مع آل عمران، فعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرؤوا القرآن فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة

(١) المستدرك: ١/ ٧٥٠، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

(٢) صحيح مسلم: ١/ ٥٥٤ .

(٣) المعجم الأوسط/ سليمان بن أحمد بن يوب، أبو القاسم الطبراني، (ت/ ٣٦٠هـ)، طارق عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين- القاهرة : ٢/ ٢١٤. قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الشعبي إلا ليث ولا عن ليث إلا فضيل تفرد به بشر، وفيه: ليث بن أبي سليم، أبوبكر القرشي مولاهم الكوفي عن مجاهد وطبقته، لا نعلمه لقي صحابيا، وعنه شعبة وزائدة وجرير، فيه ضعف يسير من سوء حفظه كان ذا صلاة وصيام وعلم كثير وبعضهم احتج به، فهذا الحديث ضعيف. ينظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة/ محمد بن أحمد بن عثمان، أبو عبدالله الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، القبلة للثقافة الاسلامية- جدة، ط/ ١، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م: ٢/ ١٥١ .

ولا يستطيعها البطلة)[1].

سنام القرآن ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة)[2].

النورين هي والفاتحة، فعن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال: (هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)[3].

ة- ةةةةة ةةةة ةةةةةة:

قوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ... ﴾[4]، وسبب نزولها ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (نزلت هذه الآية في عبدالله بن أُبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبدالله بن أُبيّ: انظروا كيف أردُّ هؤلاء السفهاء عنكم؟ فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال: مرحبًا بالصديق سيد بني تيم، وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله؛ ثم أخذ بيد

(١) صحيح مسلم: ١/ ٥٥٣، والمراد بالزهراوين: المنيرتين. والغياية: كل شيء أظل الانسان فوق رأسه. ومعنى فرقان: قطعتان، والفرق: القطعة من الشيء، والصواف: المصطفة المتضامة لتضل قارئها. والبطلة السحرة. ينظر: زاد المسير في علم التفسير/ لجمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرج القرشي البغدادي، (٥٠٨- ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي لزهير الشاويش: ١/ ١٩.

(٢) المستدرك: ١/ ٧٤٨.

(٣) صحيح مسلم: ١/ ٥٥٤ . وينظر: سنن النسائي: ٢/ ١٣٨، ومعنى: نقيضا؛ أي: صوتا كصوت الباب إذا فتح .

(٤) سورة البقرة/ الآية: ١٤

عمر فقال: مرحبا بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله؛ ثم أخذ بيد عليّ فقال: مرحبًا بابن عم رسول الله وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا؛ فقال عبدالله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه خيرًا، فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بذلك، فأنزل الله هذه الآية.)[1].

أما سبب نزول قوله تعالى: ﴿كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ...إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]، فقد ذكر الطبري بإسناده عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما، عن أناس من أصحاب النبي ﷺ، يقول الطبري: (كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله ﷺ إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله، فيه رعدٌ شديد وصواعقُ وبرقٌ، فجعلا كلَّما أضاء لهما الصواعقُ جعلا أصابعَهما في آذانهما، من الفَرَق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما. وإذا لمع البرق مَشيا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصِر أو قاما مكانهما لا يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتيَ محمدًا فنضعَ أيدينا في يده. فأصبحا فأتياه فأسلما، ووضعا أيديهما في يده، وحَسُن إسلامهما. فضرب الله شأن هذين المنافقيْن الخارجيْن مثلا للمنافقين الذين بالمدينة. وكان المنافقون إذا حضروا مجلسَ النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم، فَرَقًا من كلام النبي ﷺ، أن يَنزِل فيهم شيء أو يُذكَروا بشيء فيقتَلوا، كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما، وإذا أضاء لهم مشوا فيه. فإذا كثرت أموالهم، ووُلد لهم الغلمان، وأصابوا غنيمةً أو فتحًا، مشوْا فيه، وقالوا: إن دين محمد ﷺ دينٌ صدق. فاستقاموا عليه، كما كان ذانك المنافقان يمشيان، إذا أضاء لهم البرق مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا. فكانوا إذا هلكت

(١) أسباب النزول/ للواحدي: ١/ ١٨ ، الرواية إسنادها ضعيف.
(٢) سورة البقرة/ الآيات: ١٩- ٢٠ .

أموالهم، ووُلد لهم الجواري، وأصابهم البلاء، قالوا: هذا من أجل دين محمد. فارتدوا كفارًا، كما قام ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما.)[1].

ة- ةةةةةةة:

فقد ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قيل له يا رسول الله: إنا نقرأ من القرآن فنرجو. ونقرأ من القرآن فنكاد أن نيأس - أو كما قال، فقال: (ألا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾قال: هؤلاء أهل الجنة. قالوا: إنا نرجو أنْ نكون منهم. ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾إلى قوله: ﴿عَظِيمٞ﴾ هؤلاء أهل النار، لسنا هم يا رسول الله؟ قال: أجل.)[2]، وروى ابن أبي زمنين بسنده عن يحيى عن المبارك بن فضالة[3] عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: يُجاء بالمستهزئين يوم القيامة؛ يفتح لهم باب من أبواب الجنة، فيدعون ليدخلوا فيجيئون، فإذا بلغوا الباب أغلق فيرجعون، ثم يدعون ليدخلوا فيجيئون؛ فإذا بلغوا الباب أغلق فيرجعون، ثم يدعون ليدخلوا فيجيئون، فإذا بلغوا الباب أغلق فيرجعون، ثم يدعون حتى إنَّهم يدعون فلا يجيئون من اليأس[4].

(١) جامع البيان/ للطبري: ١/ ٣٤٦، والمحقق درس الإسناد وقال بصحته، وهو موجود في تفسيره (١/ ١٥٦)، قال الحاكم عن هذا الإسناد ورد في حديث آخر: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك: ٢/ ٢٥٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم/ لابن أبي حاتم: ١/ ٣٩.

(٣) قال الذهبي: المبارك بن فضالة عن الحسن وغيره ضعفه أحمد والنسائي، وقال أبو زرعة: يدلس. وقال أبو داود وأبو حاتم: إذا قال حدثنا فهو ثقة. ينظر: المغني في الضعفاء/ أبو عبدالله الذهبي، تحقيق: نور الدين عتر: ١/ ١٢٩ .

(٤) تفسير القرآن العزيز: ١/ ١٢٣ . وإسناد هذا الحديث ضعيف، لعلتين: إحداهما: أنه مرسل تابعي. والأخرى: أن المبارك بن فضالة ضعفه العلماء .

ةةةةةةة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق سيد الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد: تبين من البحث جملة من النتائج هي:

إمكانية إقامة حركة تفسيرية تتناسب وتطلعات المفسرين اليوم مع وجود الحاجة إلى توافق تلك التطلعات روح العصر .

التجديد والتقسيم في تفسير القرآن بالسنة يعطي فرصة للنظر بباقي أقسام التفسير لتطويرها وترتيبها وعرضها بروح العصر، على أن تضبط بالحدود التي رسمها أئمة التفسير .

ضرورة ترتيب المعاني بحسب درجة الحديث وتعلقه أو وروده بنص الآية؛ ليكون المفسر والباحث والقارئ على بينة من تفسير القرآن بالسنة .

ضرورة الوقوف بوجه من يحمل نصوص القرآن على غير مراد الله تعالى لهوى يتبعه، أو فكرة يشيعها بين الناس لا تتفق مع محكمات التفسير ولا تحتمله معاني النصوص القرآنية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

ةةةةةةة

- القرآن الكريم.

١- الإتقان في علوم القرآن/ لشيخ الإسلام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، (ت/ ٩١١هـ)، وبهامشه إعجاز القرآن/ للباقلاني، المكتبة الثقافية - بيروت، ١٩٧٣م.

٢- أسباب النزول/ لعلي بن أحمد، أبي الحسن الواحدي النيسابوري، تحقيق: طارق طنطاوي، مكتبة الساعي - الرياض، ١٩٩١م .

٣- الاسلام والتحديات المعاصرة/ الدكتور محمد عمارة، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة، ط/ ٤، ٢٠٠٩م .

٤- أعلام المحدثين/ د. محمد بن محمد أبو شهبة، مطابع دار الكتاب العرب - بمصر.

٥- بحوث في أصول التفسير ومناهجه/ أ.د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة- الرياض، ط / ٤، ١٤١٩هـ .

البرهان في علوم القرآن/ الإمام محمد بن عبدالله، بدر الدين الزركشي (ت/ ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة التراث - القاهرة

التجديد في الفكر الإسلامي/ د. عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي- الرياض، ط/ ١، ١٤٢٤هـ .

٦- تفسير القرآن العزيز/ محمد بن عبدالله بن عيسى، أبو عبدالله الألبيري، الشهير بابن أبي زمنين، (ت/ ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبي عبدالله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفروق الحديثة - القاهرة، ط/ ١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

٧- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين/ للحافظ

عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، أبي حاتم الرازي، (ت/ ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض، ط/ ١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

٨- التفسير والمفسرون / محمد حسين الذهبي.

٩- تيسير مصطلح الحديث/ د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف – الرياض، ط/ ٨، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

١٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤- ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية- بدار هجر

١١- الجامع الصحيح المختصر/ محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبدالله البخاري، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير – بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

١٢- دراسات في التفسير والمفسرون / د. عبد القهار داود عبدالله العاني، مطبعة أسعد- بغداد، ١٩٨٧م .

١٣- زاد المسير في علم التفسير/ لجمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرج القرشي البغدادي، (٥٠٨- ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي لزهير الشاويش .

١٤- سنن الدارقطني/ علي بن عمر بن أحمد، أبو أحمد الدارقطني، (ت/ ٣٨٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط/ ١، ١٤٢٤ه= ٢٠٠٤م.

١٥- سنن الدارمي/ عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل، ابو محمد الدارمي، (ت/ ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم الداراني، دار المغني- المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ١٤١٢هـ = ٢٠٠م.

١٦- السنن الكبرى/ أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبدالرحمن النسائي، (ت/ ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/ ١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

١٧- صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

١٨- القاموس المحيط/ محمد بن يعقوب، العلامة اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي، (ت/ ٨١٧هـ)، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/ ٨، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م .

١٩- قواعد التفسير جمع ودراسة/ خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان ، ط/ ١، ١٤٢١هـ .

٢٠- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة/ محمد بن أحمد بن عثمان، أبو عبدالله الذهبي، (ت/ ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد أحمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، ط/ ١، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

٢١- لسان العرب/ محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأفريقي، (ت/ ٧١١هـ)، تحقيق: عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف - القاهرة .

٢٢- مباحث في علم التفسير/ د. عبدالستار حامد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- جامعة بغداد، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

٢٣- المستدرك على الصحيحين/ محمد بن عبدالله، أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ ١، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

٢٤- المسند/ عبدالله بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر بن أبي شيبة، (ت/ ٢٣٥هـ)، تحقيق: عادل يوسف العزازي، وأحمد فريد المزيدي، دار الوطن- الرياض، ط/ ١، ١٩٩٧م .

٢٥- مسند أبي يعلى/ لأحمد بن علي بن المثنى، أبي يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث- دمشق، ط/ ١، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

٢٦- المعجم الأوسط/ سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، (ت/ ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق عوض الله، وعبدالمحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين- القاهرة .

٢٧- المغني في الضعفاء/ محمد بن أحمد بن عثمان، أبو عبدالله الذهبي، (ت/ ٧٤٨هـ)، تحقيق: نور الدين عتر .

٢٨- من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا/ د. يوسف القرضاوي، دار الشروق الأولى- القاهرة، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .

❊ ❊ ❊

-18-

ةةةةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة

ةةةةةةةة ةةةةة ةةةةة ةة

ةةةة ةة ةةةة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ةةةةةةً

ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةة ةةة

(ةةةةةة ةة(ةةةةةة ةةةةةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةة)

م.د. محمد صادق محمد

كلية الإمام الأعظم

قسم الدعوة والخطابة والفكر/ بغداد

ةةةةةةة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدّر فهدى، والصلاة والسلام على خير الورى سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أهل النجابة والقِرى، ومن سار على دربهم وتمسك بما تمسكوا به من العُرى.

أمَّا بعدُ.. فإنَّ النفس البشرية التي خلقها الله تعالى هي أشرف المخلوقات على الإطلاق، وأودع الله تعالى فيها أسراره ونفخ فيها من روحه سبحانه، فكانت هذه النفخة العلوية سببًا آخر لارتقاء النفس البشرية وسموّها، ونحن بالنظر إلى كوننا بشراً متعايشين على هذه البسيطة لم نكن يومًا نسخة واحدة متطابقة بل كل نفس هي نفس فريدة من نوعها، لا تشبهها نفس أخرى إلا بمقدار معين، مثلها كمثل بنان الإنسان الذي بين الله تعالى أنه هو سبحانه من سوى هذا البنان ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾[1]، فكان التنوع في الجنس البشري الذي يكمل بعضه بعضًا، وكان كل واحد منهم يعمل لما هو ميسر له.

ونحن إذ ندرس علم أنماط الشخصية دراسة علمية منهجية تقوم على أسس منهجية يعرفها جميع دارسي علم النفس، وليس هو ضربًا من التنجيم أو استبصارات العرافين، وإنَّ هذا البحث هو توضيح أنَّ الناس متشابهون في أبعاد كثيرة، ولكنَّهم لا يدركون ذلك، إننا نحاول في هذا البحث أن نفسر ما يمكن تفسيره من مكونات الشخصية وهي محاولة اجتهادية نقوم بها لوضع بعض التفسيرات العلمية النفسية الشاملة قدر المستطاع وليست الكاملة، ونحن إزاء ذلك نتمنى أن نحمل رسالتنا العلمية بين طيات هذه الصفحات في موضوع به من الدقة أكثر من المنهجية التقليدية، فهو سبر أغْوار دراسة مشتتة الأبعاد، مترامية الأطراف العلمية، ليست في الجانب النظري فحسب، وإنما في

(١) سورة القيامة: الآية ٤.

الجانب العملي أيضًا.

والحكم ضالة المؤمن، فإن وجد خيرًا أخذ به وانتفع منه، ونحن إذ نسعى في مؤتمرنا هذا إلى تجديد الخطاب الإسلامي فلا مانع من الاستعانة بعلم النفس الذي يختصر لنا المسافات بين الداعي والمدعو، ونحن إذ نعرف من سيرة نبينا محمد ﷺ أنه كان يجعل الرجل المناسب في المكان المناسب وكان يعطي لكل واحد من الصحابة رضي الله عنهم مكانه المميز والذي يبدع فيه، إنما كان ذلك عن دراية واسعة وخبرة مستفيضة من النبي ﷺ بمن حوله من الرجال، وربما كان الوحي معه في ذلك، فإننا نستن بسنته ونهتدي بهديه ﷺ فنحاول جاهدين أن نسبر أغوار الرجال ونعرف إمكاناتهم حتى نضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وهذه الدراسة هي محاولة في هذا الجانب أسأل الله تعالى أن يوفقني في عملي هذا وأن يلهمني الصواب ويجنبني الزلل.

وعلى هذا فقد كان بحثي هذا (تجديد الخطاب الديني وفق نظرية أنماط الشخصية مصعب بن عمير رضي الله عنه أنموذجًا) ضمن أعمال المؤتمر الذي تقيمه كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة والذي يحمل عنوان (التجديد والاستجابة لروح العصر) وكان بحثي هذا ضمن المحور الأول وهو تجديد الخطاب الإسلامي وكانت خطة بحثي على النحو الآتي:

تمهيد في بيان مصطلحات عنوان البحث.

المبحث الأول: نشوء علم أنماط الشخصية.

المبحث الثاني: تصنيف مايرز بريغز للأنماط (MBTI)

المبحث الثالث: مصعب بن عمير رضي الله عنه أنموذجًا

والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل ...

ةةةةة

ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة

(ةةةةة ةةةةةة ةةةةة ةةةةة)

١. الخطاب لغةً: من الخطب: وهو الأمر أو سببه، والْخطاب الْكَلَام[1]. وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[2].

وهو المحاورة والجدال. وَالْخطاب، والْمُخاطبة: مُرَاجعَة الْكَلَام، وهو: كل كلام بينك وبين آخر، والخطبة من ذلك[3]. وَقد خاطبه، وهما يتخاطبان. وتخاطبا تكالما وتحادثا وخاطبه بالكلام مُخاطَبةً وخِطاباً[4].

٢. النظرية لغة: من النظر وهو: (تَقليبُ البَصيرةِ لإدراكِ الشيءِ ورُؤيتِه وَقد يُراد بِهِ التَّأَمُّل والفَحْص، وَقد يُراد بِهِ المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفحْص. وقوله تَعالى: ﴿انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾[5] أَي: تأمّلوا. وَاسْتِعْمَال النَّظَر فِي البَصَر أكثرُ اسْتِعْمَالًا عِنْد العامّة، وَفِي البصيرة أَكثر عِنْد الخاصّة. وَيُقَال: نَظَرْتُ إِلَى كَذَا، إِذا مَدَدْتَ طَرْفَكَ إِلَيْهِ، رَأَيْته أَو لم تَرَهْ، ونَظَرْتُ، إِذا رَأَيْته وتَدَبَّرْته، ونظرْتُ فِي كَذَا: تأَمَّلته)[6].

(١) ينظر: المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.

(٢) سورة ص: من الآية ٢٣.

(٣) ينظر: مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ٢، ١٩٨٦م. ١/ ٢٩٥.

(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ٤، ١٩٨٧م.

(٥) سورة يونس: من الآية ١٠١.

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب

واصطلاحًا: هي (عبارة عن مجموعة مترابطة من المفاهيم والتعريفات والقضايا التي تكون رؤية منظمة للظواهر عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسيرها والتنبؤ بها)[١].

فهي تمثل طائفة من الآراء التي تحاول تفسير الوقائع العلمية أو الظنية أو البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشخص والموضوع أو السبب والمسبب والتي يمكنها نفيها أو إثباتها بالأدلة العلمية[٢].

٣. الأنماط لغة: جمع نَمَطُ: وهو (الطَّرِيقَة: يُقَال: الْزَم هَذَا النَّمَط، أَيْ هَذَا الطَّرِيقَ. والنَّمَطُ أَيْضاً: النَّوْعُ من الشَّيْءِ والضَّرْبُ مِنْهُ. يُقَالُ: لَيْسَ هذَا مِنْ ذلِكَ النَّمَطِ، أَي من ذلِكَ النَّوْعِ والضَّرْبِ، يُقَال هَذَا فِي المَتَاعِ والعِلْم وغَيْرِ ذلِكَ)[٣].

واصطلاحًا: هو (مجموعة من السمات المرتبطة تمامًا بالطريقة نفسها التي تعرف بها السمة بوصفها مجموعة من الانفعالات السلوكية)[٤].

٤. الشخصية لغة: قال ابن فارس: (الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في شيء. من ذلك الشخص: وهو سواد الإنسان إذا سما لك من بعد)[٥]، وشخَصَ كمنَع، شخوصًا: ارتفع وشخَص من بلد إلى بلد ذهب وسار في ارتفاع[٦].

بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥ه)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١٤/ ٢٤٤.

(١) أصول البحث الاجتماعي، عبدالباسط محمد حسن، ١٩٩٨. ص ١٠.

(٢) ينظر: أصول البحث الاجتماعي ص ١٢.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ٢٠/ ١٥٤.

(٤) الأنماط السلوكية، إبراهيم محمد عياش، مقال منشور في موقع الحوار المتمدن، عدد ٢٥١٥.
http: / /www.ahewar.org /debat /show.art.asp?aid=١٥٨٣٨٨

(٥) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٥٤.

(٦) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧ه)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة،

واصطلاحًا: هي (مجموعة من الصفات الجسدية والنفسية – موروثة ومكتسبة – والعادات والتقاليد والقيم والعواطف متفاعلة كما يراها الآخرون من خلال التعامل في الحياة الاجتماعية)[١]. أو هي (كافة الصفات والخصائص الجسمية والعقلية والوجدانية المتفاعلة مع بعضها البعض داخل الفرد)[٢].

ويمكن القول عن أنماط الشخصية بكونه مركبًا إضافيًّا: إنَّه مبدأ تنظيم الشخص الذي يدفعه على مسار حياته. وإنَّه يمثل الترتيب المنظم لكل الخصال والأفكار والمشاعر والمواقف والاتجاهات والسلوكيات وآليات التكيف الخاصة به. وإنَّه النموذج المميز لفعالياته النفسية – طريقة التفكير والشعور والتصرف– الذي يجعله بالتأكيد هو ولا أحد آخر، وهو مزيج من الوراثة الجينية والتأثير البيئي[٣].

فيمكن تعريفه بأنَّه: (وصفٌ للمكونات الفطرية العامة للشخصية، التي تتشكل بناء على اندماج عدد من السمات الفطرية)[٤].

لبنان، ط/ ٨، ٢٠٠٥م. ١/ ٦٢١، تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥ه)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ب ت. ١٨/ ٧.

(١) حلل شخصيتك بنفسك، د. إبراهيم الفقي، الحياة للدعاية والإعلان، ص ٧.

(٢) التحليل النفسي للشخصية، فيصل عباس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤م. ص ١٢. وينظر: معالم شخصية المرأة في الكتاب والسنة، د. عادل يوسف حسن، البحرين، ١٤٢٩ه. ص ١٤.

(٣) ينظر: موسوعة الويكيبيديا.
https: / /ar.wikipedia.org

(٤) أنماط الشخصية، المفهوم العام، مقال للكاتب إبراهيم الخميس، مدونة الباقي.
http: / /baaqi.blogspot.com /٠٥ /٢٠١١ /mbti.html.

ةةةةة ةةةة
ةةةة ةة ةةةة ةةةةة

منذ زمن بعيد أخذ الإنسان يبحث في أعماق النفس البشرية، ويدرس اختلاف الشخصيات والأنماط على مدار الزمان، وتنوّع العلماء والباحثون في آرائهم وتصوراتهم حول النفس البشرية والكشف عن أسرارها وتحديد ميولها[1]، وكان من بيهم العالم السويسري كارل يونغ[2] فهو أول من ألّف في هذا الفن وكان بالتحديد كتابه الأنماط النفسية الذي كان عبارة عن نظريات ونُشِرَ هذا الكتاب في سنة ١٩١٠م، حمل الكتاب في صحائفه نتائج دراسة يونغ عن الاختلافات بين الناس، وبيَّن الكتاب وجهة نظر يونغ عن أسباب هذه الاختلافات وإمكانية التنبؤ بها، ويعدّ الكتاب في مجمله إجابة عن سؤال

(١) ينظر للتوسع: بوصلة الشخصية، أسلوب جديد لفهم الناس، دايان تيرنر وثلما جريكو، ترجمة: د. حمود الشريف، مكتبة جرير المملكة العربية السعودية، ط/ ٦، ٢٠٠٦م. ص ٢ وما بعدها. والشخصية الإنسانية في القرآن الكريم، د. سعيد خضير يوسف، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، ط/ ١، ٢٠٠٩م. ص ١٩ وما بعدها. وأرجوك افهمني، ديفيد كيرزي، ترجمة محمد شيخو معمو، شعاع للنشر والعلوم، ط/ ١، ٢٠١٠م. ص ٩ وما بعدها.

(٢) ولد كارل غوستاف يونغ (Carl Gustav Jung) في ٢٦/ ٧/ ١٨٧٥م، في سويسرا، بعد أن نزح جده من ألمانيا، درس الطب الجسماني والطب النفساني، كان مناصرًا لفرويد في آرائه، ثم نشبت بينهما خلافات نظرية خطيرة منها نظرة يونغ للغريزة الدينية في الإنسان أدت إلى قطيعة علمية وشخصية بين الطبيبين، لديه مؤلفات كثيرة، عاش ومارس عمله السنين الطوال في موطنه زوريخ، توفي في ٦/ ٦/ ١٩٦١م. ينظر: التنقيب في أغوار النفس، كارل يونغ، ترجمة: نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط/ ١، ١٩٩٦م. ص ٦.
وينظر سيرة حياته كاملة في موقع معابر:
http: / /www.maaber.org /issue_august06 /depth_psychology1.htm

شغل بال يونغ لسنوات، وهو **هل نستطيع تفسير السلوك الإنساني؟**

لاحظ يونغ أنَّ عقل الإنسان لديه وظيفتان أساسيتان[1]:

إحداهما: تلقي المعلومات.

والأخرى: اتخاذ القرارات.

وكل واحدة من هذه الوظائف تعمل بطريقتين مختلفتين، فَتَلَقِّي المعلومات يحدث إما من طريق الحواس الخمس دون تفعيل عمليات عقلية أخرى، وهو ما أسماه يونغ بالتفضيل **الحسي**، أو من خلال الحواس الخمس مع تفعيل عمليات عقلية أخرى مثل الاستنباط والاستنتاج والتحليل والتركيب والتوقع، وهو ما أسماه يونغ التفضيل **الحدسي**.

*** واتخاذ القرارات يحدث بطريقتين مختلفتين:**

إحداهما: اتخاذ القرار بشكل واقعي وتجريدي واستخدام قاعدة السبب والنتيجة، وهو ما أسماه التفضيل **التفكيري**

أما الأخرى: فهي اتخاذ القرار بما يتوافق مع القيم والمبادئ الشخصية، وهو ما أسماه يونغ التفضيل **الشعوري**.

في هذه الأثناء كان علماء الشخصية قد توصلوا إلى نتيجة مفادها أن الشخصية الإنسانية تتفاعل إما مع العالم الخارجي الناس والأشياء أي الشخصية **الانبساطية**، وإما مع العالم الداخلي الأفكار والخبرات السابقة، أي الشخصية **الذاتية**، فقرر يونغ أن يدمج النتائج التي توصل إليها مع ما توصل إليه الباحثون في علم الشخصية، فتوصل إلى أن الإنسان له **ثمانية أنماط نفسية مختلفة هي:**

(١) ينظر: الإقناع، فن إقناع الآخرين، جيمس بورج، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ٢٠٠٩م. ص ٢٧٨ وما بعدها.

١. الحسي الانبساطي
٢. الحسي الذاتي
٣. الحدسي الانبساطي
٤. الحدسي الذاتي
٥. التفكيري الانبساطي
٦. التفكيري الذاتي
٧. الشعوري الانبساطي
٨. الشعوري الذاتي[١]

تُرجم كتاب يونغ **الأنماط النفسية** إلى اللغة الانكليزية في عام ١٩٢٣م، فاطلعت عليه سيدة أمريكية تدعى **كاثرين بريغز**[٢]، وكانت تعمل في مجال القبول الوظيفي وكان لها اهتمام واضح في كشف أسرار الشخصية من خلال السيرة الذاتية. وعندما قرأَتْ الكتاب، لمست فيه مبتغاها، أو يمكن القول إنَّ كتاب يونغ قد حدد لها المسار الصحيح لفهم الشخصيات.

وبدأت هي وابنتها **إيزابيل مايرز**[٣] دراسة نظرية يونغ عن الأنماط النفسية، وقد

(١) ينظر: المقال المنشور في موقع أنماط فور يو:
http: / /anmat٤u.com
(٢) ولدت كاثرين كوك بريغز (Katharine Cook Briggs) عام ١٨٧٥م وتوفيت عام ١٩٦٨م أمريكية. ينظر موقع:
=https: / /translate.google.iq /translate?hl=ar&sl=en&u
https: / /en.wikipedia.org /wiki /Isabel_Briggs_Myers&prev=search
(٣) ولدت إيزابيل بريغز مايرز (Isabel Briggs Myers) في ١٨/ ١٠/ ١٨٩٧م وتوفيت ٥/ ٥/ ١٩٨٠ أمريكية. ينظر موقع:
=https: / /translate.google.iq /translate?hl=ar&sl=en&u

استغرقت هذه الدراسة قرابة أربعين عامًا قررت بعدها الابنة مايرز أنَّ هذه النظرية وما تحمل من معلومات يجب أن تصل إلى كل الناس، لأنَّها تحمل كثيراً من الفوائد لهم.

وبناءً عليه بدأت البنت **مايرز** بمساعدة من مختصين في علم القياس النفسي والاختبارات النفسية بوضع بذور استبيان يوضح للناس أفضلياتهم، وعند بحث النتائج تبين لمايرز أنه من الممكن إضافة بعد رابع للنظرية المكونة من ثلاثة أبعاد، وفعلًا تم إضافة بعد أسمته مايرز التنظيم أو كيف ينظم الإنسان العالم من حوله.

وبنفس مبدأ يونغ قالت مايرز إنَّ هذا البعد له طريقتان مختلفتان إحداهما أسمتها الحكمي وهي تفضيل الناس الذين يفعلون وظيفة اتخاذ القرار لديهم في العالم الخارجي والذين يتصفون بالنظام والترتيب، والأخرى أسمتها الإدراكي وهي تفضيل الناس الذين يفعلون وظيفة استقبال المعلومات لديهم في العالم الخارجي، والذين يفضلون ترك الخيارات مفتوحة حتى اللحظة الأخيرة.

وقد أكدت مايرز أن هذه الإضافة موجودة أصلًا في كتاب يونغ عن الأنماط ولكن بشكل مبطن، وبناءً على الإضافة الجديدة للنظرية ارتفع عدد الشخصيات في نظرية أنماط الشخصية من ثمانية أنماط إلى ستة عشر نمطًا، وللتبسيط وضعت مايرز اختصارًا لكل أفضلية الحرف الأول من اسم الأفضلية[1]، وعلى النحو الآتي:

ت	الرمز	المصطلح الانكليزي	المصطلح العربي	المقياس
١	E	EXTROVERTED	انبساطي أو انفتاحي	مقياس حيوية الشخص
٢	I	INTROVERTED	ذاتي أو انطوائي	

٥ https: / /en.wikipedia.org /wiki /Isabel_Briggs_Myers&prev=search

(١) ينظر: موقع أنماط فور يو:
http: / /anmat٤u.com

٣	S	SENSOR	حسي أو واقعي	مقياس استقبال المعلومات
٤	N	INTUITION	حدْسي أو تخيلي	
٥	T	THINKER	تفكيري أو عقلاني	مقياس اتخاذ القرارات
٦	F	FEELER	شعوري أو عاطفي	
٧	P	PERCEIVER	احتمالي أو مرن	مقياس تنظيم المحيط
٨	J	JUDGER	حُكمي أو صارم	

وبعد هذه الإضافة اكتملت جوانب معرفة نمط الشخصية بشكل كامل وأصبح معروفًا باسم تصنيف مايرز بريغز للأنماط (Myers–Briggs Types Indicator) ويطلق عليه أيضًا مؤشر مايرز بريغز للأنواع ويرمز له (MBTI)، وهو الآن أحد أهم الاختبارات في تحليل الشخصيات البشـرية والأكثر دقة على مستوى العالم، فهو يؤدي إلى تحليل الشخصية بشكل دقيق نوعًا ما، وقد تم تطبيق هذا الاختبار العلمي على ملاين من البشـر بأكثر من ٣٠ لغة، وبلغت نسبة مصداقيته ٨٥٪ ونسبة الخطأ فيه لم تتجاوز ١٥٪[١]، (وهو طريقة يستخدمها الآلاف من المستشارين والأطباء العالجين والمثقفين كل يوم، وتعدها خمسمائة شركة من كبرى الشركات في العالم الوسيلةَ الأكثر فاعلية لتحسين التواصل بين الناس)[٢]؛ لذا فإنه يعد من أدق اختبارات تحليل الشخصية. ورغم ذلك لا يخلو اي مقياس للشخصية من نقاط ضعف[٣].

(١) ينظر: الأنماط الشخصية أسلوب جديد لفهم الناس، أشرف القابسي ص ١٤.

(٢) كيف تحقق زواجًا ناجحًا من خلال نظرية الأنماط الشخصية، محيي الدين علي الصبان، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط/ ١، ٢٠١٣م ص ١٤.

(٣) ينظر للتوسع: قراءة الناس، فهم الآخرين من خلال نظرية الأنماط الشخصية، محيي الدين الصبان، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط/ ١، ٢٠١٠م.

وفيما يأتي عرض موجز للمراحل التي تطور فيها علم الأنماط أذكرها بحسب الأعوام:

١. ١٩١٠م نشر كارل يونغ كتابه الأنماط النفسية باللغة الألمانية.

٢. ١٩١٧م طورت كاثرين بريغز الأم طريقة لقياس الاختلافات بين الأفراد في الأداء وذلك اعتمادًا على سيرهم الذاتية.

٣. ١٩٢٣ ترجم كتاب الأنماط النفسية لكارل يونغ من الألمانية إلى الإنكليزية.

٤. ١٩٢٣-١٩٤١م عكفت كل من مايرز وبريغز على دراسة النظرية ومدى مطابقتها للواقع.

٥. ١٩٤١م حثت مايرز على وضع استبيان لزيادة الفاعلية في الحرب بناء على نظرية يونغ.

٦. ١٩٤٢-١٩٤٤م بدأت مايرز إسقاط نتائج الدراسة للنظرية على الأفراد والمجموعات التي حولها والتي كانت متأكدة من سلوكياتهم وردود أفعالهم في العديد من المواقف، أي الناس المألوفين بالنسبة لها.

٧. ١٩٤٤-١٩٥٦م بدأت مايرز بتجميع عينات محدودة من المعلومات عن الاستبيان وقد شملت الدراسة بعضًا من الأطباء والممرضين في العديد من المراكز الطبية.

٨. ١٩٥٦م أتاح مركز دراسة الاستبيانات التعليمية الاستبيان للدراسة من الباحثين فقط.

٩. ١٩٥٦-١٩٦٢م استمرت الأبحاث على الاستبيان.

١٠. ١٩٦٢م صدر الاستبيان نموذج (F) (وهو عبارة عن ١٦٦ سؤالًا) والمرجع للاستبيان من قبل مركز دراسة الاستبيانات التعليمية، ولكن بقي الاستبيان غير معمم إلا لأغراض البحث.

١١. ١٩٦٢-١٩٧٤م اعتمدت جامعات عدة من كاليفورنيا وفلوريدا الاستبيان

لأغراض بحثية، وقاموا بتطوير الاستبيان وأنشأوا قاعدة بيانات واسعة خاصة بالنتائج ودراستها.

١٢. ١٩٧٥م نشرت الـ (CPP (Consulting Psychologists Press الاستبيان نموذج (F) وجعلته متاحًا لكل المختصين والمؤهلين.

١٣. ١٩٧٨م صدر نموذج آخر (G) (وهو عبارة عن ١٢٦ سؤالًا) وكان هذا النموذج نتاج خبرة أبحاث عديدة وموثقة.

١٤. ١٩٨٥م صدرت النسخة الثانية من دليل الـ (MBTI) والتي عملت مايرز عليها قبل وفاتها بمساعدة ماكولي.

١٥. ١٩٨٧-١٩٨٩م تطور الاستبيان وصدر النموذج (K،J).

١٦. ١٩٩٨م صدر النموذج (M) من الاستبيان (وهو عبارة عن ٩٣ سؤالًا) واعتمد النموذج القياسي في الولايات المتحدة وصدرت النسخة الثالثة من دليل الـ (MBTI).

١٧. ٢٠٠١م صدر النموذج (Q) (وهو عبارة عن ١٤٤ سؤالًا) الذي اهتم الوجوه الخمسة لكل أفضلية، أو الـ (MBTI STEP ٢).

١٨. ٢٠٠٨م صار الاستبيان متاحًا على الإنترنت مع التفسير، وكذلك صار متاحًا للعامة وللمتخصصين.

١٩. ٢٠٠٩م تطور الاستبيان إلى الـ (MBTI STEP ٣) المتخصص في تطوير الوظائف العقلية[١].

(١) ينظر: موقع أنماط فوريو:
http://anmat٤u.com

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةةة (MBTI)

وفيه ثلاثة مطالب:

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةةة ةةةةةةة ةة ةةةةةة

إنَّ كل إنسان يشبه كل الناس من جهة، ويشبه بعض الناس من جهة أخرى، وهو متميز من جهة ثالثة؛ لأنه ينتمي إلى نوع الإنسان ويحمل خصائصه الإنسانية العامة، ويشبه عدداً من الناس في بعض تصرفاتهم ومظاهر سلوكهم، ولكنه يبقى متميزاً متفرداً من حيث هو كشخص.

فالشخصية إذًا هي جملة الاستعدادات الفطرية بما تشمله في ميول وغرائز وما اكتسبه الفرد من ميول واتجاهات عن طريق الغير، وتحدد سمات الخصية للفرد بعاملين رئيسين هما:

أ. الوراثة: وتتمثل في السمات والخصائص الجسمية التي يولد الفرد مزودًا بها، وذلك عن طريق الجينات الوراثية[1].

(١) الجينات الوراثية المقصود بها الكروموسومات – أو الصبغيَّات الوراثية – وهي عبارة عن عصيات صغيرة داخل نواة الخلية، تحمل هذه الكروموسومات في داخلها تفاصيل كاملة لخلق الإنسان. يحمل الشخص العادي ٤٦ كروموسومًا، تكون على شكل أزواج (٢٣ زوج)، هذه الأزواج مرقمة من واحد إلى اثنين وعشرين، بينما الزوج الأخير (٢٣) لا يعطى رقماً بل يسمى الزوج المحدّد للجنس.
يرث الإنسان نصف عدد الكروموسومات من أمه والنصف الباقي من أبيه، كل كروموسوم يترتب بشكل شريط حلزوني ويحمل في طياته على عشرات الآلاف من المورثات، حيث يحمل كل كروموسوم في طياته ما يقارب (٦٠٠٠٠-١٠٠٠٠٠) مورثة، وكل موروثة لها موقع خاص بها على التركيب الشريطي الحلزوني للكروموسوم، وبهذا يحمل جميع الصفات الوراثية من الأبوين بحيث لو أردنا تدوينها لاحتجنا إلى مجلد بـ (١٠٠٠٠٠) صفحة لكل كروموسوم واحد. وهذا التركيب يسمى دي أن أي (DNA) وهى الحروف الأولى لمصطلح (Deoxy Ribonucleic Acid). ينظر موقع

ب. البيئة: وتتمثل في العوامل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، والخبرات الحياتية التي يكتسبها الفرد عن طريق احتكاكه بالآخرين سواء أكان على مستوى الأسرة أم المدرسة أم المجتمع[1].

ويمكن تصنيف العوامل المكونة للشخصية، إلى عاملين رئيسين هما:

١. صفات خَلْقية: وهذه نستطيع أن نقسمها على قسمين:

أ- العوامل الجسمية: وهي كل ما يتعلق بنمو جسم الإنسان عمومًا مثل النمو الجسمي الطبيعي العام، والصحة العامة، والمقاومة ضد الأمراض. أو حالته الصحية العامة، كأن يكون مميزًا بالطول أو القصر، والبدانة أو النحافة، أو تميزه بعاهة من العاهات أو نقص ظاهر أو خفي.

ب- العوامل النفسية: وتتضمن الوظائف العقلية كالذكاء أو القدرات العقلية الخاصة كالقدرة اللغوية والقدرة الحسابية والقدرة العلمية والقدرة الفنية، والعمليات العقلية العليا كالتصور والتخيل والتذكر، والمهارات العقلية المكتسبة التي تكتسب عن طريق عمليات التعلم المباشر وغير المباشر. كما تتضمن الجانب المزاجي من الشخصية، وتشمل أساليب النشاط الانفعالي التي تتعلق بالوجدان، فبعضها عام والبعض الآخر خاص، كما أن بعضها شعوري يدركه الإنسان بوعيه وآخر لا شعوري يستتر في أعماق العقل الباطن[2].

المدرسة العربية:

http: / /www.schoolarabia.net /ahia٢ /level٣ /heredity_٢ /heredity٢.htm

(١) ينظر: موسوعة التربية الخاصة والتأهيل النفسي، كمال سالم سي سالم، دار الكتاب الجمعي، العين، ٢٠٠٢م. ص ٢٨٦.

(٢) ينظر: العوامل المكونة للشخصية، مقال د. عمرو بدران، على الموقع مصرنا الحبيبة:

http: / /kenanaonline.com /users /belovedegypt /posts /٤٣٠٥٤٠?re=٤٣٠٥٤١

٢. صفات خُلُقية: والمؤثر في هذه الصفات إجمالًا عاملان اثنان هما:

أ- الأسرة: ونقصد بها تلك البيئة التي يعيش فيها الإنسان أول حياته بشكل كبير، فالبيئة البيتية الصالحة قادرة على إنتاج أطفال خلوقين، ومتماسكين في شخصياتهم. ويؤثر في هذا الجانب الحالة الدينية أولًا، فالحالة الاقتصادية للأسرة، وكذا الحالة الاجتماعية والمعاملة الأسرية التي هي الطريقة التي يسلكها الوالدان في البيت في معاملة أبنائهم، فقد يكون التفاعل يتسم بالتسامح والتساهل أو يتميز بالعنف والتعنت أو جامعًا بين الاثنين بطريقة متناقضة.

ب- المجتمع: وهو ما يتعلق بظروف نشاط الإنسان خارج البيت، كنوع الأقران والأصدقاء الذين يصاحبون الإنسان ويؤثرون فيه؛ إذ لهم أثر واضح في توجيه ميول الإنسان وتعزيز اتجاهاته. وكذلك أحوال العمل وملائمته لميول الإنسان، فالعمل غير المناسب الذي لا يلائم مواهب الناشئ وميوله قد يجره إلى الانحراف أو التمرد، وقد ينعكس على شخصيته. أو ما يتعلق بالطريقة التي يقضي بها أوقات فراغه، من نشاط رياضي أو هوايات علمية أو فنية أو أدبية، فهي لها علاقة وثيقة في تكوين شخصيته وإضفاء صفة الاتزان أو الضعف عليها[1].

وعليه فإنَّ شخصية أي إنسان نسيج من عوامل وراثية جسمية ونفسية، يرثها الإنسان من آبائه ولا دخل له في وضعها العام متانة أو ضعفًا، وعوامل بيئية محيطية تحيط بالإنسان قبل ولادته وتواكبه بعد الولادة، وهي مزيج من ظروف مادية وأخرى اجتماعية وهذه العوامل تتداخل وتتقاطع في شخصية الإنسان لتنتج منه إنسانًا ذا ملامح مشخصة معينة.

(١) ينظر: العوامل المكونة للشخصية، مقال د. عمرو بدران، على الموقع مصرنا الحبيبة:
http: / /kenanaonline.com /users /belovedegypt /posts /٤٣٠٥٤٠?re=٤٣٠٥٤١

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةة ةةةة ةةة ةةةةة

كنا قد ذكرنا في المبحث السابق أن هناك أربعة مقاييس أو أبعاد للشخصية، هي:

مقياس حيوية الشخص، ومقياس استقبال المعلومات، ومقياس اتخاذ القرارات، ومقياس تنظيم المحيط من حول الشخص، وكل واحد من هذه المقاييس أو الأبعاد له طرفان ووسط كما في الشكل أدناه، (فكل شخص له تفضيل بيئي مكتسب لكل واحد من هذه الأبعاد الأربعة، - ونعني بالتفضيل التفضيل اللاواعي في الأساس وليس الاختيار الواعي - وهو الطريقة الطبيعية والمريحة التي نتصرف بها بالفطرة)[1]، فعلى سبيل المثال مقياس الحيوية إما أن يكون ابساطيًا أو انطوائيًا ويبدأ مقياس الانبساطية من ٠٪ إلى ١٠٠٪ والحال نفسه بالنسبة للانطوائية، وهلمّ جرًّا للأبعاد الثلاثة الباقية.

ت	المقياس	١٠٠	٠	١٠٠
١	حيوية الشخص	I		E
٢	استقبال المعلومات	S		N
٣	اتخاذ القرارات	F		T
٤	تنظيم المحيط	J		P

وفيما يأتي توضيح لبعض صفات كل طرف من طرفي الأبعاد الأربعة، والتي يمكن عن طريقها معرفة ميل الشخص الفطري إلى أحد طرفي البعد الواحد وبمعرفة أطراف الأبعاد الأربعة نستطيع معرفة نمط كل شخص فيكون لدينا ستة عشر نمطًا:

(١) كيف تحقق زواجًا ناجحًا. ص ٣٦.

أولًا: من أين يستمد الشخص حيويته:

صفات الانبساطي (E)	صفات الانطوائي (I)
يتحدث أكثر مما يستمع	يستمع أكثر مما يتكلم
يفضل أن يكون مع الناس	يشعر بالراحة عندما يكون وحده
لديهم أصدقاء كثيرون	لديه أصدقاء قليلون لكنهم مقربون(١)

ثانيًا: كيف يستقبل الشخص المعلومات

صفات الحسي (S)	صفات الحدسي (N)
يركز في الحقائق والخصوصيات	يثق بغرائزه الداخلية
يحب القيام بأعمال تعتمد على خطة	يبتكر طرائق جديدة للقيام بالأعمال
واقعي ويحب أن تكون الأفكار عملية	يقفز مرارًا من موضوع إلى موضوع(٢)

ثالثًا: كيف يتخذ الشخص قراراته

صفات المفكر العقلاني (T)	صفات الشاعري العاطفي (F)
يتخذ قراراته بعقله أكثر من قلبه	يتخذ قراراته بقلبه أكثر من عقله
قادر على أن يؤنب الناس في الرسميات	حساس كثيرًا ومتعاطف
منصف ويطبق معيارًا واحدًا على الجميع	يحب إرضاء الآخرين ويظهر تقديرهم(٣)

(١) ينظر: كيف تحقق زواجًا ناجحًا ص ٤٠. وفن الإقناع، هاري ميلز، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ٢٠٠١م. ص ٨٨.

(٢) ينظر: كيف تحقق زواجًا ناجحًا ص ٤٣. وفن الإقناع. ص ٩٠.

رابعًا: كيف ينظم الشخص من حوله

صفات الحُكمي (J)	صفات الملاحظ الإدراكي (P)
منظم ويحب وضع الخطط وحفظها	يفضل أن يكون حرًا في التصرف وبعفوية
يحب اتخاذ قرار بسرعة	يحب ترك الخيارات مفتوحة ويؤجل كثيرًا
حرصه على الإنجاز يجعله يعمل ثم يلعب	لديه ميول إلى اللهو فهو يلعب ثم يعمل(٤)

الطريقة التي يتم بها القياس:

ذكرنا في المراحل التي تطور بها هذا العلم أن هناك استبيانات تتضمن مجموعة من الأسئلة عن طريق الإجابة عليها نستطيع أن نحدد نمط الشخص، ويوجد الآن موقعان رئيسان على الإنترنت يمكن للشخص أن يعرف نمطه في ضوئهما وهذا الموقعان هما:

١. **مدونة جاسم الهارون**: والرابط هو (http: / /www.jass.im/). ثم تذهب إلى مهارات التطوير – التعرف على الذات – اختبار تحديد الشخصية، ثم يبدأ بطرح أسئلة ذات خيارين ويقوم الشخص الذي يريد التعرف على نمطه باختيار واحد منهما ثم التالي وهكذا حتى يعطي الموقع بعد الانتهاء من الأسئلة نوع النمط للشخص الذي أجاب على جميع الأسئلة.

٢. **مدونة خالد الساير**: والرابط هو (http: / /alsayerkw.com). ثم ذهب إلى مستكشف الشخصية فتفتح لك نافذة أيضًا فيها مجموعة من الأسئلة المتتابعة كلما أجبت على سؤال انتقل إلى الآخر، حتى تظهر لك نوعية النمط بعد الانتهاء من الأسئلة.

ويستحسن أن يكون مع الشخص الذي يريد أن يعرف نمطه شخص ذو اطلاع على طريقة الإجابة حتى تكون الإجابة أقرب إلى الدقة، ثم أريد التنويه إلى أن (كل الأنماط

(١) ينظر: كيف تحقق زواجًا ناجحًا ص ٤٨. وفن الإقناع. ص ٩٢.
(٢) ينظر: كيف تحقق زواجًا ناجحًا ص ٥٤. وفن الإقناع. ص ٩٤.

تستحق التقدير على حدٍ سواء، فليس هناك أنماط أفضل أو أسوأ من الأخرى، صحيحة أو مريضة، ذكية أو غير ذكية، لأنها كلها تمتلك نقاط قوة ونقاط ضعف خاصة بها)[1].

وهناك طريقة أخرى للتعرف على نمط الشخص وهي تختص بأهل الخبرة في هذا الفن إذ يمكن للشخص المتمسر فيه أن يعرف نمط الشخص المقابل عن طريق الممارسة والخبرة، وكما هو الحال بالنسبة لسيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه، وكما سيأتي في المبحث الثالث.

وسأبين الأنماط الستة عشر في الجدول أدناه:

ةةةةة ةةةةةةة ةةةةة ةةة ةةة ةةةةة (MPTI)

ت	الشخصية الناتجة	المبدأ الرابع	المبدأ الثالث	المبدأ الثاني	المبدأ الأول
١	المشرف (ESTJ)	صارم (Judger)	عقلاني (Thinker)	حسي (Sensor)	انبساطي (Extroverted)
٢	المروج (ESTP)	مرن (Perceiver)			
٣	المعطي (ESFJ)	صارم (Judger)	عاطفي (Feeler)		
٤	المؤدي (ESFP)	مرن (Perceiver)			
٥	القائد (ENTJ)	صارم (Judger)	عقلاني (Thinker)	حدسي (iNtuition)	
٦	المخترع (ENTP)	مرن (Perceiver)			
٧	المدرس (ENFJ)	صارم (Judger)	عاطفي (Feeler)		
٨	الملهم (ENFP)	مرن (Perceiver)			

(١) ينظر: كيف تحقق زواجًا ناجحًا ص ٣٥.

٩	المفتش (ISTJ)	صارم (Judger)	عقلاني (Thinker)	حسي (Sensors)	انطوائي (Introverted)
١٠	الحرفي (ISTP)	مرن (Perceiver)			
١١	المدافع (ISFJ)	صارم (Judger)	عاطفي (Feeler)		
١٢	الفنان (ISFP)	مرن (Perceiver)			
١٣	العالم (INTJ)	صارم (Judger)	عقلاني (Thinker)	حدسي (iNtuition)	
١٤	المفكر (INTP)	مرن (Perceiver)			
١٥	المستشار (INFJ)	صارم (Judger)	عاطفي (Feeler)		
١٦	المعالج (INFP)	مرن (Perceiver)			

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةةةة (MPTI)

يساعد مؤشر تحليل أنماط الشخصية على:

١. فهم نفس ومعرفتها بشكل أفضل.

٢. معرفة نقاط الضعف لتجاوزها.

٣. معرفة نقاط القوة لتنميتها.

٤. معرفة محفزات الإنجاز والإبداع.

٥. ترشيد القدرات الشخصية وإدارتها.

٦. تقبل الاختلاف مع الآخرين حيث هناك ١٦ شخصية طبيعية في البشر.

٧. البحث عن التكامل بين الأنماط.

٨. تحسين التواصل مع النفس ومع الآخرين.

٩. مخاطبة الناس بما يتناسب مع أنماطهم الشخصية.

١٠. معرفة الأهداف وكيفية تحقيقها بما يتناسب مع النمط.

١١. تحديد مجالات الدراسة أو العمل.

١٢. تسريع العلاج بالبرمجة اللغوية العصبية .

١٣. التطوير الإداري والوظيفي.

١٤. بناء فرق العمل وتطويرها.

١٥. تدريب مهارات القيادة والإدارة.

١٦. إدارة الاختلاف وحل المشكلات.

١٧. حل مشكلات العلاقات والزواج.

١٨. زيادة سرعة التعليم والتعلم[١].

(١) ينظر: البرمجة اللغوية العصبية، ص ٢٨٦. وينظر: البوصلة الشخصية ص ٢٥.

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةة ةة ةةةة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ةةةةةة

قسم الله تعالى بيننا العقول والقدرات والمهارات، فكل واحد منا له قدرة ومهارة إبداعية لا يمتلكها أحد سواه، ونجد هذا المثل واضحًا في الصحابة رضي الله عنهم مثل خالد بن الوليد رضي الله عنه في القيادة العسكرية وفنون الحرب، وكذلك حسان بن ثابت رضي الله عنه في الشعر وفنونه، وكذلك كل واحد منا يمتلك إبداعًا خاصًا مختزلًا بداخله، لكن للأسف قليلون هم الذين يكتشفون هذه المواهب الإبداعية ثم يقومون باستخدامها وتنميتها، لأن سر الوصول إليها هو اكتشاف ذاتهم ومعرفتها، وما هو الدور المناسب الذي يصلح أن تلعبه على خشبة مسرح الحياة، ثو توظيف هذه الطاقة الإبداعية بما يتناسب معها. كل واحد له بصمته الشخصية الفريدة التي تميزه عن الباقين وهي الذات، فهي تشبه تمامًا بصمة اليد إذ قد يبدو في أول وهلة أن أيدينا تتشابه في الشكل فكلها أيدٍ ولكن دائمًا ما تكون البصمة هي الفاصل والفارق بين أيدي البشر فهي بمثابة الهوية أو البطاقة الشخصية[1].

إذًا معرفة الإنسان بذاته سبب لاكتشاف مواهبه الإبداعية، وبالتالي تحديد الدور ورسم المسار المناسب له في الحياة الذي من خلالهما يتقرب فيهما إلى الله

ةةةةة ةةةةةة ةةةةة ةة ةةةة ةة ةةةة ةةة

عند دراسة مواقف حياته وما قيل فيه، نستطيع أن نستنتج نمط شخصيته بوضوح،

وموقع الحصن النفسي:
١٢٣٢٦٥=http: / /bafree.net /alhisn /showthread.php?t

(١) ينظر: البوصلة الشخصية: اكتشف دورك في الحياة، عبد الرحمن ناصر الملحوق، الرياض، ١٤٣٠ه. ص ١٣.

وذلك في ضوء تحليل بعض النصوص التاريخية الواردة في وصفه رضي الله عنه:

١- الوقفة الأولى:

- كان رسول الله ﷺ يذكر مصعبًا رضي الله عنه ويقول: (ما رأيت بمكة أحدًا أحسن لِمّةً ولا أرق حُلةً، ولا أنعم نعمةً، من مصعب بن عمير)[١].

- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة، وأجوده حلة مع أبويه، ثم لقد رأيته جهد في الإسلام جهدًا شديدًا)[٢].

- وعن علي رضي الله عنه قال: (إنَّا لجلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة)[٣].

الإشارة التي تحملها هذه النصوص:

ذكرت الروايات السابقة صفات سيدنا مصعب وكان منها: (أحسن لمة)، (أرق حُلةً)، (أنعم نعمة)، (أنعم غلام بمكة)، (أجوده حلة مع أبويه)، (كان فيه من النعمة). وهذا الحُسن في الهيئة والملبس من المؤشرات الواضحة على أن يميل فطريًا إلى أن يكون حُكميًا ونرمز له ضمن رمز المقياس بـ (J) إذ (أن إحدى السمات المميزة للأشخاص

(١) الروض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١ه)، علق عليه ووضح حواشيه: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/ ٣، ٢٠٠٩م. ٢/ ٢٥٢.

(٢) كتاب السير والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت: ١٥١ه)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط/ ١، ١٩٧٨م. ١/ ١٩٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢ه)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/ ١، ١٩٩٣م. ٩/ ٣٢٥.

الحُكميين هي ولوعهم بالترتيب)[1] وهذا هو المحور الرابع من محاور نظرية أنماط الشخصية (MBTI).

٢- الوقفة الثانية:

- بعث رسول الله ﷺ مع أهل المدينة بعد بيعة العقبة الأولى مصعب بن عمير رضي الله عنه، وأمره أَن يقرِئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرِئ بالمدينة. وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبي أمامة، وكان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض[2].

الإشارة التي يحملها هذا النص:

كانت مهام مصعب رضي الله عنه واضحة وهي: (يقرِئهم القرآن)، (يعلمهم الإسلام)، (يفقههم في الدين)، وهي مهام عظيمة يبنى عليها مستقبل الإسلام؛ لأنَّ المرحلة التي كان يمر بها المسلمون كانت تحتاج بحثًا عن أرض تحتضن الدعوة وتوفر لها الحماية لتبليغه للعالمين، وهذا يؤكد بأن الرسول ﷺ كان يختار لكل مهمة الأنسب لها والذي يستطيع أن يؤدي أفضل الأداء لضمان أفضل النتائج.

ومعلوم في علم أنماط الشخصية أنَّ أفضل مجموعة قادرة على التعليم والتحفيز والإلهام هي مجموعة المثاليين المحفزين (NF).

وكذلك قدرته على جمع الأوس والخزرج حتى يرضوا به إمامًا لهم يدلّ على قدرته على إيجاد التوافق بينهم وجمع قلوبهم والـتأثير فيهم وهذه بلا شكّ مقدرة يمتلكها المثاليون المحفزون (NF)[3].

---

(١) كيف تحقق زواجًا ناجحًا. ص ٥١.

(٢) ينظر: الروض الأُنُف ٢/ ٢٥٢.

(٣) ينظر: مدونة خالد السابر:

٣- الوقفة الثالثة:

وهي ما حصل من محاورة بين مصعب رضي الله عنه وأسيد بن حضير حينما (أخذ أسيد بن حضير رضي الله عنه حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة رضي الله عنه قال لمصعب بن عمير رضي الله عنه: هذا سيّد قومه فاصدق الله فيه، قال مصعب رضي الله عنه: إن يجلس أكلّمه. قال: فوقف عليهما متشتّمًا. قال: ما جاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب رضي الله عنه: أو تجلس فتسمع، فإنْ رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره. فقال: أنصفت. ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلّمه مصعب رضي الله عنه بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في إشراقه وتسهّله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطّهّر وتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلّي. فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه وتشهّد بشهادة الحق، ثم قام فصلى ركعتين)[1].

وأيضًا حصل الأمر نفسه مع سعد بن معاذ رضي الله عنه حينما (وقف عليهما متشتّمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة رضي الله عنه: يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا منّي، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير رضي الله عنهما: أي مصعب: جاءك والله سيّد مَن وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان، قال: فقال له مصعب رضي الله عنه: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا

http: / /alsayerkw.com

(١) السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط/ ٢، ١٩٥٥م. ١/ ٤٣٦.

ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد رضي الله عنه: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهّله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطّهّر وتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلّي ركعتين)[1].

الإشارة التي تحملها هذه النصوص:

هذه القدرة الفطرية وهي نعمة ربانية يختص بها بعضًا من عباده هي ملكة يمكن قياسها في علم أنماط الشخصية، وقصة مصعب مع سادة المدينة تشير إلى قدرة على التحفيز والإقناع والإلهام بما يؤثر في نفوسهم تأثيرًا شديدًا تتغير معه الانطباعات التي كانوا يحملونها إلى قناعات صادقة نقلوها مباشرة إلى قومهم ليؤمنوا بها. وهذه هي ملكة المثاليين المحفزين (NF)[2].

والاشارة الثانية التي يمكن ملاحظتها ما ذكرته الرواية (فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن) والقدرة على التواصل الاجتماعي مع الآخرين والمبادرة بها هي من صفات وميزات الانبساطيين (E)[3]، والقدرة على عرض أي أمر وشرحه للآخرين وإقامة الحجة ميزة الـ (EN) أكثر من غيرهم ومن أسلوبه في دعوته بطريقة تلامس مشاعرهم بلا استفزاز لمعتقداتهم يمكن أن نجزم بكونه من الشعوريين (F). فعندما أخبر أسعد بن زرارة مصعب بن عمير رضي الله عنهما بقدوم أسيد بن الحضير رضي الله عنه قال: (إن

(١) المصدر السابق، ١/ ٤٣٦.

(٢) ينظر موقع يوم جديد:

http: / /yomgedid.kenanaonline.com /topics /٥٧٣٥٦ /posts /١٨٦٩٢٤

(٣) ينظر: كيف تحقق زواجًا ناجحًا. ص ٣٩.

يجلس أكلمه)، فحرص مصعب بن عمير رضي الله عنه على هذا الأدب النفسي والذوق الشعوري؛ لذلك كرره مرةً ثانية عندما وصل أسيد بن الحضير رضي الله عنه فقال له: (أو تجلس فتسمع).

الوقفة الرابعة:

لما كانت غزوة أحد، سأَل رسولُ الله ﷺ: (من يحمل لواء المشرِكين؟)، قيل: بنو عبد الدارِ. قال ﷺ: (نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب بن عمير؟) قال: ها أنا ذا. قال ﷺ: (خذ اللواء). فأخذه مصعب بن عمير رضي الله عنه ، فتقدم به بين يدي رسول الله ﷺ[1].

عند قدوم معصب رضي الله عنه المدينة كان قد نزل على أسعد بن زرارة فكان يُسمَّى بالمدينة المُقرِئ، وكان يصلي بهم؛ وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضي الله عنهم أجمعين[2].

الإشارة التي تحملها هذه النصوص:

تميّزَ سيدنا مصعب رضي الله عنه بشخصية تأسر القلوب، وذلك عن طريق (كاريزما)[3]

---

(١) المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، أبو عبد الله، الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط/ ٣، ١٩٨٩م. ١/ ٢٢١.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠٣م. ٤/ ٣٧٧.

(٣) الكاريزما هي كلمة أصلها اليوناني (Charisma) وتعني الهدية أو التفضيل الإلهي، فهي تشير إلى الجاذبية الكبيرة والحضور الطاغي الذي يتمتع به بعض الأشخاص. أو هي القدرة على التأثير على الآخرين إيجابيًا بالارتباط بهم جسديًا وعاطفيًا وثقافيًا، فهي سلطة فوق العادة، أو هي سحر شخصي وصاحبها ذو شخصية تثير الولاء والحماس. وقد حاول البعض ترجمها إلى سحر الشخصية، أو قوة الشخصية. ينظر: موقع منتديات طلاب مدارس الشباب المسلمين:
topic-http: / /shobanzagazig.ahlamontada.com /t٩٥٩

فطرية، وهذا ما يمكن أن يشير إلى كاريزما خاصة تحملها شخصية سيدنا مصعب بحيث تَميّز بشخصيته عن شباب مكة، والكاريزما مرتبطة بـ (E+J) وهما المحور الأول والرابع من مقياس أنماط الشخصية، وهذا هو سر تكليف النبي ﷺ بحمله الراية في بدر وأحد، ولا يخفى أنَّ الراية هو دلالة الصمود والثبات عند الجند، فيكون عليها صحابي له جاذبية وسحر شخصي أو ما تسمى بـ (الكاريزما).

ومن المعلوم في علم أنماط الشخصية أنَّ نمط (ENFJ) أكثر نمط شخصي يحمل كاريزما شخصية ساحرة، وهذا يتوافق مع اختيار سيدنا مصعب رضي الله عنه لدور القيادة، بعد القراءة الواقعية لطبيعة البيئة الاجتماعية والصراع الدائر في المدينة بين الأوس والخزرج، وهذا يعني الحاجة إلى أن يكون الشخص الذي يتم اختياره لهذه المهمة يملك القدرة على كسب القلوب وإلهامها وقيادتها، بحيث تتراضى عليه الأطراف فيكون أقرب ما يكون إلى الداعية الجماهيري الذي يلتف حوله الجميع، متأثرين بخطابه الدعوي الذي يحفز فطرتهم ويلهم أرواحهم لدرجة يتناسون معها ثاراتهم، فهو رضي الله عنه استطاع أن يجمعهم على الصلاة خلفه.

وفي ضوء ما سبق من دلالات نستطيع أنَّ نقول إن نمط سيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه هو: (ENFJ). ويُطلق على من يحمل هذا النمط في اللغة الإنكليزية في المصادر العلمية المختصة (Teacher) ومعناه المعلم أو المدرس، ويطلق عليه أيضًا (Mentor) ومعناه الناصح أو المعلم الخاص، وهذه هي المهمة التي كلّف بها النبيُّ ﷺ مصعبًا رضي الله عنه ، إذ أمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين.

ومن جميل التوافق أنَّ الـ (ENFJ) تسميه بعض المصادر بـ (Protagonist) ومعناه بطل الرواية أو زعيم قضية ما، أو محرك قضية ما، وهو بالضبط ما يمكن أن نسميه القائد

الجماهيري الذي يجمع القلوب المتنافرة على قضية ما، وهو ما حصل مع سيدنا مصعب رضي الله عنه حين جمع الأوس والخزرج فاتفقوا جميعًا على الصلاة خلفه ولم يجدوا بأسًا أن يقفوا صفًا واحدًا مادام مصعب إمامًا لهم.

ةةةة ةةةةةة ةة ةةة ةةةةة ةةةةةةة:

المدرس بالفطرة يمتلك قدرة في التعامل مع الناس، ويشعر بالسعادة عندما يتملك من استخدام هذه القدرة في مساعدة الآخرين، ويحصل على رضا ذاته من خلال خدمتهم. وعي المدرس واهتمامه الشديد بالبشر وحدسه المتطور يساعده على استخراج أفضل ما في الناس حتى أشدهم انطوائية وانعزالًا.

المدرس يحتاج بشدة لعلاقة وثيقة، وسيضع الكثير من الجهد والوقت لإيجاد هذه العلاقة والمحافظة عليها. وهو مخلص للغاية وجدير بالثقة من اللحظة الأولى التي يرتبط بهذه العلاقة.

بشكل عام فإنَّ المدرس شخصية ساحرة، دافئة، كريمة، مبدعة، وغنية بالتنوع والمعرفة بما يحفز الآخرين ويسعدهم.

وقدرة المدرس على رؤية مكامن التطوير لدى الآخرين تجعله شخصية مهمة وغالية جداً. عطاء المدرس ورعايته للآخرين يجب أن لا تُغفل المدرس عن مراعاة احتياجاته الشخصية مع احتياجات الآخرين[1].

ةةةة ةةةةةة ةةةة ةةةةةةة:

* (لديه قدرة لفظية ومهارة تواصل جيدة.
* مدرك لحد كبير بدوافع الناس وأفكارهم.

(١) ينظر مدونة جاسم الهارون:

http: / /www.jass.im /si /per /١٦types /enfj /:

* محفز، وملهم، لديه قدرة على إظهار أفضل ما في الناس.
* يعرب عن شكره وموافقته بشكل جيد ودافئ.
* مرح، لديه روح الدعابة، مثير، نشيط، ومتفائل.
* لديه قدرة جيدة في التعامل مع المال.
* يستطيع المضي قدماً بعد علاقة فاشلة، على الرغم من أنه يلوم نفسه.
* مخلص وملتزم.
* يحب أن يرضي جميع الأطراف في حالة وجود خلاف.
* مدفوع لتلبية احتياجات الآخرين ورغباتهم)[1].

ةةةةةةة ةة ةةةةة:

* يهتم بالناس بصدق وحرارة.
* يقدر مشاعر الناس وأحاسيسهم.
* يقدر النظام والترتيب.
* يقدر الوئام والود، ويمتلك قدرة على إيجاده في محيطه.
* مهارات استثنائية في التعامل مع الناس وفهمهم.
* يكره التحليل والمنطق الذي يتجاهل الجانب الشخصي للناس.
* لديه قدرات تنظيمية ممتازة.
* مخلص ونزيه.
* مبدع وتخيلي.
* يستمتع بالتنوع والتحديات الجديدة.

(١) مدونة جاسم الهارون:

http: / /www.jass.im /si /per /١٦types /enfj /٣ /

* يحصل على رضا نفسه من مساعدته للآخرين.
* شديد الحساسية للنقد والخلافات.
* به حاجة إلى موافقة الآخرين ليشعر بالرضا عن نفسه.

ةةةةةةة ةةةة ةةةة ةةةةة ةةةةةةة:

١) استشاري
٢) مرشد أو موجه
٣) طبيب نفسي
٤) معلم
٥) عامل شؤون اجتماعية
٦) موجه ديني
٧) إداري
٨) سياسي أو دبلوماسي
٩) مندوب مبيعات[١]
١٠) كاتب
١١) الموارد البشرية
١٢) منسق فعاليات

(١) ينظر: المصدر السابق:
http: / /www.jass.im /si /per /١٦types /enfj /٤ /

ةةةةةةة ةةةةةةةة

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث بفضل الله ومَنِّهِ وبركته خرجت بنتائج عدة وتوصيات مهمة أسطرها فيما يأتي:

ةةةً) ةةةةةةة:

١. إنَّ النفس البشرية تنطوي تحتها قدرات كامنة وكبيرة يجهلها كثير من الناس.

٢. إنَّ الوصول إلى تفهم النفس ومعرفة قدراتها ليس بالأمر المستحيل.

٣. من السهولة أن نختار لكل مهمة ما يناسبها عن طريق معرفة أنماط الشخصية.

٤. معرفة النبي رضي الله عنه بالصحابة كانت على بصيرة ودراية بقدراتهم وإمكاناتهم.

٥. ليس هناك أحد من البشر أفضل من أحد ولكن هي قدرات موزعة على الخلق.

ةةةةً) ةةةةةةة:

١. دراسة علم أنماط الشخصية لكل فرد لمعرفة نمطه.

٢. الإفادة من هذا العلم في تنمية الخطاب الديني.

٣. من تصدر للخطاب ولم يجد نمطه موافقه لمهمته عليه تقوية جوانب الضعف.

٤. معرفة نمط المدعو لكي تسهل مهمة الدخول إلى قلبه

❊ ❊ ❊

ةةةةةةة

- القرآن الكريم.

١. أرجوك افهمني، ديفيد كيرزي، ترجمة محمد شيخو معمو، شعاع للنشر والعلوم، ط/ ١، ٢٠١٠م.

٢. أصول البحث الاجتماعي، عبدالباسط محمد حسن، ب د، ١٩٩٨م.

٣. الإقناع، فن إقناع الآخرين، جيمس بورج، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ٢٠٠٩م.

٤. الأنماط الشخصية أسلوب جديد لفهم الناس، أشرف القابسي، ب د.

٥. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠٣م.

٦. بوصلة الشخصية، أسلوب جديد لفهم الناس، دايان تيرنر وثلما جريكو، ترجمة: د. حمود الشريف، مكتبة جرير المملكة العربية السعودية، ط/ ٦، ٢٠٠٦م.

٧. البوصلة الشخصية، اكتشف دورك في الحياة، عبد الرحمن ناصر الملحوق، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥ه)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ب ت.

٩. التحليل النفسي للشخصية، فيصل عباس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤م.

١٠. التنقيب في أغوار النفس، كارل يونغ، ترجمة: نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط/ ١، ١٩٩٦م.

١١. حلل شخصيتك بنفسك، د. إبراهيم الفقي، الحياة للدعاية والإعلان، ب ت.

١٢. الروض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، علق عليه ووضح حواشيه: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/ ٣، ٢٠٠٩م.

١٣. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/ ١، ١٩٩٣م.

١٤. السير والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط/ ١، ١٩٧٨م.

١٥. السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري، (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط/ ٢، ١٩٥٥م.

١٦. الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم، د. سعيد خضير يوسف، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، ط/ ١، ٢٠٠٩م.

١٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ٤، ١٩٨٧م.

١٨. فن الإقناع، هاري ميلز، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ٢٠٠١م.

١٩. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط/ ٨، ٢٠٠٥م.

٢٠. قراءة الناس، فهم الآخرين من خلال نظرية الأنماط الشخصية، محيي الدين الصبان، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط/ ١، ٢٠١٠م.

٢١. كيف تحقق زواجًا ناجحًا من خلال نظرية الأنماط الشخصية، محيي الدين علي الصبان، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط/ ١، ٢٠١٣م.

٢٢. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ٢، ١٩٨٦م.

٢٣. معالم شخصية المرأة في الكتاب والسنة، د. عادل يوسف حسن، البحرين، ١٤٢٩هـ.

٢٤. المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.

٢٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٢٦. المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي، أبو عبد الله، الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط/ ٣، ١٩٨٩م.

٢٧. موسوعة التربية الخاصة والتأهيل النفسي، كمال سالم سي سالم، دار الكتاب الجمعي، العين، ٢٠٠٢م.

١. http: / /anmat٤u.com

٢. http: / /baaqi.blogspot.com /٠٥ /٢٠١١ /mbti.html.

٣. http: / /shobanzagazig.ahlamontada.com /t-٩٥٩topic

٤. http: / /www.ahewar.org /debat /show.art.asp?aid=١٥٨٣٨٨

٥. http: / /www.maaber.org /issue_august٠٦ /depth_psychology١.htm

٦. https: / /ar.wikipedia.org

٧.https: / /translate.google.iq /translate?hl=ar&sl=en&u=

https: / /en.wikipedia.org /wiki /Isabel_Briggs_Myers&prev=search٥

❊ ❊ ❊

-19-

ةةةةةة ةةةةةة ةةةةة ةةةةة

ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة

ةةة ةةةة ةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة

ةةةةةة ةة(ةةةةةة ةةةةةةةةةة ةةةةةة ةةةةة)

اعداد

الدكتور صهيب سليم عمير الآلوسي

كلية الإمام الأعظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجامعة/ بغداد

ةةةةةةة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين ألحق فبلغ ألرسالة وأدَّى ألأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد: فإنَّ لله على الأمة نعماً عظيمة، ومناً جليلة كريمة، ومن هذه النعم أن ختم الرسالات السماوية برسالة الإسلام، وجعل سيدنا محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام، فبينما كان الرسول يبعث الى قومه ورسالته خاصة بهم، ويعقبها ما ينسخها أو يجددها، اذ برسالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام تظهر وتمتد لتشمل الأرض كلها، وتتناول البشرية جميعها، ويكتب الله لها الخلود الى يوم القيامة، فلا رسالة بعد رسالة الإسلام، ولا نبي بعده عليه الصلاة والسلام، فلابد أن تكون هذه الرسالة ذات مميزات وخصائص تمكنها من الصلاحية لكل وزمان ومكان الى قيام الساعة، ومن هذه المميزات ان الله سبحانه وتعالى يبعث لها من يجددها لها دينها على كل رأس مائة سنة، ومن هؤلاء المجددين هم الفقهاء وميدانهم علم الفقه الذي يشمل كل نواحي الحياة الفردية والجماعية من شؤون اقتصادية واجتماعية وسياسية وغيرها، وان موضع بحثي هذا المتمثل في معالم التجديد الفقهي (الامام الشافعي نموذجا)، موضوع ثري ونابض بالحياة، وهو يستوحي غناه من حيوية هذا الفقه الذي يتمتع بمقومات ومميزات يجعله صالحاً لكل زمان ومكان، وقد اثبت الواقع نماء هذا الفقه منذ نشأته في عهده صلى

اله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين الى يومنا هذا. وقد اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مطالب، وتضمن المطلب الأول :تعريف التجديد لغة واصطلاحاً، ومشروعيته، والمطلب الثاني: أركان وضوابط التجديد، والمطلب الثالث: الامام الشافعي وأثره في التجديد، ولمطلب الرابع نماذج فقهية تجديدية في شريعة الإسلام، وخاتمة فيها أهم نتائج البحث .

الباحث

❊ ❊ ❊

ةةةةة ةةةةة

ةةةةة ةةةةةة ةةة ةةةةةة ةً

ةةةةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةة

التجديد لغة: مصدر جدد الشيء أي صيره جديداً[1]، وهو نقيض الاحداث من العدم[2]، والجديد نقيض الخلق[3].

ومفهوم التجديد: الاحتفاظ بالقديم، وترميم ما بلى منه، وإدخال التحسين عليه، لأن التجديد انما يكون لشيء قديم[4].

((الجيم والدال أصول ثلاثة: الأول العظمة، والثاني الحظ، والثالث القطع، فالأول العظمة، قال الله جل ثناؤه اخبار عمن قال: ﴿وأنَّه تعالى جد ربنا﴾[5]، ويقال جد الرجل في عيني أي عظم .....، والثاني: الغنى والحظ، قال رسول الله ﷺ في دعائه))：لا ينفع ذا الجد منك الجد))[6]، يريد لا ينفع ذا الغنى منك غناه، انما ينفعه العمل بطاعته .....، والثالث: يقال جددت الشيء جدا، وهو مجدد، أي مقطوع))[7].

(١) ينظر :لسان العرب :لابن منظور ٣/ ١١ مادة(جدد) .
(٢) ينظر :المصباح المنير :للفيومي ٢/ ٦٤٨ مادة (و ج د) .
(٣) ينظر: مختار الصحاح: للرازي ١/ ٥٤ مادة (ج د د) .
(٤) ينظر: الفقه الإسلامي بين الاصالة والتجديد: للدكتور يوسف القرضاوي ص ٣٠ .
(٥) سورة الجن / آية ٣
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٦٨ برقم (٨٤٤)، باب الذكر بعد الصلاة .
(٧) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس ١/ ٤٠٦، ٤٠٧ .

التجديد في الاصطلاح: قال أبو الأعلى المودودي[١] ((المجدد: كُلُّ من أحيا معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انتقاضه))[٢].

قال العلقمي[٣]: ((المجدد: من يحيى ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها))[٤]

قال الدكتور القرضاوي[٥]: ((إنَّ التجديد لشيء ما هو محاولة العودة به الى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وهى منه، وترميم ما بلى، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون الى صورته الأولى))[٦].

وعرف القرضاوي تجديد الفقه بأنه :((تنمية الفقه الإسلامي من داخله، وبأساليبه هو، مع الاحتفاظ بخصائصه الأصلية وبطابعه المتميز))[٧].

---

(١) أبو الأعلى المودودي: من كبار رجال الاصلاح والتجديد الإسلامي في القارة الهندية، كاتب، صحفي، مجاهد، ولد في مدينة أورنك آباد في ولاية حيدر آباد، وبها نشأ وتعلم، أصدر مجلة (ترجمان القرآن)، وقد حوكم وسجن . توفي سنة ١٣٩٩ هـ .
ينظر: معجم المفسرين: لعادل نويهض ٢/ ٧٥٦،

(٢) موجز تاريخ تجديد الدين: لأبي الأعلى المودودي ص ١٣ .

(٣) العلقمي: هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي، شمس الدين، فقيه شافعي، مفسر، محدث، نشأ في بيت من بيوت العلم في مصر، له مؤلفات عدة من أشهرها :الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير، مات سنة ٩٦٩هـ .
ينظر: الأعلام: للزركلي ٦/ ١٩٥، ومعجم المفسرين (من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر) :لعادل نويهض ٢/ ٥٤٩ .

(٤) التعريفات الفقهية :لعميم الاحسان البركتي .

(٥) القرضاوي: هو يوسف بن عبد الله القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، أحد كبار علماء المسلمين المعاصرين، حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة، له مؤلفات عديدة .
ينظر :موقع القرضاوي :www.Qaradawi. Net .

(٦) من أجل صحوة راشدة :للدكتور يوسف القرضاوي ص ٢٨ .

(٧) الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد: للقرضاوي ص

ومن خلال ما ذكره العلماء عن معنى التجديد فإنَّه يعني :عودة الشريعة الإسلامية الى ما كانت عليه يوم ولدت، من خلال تقويم ما انحرف منها، وتصحيح مخالفتها، والرجوع اليها وقت الحوادث العصرية المستجدة .

ةةةةةةة ةةةةةةة:

١. قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون﴾[١]

وجه الدلالة: أنَّ هذه الآية دالة على وجوب التفقه في الدين، وان كانت وردت على سبب نزول خاص إلا أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٢]، فتقع على الأمة مسؤولية التفقه في الدين لمواجهة المستجدات والمشاكل التي تطرأ حديثاً.

٢. قوله ﷺ: ((إنَّ الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها))[٣].

وجه الدلالة :- أنَّ الله يهيئ لهذه الأمة من يجدد لها دينها، وذلك ببيان الحق، ودفع الباطل، ونصر الحق وأهله، والدفاع عن السنة وأهلها[٤]، وهو أصل صحيح صريح في الدلالة على مشروعية التجديد[٥].

---

(١) سورة التوبة :آية / ١٢٢.

(٢) موسوعة القواعد الفقهية :لمحمد صدقي آل برنو ١٢/ ٧٨

(٣) أخرجه أبي دواد في سننه ٦/ ٣٤٩ برقم (٤٢٩١) باب ما يذكر في قرن المائة . اسناده صحيح، والحاكم في مستدركه ٤/ ٥٦٧ برقم (٨٥٩٢) باب حديث أبي عوانة، وأخرجه البيهقي في السنن والآثار ١/ ٢٠٨برقم (٤٢٢) باب ذكر مولد الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.حكم الألباني} صحيح { ينظر: فيض القدير: للمناوي ٢/ ٢٨١ .

(٤) ينظر :شرح سنن أبي داؤد :للعباد ٣/ ٤٨٣ .

(٥) ينظر :التجديد في فقه المعاملات المالية المعاصرة: للدكتور رياض منصور الحلفي ص ١٦ .

٣. قوله ﷺ :((بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء))[١]، وفي رواية قالوا من هم يا رسول الله؟ قال: ((الذين يصلحون إذا فسد الناس))[٢] .

فقد أخبر ﷺ عما سيؤول اليه الأمر من غربة الإسلام واندثار الكثير من شرائعه حتى يعد من تمسك غريب، ثم يمدح هؤلاء الغرباء وذكر من صفاتهم أنهم يصلحون ما أفسد الناس[٣]، وهذه هي حقيقة التجديد.

٤. ما ورد في الأثر عن أمير المؤمنين الامام علي رضي الله عنه قوله: ((لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة لكي لا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الاقلون عددا، الاعظمون عند الله قدرا))[٤]

٥. من المعقول: أنَّ الناس بهم حاجة ماسة إلى تجديد الفقه في كل عصر، لأنَّ حاجات الناس متغيرة من حيث الزمان والمكان فلا بد للفقه ان يتجدد ليلائم متطلبات هذا التغير من غير الخروج عن نصوص الشريعة ولكي يبقى الفقه بصورة خاصة والدين بصورة عامة صالح لكل زمان ومكان الى قيام الساعة .

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الامام مسلم في صحيحه ١/ ١٣٠ برقم (٢٣٢) باب بيان الإسلام بدأ غريباً .
(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد لصهيب عبد الجبار ٢٠/ ٣٦٠ . قال شعيب الارناؤوط اسناده جيد .
(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري ١/ ٢٤٣ .
(٤) جامع الأحاديث: للسيوطي ٢٩/ ٢٧٦ .

ةةةةة ةةةةة
ةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةة

ةةةةً: ةةةةة ةةةةةة ةةةةة

يتكون التجديد من أربعة أركان أساسية وهي: الشخص المجدَّد، والمجدَّد وهو الدين، والمجدد له وهو الأمة الإسلامية، والمجدد به وهو أدوات التجديد ووسائله .

ونبين هذه الاركان على النحو الاتي: -

المجدد: وهو الشخص أو الجماعة التي تتوافر فيها شروط التجديد في المجال الذي يوفقه الله تعالى للتجديد، فقد يكون التجديد في الفقه وحاجة العصر الماسة لذلك نتيجة للتطورات الحاصلة اوفي العقيدة وما وصلت إليه من عقائد باطلة وزائفة أو فكر منحرف معجب بالأفكار الغربية وما إلى ذلك[1].

المجدد: هو الدين الذي يشمل كل تفرعات الشريعة الإسلامية، من فقه، وعقيدة، وسياسة شرعية، واقتصاد إسلامي، والجهاد، والقضاء، والعلاقات الإنسانية، والحديث الذي روية عن النبي ﷺ يذكر: ((يجدد لها دينها))[2]، فالدين يشمل كل هذه المعاني[3].

المجدد له: وهم المسلمون، حيث إنَّ التجديد فيهم سنة إلاهية كما بينا في مشروعية التجديد.

---

(١) ينظر: التجديد الفقهي في الاقتصاد والمعاملات المالية المعاصرة للدكتور علي القرة داغي ص ١٠. بتصرف

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ينظر: التجديد الفقهي في الاقتصاد والمعاملات المالية المعاصرة للدكتور علي القرة داغي ص ١٠.

أدوات التجديد: وهي العلم بالتجديد الفقهي (اي التجديد في فقه المعاملات، وفقه العبادات .....الخ)، والتجديد الأصولي (أي التجديد في علم أصول الفقه)، والتجديد العقائدي، والفكري والسياسي والاقتصادي وما الى ذلك[1]

ةةةةة: ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة

الضابط الأول: أنْ يكون التجديد فيما يجوز فيه الاجتهاد، وهو ما كان دليله ظنياً من الاحكام سواء أكان الظني الثبوت او الدلالة، أم هما معاً، فلا مجال للتجديد في امور القطعية قطعاً: مثل فرضية الصلاة، والصيام، والحج، وتحريم الخمر، ولحم الخنزير، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، ووجوب رجم المحصن الزاني، وجلد الزاني غير المحصن، وقطع يد السارق، وتوزيع التركة بين العصبات للذكر مثل حض الأنثيين، ونحو ذلك من الاحكام القطعية المعلومة من الدين بالضرورة، التي أجمعت الأمة عليها[2] .

وهذا معناه مراعاة الامور الآتية :-

الأمر الأول: لا يجوز التجديد فيما ليس محلاً للاجتهاد، والأحكام التي ليست محلاً للاجتهاد أنواع ثلاثة :-

أولاً :- ما علم من الدين بالضرورة كوجوب الايمان بالله، وملائكته، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وجوب الصلاة والصيام، والزكاة، وتحريم الربا والسرقة والقتل وغيرها[3].

ثانياً :- الأحكام التي جاء فيها نص قطعي الدلالة والثبوت مثل :كفارة اليمين الثابتة

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) ينظر تيسير علم أصول الفقه لعبد الله ين يوسف العنزي ١/ ٣٧٨. فما بعدها، ومعالم أصول الفقه عند اهل السنة والجماعة للجيزاني ١/ ٤٨٠

(٣) ينظر: البحر الميط: للزركشي ٨/ ٣٣٢،والمدخل المفصل لمذهب الامام أحمد: لبكر أبو زيد ١/ ٤٧.

بآية المائدة في قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله بالغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته .....﴾[1]، فهو نص قطعي الثبوت، لأنَّه قرآن، وقطعي الدلالة في مقدار الكفارة، وهكذا سائر المقدرات المنصوص عليها في القرآن والسنة المتواترة كالحدود والكفارات ومقادير الزكاة وأعداد الصلوات ونحوها فلا مجال للاختلاف فيها ولا التجديد[2].

ثالثاً: الأحكام العملية التي لا تحتمل تأويل، والثابتة بالسنة الفعلية للرسول ﷺ مثل: شروط الصلاة وأركانها، ومواقيتها حيث قال ﷺ: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))[3]، وقوله ﷺ في مناسك الحج: ((خذوا عنِّي مناسككم))[4]. فلا مجال للتجديد في هذه المسائل[5].

الأمر الثاني: ما يجوز فيه التجديد ويشمل:

أولاً: ما فيه نص قطعي الثبوت ظنِّي الدلالة، مثل: عدة المطلقات من ذوات الاقراء، فإنَّ النص فيها قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾[6]، فالآية قطعية الثبوت، لكنها ظنية الدلالة، لان القرء لفظ (ظاهر) مشترك وضع لمعنيين :اما الطهر، وأما الحيض، ودلالته على أحدهما ظنية، فعلى المجتهد بذل وسعه وجهده في الوصول الى

(١) سورة المائدة: آية ٨٩.

(٢) ضوابط تجديد الفقه الإسلامي (دراسة تطبيقية): للدكتور حسن السيد حامد خطاب ص ٢١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٢٨ برقم (٦٣١)، باب الآذان للمسافر اذا كانوا جماعة .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٩٤٢ برقم (١٢٩٧)، باب استحباب رمي جمرة العقبة .

(٥) ينظر: ضوابط تجديد الفقه الإسلامي (دراسة تطبيقية): للدكتور حسن السيد حامد خطاب ص ٢١ .

(٦) سورة البقرة: آية ٢٢٨.

تجديد أي المعنيين المراد من النص[١] .

ثانياً: مافيه نص ظني الثبوت قطعي الدلالة مثل قوله ﷺ: ((في خمس من الابل صدقة أو شاة))[٢]، فطريق الاجتهاد والتجديد في سنده الظني الثبوت لا في دلالته لأنها قطعية[٣].

ثالثاً: ما كان ظنِّي الثبوت ظني الدلالة وهو كثير مثل قول النبي ﷺ : ((لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب))[٤]، فهو ظنِّي لأنَّه خبر آحاد، فطريقة الثبوت ليس قطعياً، كما أنه ظني الدلالة، لاحتماله أكثر من معنى اذ يحتمل: لا صلاة كاملة إلا بفاتحة الكتاب كما فهم الحنفية[٥]، أو لا صلاة صحيحة الا بفاتحة الكتاب كما فهم الشافعية[٦].

رابعاً: ((ما لم يرد فيه نص بخصوصية، وهذا محل للتجديد بحثاً عن معرفة حكمها قياساً بنظائرها، وأشباهها مما نص عليه سواء بطريق القياس، أم المصالح، أو ألاستحسان، أم سد الذرائع، وغيرها من الأدلة العامة المختلف في تحديدها))[٧].

ومثال ذلك:- استخلاف ابي بكر على المسلمين بعد انتقال الرسول ﷺ قياساً على انابته ﷺ له في الامامة في الصلاة، وقالوا :رضيك رسول الله لديننا، أفلا ترضاك

(١) ينظر: شرح التلويح على التوضيح : للتفتازاني ١/ ٦٣،وضوابط تجديد الفقه الإسلامي للدكتور حسن السيد حامد ص ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ٢/ ١١٩ برقم (١٤٥٩)، باب ليس في ما دون خمس ذود صدقة.

(٣) ينظر: المهذب في علم اصول الفقه المقارن: لعبد الكريم النملة ٥/ ٢٣٢٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٥١ برقم (٧٥٦)، باب وجوب القراءة للامام والمأموم .

(٥) ينظر: بدائع الصنائع: للكاساني ١/ ١١١.

(٦) ينظر: التهذيب في فقه الامام الشافعي: للبغوي ٢/ ٩٤ .

(٧) من ضوابط تجديد الفقه الإسلامي (دراسة تطبيقية): لحسن السيد حامد خطاب ص ١٦،والفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد :للقرضاوي ص ٤٣ .

لدنيانا[1]. وجمع المصحف بعد حروب الردة، وجمع قراءاته في عصر عثمان رضي الله عنه، وغير ذلك مما لم يرد فيه نص[2]، واجتهاد الصحابة فيه اعمالاً لمبدأ المصلحة [3].

وعليه فإنَّ الأمور القطعية لا يجوز فيها التجديد والاجتهاد، بل تقبله، ولا تختلف باختلاف الناس ولا يغيرها العرف ولا الزمان والمكان[4].

ومثال ذلك: ما سعى إليه جماعةٌ من محاولة تسوية المرأة بالرجل في الميراث مخالفا لنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[5]، مدعياً بذلك تطور الأحكام الشرعية بحسب ما يقتضيه تطور المجتمع، وهذا أدعاء باطل وتجديد فاسد لا يقبله الشرع.

الضابط الثاني: أنْ يكون التجديد وثيق الصلة بواقع المسلمين وعلى ضوء النصوص الشرعي.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: ((ينبغي أنْ نحذر من الوقوع تحت ضغط الواقع القائم في مجتمعاتنا المعاصرة وهو واقع لم يصنعه الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه، ولم يصنعه المسلمون بأرادتهم وعقولهم وأيديهم، إنَّما هو واقع صنع لهم، وفرض عليهم، في زمن غفلة وضعف وتفكك منهم، وزمن قوة ويقظة وتمكن من عدوهم المستعمر،

(١) ينظر : شرح صحيح البخاري :لابن بطال ١٠/ ٣٦١، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح :لابن الملقن ٣٣/ ٨٦٧.

(٢) ينظر : شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل :لابن جزي ١/ ٣٣ .

(٣) ينظر: من ضوابط تجديد الفقه الإسلامي (دراسة تطبيقية): لحسن السيد حامد خطاب ص ١٧.

(٤) ينظر: الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد : للقرضاوي ص ٤٥، والضوابط العلمية لدراسة وتجديد الفقه : للدكتور علي جميل خلف ص ١٤ .

(٥) سورة النساء : آية ١١.

فلم يملكوا أيامها أنْ يغيروه أو يتخلصوا منه، ثم ورثه الأبناء عن الاباء والاحفاد عن الاجداد، وبقي الامر كما كان. فليس معنى الاجتهاد ان نحاول تبرير هذا الواقع على ما به، وجر النصوص من تلابيبها لتأيده، وافتعال الفتاوى لإضفاء الشرعية على وجوده، والاعتراف بنسبه مع أنه دَعِيٌّ زنيم))[1].

وعليه فإنَّه يجب على المجدد ان يعرف ما هو جديد وصالح لهذه الامة وغير مخالف للنصوص الشريعة، وكذلك الاحتفاظ بالقديم الاصيل المعتبر شرعا، وبين هذا وذاك يكون المجدد قد نفع المسلمين وجدد لهم دينهم، تماشياً مع واقعهم من غير الخروج عن الشرع إلا أنَّه يجب عليه مراعاة الآتي[2]:

١- مراعاة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان.

٢- الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٣- الأخذ من الآخر مع ما يتناسب وشريعتنا، وتحقيق المصلحة والانتباه إلى عدم الانحراف عن التجديد إلى التغير فتصبح أمة تابعة وليست متبوعة .

الضابط الثالث: التطبيق العملي للتجديد

التطبيق العملي للتجديد هو الذي يثبت صلاحيته للحياة، ويكشف عما به من سلبيات يمكن معالجتها، لتصبح أكثر ملائمة للعمل بها، وأكثر تأثير في الواقع .

وهذا هو سبب من أسباب صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان على مر العصور، مهما استجدت الأحداث أو برزت على الساحة الإسلامية اشكالات .

((ولأنَّ الشريعة إنَّما جاءت من أجل العمل بها، وليست نصوصاً يتبرك بها دون أن

(١) الفقه الإسلامي بين الاصالة والتجديد: للقرضاوي ص ٤٧

(٢) ينظر :الضوابط العلمية لدراسة وتجديد الفقه :للدكتور علي جميل خلف ص ١٤ .

يأخذ الناس أنفسهم بالسير على منهجها في شتى مناحي الحياة))[1]

الضابط الرابع: تجديد روح الشريعة في نفوس الامة بصورة عامة والشباب بصورة خاصة وبيان صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان .

إنَّ الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول ﷺ والمنزلة عليه من قبل الله سبحانه وتعالى التزم بها الصحابة الكرام والسلف الصالح وطبقوا تعاليمها كبيرها وصغيرها في كل مراحل تاريخهم، وعلموا أنَّ عزهم ورفعتهم في هذا الدين، وكما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((إنَّا كنَّا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله))[2].

إلا أنَّ أعداء الإسلام علموا أنَّه لا يمكن القضاء على هذه الأمة إلَّا من طريق القضاء على دين الإسلام وذلك من طريق تفتيت وتمزيق الامة وتشويه صورة الشريعة الإسلامية والقول بانها ارث حضاري قديم لا يصلح لهذا الزمان ولهذا تكالب علينا الاعداء وكما قال النبي ﷺ: ((يوشك الأمم أنْ تدعى عليكم كما تدعى الاكلة على قصعتها)) فقال قائل: وَمِنْ قلة نحن يومئذ؟ قال: ((بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن))، فقال: يارسول الله، وما الوهن؟ قال ((حُبُّ الدنيا وكراهية الموت)) [3].

(١) الاجتهاد المعاصر :للقرضاوي ص ٩٤- ٩٥ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ١٣٠ برقم (٢٠٧)، كتاب الايمان . وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ينظر: مختصر تلخيص الذهبي ٣/ ١٢٢١.

(٣) أخرجه الامام احمد في مسنده ٣٧/ ٨٢ برقم (٢٢٣٩٧)، من حديث ثوبان، وابو داواد في سننه ٤/ ١١١ برقم (٤٢٩٧)، باب في تداعى الامم على الإسلام .[حكم الالباني]: صحيح

فقام أعداء الله وأعداء هذه الامة يبذل كل ما في وسعهم للقضاء على هذا الدين منها:-

١- تفتيت العالم الإسلامي الى دويلات صغيرة بل وحتى الدويلات الى مدن.

أمسك بكل دويلة على حدة يعزلها عن أخواتها وتثير بينها الأحقاد والمنازعات.

وفي كل منها عزل الدين عن المجتمع وعزل الشرعية عن الحياة..... وحارب كل حركة تقوم فيها لإحياء الدين وإعادته الى الواقع الحي المتحرك البناء.

ورسم سياسة تعليمية تبعد الشباب النابت عن منابع دينه، ولا تبقي في نفسه غير الشبهات ...

الحرص على إخراج جيل من ((المثقفين)) في كل بلد مسلم، ينفر من الدين وينسلخ منه، ويرى أخيه أنه جمود وتأخر ورجعية وانحطاط.... وحرص على أن يمزق شر ممزق كل حركة تقوم بين المثقفين خاصة تنادى بالعودة الى الإسلام))[1].

❊ ❊ ❊

(١) هل نحن مسلمون لمحمد قطب ص ٢١٢.

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةة ةةةةةة ةةةةة ةة ةةةةةة

اسمه :- هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن الشافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد ابن هاشم ابن مطلب بن عبد مناف جد النبي ﷺ وشافع ابن السائب هو الذي ينسب اليه الشافعي، لقي النبي ﷺ في صغره، واسلم ابوه السائب يوم بدر، فأنه كان صاحب راية بني هاشم[1] .

ةةةةة :

كانت ولادة الامام الشافعي بقرية من قرى الشام يقال لها غزة[2]، قيل اه ولد بمنى من مكة، وقيل بعسقلان، والأول اشهر، وكان ذلك سنة (١٥٠ هـ) وهي السنة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة (رحمه الله)[3].

ةةةةة ةةةةةة :

حمل إلى مكة وهو ابن سنتين، ونشأ بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم سلمه أبوه للتفقه إلى مسلم بن خالد[4] مفتي مكة فأذن له في الإفتاء وهو ابن خمس عشرة سنة،

(١) بنظر: تاريخ الإسلام: للذهبي ٥/ ١٤٦.
(٢) غزة: من قرى فلسطين اليوم.
ينظر: معجم البلدان :لياقوت الحموي ٤/ ٢٠٢ .
(٣) ينظر: تاريخ الإسلام: للذهبي ٥/ ١٤٦
(٤) مسلم بن خالد:هو مسلم بن خالد الزنجي، كان امام أهل مكة، من كبار الفقهاء، أصله من الشام، تفقه عليه الشافعي قبل أن يلقى الامام مالك، وهو الذي أذن للإمام الشافعي بالفتيا، توفي سنة ١٧٩ هـ .
ينظر :الأعلام: للزركلي ٨/ ١١٨.

فرحل إلى الإمام مالك بن أنس[1] بالمدينة فلازمه حتى توفي مالك رحمه الله، ثم قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة وأقام بها سنتين، فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا منه العلم ورجع كثير من مذاهبهم إلى قوله، وصنف بها الكتب القديمة[2]، ثم خرج إلى مكة حاجا ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهرين أو أقل ؛فلما قتل الإمام موسى الكاظم[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إلى مصر فلم يزل بها ناشرا للعلم وصنف بها الكتب الجديدة[4].

ةةةةةة :-

قال الأسنوي[5]: ((الشافعي أول من صنف في أصول الفقه بالا جماع، وأول من قرر ناسخ الحديث من منسوخة، وأول من صنف في أبواب كثيرة من الفقه

(١) مالك بن أنس :هو أبو عبد الله الامام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث بن غيمان بن خثيل الأصبحي المدني، ولد سنة (٩٣) هـ بالمدينة، وهو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، واليه تنسب المالكية، مات سنة ١٧٩ هـ، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى .

ينظر: سير أعلام النبلاء :للذهبي ٨/ ٤٨ فما بعدها .

(٢) ينظر: منازل الأئمة الأربعة :لأبو زكريا السلماني ١/ ٢٠١ .

(٣) موسى الكاظم: هو ابو الحسن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين)، أحد الأئمة ألاثني عشرية (رضي الله عنهم أجمعين)، كان يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، وهو أشهر من أن يعرف به، مات سنة ١٨٣ هـ .

ينظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان ٥/ ٣١٠ .

(٤) ينظر: وفيات الأعيان :لابن خلكان ٤/ ١٦٥ .

(٥) الآسنوي: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الآسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين، فقيه أصولي، من علماء العربية، ولد باسنا، وقدم القاهرة بسنة ٧٢١ هـ، انتهت اليه رياسة الشافعية، من كتبه (الاشتباه والنظائر) توفي سنة (٧٢٢ هـ) .

ينظر: الاعلام: للزر كلي ٣/ ٣٤٢.

معروفة))[1].

قال الإمام أحمد بن حنبل: ((إنَّ الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن، وينقى عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي))[2]

((وكان الشافعي يفتي وله خمس عشرة سنة، وكان يحيي الليل الى أن مات)) [3]

قال الامام احمد بن حنبل: ((ستة أدعوا لهم سحراً، احدهم الشافعي))[4].

أثر الامام الشافعي في التجديد

لقد توفرت في الامام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجموعة مآثر وصفات، كل واحد منها كافية لرفعه الى مصاف المجددين، فكيف اذا اجتمعت ؟ ولعلة ابر هذه الصفات ما يأتي[5] :-

١ . دفاعه عن عقيدة النبي ﷺ وأصحابه وحربه للمنحرفين عنها :

مر معنا أنَّ من أبرز ميادين التجديد الحفاظ على نقاء العقيدة، وتنقيتها مما يلصقه بها اهل الزيغ والانحراف، وقد ظهر الشافعي في وقت كانت الاهواء والبدع قد بدأت تطل برؤوسها و وبدأت المناهج الفلسفية وعلم الكلام يغزو العالم الإسلامي ويفسد على الناس دينهم، فانتصب الامام الشافعي كالطود الشامخ، يدافع عن العقيدة الصحيحة ويحذر الناس من الوقوع في براثن الفلسفة اليونانية وعلم الكلام، ويقول:

(١) شذرات الذهب: لابن العماد ٢/ ٩.
(٢) تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي ٢/ ٦٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٢
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٤
(٥) ينظر: التجديد في الفقه الإسلامي: للدكتور عدنان إمامة ص ٩٠ فما بعدها .

((لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله، خير من ان يلقاه بشيء من الاهواء، وفي رواية خير من ان يلقاه في علم الكلام))[1]، ويقول: ((حكمي في أهل الكلام أنْ يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام))[2]، ويقول: ((لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد))[3]، وقال: ((إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى، والشيء غير الشيء، فاشهد عليه بالزندقة))[4]، ويقول: ((القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر))[5]، ونقل عن شيخه مالك أنَّه حين سُئِلَ عن الكلام والتوحيد قال: ((محال أنْ نظن بالنبي ﷺ أنَّه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد))[6].

وقد روى عنه الربيع[7]، وغير واحد من رؤوس أصحابه، ما يدل على أنَّه ((كان يمر بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه، ولا تعطيل ولا تحريف، على طريقة السلف))[8]

٢- تعظيم السنة ورد الشبهات للمنكرين لحجيتها أو حجية بعضها :

فقد وجد في عصر الإمام الشافعي رضي الله عنه من ينكر أنْ تكون السنة مصدراً

(١) البداية والنهاية: لابن كثير ١٠/ ٢٧٧.
(٢) المصدر نفسه، وسير اعلام النبلاء: للذهبي ٨/ ٣٨٧.
(٣) سير اعلام النبلاء: للذهبي ٨/ ٣٨٢.
(٤) المصر نفسه ٨/ ٣٨٧.
(٥) البداية والنهاية: لابن كثير ١٠/ ٢٧٧.
(٦) سير اعلام النبلاء: للذهبي ٨/ ٣٨٦
(٧) هو الامام الثقة تلميذ الشافعي وصاحبه، الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المصري ابو محمد، راوي كتب الشافعي، وكان من الاثبات في العلم، توفي سنة ٢٧٠ هـ ينظر العبر ١ / ٥٨٧، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٥.
(٨) البداية والنهاية: لابن كثير ١٠/ ٢٧٧.

للتشريع ويدعو الى الاكتفاء بالمتواتر منها فقط، فقام الشافعي ببيان بطلان هذه المذاهب وانحرافها، ونهض يدلل على حجية السنة وخبر الآحاد، ببيان قوي وأسلوب رصين، واستطاع أن يعيد للسنة مكانتها وأن يقمع خصومها[1] .

٣- جمعه بين رواية والسنة ودرايتها:

فقد كان أصحاب الحديث يعتنون بالرواية والنقل، أكثر من عنايتهم بالفقه والاستنباط، مما جعلهم عاجزين عن المناظرة والمجادلة، وغير قادرين على تزييف طريق أصحاب الرأي، فجاء الامام الشافعي، فأقام توازناً بين الفقه والحديث، وبين الرواية والدراية، من غير غلو ولا شطط، وأعاد الناس الى منهج الاعتدال والوسطية، لذلك فرح أصحاب الحديث بالشافعي فرحاً شديداً، وأثنوا عليه ثناءً حاراً، وسموه ناصر السنة. قال حرملة[2]: ((سمعت الشافعي يقول: سميت ببغداد ناصر السنة))[3]، وقال إبراهيم الحربي[4]: ((سألت أبا عبد الله عن الشافعي فقال : حديث صحيح ورأي صحيح))[5]، وقال محمد بن الحسن [6]: ((إن تكلم أصحاب الحديث يوماً فبلسان

(١) ينظر: مفهوم تجديد الدين: لمحمد سعيد البسطامي ص ٧٠ .

(٢) هو حرملة بن يحيى التجيبي، فقيه من أصحاب الشافعي، كان حافظاً للحديث . توفي بمصر سنة ٢٤٣ هـ .

ينظر: تهذيب التهذيب :لابن حجر ٢/ ٢٢٩، والأعلام: للزر كلي ٢/ ١٨٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء :للذهبي ٨/ ٣٩٥، وتهذيب الأسماء واللغات :لنووي ١/ ٧٢، والبداية والنهاية :لابن كثير ١٠/ ٢٧٦ .

(٤) هو ابراهيم بن اسحاق البغدادي الحربي، من أعلام المحدثين أصله من مرو، كان حافظاً للحديث عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام، توفي ببغداد سنة ٢٨٥ هـ .

ينظر: الأعلام :للزر كلي ١/ ٢٤ .

(٥) سير أعلام النبلاء :للذهبي ٨/ ٣٩٥ .

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، الفقيه الحنفي، أصله من حرستا بدمشق، نشأ

الشافعي، يعني لما وضع من كتبه))[1]، وقال الإمام أحمد: ((ما كان أصحاب الحديث يعرفون معاني أحاديث رسول اللهﷺ فبينها لهم))[2]، وقال : ((كان الفقه قفلا على أهله حتى فتحه الله بالشافعي))[3].

٤. إنصافه ورجوعه الى الدليل وعدم تعصبه .

كان الإمام الشافعي مثالاً للواقفين عند النصوص، للباحثين عن الحق، لا يضره خلاف من خالفه، وقد افصح عن منهجه هذا في العديد من اقواله، من ذلك قوله: ((إذا صح عندكم الحديث عن رسول اللهﷺ فقولوا به ودعوا قولي، فإني أقول به وإنْ لم تسمعوه مني، وفي رواية: فلا تقلدوني، وفي رواية: فلا تلتفتوا الى قولي، وفي رواية: فاضربوا بقولي عرض الحائط، فلا قول لي مع رسول الله ﷺ))[4]. وكان يقول للإمام أحمد: ((يا أبا عبد الله اذا صح عندكم الحديث، فأعلمني به أذهب إليه، حجازياً كان أو شامياً أو عراقياً أو يمنياً))[5].

وعليه فإذا كان من صفات المجتهد وخصائصه أن يعم علمه ونفعه أهل زمنه، وأن تكون كتبه وآثاره ذائعة مشهورة، وأن يحدث نقلة نوعية في حياة الناس فلعل احداً من المجددين لم يبلغ ما بلغه الامام الشافعي في ذلك فقد ذاع صيته، وطارت شهرته في

بالكوفة، وطلب الحديث، حضر مجلس أبي حنيفة، وتفقه على أبو يوسف، ونشر علم أبي حنيفة، وله مصنفات كثيرة نادرة، توفي سنة ١٨٩ هـ .
ينظر :وفيات الأعيان :لابن خلكان ٤/ ١٨٥ .

(١) تهذيب الاسماء واللغات: للنووي ١/ ٧١.
(٢) المرجع نفسه ١/ ٨٠.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) البداية والنهاية: لابن كثير ١٠/ ٢٧٦.
(٥) تهذيب الاسماء واللغات: للنووي ١/ ٨٣

الافاق، وتناقل العلماء وطلبة العلم كتبه، ورحل اليه اهل الحديث والفقه من شتى أطراف العالم الإسلامي ليأخذوا عنه العلم، وظلت كتبه وأثاره محجة للأجيال التي جاءت من بعده والى يوم الناس هذا، وقد تقدم في ذلك قولهم: ((ما علمنا أحداً كان في عصره امن على الإسلام منه لما نشر من الحق، وقمع من الباطل، اظهر من الحجج، وعلم من الخير))[1].

❊ ❊ ❊

(١) سير اعلام النبلاء: للذهبي ٨/ ٣٩٢.

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةةة ةة ةةةةةةة ةةةةةةةة

أولاً :- التأليف في الفقه الإسلامي وأثره على التجديد

من خلال تتبع تاريخ الفقه الإسلامي نجد أنَّه قد مر بعصور عدة، منها العصر الذي ازدهر فيه الفقه الإسلامي، وذلك هو عصر الائمة ومدارسهم التي اشتهرت وذاع صيتها بالقرنين الثاني والثالث، حيث كان التأليف في الفقه الإسلامي في هذه الفترة يعتمد على استنباط الحكم من الأدلة المتفق عليها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وكذلك الأدلة المختلف فيها، حيث كان الاسلوب آنذاك سهلاً ميسراً لا تعقيد فيه، فالعبارة واضحة، والحكم صريح، وأبواب الاجتهاد مفتوحة، قال الامام أبو حنيفة (رحمه الله) مقولته المشهورة : ((هم رجال ونحن رجال))[1].

إلا أنَّه بعد هذه الفترة مر التأليف في الفقه الإسلامي بطرق ملتوية وشاقة، ابتعدت عن الطريقة السهلة التي تبناها المتقدمون فترة أئمة المذاهب الأربعة، وهذه الطريقة أثرت على القارئ سلباً بحيث أنَّ طالب العلم الشرعي يجد صعوبة في فكّ العبارات الفقهية وكذلك الاصولية، فما بالك بالقارئ العامي.

((ولم ينج من هذه الظاهرة سوى القلة النادرة من المصلحين المجددين الذين عولوا على مقاصد الشريعة وقواعدها العامة وأدلتها الكلية ونهجوا خطة المتقدمين في التأليف وفي مقدمة هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه يعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ الفقه

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي: للزيلعي ٤/ ٢٤، وسير أعلام النبلاء: للذهبي ٦/ ٤٠١.

الإسلامي حيث اعتمد في اختياراته الفقهيه على النظر في الأدلة والأخذ بالأقوى من آراء الفقهاء ألسابقين واستخرج أحكاما للقضايا الجديدة في عصره.

ورث العصر الحاضر ذلك التراث الفقهي القديم بما له وما عليه في الوقت الذي تطورت فيه أساليب التأليف وشملت التجديد في كل مادة من المواد وأحس الناس بالحاجة إلى التجديد في أنماط التأليف ألفقهي فلجئوا تارة إلى الإخراج والتحقيق وأخرى إلى البحث الموضوعي المقارن مع المذاهب أو مع المذاهب والقوانين الوضعية وكان للرسائل الجامعية في الماجستير والدكتوراه أثرها الطيب في ذلك وإن كان أثرا محدودا))[1].

ثانياً :- تدريس الفقه الإسلامي وأثره على التجديد

من خلال تتبّع مراحل الدراسة الإسلامية بصورة عامة والفقه بصورة خاصة نجد ان هذه الدراسات كانت اساسا للتعليم، فكان اول ما يتعلمه الدارس هو دراسة العلوم الشرعية المتضمنة حفظ كتاب الله، والحديث الشريف، وتعلمه علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، وأصوله وكذلك دراسته للغة العربية، فأينما برع الدارس في مجال اختص به على الرغم من تعلمه العلوم الاخرى، وبعد ذالك يتعلم العلوم الاخرى من رياضيات، وطب، وهندسة حيث برع علماء مسلمين أفذاذ في هذا المجال .

إلا أنَّه في الآونة الأخيرة وبعد سيطرة الغرب على المسلمين سياسيا وفكرياً وتسربت القوانين الوضعية الى العالم الإسلامي، وأصبح الإسلام في موضع تهمة بأنه السبب وراء تخلف المسلمين، وكذلك أتهم الفقه الإسلامي بالجمود وعدم صلاحيته لمستجدات العصر، وأصبحت دراسة الشريعة الإسلامية غريبة على مناهجنا الدراسية

(١) تاريخ التشريع الإسلامي : للقطان ١/ ٣٩٨.

لا يأخذ منها الطالب الى الجزء اليسير وهو ما يعرف بمادة (التربية الإسلامية)، وفي مرحلة من الزمن لا تدخل في الامتحان الوزاري حتى بلغ الانحراف بالبعض من الطلاب بأن يقول انا مسيحي حتى لا يأخذ درس هذه المادة، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثالثاً :- نماذج من تجديد الفقه الإسلامي

في هذه الفترة من الأزمات المتوالية التي تمر بها الأمة الإسلامية، يأتي دور المجددين سواء أكانوا أفراد أم جماعات أم مؤسسات ليقوموا بواجبهم الشرعي تجاه دينهم وأمتهم ليتصدوا لتلك الهجمة الشرسة على هذه الأمة بصورة عامة، والشريعة الإسلامية بصورة خاصة، فقام المجددين بأعمال عدَّة ومنها على النحو الآتي :-

١. أحست الدولة العثمانية بخطر القانون الوضعي وأنَّه يهدد شريعتهم الإسلامية من خلال اسلوبه وتنسيقه الجذاب، فشكلت لجنة من فقهائها البارزين، وعهدت اليهم بتنظيم أحكام العلاقات المدنية في الفقه الإسلامي، حيث أصدروا (مجلة الاحكام العدلية) سنة ١٢٩٣ هـ، وهو مجموعة من التشريعات مكونة من ستة عشر كتاب، أولها كتاب البيوع وأخرها كتاب القضاء.

٢. قام الفقيه محمد قدري باشا[1] بصياغة ثلاثة كتب على المذهب الحنفي كذلك

(١) محمد قدري (باشا) من رجال القضاء في مصر. ولد بها، في (ملوي) وأصل أبيه من الأناضول، وأمه مصرية حسنية تعلم بملوي والقاهرة، ودخل مدرسة الالسن فأتم بها دروسه. ونبغ في معرفة اللغات. واختاره الخديوي مربيا لولي عهده. وتقلب في المناصب، فكان مستشارا في المحاكم المختلطة، وناظرا للحقانية، ثم وزيرا للمعارف، فوزيرا للحقانية وهي آخر مناصبه، وتوفي بالقاهرة، من كتبه الدر المنتخب من لغات الفرنسيس والعثمانيين والعرب، ومفردات في علم النباتات، ومرشد الحيران في المعاملات الشرعية، ،توفي بالقاهرة سنة ١٣٠٦ هـ .
ينظر:الأعلام للزركلي ١٠/٧ .

.إحداها في الأحوال الشخصية، وثانيها: في ألوقف، وثالثها: في أحكام المعاملات وسمى هذا مرشد الحيران لمعرفة أحوال ألإنسان جعله على أحكام عامة، وأخرى خاصة، وعرضه في مواد بلغت ١٠٤٥ مادة [١].

٣. قام الاستاذ عبد القادر عودة[٢] بإخراج كتاب: التشريع الجنائي الإسلامي وهو كتاب في جزئين الأول: في القسم العام: والأخر في القسم الخاص، وصاغه في مواد كذلك، اشتملت على أحكام الجنايات والحدود والتعزيرات، وقد قارن فيها بين المذاهب الفقهية الإسلامية، والقوانين الوضعية، وبلغت مواده ٦٨٩ مادة[٣] .

٤. إنشاء مجمع فقهي :

دعا كثير من العلماء إلى إنشاء مجمع فقهي على نسق المجامع العلمية الأخرى، تحقيقا للهدف العام الذي يشعر المسلمون بالحاجة إليه في تجديد الفقه الإسلامي وتطوره، وحتى يكون هذا المجمع وسيلة للاستنارة برأي الجماعة في الاستنباط يغني عن الاجتهاد الفردي، وفي مؤتمر رابطة العالم الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة سنة ١٣٨٤ هـ قدم الشيخ مصطفى الزرقا اقتراحا بذلك جاء فيه:

((إذا أريد إعادة الحيوية لفقه الشريعة بالاجتهاد الواجب استمراره شرعا والذي

(١) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي: للقطان ١/ ٤٠٤ .

(٢) محام من علماء القانون والشريعة بمصر. كان من زعماء جماعة الاخوان المسلمين ولما أمر جمال عبد الناصر بتنظيم محكمة الشعب كتب صاحب الترجمة نقد التلك المحكمة. وفي جملة ما ذكر أن رئيسها جمال سالم طلب من بعض المتهمين أو يقرأوا له آيات من القرآن بالمقلوب! واتهم بالمشاركة في حادث إطلاق الرصاص على جمال (١٩٥٤) وأعدم شنقا على الأثر مع بضعة متهمين آخرين. له تصانيف كثيرة، منها التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، توفي سنة١٣٧٤ هـ .
ينظر: الأعلام: للزركلي ٤/ ٢٤.

(٣) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي: للقطان ١/ ٤٠٥ .

هو السبيل الوحيد لمواجهة المشكلات الزمنية الكثيرة، بحلول شرعية حكيمة عميقة البحث متينة الدليل بعيدة عن الشبهات والريب والمطاعن، وتهزم آراء العقول الجامدة والجاحدة على السواء؛ فالوسيلة الوحيدة هي: اللجوء لاجتهاد الجماعة، بديلا عن الاجتهاد الفردي، وطريقة ذلك تأسيس مجمع للفقه يضم أشهر فقهاء العالم الإسلامي، ممن جمعوا بين العلم الشرعي والاستنارة الزمنية، وصلاح السيرة والتقوى ويضم إلى هؤلاء علماء موثوق بهم في دينهم من مختلف الاختصاصات الزمنية اللازمة في شئون الاقتصاد والاجتماع والقانون والطب ونحو ذلك، ليكونوا بمثابة خبراء يعتمد الفقهاء رأيهم في الاختصاصات الفنية))[1].

٥. مجمع البحوث الإسلامية:

وفي الأزهر أنشئ مجمع البحوث الإسلامية بمقتضى القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ميلادية الخاص بتطوير الأزهر برئاسة شيخ الأزهر ومسئولية أمين عام ويضم عدة لجان: لجنة القرآن والسنة، لجنة البحوث الفقهية، لجنة إحياء التراث الإسلامي لجن الدراسات الاجتماعية.

وتقوم لجنة البحوث الفقهية بتقنين الشريعة الإسلامية على المذاهب المختلفة. كما يقوم المجمع ببحث القضايا التي تهم العالم الإسلامي وإصدار البحوث التي نتضمن رأي الإسلام في هذه القضايا، ويعقد مؤتمرا عاما يدعى إليه علماء العالم الإسلامي كل عام لمناقشة هذه البحوث، وقد انعقد أول مؤتمر سنة ١٩٦٤ م[2].

٦. موسوعة الفقه الإسلامي

وأما هذا الرصيد الضخم من الفقه الإسلامي في المذاهب الإسلامية المتناثرة في

(١) تاريخ التشريع الإسلامي :للقطان ١/ ٤٠٥ .
(٢) المصدر نفسه .

الكتب القديمة، وإزاء التحديات المختلفة للإسلام وشريعته، تجدد الشعور بالحاجة إلى موسوعة للفقه الإسلامي على الصعيدين الإسلامي والعالمي [1] .

٧. قيام طلبة الماجستير والدكتوراه بتحقيق المخطوطات القديمة الثمينة وإخراجها الى النور، في وقت كادت أن تندثر ويطوي عليها الزمن، وكان لطلبة كلية الامام الأعظم (رحمه الله) الجامعة الباع الكبير في ذلك التجديد الفقهي المعاصر .

تم بعونه تعالى...

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ التشريع الإسلامي :للقطان ١/ ٤٠٥.

ةةةةةةة ةةةة ةةةة ةةةةةةة

هذا ما مَنَّ الله به علينا من الخوض في موضوع التجديد الفقهي ومن خلال ما سبق نستخلص الناتج الآتية:

١- إنَّ تجديد الدين بصفة عامة، والفقه بصفة خاصة سنة من سنن الإسلام، كما ان تجديد الفقه ليس ضرورة شرعية فحسب، وإنَّما من الضرورات الاجتماعية ايضاً، وذلك لصياغة حياة المسلمين في كل عصر صياغة جديدة، تواكب التغيرات المحاصرة من ناحية، وتحافظ على حيوية الإسلام من ناحية أخرى .

٢- إنَّ المراد من تجديد الدين إحياء العمل بالكتاب ولسنة، تفهيم الناس ما أشكل عليهم، وإنَّ المجدد لابد أنْ يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة، والباطنة ناصراً لسنة قامعاً للبدعة، وأن يعم علمه أهل زمانه، وهذا يعني أنَّ التجديد ليس لكل أحد، وإنَّما هو لمن توافرت فيه ضوابط، وشروط خاصة حتى يكون مجدداً.

٣- لابد أنْ يكون التجديد مضبوطاً بالضوابط الآتية :

أ- أن يكون التجديد في ما يجوز فيه الاجتهاد.

ب- أنْ يكون وثيق الصلة بواقع المسلمين.

ت- التطبيق العملي للتجديد.

ث- تجديد روح الدين في نفوس الامة بصورة عامة والشباب بصورة خاصة.

٤- يعد الإمام الشافعي من الفقهاء المجددين للمائة الثانية بعد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز. وقد كان من المجددين الذين ذاع صيتهم وانتشر وكان مدافع عن العقيدة، وناصراً للسنة، وأول من أنشأ علم أصول الفقه، وقرب بين الفقه والحديث.

٥- ينبغي لعلماء الشريعة الإسلامية القيام بواجبهم من خلال تجديد الدين بصورة عامة، والفقه بصورة خاصة ليواكب تطورات العصر المتجددة، وليكون صالح لكل زمان ومكان الى قيام الساعة .

وختاماً: حمداً لك ربي حمداً كثيرا..

والصلاة والسلام على من أرسلت هادياً ومبشراً ونذيرا..

❊ ❊ ❊

ةةةةةةة ةةةةةةة

* القرآن الكريم.

١. الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد تأليف الدكتور يوسف القرضاوي مكتبة وهبة عابدين – القاهرة ط ٢ ١٩٩٩ م.

٢. المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب تأليف بكر بن عبد الله أبي زيد بن محمد بن عبد الله، دار العاصمة – مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة ط ١ ١٤١٧ هـ

٣. المستدرك على الصحيحين تأليف أبي عبد الله الحاكم تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت ط ١ ١٤١١ هـ.

٤. مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك الحاكم تأليف ابن الملقن أبي حفص عمر بن علي بت احمد الشافعي المصري تحقيق عبد الله اللحيدان وتحقيق سعد بن عبد الله آل حمد دار العاصمة – الرياض ط ١ ١٤١١ هـ.

٥. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة تأليف محمد بن حسين بن حسن الجيزاني دار ابن الجوزي ط ٥ ١٤٢٧ هـ .

٦. معجم البلدان تأليف شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي دار صادر – بيروت ط ٢ ١٩٩٥ م.

٧. معجم المفسرين (من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر) تأليف عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت –لبنان ط ٣ ١٤٠٩ هـ.

٨. معجم مقاييس اللغة تأليف أحمد بن فارس بن زكريا القزويني تحقيق عبد السلام

محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩ هـ.

٩. من ضوابط تجديد الفقه الإسلامي (دراسة تطبيقية) للدكتور حسن السيد حامد خطاب، بحث منشور لمجلة كلية الاداب بالمنوفية العدد (٦١) الصادر في أكتوبر ٢٠٠٧ م.

١٠. موسوعة القواعد الفقهية تأليف محمد صدقي بن احمد آل بورنو أبوالحارث الغزي مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ط ١ ط ١٤٢٤ هـ .

١١. هل نحن مسلمون تأليف محمد قطب، دار الشروق – القاهرة ط ٦ ١٤٢٣ هـ .

١٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تأليف: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان تحقيق: د. إحسان عباس دار صادر – بيروت ط ١ الى ط ٧ من ١٩٠٠ الى ١٩٩٤ م .

١٣. الاجتهاد في الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور يوسف القرضاوي على موقع ww.al-mostafa.com

١٤. أصول الشاشي تأليف نظام الدين أبي علي احمد بن محمد ابن اسحاق الشاشي دار الكتاب العربي بيروت – د.ت.

١٥. الأعلام تأليف خير الدين المحمود ابن محمد الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين ط ١٥ ٢٠٠٢ م

١٦. البحر المحيط في أصول الفقه تأليف أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي دار الكتب ط ١ ١٤١٤ هـ.

١٧. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع تأليف علاء الدين أبي بكر بن مسعود بن احمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية بيروت ط ٢ ١٤٠٦ هـ.

١٨. التوضيح لشرح الجامع الصحيح تأليف ابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق الترك دار

النوادر، دمشق ط ١ ١٤٢٩ هـ.

١٩. تيسير علم أصول الفقه تأليف عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب الجديع العنزي مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان – بيروت ط ١ ١٤١٨ هـ.

٢٠. جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطي والجامع الازهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني) تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين للسيوطي د.ت.

٢١. الجامع الصحيح للسنن والمسانيد تأليف صهيب عبد الجبار سنة النشر ٢٠١٤ م .

٢٢. سنن أبي داود تأليف ابو داود سليمان ابن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني تحقيق شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قرة بللي دار الرسالة العالمية ط ١ ١٤٣٠ هـ.

٢٣. شرح التلويح على التوضيح تأليف سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني مكتبة صبيح – مصر .د.ت.

٢٤. شرح سنن أبي داود تأليف عبد المحسن ابن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله العباد مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٢٥. شرح صحيح البخاري تأليف ابن بطال أبو الحسن علي بن الخلف بن عبد الملك تحقيق ابو تميم ياسر بن ابراهيم، مكتبة الرشد – السعودية ط ٢ ١٤٢٣ هـ.

٢٦. شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي تأليف الدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار أعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار ابن الجوزي ط ١ ١٤٣١ هـ.

٢٧. صحيح البخاري تأليف محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة ط ١ ١٤٢٢ هـ.

٢٨. صحيح مسلم تأليف مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت .د . ت .

٢٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين الحدادي المناوي المكتبة التجارية الكبرى – مصر ط ١ ١٣٥٦ هـ.

٣٠. معرفة السنن والآثار تأليف أحمد بن الحسين بن علي الخراساني أبي بكر البيهقي تحقيق عبد المعطي امين قلعجي دار قتيبة – دمشق – دار الوعي حلب – دار الوفاء القاهرة ط ١ ١٤١٢ هـ.

٣١. مفهوم تجديد الدين تأليف الدكتور بسطامي محمد سعيد، مركز التأصيل والدراسات والبحوث السعودية – جدة ط ١٤٣٦٣ هـ .

❊ ❊ ❊

-20-

ةةةةةة ةةةةة ةةةةة ةّ

ةةةةةةة ةةةةةةةةة ةةة ةة

ةةةةةةةة ةةةةة

ةةةةةة ةةة ةةةة ةةة ةةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة
(ةةةةةة ةة(ةةةةةة ةةةةةةةةةة ةةةةةة ةةةة ةةةةة)

الأستاذ المساعد الدكتور
أحمد سلمان عبيد المحمدي
تدريسي في كلية الإمام الأعظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ
الجامعة/ الأنبار

ةةةةةةة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن دعا بدعوته واهتدى بسنته إلى يوم الحشر واليقين:

وبعد:- فإنَّ أي دعوة ناجحة تحتاج وسائلها إلى مواكبة للعصر ومجرياته؛ وذلك لأن الفكر الإنساني في سائر المجتمعات يتطور بمرور الزمان، ويتأثر بالبيئة والمكان، ويتغير بحسب أسلوب تفكير المجتمع، ونمط ثقافته، واتساع معارفه، وبالتالي فإن تجديد وسائل الدعوة في ضوء المتغيرات المعاصرة يعد ضرورة ملحة، ولاسيما في خضم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، والتغير في نمط التفكير عند قطاعات واسعة من الناس، ولاسيما شريحة الشباب، فمع تصاعد الهجمة الفكرية والغزو الثقافي الموجَّه إلى العالم الإسلامي، والتي استخدمت فيها كل الوسائل من أجل ضرب النسيج الاجتماعي، وتفكيك أواصر البنية الأخلاقية في المجتمع المسلم حيث أصبح تجديد الوسائل الدعوية بالنسبة للمسلمين ضرورة من أجل الردع والدفاع عن حياض الإسلام وعقيدته، ولبث المناعة الفكرية في نفوس الشباب لمواجهة الغزو الثقافي الخطير، والدعوات الهدامة التي ألبست ثيابا شتى من أجل تسويقها داخل مجتمعاتنا الإسلامية، فتارة ألبست ثوب التقدم والحداثة ومحاربة الرجعية، وتارة ألبست ثوب المشتركات الإنسانية البعيدة عن الأديان من خلال مد جسور التواصل الفكري ونشر الثقافة الغربية، وتارة باسم السلام العالمي ومحاربة الإرهاب والعنف والتطرف الفكري من خلال حشد المجتمع الدولي ومنظماته العاملة على الساحة العالمية بغية مواجهة المد الإسلامي، والوقوف موقفا مناهضا لقضايا المسلمين في المحافل الدولية، ولاسيما الأمم المتحدة التي يساوي لاعبوها الكبار بين

الضحية والجلاد حيث ضُيعت في دهاليزها معظم قضايا المسلمين .

إنَّ العالم الإسلامي اليوم يمر بمعركة صراع الوجود، ولا أعني بصراع الوجود العددي؛ لأنَّ المسلمين كثيرٌ من حيث العدد، ولكن المقصود الصراع الثقافي والفكري حيث يتحتم علينا إعداد العدة للمواجهة الفكرية والحضارية .

وفي ضوء ما تقدم فقد قسمت البحث إلى مقدمة ومطلبين وخاتمة :-

تناولت في المطلب الأول: تعريفات عامة للدعوة ووسائلها وبيان مشروعيتها .

وأما المطلب الثاني، فقد كرسته لدراسة: تجديد وسائل الدعوة في ظل المتغيرات الزمانية والمكانية في ضوء الفكر الإسلامي .

واللهَ أسألُ أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا وحبيبنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

❊ ❊ ❊

ةةةةة ةةةةة
ةةةةةة ةةة ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةةة

قبل أن أتناول المطالب المتعلقة بتجديد وسائل الدعوة أرى من المناسب تحديد مفاهيم البحث، وبما ينسجم مع قواعد البحث العلمي حيث مهدت للموضوع بهذا المطلب الذي يحدد تعريف الدعوة الإسلامية لغةً واصطلاحاً، وتعريف الوسائل المتعلقة بالدعوة، ثم أتناول مشروعية تلك الوسائل والاتجاهات الفكرية المتعلقة بها من حيث كونها توقيفية أم اجتهادية .

ةةةة: ةةةةة ةةةةة ةةة ةةةةةةة:

أ- تعريف الدعوة لغةً :

من خلال التأمل في المعاجم اللغوية لاحظ أنَّ كلمة الدعوة في اللغة العربية تأتي بمعان عدة سأتناولها، ومن ثم أعرج على وجه الترابط والمناسبة بينها :-

- الدَّعْوَةُ - بفتح الدال- من دَعَوْتُ الناس إذا طلبتهم ليأكلوا عندك طعاما، فيقال: نحن في (دَعْوَةِ) فلان و(مَدْعَاتِهِ)[1]، ومن هنا قال طرفة بن العبد:

نحن في المشتات ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر[2]

- وتأتي كلمة دعوة بمعنى الصياح أو النداء، فيقال دعا فلانا أي صاح به، ومنه قول

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ط/ بدون تاريخ،١/ ١٩٤ .

(٢) ديوان طرفة بن العبد: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، ١/ ٨٤ .

كعب بن سعد:

وداع دعــا يــا مــن يجيــب إلى الندى فلــم يســتجبه عنــد ذاك مجيــبُ [1] .

– وقد يتعدى الفعل دعا بحرف الجر «إلى»، فيراد به الحث على فعل شيء، فيقال: دعاه إلى الطعام، ودعاه إلى الله . قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [2] .

– وتأت بمعنى التسمية والنداء معا، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [3]، وَقد جاء في الأثر عند وصفهم لصفة توزيع العطاء في عهد الخليفة الراشد عُمَرَ رضي الله عنه ((كان يُقَدِّم الناسَ على سابقَتِهم في أُعْطِياتهم، فَإِذَا انْتَهَت الدَّعْوَة إِلَيْه كبَّرَ))[4]: أَي النِّدَاءُ والتَّسْمِيةُ، وَأَنْ يُقال دُونَك يَا أميرَ المؤمنينَ. يُقَالُ دَعَوْتُ زَيْدًا إِذَا ناديتَه، ودَعَوْتُهُ زَيْدًا إِذَا سمّيتَه، وَيُقَالُ: لِبَنِي فُلان الدَّعْوَةُ عَلَى قَوْمِهِمْ إِذَا قُدِّموا فِي العَطاءِ عَلَيْهِمْ . [5]

– وتطلق ويراد بها التبليغ والاستغاثة ... إلى غير ذلك من المعاني ذات الدلالات

(١) شرح ديوان الحماسة: لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ)، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط/ ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، ١/ ١٠٩١ .

(٢) سورة فصلت: آية ٣٣ .

(٣) سورة الإسراء: آية ١١٠ .

(٤) الفائق في غريب الحديث والأثر: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط٢/ بدون تاريخ، ١/ ٤٢٧ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٢/ ١٢١ .

المتقاربة . والدُعاة: قوم يَدْعون إِلَى بَيْعةِ هدى أَو ضَلالَة، واحدهم داع، وَرجل دَاعِيَة إِذا كَانَ يَدْعُو النَّاس إِلَى بدعَة أَو دين، وأدخلت الْهَاء فِيهِ للْمُبَالَغَة.[1] ودعوتُ أَدْعُو دُعاءً فَأَنا داع وَالْمَفْعُول مدعوّ [2] .

- والدِّعوة في النسب بالكسر، من قَوْلهم: رجل دَعِيّ بيِّن الدِّعوة، إِذا ادّعى فِي قوم، وليس له نسب فيهم، أو هو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه، فنهى عنه وجعل الولد للفراش [3]، وفي الحديث: ((لا دِعوة في الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش وللعاهر الحجر)) [4] .

- والدَّعْوَى من قَوْلهم: ادَّعيت عَلَيْهِ مَالا ادّعاءً، وَالاسْم الدَّعوى، وَسمعت دَعْوَى الْقَوْم فِي الْحَرْب إِذا تداعوا بيا بني فلان وَيَا بني فلان [5] .

والملاحظ مما تقدم أن الكلمة العربية تأخذ شكلها من ثقافة البيئة المحيطة بها، ثم تتطور بتطور المعرفة الإنسانية والحضارية، فبدلا من أن كانت يعبر بها في بدئ الأمر على شيء حسي، وهو الطعام الذي يدل على صفة الكرم الذي اشتهرت به الشخصية العربية، أصبحت فيما بعد تطلق على معنى في قمة السمو والنبل ألآ وهو الدعوة إلى غذاء الروح والعقل وتزكية النفس، ويمكن لنا أن نستشف من الدلالات الحسية بعض

(١) تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ٢٠٠١م ،٣/ ٧٨ .

(٢) جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١/ ١٩٨٧م ،٢/ ١٠٥٦ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ١٢١ .

(٤) سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تأريخ . ٢/ ٢٨٣، برقم ٢٢٧٤ .

(٥) جمهرة اللغة: ٢/ ١٠٥٦ .

الدلالات المعنوية، فإذا كان صاحب المأدبة يقدم لضيوفه غذاءً حسياً يشبع البطون، فإن الداعية إلى الله أو المنادي للصلاة وغيرهما يقدمان لمن يدعوانه غذاءً روحيًا يغذي العقول والأرواح .

ب- تعريف الدعوة اصطلاحاً: إنَّ تعدد التعريفات ظاهرة بارزة في أدبيات كل العلوم؛ وذلك لتنوع الفهم وطريقة التفكير واختلاف الأزمنة والأمكنة، وقد حظي مصطلح الدعوة الإسلامية بتعريفات كثيرة من قبل الباحثين والمختصين، فلم يُجمع العلماء على تعريف جامع مانع لها، وذلك لتعدد مشاربهم واتجاهاتهم الفكرية والمعرفية، وتطور أساليب الدعوة، وتباين أنماط المدعوين، واختلاف ظروفهم المكانية والزمانية .

وفيما يأتي نتناول جانباً من تلك التعريفات ونناقشها ونختار منها ما نراه مناسباً لمجريات العصر الحالي وتطوراته :-

١- عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: (الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه) .[1] وهذا التعريف اشتمل على الدعوة إلى أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وركن

(١)مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ،١٥/ ١٥٧-١٥٨ .

الإحسان . [1]

٢- وعرفها الدكتور عبد الكريم زيدان بقوله: (الدعوة هي حصيلة العمل المباشر مع الناس من خلال مباشرة الداعي للوسائل فعلا في ضوء ما فهمه من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وسيرة السلف الصالح، واستنباطات الفقهاء، والتجارب النافعة) . [2]

ويلاحظ أنَّ هذا التعريف يركز على بيان المصادر التي يستقي منها الداعية وسائل التبليغ والإرشاد .

٣- وعرفها الأستاذ أحمد خميس بقوله: (الدعوة هي التركيز على المعاني السامية والأهداف النبيلة التي تكرم النوع البشري، وتجعله خليفة لله في الأرض؛ ليعمر هذا الكوكب، مؤمنا بخالقه ومصدقا بلقاء سيده ومولاه، ومجتهدا في الفضائل بعد الواجبات، متصديا لعدوه الأصلي وهو الشيطان الذي يريد الزيغ بالآدميين،ويبتغي لهم العوج في الفكر والسلوك). [3]

٤- وعرفها الشيخ عبد الله المطوع بقوله هي: (نشر الإسلام وتبليغه للناس عن علم وبصيرة على وفق الطرق المشروعة، إتباعا لهدي النبي r، وابتغاء لمرضاة الله عز وجل وثوابه) . [4]

---

(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ١/ ٣٩ .

(٢) أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص٣٠١.

(٣) السياسة الشرعية للأقليات الإسلامية: الأستاذ أحمد خميس: منشور الكترونيا: ص ١٤ html#ixzz١e٢noumBX.٦٥٦٧ /http: / /www.assakina.com /politics

(٤) الدعوة الإصلاحية: عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، دار التدمرية، ط٣/ السنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ١/ ٢١ .

٥- وذهب بعض الباحثين إلى تعريفها من خلال شرح مقاصدها حيث قالوا المقصود بالدعوة الإسلامية: هو الدعوة إلى الإسلام الحنيف بالتعريف به والترغيب فيه، والحث على اعتناقه والحض على الانخراط في سلك المؤمنين به والعاملين بشريعته. (١)

٦- وعرفها الأستاذ حمود الرحيلي بقوله الدعوة هي: (قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعاً لاقتفاء أثر الرسول ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً واعتقاداً بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان) . (٢)

٧- عرفها الأستاذ محمد أمين بن عامر بقوله: (هي تبليغ الناس جميعا دعوة الإسلام، وهدايتهم إليها قولا وعملا في كل زمان ومكان، بأساليب خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم) (٣).

والذي أراه مناسبا من هذه التعريفات هما التعريفين الأخيرين؛ وذلك لاشتمالهما على خصائص ومميزات منها:

- تركيزهما على عالمية الدعوة الإسلامية، ووجوب تبليغها لكافة الناس أينما وجدوا.

- وجوب اختيار الأساليب التي تناسب المدعو؛ لأن الأسلوب المناسب يُسهم في نجاح الدعوة .

- مراعاة الزمان والمكان والأشخاص الذين تنقل إليهم الدعوة، إذ إنها دليلٌ على فقه الداعية .

- التسليم التام بأنَّ الدعوة الناجحة هي التي تتواكب مع العصر ومجريات الأحداث

(١) المصدر نفسه: ص١٥ .

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي :١/ ٤٠ .

(٣) أساليب الدعوة والإرشاد، د. محمد أمين بني عامر ص٩. منشور الكترونيا:
http: / /www.alukah.net /Library /0 /29227 /#ixzz1eQKzobil

ومتغيراتها .

- اشتراطها أن تكون الأساليب مشروعة، وأن لا تخدش مصلحة أو تجلب مفسدة أو تعطل حكما.

ةةةةً: ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةةة ةةة ةةةةةةةةً:

إنَّ الداعية الناجح به حاجة إلى فهم وسائل الدعوة وأساليب تبليغها، حتى يكون على قدر من الكفاءة؛ لتبليغ الدعوة إلى الله تعالى بإحكام وإتقان وبصيرة، وفيما يأتي تعريف للوسائل والأساليب لغة واصطلاحاً :-[1]

تعريف الوسائل لغةً واصطلاحاً:

الوسيلة في اللغة: هي ما يتوصل به إلى تحصيل المقصود[2]، قال ابن الأثير في النهاية: الوسيلة هي ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به، وجمعها وسائل[3] .

ب- تعريف وسائل الدعوة اصطلاحاً: هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور[4]، أو: هي كل ما يتم به تبليغ الأساليب وحملها إلى المدعو[5]، إذن فالوسيلة في الدعوة هي عبارة عن الاتصال الدعوي عبر القناة الموصلة للغاية أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس[6]، أو هي ما يستعمله الداعية من أمور حسية أو معنوية،

(١) إنما قمت بتعريف الأسلوب، ولم أقتصر على تعريف الوسائل؛ وذلك لأنها من أقرب الألفاظ من حيث المعنى بالوسائل، فتناولتها باعتبارها من الألفاظ ذات الصلة بالموضوع .

(٢) تفسير القرآن العظيم: لإبن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٩ هـ . ٢/ ٥٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ٥ / ١٨٥.

(٤) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: د. سعيد بن على بن وهب القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٣هـ،١/ ١٢٦ .

(٥) أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان، ص ٤٢٩.

(٦) ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص ٢٩.

ينقل بها دعوته إلى الناس، مع مراعاة اختياره ما يناسب حال المدعو، حيث ينبغي على الداعية أن يقدم ما يحتاج إليه من الوسائل على حسب أصول الحكمة، ومراعاة الضوابط الشرعية، والمناسبة لكل حال .[1]

٢- تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً:

أ- الأسلوب في اللغة: تعدد معنى الأسلوب في اللغة العربية إلى معان منها: الطريقة، والمذهب، والفن، وفيما يأتي بيان ذلك :-

فالأسلوب: بمعنى الطريقة، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي على طريقة من طرقهم. يُقال: أنتم في أسلوب خير: أي طريقة صالحة، وأسلوب الكاتب: أي طريقته في كتابته [2] .

والأسلوب: بمعنى المذهب، يُقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: أي مذهبه .

والأسلوب: هو الفنّ: يقال: أخذنا في أساليب من القول: أي أفانين منه، وفنون متنوعة . [3]

ب- تعريف أساليب الدعوة اصطلاحاً: هي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ، وإزالة العوائق عنه [4]، أو هي: الطرق التي يسلكها الداعية في دعوته،

(١) ينظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢١هـ، ٢/ ١١٢٩ .

(٢) لسان العرب: مادة سلب، ٢/ ١٧٨. وينظر: المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، مادة سلب، ١/ ٤٤٠.

(٣) القاموس المحيط، فصل السين، باب الباء، ص ١٢٥، والمصباح المنير: ١/ ٢٤٨، والمعجم الوسيط:١/ ٤٤١.

(٤) أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان، ص ٤١١ .

والكيفيات المؤثرة المقنعة، التي يتم بها تبليغ الإسلام، والحث على تطبيقه، والعمل بأصوله وفروعه، وهي تنقل عن طريق الوسائل؛ لأنَّ الوسائل أوعية الأساليب، ومما يدل على أهمية الأساليب كثرة أنواعها، وينبغي على الداعية أن يقدم المناسب منها لكل صنف من أصناف المدعوين، ويراعي في ذلك ما يناسب عقيدة كل صنف، وعلمه، ومكانته، وجنسه، ولغته، ومجتمعه.(١)

وقد ذكر العلماء تعريفات أخرى للأسلوب لعل من أبرزها تعريفهم إياه بقولهم: هو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير .(٢)

أو هو: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار مفرداته .(٣)

أو هو: عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة، لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكل مقام من المقال .(٤) أو هو :فن العرض والتأثير والإقناع .(٥)

ومن خلال المقارنة بين التعريفات اللغوية والاصطلاحية للوسائل والأساليب، فإنه يتبين لنا الفرق بين الوسيلة والأسلوب: حيث إنَّ الوسيلة هي: الأداة المستعملة في

(١) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: سعيد بن علي بن وهب القحطاني ،٢/ ١١٢٩ .
(٢) الأسلوب: لأحمد الشايب، مكتبة النهضة، جمهورية مصر العربية، ط١٢/ ٢٠٠٣م، ص ٤٤.
(٣) خصائص القرآن الكريم: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، ص ١٨.
(٤) المرأة المسلمة المعاصرة: د. أحمد محمد أبا بطين، ص ٥٢٣ .
(٥) التدرج في دعوة النبي ﷺ: إبراهيم بن عبد الله المطلق، الرياض، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١/ ١٤١٧هـ ، ١/ ٢٤ .

إيصال المعاني، ونقل الأفكار من الداعي إلى المدعو .

أما الأسلوب فهو: فنُّ العرض والتأثير والإقناع، والفرق بينهما أن الوسيلة أعم [١] من الأسلوب إذ إنها هي الأداة التي تنقل الأسلوب وتوصله للناس . [٢]

ثالثاً: بيان مشروعية الدعوة وأهمية وسائلها في الفكر الإسلامي :

١- مشروعية الدعوة الإسلامية في الفكر الإسلامي:

إنَّ الدعوة إلى الله تعالى من أهم الطاعات وأجل القربات التي أمر بها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وتستقي الدعوة مشروعيتها من منطلقات كثيرة وشواهد عديدة نبين جانباً منها على النحو الآتي :-

أ- مشروعية الدعوة من القرآن الكريم :

- إن الدعوة إلى الله تعالى تولاها الباري سبحانه بنفسه، فهو الذي يدعو عباده إلى طاعته وتقواه التي هي طريق الجنة، وينهاهم عن معصيته ومخالفة أمره التي هي طريق النار والعذاب، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٣]؛ ولذلك أرسل الله تعالى الرسل، وأنزل الكتب المتضمنة للأوامر الصريحة بتوحيده وتقواه وطاعته، كما أنه سبحانه وتعالى نصب الأدلة والبراهين من مخلوقاته وآياته على أنه الرب الخالق المدبر المتصرف في هذا الكون، والإله الحق الذي يجب أن تصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه دون ما سواه .[٤]

---

(١) أي بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل أسلوب وسيلة، وليس كل وسيلة أسلوب، فالوسائل أعم مطلق، والأساليب أخص مطلق .

(٢) ينظر: التدرج في دعوة النبي ﷺ: إبراهيم بن عبد الله المطلق ،١/ ٢٤ .

(٣) سورة يونس: آية ٢٥ .

(٤) الدعوة الإصلاحية: ١/ ٢٢ .

- ويبين القرآن الكريم أنَّ الدعوة إلى الله مهمّة الأنبياء والمرسلين الذين هم خيار الخلق وأشرف العباد، فإن الله تعالى اصطفى من عباده خيارهم؛ ليكلفهم بالدعوة إليه سبحانه وتبليغ دينه [1].

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2] فهي وظيفة هؤلاء الأخيار الأطهار المصطفين من عباد الله، ويأتي في مقدمتهم فضلاً ومكانة نبينا محمد ﷺ الذي قال عنه ربه تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[3]، فأي وظيفة أكرم وأشرف من وظيفة يتولاها خيار الناس ويقومون بها ؟ .

- والقرآن الكريم جعل الدعوة إلى الله من أحسن الأقوال وأشرفها قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[4]، والاستفهام هنا بمعنى النفي المتقرر، أي: لا أحد أحسن قولا: أي كلاماً وطريقة وحالة ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها وتحسينها ما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، والدعوة إلى أصل دين الإسلام ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .[5]

(١) المصدر نفسه: ١/ ٢٢ .
(٢) سورة النساء: آية ١٦٥ .
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥ - ٤٦ .
(٤) سورة فصلت: آية ٣٣ .
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، ١/ ٧٤٩ .

فكلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات، فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ.[1]

- وقد بيّن القرآن الكريم سبب تفضيل هذه الأمة على غيرها، وتميزها بين سائر الأمم، وخيريتها عليهم في كونها تدعو إلى الله بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2]: أي خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام، والمعنى أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس [3]، وهو كناية عن شدة الحرص على نفع الناس من خلال تبليغهم دعوة الإسلام، وروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معرض توضيحه هذه الآية الكريمة (من فعل فعلهم كان مثلهم) [4]: أي من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وآمن بالله تعالى، وأتى بهذه الصفات الثلاث، فهو من أهل هذه الأمة الخيرة . [5]

ب- مشروعية الدعوة من السنة النبوية :

- حفلت السنة النبوية على منظومة ضخمة ومتكاملة من التوجيهات الدعوية التي تسعى إلى بناء جيل مؤمن يسهم في عمارة الأرض وبناء الحضارة الإنسانية على وفق المنهج الرباني،

(١) في ظلال القرآن: ٥/ ٣١٢١ .

(٢) سورة آل عمران: ١١٠ .

(٣) يراجع تفسير الإمام البخاري للآية الكريمة: صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١/ ١٤٢٢هـ ٦/ ١٢٥٥، برقم ٤٥٥٧ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥/ ٣٤٦.

(٥) ينظر: الدعوة الإصلاحية: ١/ ٢٥ .

ومن هذا المنطلق، فإنَّ الصحابة رضوان الله عليهم فهموا أنَّ الدعوة إلى الله تعالى واجبة، فكانوا يبادرون بسؤال الرسول ﷺ من أجل الاستزادة من العلم والفقه؛ ليقوموا بدعوة أقوامهم من خلفهم، بل كان من يسلم حديثا يدرك أهمية الدعوة إلى الله تعالى، من خلال إيمانه بوجوبها [١]، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، فقالوا: إنَّا من هذا الحي من ربيعة، ولسنا نصل إليك إلا في الشهر الحرام، فَمُرْنا بشيء نأخذه عنك وندعو إليه من وراءنا...)) [٢].

- وقد أكدت السنة النبوية على انتقال الثواب والأجر وتتابعه للداعي إلى الله تعالى وعدم انقطاعه، من غير نقصان من أجر المدعو، وهذا من عظيم كرم الله تعالى ورحمته بهذه الأمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)) [٣]، حيث يبين هذا الحديث عظم الجزاء للداعية المترتب على تأثر الناس بدعوته، فإنَّه من دعا إلى هدى كان له مثل أجور تابعيه، وكذا من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام تابعيه، سواء أكان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقا إليه، وسواء أكان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك .[٤]

- وقد بينت الأحاديث النبوية أنَّ منْ دلَّ على الخير فله مثل أجر فاعله، فعن أبي مسعود

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٦ .

(٢) صحيح البخاري: ١/ ١١١، برقم ٥٢٣ .

(٣) صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (المتوفى ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ بدون تاريخ ٤/ ٢٠٦٠، برقم ٢٦٧٤ .

(٤) ينظر: الدعوة الإصلاحية: ١/ ٢٦ .

الأنصاري رضي الله عنه قال: ((جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني أبدع بي [1]، فاحملني، فقال: ما عندي، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله))[2]، وكذا من يدعو الناس إلى الله، ويدلهم إلى الصالحات إذ له مثل أجور العاملين .

– وقد أثبتت السنة النبوية أن الدعوة إلى الله تندرج ضمن الطرق الثلاث التي من خلالها يستمر العمل الصالح للإنسان بعد وفاته ومغادرته عالم الدنيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)) [3]، والدعوة إلى الله تعالى تدخل في عموم العلم الذي ينتفع به .

ومما تجدر الإشارة إليه: أنَّ كل ما يدل على مشروعية الدعوة يدل بالضرورة على شرفها وفضلها ومنزلتها؛ لأنها طاعة وقربة لله تعالى، واستقصاء ذلك مما يضيق به المقام لكننا سنكتفي بما أوردناه على سبيل المثال لا الحصر .

أهمية تجديد الوسائل الدعوية في الفكر الإسلامي :

أ– أهمية دراسة موضوع التجديد في الوسائل الدعوية :

إنَّ معرفة فقه الوسائل وأحكام التوصل إلى المقاصد الشرعية، من القضايا الملحّة في الساحة الفكرية الإسلامية المعاصرة، لاسيما مع تكاثر الوسائل في هذا العصر وتجددها بصورة مذهلة أخّاذة، ويمكن تلخيص أهمية بحث موضوع التجديد في الوسائل الدعوية

(١) قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي: (أبدع بي) وفي بعض النسخ بدع بي ونقله القاضي عن جمهور رواة مسلم قال: والأول هو الصواب، ومعروف في اللغة، ومعناه هلكت دابتي وهي مركوبي .

(٢) صحيح مسلم: ٣/ ١٥٠٦، برقم ١٨٩٣ .

(٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٢٥٥، برقم ١٦٣١ .

عن طريق ما يأتي :-

- إنَّ الوسائل ربع التكليف؛ إذ التكليف إمَّا نواهٍ أو أوامر، فيدخل في النواهي: المنهيات وأسبابها وهي الذرائع ويدخل في الأوامر: المصالح وأسبابها وهي الوسائل .

- إنَّ في معرفة الوسائل وكيفية الاستفادة منها فتحاً لآفاق الإنتاج والإبداع، وقبضاً لمعاقد الأمور، واستمساكاً بجادة الطريق، وسيراً على سواء الصراط .

- إنَّ في العمل بالوسائل المنضبطة بالضوابط الشرعية تفعيلا للعمل الدعوي، وإيصالا للحق إلى مريديه، واتباعاً للشرع، فيكون العمل بذلك أدعى للصدق، وأقرب لالتماس الأجر والثواب .

- بفقه الوسائل يمكن تقدير حجم الخلافات الواقعة في عدد كبير من وسائل الإصلاح ومناهج التغيير والتجديد والبناء .[1]

ب- اتجاهات العلماء في قضية تجديد وسائل الدعوة: ومن خلال التتبع في كتب الدعوة والفكر، فإنه ينجلي لنا اتجاهان رئيسان في مسألة تجديد الوسائل الدعوية :

الاتجاه الأول: حيث يرى كثير من العلماء أنَّ وسائل الدعوة أمر اجتهادي، وبالتالي، فإنَّ اختيار الوسيلة الدعوية الناجعة يعد من الأمور المتروكة للداعية؛ ليختار ما هو مناسب للزمان والمكان والبيئية التي يعيش فيها، ومن ثم فإن تجديدها بما يتلاءم والمتغيرات التي يعيشها الدعاة، وبما لا يتعارض مع النصوص الشرعية والخط التشريعي العام يعد من الأمور الضرورية، ولاسيما في عصرنا الحالي .

الاتجاه الثاني: ويرى بعض العلماء أنَّ الدعوة أمر توقيفي، ومن ثم فإنَّ وسائلها أيضا

(١) ينظر جميع ذلك في: الوسائل وأحكامها في الشريعة الإسلامية: د.عبد الله التهامي، مجلة البيان (٢٣٨ عددا)، وهي مجلة علمية محكمة تصدر عن المنتدى الإسلامي ٨/ ١٠٦ .

توقيفية، فلا يجوز الاجتهاد فيها، ويجب الاقتصار على الوسائل التقليدية .[1]

وقبل التعليق على هذين الاتجاهين أرى من المناسب بيان أقسام الوسائل حيث تنقسم مطلق الوسائل بالنظر إلى شهادة الشرع لها بالاعتبار أو بالإلغاء أو باعتبارها من الوسائل المسكوت عنها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وسائل معتبرة شرعاً، وهي: كل ما أمر به في الكتاب أو السنة أمْر وجوب أو استحباب، وهذه الوسائل كلها مصالح أو أسباب للمصالح .

القسم الثاني: وسائل ملغاة شرعاً، وهي: كل ما نهي عنه في الكتاب أو السنة نهي تحريم أو كراهة وهذه الوسائل كلها مفاسد أو أسباب للمفاسد .[2]

قال الشاطبي في بيان هذين القسمين: (فإذن: لا سبب مشروعاً إلا وفيه مصلحة لأجله شُرع، فإن رأيته وقد انبنى عليه مفسدة: فاعلم أنها ليست ناشئة عن السبب المشروع.. فلا سبب ممنوعاً إلا وفيه مفسدة لأجلها مُنع، فإن رأيته وقد انبنى عليه مصلحة فيما يظهر: فاعلم أنها ليست بناشئة عن السبب الممنوع، وإنما ينشأ عن كل واحد منها: ما وُضع له في الشرع إن كان مشروعاً، وما منع منه إن كان ممنوعاً: وبيان ذلك: أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً لم يقصد به الشارع إتلاف نفس ولا مال، وإنَّما هو أمر يتبع السبب المشروع؛ لرفع الحق وإخماد الباطل: كالجهاد، ليس مقصوده إتلاف النفوس، بل إعلاء الكلمة؛ لكن يتبعه في الطريق الإتلاف: من جهة نصب الإنسان نفسه في محل يقتضي تنازع الفريقين وشهر السلاح

(١) ولمزيد من التفاصيل ينظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: سعيد بن علي بن وهب القحطاني، ١/ ١٥١ . وينظر: أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان، ص٤٥٣ و٤٥٤ . وينظر: العلم والدعوة: للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ٣/ ١٤ . وينظر أيضاً: الإجابات العلمية والتوجيهات المنهجية: للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان :١/ ٨ .

(٢) ينظر: الوسائل وأحكامها في الشريعة الإسلامية: د.عبد الله التهامي، ٨/ ١٠٦ .

وتناول القتال) [1] .

القسم الثالث: وسائل مسكوت عنها، وهي: الوسائل المرسلة وضابطها: كل ما سكت عنه الشارع أو أباحه [2] .

أما فيما يتعلق بسبب قول بعضهم إنَّ وسائل الدعوة توقيفية، فإنَّ ذلك يرجع إلى ما يأتي :-

- إنَّ القائلين بالمنع تتركز لديهم مخاوف من أن يقع الدعاة أسرى للوسيلة، بحيث تكون هذه الوسيلة أو تلك مدعاة إلى الوقوع في المنهي عنه من الوسائل، فيغفل الداعية مقومات مهمة، أو يتنازل عنها بفعل من تأثير الوسيلة المادية التي قد تطغى على الوسيلة المعنوية المتمثلة في النية الصادقة، وسلامة الفكر، والقدوة الحسنة، والكلمة الطيبة [3] .

- وقد يكون سبب تحفظ القائلين بعدم اتخاذ الوسائل الحديثة في مجال الدعوة مهما كان تأثيرها وسرعة وصول محتواها إلى المدعوين مرجعه أن من تبنى هذا الرأي لا يرى الخروج عن النمط الذي قامت عليه الدعوة منذ انطلاقتها، ونظر إلى الدعوة بمضمونها ووسائلها وأساليبها على أنها توقيفية، مثلها في ذلك مثل العبادات والمعاملات

(١) الموافقات: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ١/ ٣٧٦ .

(٢) ينظر: أربع قواعد تدور الأحكام عليها: محمد عبد الوهاب التميمي، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، وصالح بن محمد الحسن، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ بدون تاريخ، ١/ ٤

(٣) ينظر: الدعوة الإسلامية: الوسائل والخطط والمداخل: د.طه جابر العلواني، أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في نيروبي بكينيا بتاريخ ٢٦ جمادي الثانية إلى أول رجب ١٤٠٢هـ الموافق ٢٠-، ٢٤ من أبريل ١٩٨٢م، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط١/ ١٤٠٢ هـ، ص ٧١- ٨٣ .

التوقيفية [1] لكن هذا الرأي لا يجد ما يسعفه من الأدلة والشواهد؛ لسبب واضح هو أنَّ الوسائل الدعوية الحديثة لا يوجد نص قطعي أو ظني يحرمها، وبالتالي، فإننا نرجع إلى أصل الأشياء، وهو الإباحة الأصلية على أقل تقدير، وإلا فإنه بإمكاننا تخريج الوسائل الدعوية الحديثة تحت قاعدة «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

وجدير بالذكر أنَّ الرأي المعمول به في الساحة الفكرية والدعوية: هو القول بتجديد الوسائل الدعوية، وبما يتناسب مع الزمان والمكان والبيئة محل الدعوة، فالشخص الأوروبي تختلف وسيلة دعوته عن من يعيش في مكان آخر مثلاً، ويستنتج من أقوال وأفعال العلماء المعاصرين من معظم المدارس والمشارب الإسلامية (أن القاعدة في اتخاذ الوسائل والأساليب الدعوية هي مراعاة حال الدعوة زمانا ومكانا) [2]، وإن الانجرار وراء مناكفات جانبية، وجدل حول مشروعية الوسائل الدعوية الحديثة، فإن هذا يعني أننا نحتاج إلى وقت طويل لنصل إلى نظرة موحدة حول هذه الوسائل، في الوقت الذي نجد فيه غيرنا، مثل المنصرين والمبشرين للدين المسيحي، الذين لم ينظروا إلى هذا البعد نظرة تحليل أو تحريم، يستغلونها أفضل استغلال، ويحصلون من وراء ذلك على شيء من التأثير الذي يتوقعونه، بل ربما زادت النتائج عما رسموا له، ولاسيما في المجتمعات غير المسلمة [3] .

(١) ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: الوسائل وأحكامها في الشريعة الإسلامية: د.عبد الله التهامي، ٨/ ١٠٦ .

(٢) التدرج في دعوة النبي ﷺ: إبراهيم بن عبد الله المطلق، ص ١٤٨ .

(٣) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته: علي بن إبراهيم الحمد النملة، الرياض، مكتبة التوبة، ط١٢/ ١٤١٩هـ، ص١٢.

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةة ةة ةةةةةةةةة
ةةةةةةةةة ةةةةةةةةة ةة ةةة ةةةةة ةةةةةةةة

إنَّ الداعية الناجح هو الذي يكون خطابه الدعوي علاجا لقضايا المرحلة، وجوابا لمشكلات العصر الذي يعيشه والواقع الذي يتلبسه، ولا بد أن تكون مناهجنا الدعوية مرتبطة بواقعنا، فمن غير المفيد أن تنحصر الدعوة في الجانب النظري، وتبعد عن ملامسة الـواقع، ولا تنزل إلى الشارع وهموم الناس[1].

ولا يمكننا مواكبة العصر ومتغيراته إلا من خلال تجديد وسائل الدعوة وأدواتها؛ ولغرض إعطاء تصور وافي عن الموضوع، فقد قسمت هذا المطلب على النحو الآتي:

ةةةة: ةةةةة ةةةةة ةةةةةة ةة ةة ةةةةةةةةة ةةةةة

ةةة:

يشترط في أي وسيلة دعوية أن تكون مواكبة للعصر، إذ لا بد أن تتضمن مناهج

(١) ينظر: دعوة الجماهير ومكونات الخطاب: د.عبد الله الزبير عبد الرحمن، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط/ ١٤٢١هـ، ص٨٩-٩٠ .

الدعوة دراسات معاصرة، وأفكار جديدة مواكبة لواقع المتغيرات الزمنية بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والفكرية؛ كي تتم المعالجة بما ينسجم ومشكلات المجتمع، وبما يتماشى مع أسلوب العيش، ونمط التفكير الذي يعيشه المجتمع الموجه له الخطاب الدعوي على وفق الآليات والوسائل المناسبة .

إذ لا يجوز أن يكون خطاب الدعاة ووسائلهم الدعوية خارج الزمان والمكان، وإلا أصبح الخطاب الدعوي خياليا في حقيقته، أو مغاليا في المثالية يستبعد تحققه أو تطبيقه، مما يتسبب في انعدام أسباب الوصول والفشل في تحقيق الأهداف المرجوة [1].

وفيما يأتي سأبين أهمية مراعاة المتغيرات الزمانية في الدعوة، مع بيان آليات تجديد وسائلها لتواكب تغيرات الزمان من خلال ابتكار وسائل حديثة تخدم مشروع الدعوة؛ لتصل إلى أقصى مدى في التبليغ، وبما يمكنها من الوصول إلى القلوب والعقول :-

١ - أهمية مراعاة المتغيرات الزمانية في الدعوة :

وتنجلي أهمية مراعاة المتغيرات الزمانية في قضايا الدعوة انطلاقا من المنهج القرآني والهدي النبوي في مراعاة متغيرات الزمان :-

- فالقرآن الكريم مع أنَّه خطاب أزلي وكلام الله القديم؛ إلا أنَّه نزل منجما مفرقا على الأحداث والقضايا والوقائع، مراعيا الأحوال الزمانية والمكانية، فتنزل آيات بمكة، وأخرى تتلى بالمدينة، وبينهما آيات ترتل حتى في بعض القصار منها، كالضحى، واقرأ، والماعون، التي نزلت كل واحدة منها مفرقة على نجمين [2] .

(١) ينظر: دعوة الجماهير ومكونات الخطاب: د.عبد الله الزبير عبد الرحمن، ص ٨٧ .

(٢) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)،

والعلة في ذلك هي أنَّ الخطاب القرآني يعالج القضايا والمشكلات التي يعانيها المجتمع باستخدام وسيلة التدرج بالدعوة، وما ذلك إلا ليكون القرآن هو الخطاب القادر على متابعة قضايا الناس، ومعالجة مشكلات الأقوام، مراعيا عامل الزمن، ومستغلا الوقت المناسب كأسلوب من أساليب الدعوة الناجحة، فقد ظهرت الحِكَم البليغات من تنجيم القرآن بقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[1]، وبقوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[2]، فالحكمة الأساسية من تنجيم القرآن وتفريق تنزيله ليقرأه رسول الله ﷺ على الناس على مكث.. في كل حين يقرأ عليهم ما يسد حاجة ذاك الحين، وفي كل زمان يتلو عليهم ما يزيد أهله اقترابا إلى الحق[3] .

كما إن في التنجيم تيسيرا من الله في حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه، وذلك مطمئن للنبي ﷺ على وعي ما يوحى إليه حفظا وفهما وإحكاما، كما أنَّ فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله[4]، وبالتالي تترسخ مفردات الدعوة في عقول الناس .

- ومن أمثلة مراعاة النبي ﷺ لعامل الوقت تحسبا لردة فعل حديثي العهد بالإسلام امتناعه ﷺ عن تحويل الكعبة إلى قواعد إبراهيم عليه السلام، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((لولا أنَّ قومك حديثو عهد بالجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم؛

دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة، ط/ ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م ،١/ ١٨٧ .

(١) سورة الإسراء: آية ١٦ .

(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٢ .

(٣) ينظر: دعوة الجماهير ومكونات الخطاب: د.عبد الله الزبير عبد الرحمن، ص٨٨ .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣/ ١/ ٥٣ .

لنظرت أن أدخل الحجر في البيت، وأن ألزقَ بابه في الأرض))، وفي رواية: ((لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم)) [1]، فالنبي ﷺ وقد دخل إلى الكعبة عام الفتح، ومعه جيشه، وحوله صحابته الذين لا يترددون في تنفيذ أوامره، وقد تجمعت قبائل العرب حوله r ودمرت الأصنام، وكسرت شوكة الشرك، وأصبحت دولة المسلمين قوية، وأضحى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، ففي أوج معالم القوة هذه امتنع النبي ﷺ من تحويل الكعبة إلى قواعد إبراهيم، فهو ﷺ ليس لديه أدنى شك في ولاء صحابته الكرام رضي الله عنهم، وحبهم له، ومسارعتهم إلى تنفيذ الأوامر، ولكن قضية تحويل الكعبة، وإعادة بنائها تعد من القضايا التي يهتم بها الرأي العام في جميع أنحاء الجزيرة العربية، ولاسيما والعرب منذ الجاهلية تُعظِّم البيت وتجله، والنبي ﷺ نظر إلى نفوس المسلمين الجدد، فوجدها غير مهيئة لمثل هكذا عمل، فمثل هذا التغيير قد يغرس في نفوس البعض الريبة والتشكك، فهم بحكم حداثة إسلامهم لا يستوعبون مثل هكذا حدث، فمن عظمة أخلاقه وشمائله ﷺ نرى مراعاته ﷺ لتوجهات الناس، ومشاعرهم؛ لأن الزمن غير مناسب لمثل هكذا عمل .

٢- آليات تجديد وسائل الدعوة في ظل المتغيرات الزمانية :

وفيما يأتي بيان لأبرز الآليات الفكرية والفنية التي يمكن أن تساهم في تجديد فكر

(١) مصنف عبد الرزاق: ٥/ ١٢٨، برقم ٩١٥١، كتاب الحج، باب الحجر وبعضه من الكعبة، ولإبن ماجه بلفظ ((لو لا أن قوك حديثو عهد بكفر ...)) سنن ابن ماجه: ٢/ ٩٨٥، برقم ٢٩٥٥، كتاب المناسك، باب الطواف بالحجر، والمعجم الأوسط للطبراني: ٧/ ٢٢٨، برقم ٧٣٧٩، والمسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى ٤٣٠ هـ)، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٩٩٦ م، ٩/ ٤، وقال الحافظ الزيلعي: أخرجه أبو داود والترمذي عن علقمة عن أمه عن عائشة رضي الله عنها، وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وعلقمة هذا: هو علقمة بن بلال مولى عائشة رضي الله عنها، تابعي، مدني، احتج به البخاري ومسلم . نصب الراية: للحافظ الزيلعي، ٣/ ٤٣ .

الداعية؛ ليواكب تطورات العصر ومتغيرات الزمان ومنها :-

أ- معرفة الداعية لوقع التحالفات السياسية والمعسكرات الدولية، والاستفادة من التناقضات بين المحاور العالمية، وتوظيفها لصالح الدعوة .

فبما أنَّ السياسات تتغير، والتحالفات تتبدل بحسب الظروف والزمان، إذ إن واقع العمل الدعوي الراهن يختلف عن واقعه في حقبة الأربعينات» إبان الحرب العالمية الأولى وما بعدها»، ومرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تختلف عن مرحلة ما بعد احتلال العراق وأفغانستان؛ لأنَّ الظروف تتبدل، والتحالفات تتغير بتغير الوقائع والأحداث، وما نريد أن نصل إليه هو أن الداعية ينبغي أن يكون ذا حنكة سياسية؛ ليوظف هذه الحنكة لخدمة العمل الدعوي، وإن الدقة في التخطيط لمواجهة التحديات التي تعترض الدعوة كانت أحد أبرز ركائز السياسة الخارجية التي انتهجها النبي ﷺ لتوظيفها لصالح الدعوة الإسلامية، وقد تجلت هذه الحنكة السياسية للرسول ﷺ في التعامل مع قبيلة خزاعة إذ إنَّ المعاهدة التي أبرمها النبي ﷺ معهم تنص على أن: (لأسلم من خزاعة لمن آمن منهم، وأقام الصلاة، وآتي الزكاة، وناصح في دين الله، أنَّ لهم النصر على من دهمهم بظلم، وعليهم نصر النبي ﷺ إذا دعاهم، ولأهل باديتهم ما لأهل حاضرتهم، وأنهم مهاجرون حيث كانوا) [1].

ويستفاد من هذه الوثيقة السياسية، ولاسيما ما يتعلق بمبدأ الموازنة بين المعسكرات والأحلاف السياسية، حيث يتبين لنا أمور مهمة نوجز ما يتعلق بجانب الدعوة في مسألتين:

المسألة الأولى: لقد سَخَّرَ الرسول محمد ﷺ العداء القديم بين قريش وخزاعة لخدمة الدعوة الإسلامية، وكانت هذه المحاولة تمثل تحسين العلاقة مع قبيلة خزاعة، وهي لم تنتسب للإسلام بعد، ولم تُبايع عليه، وهذا الأمر فيه فائدة من حيث الحدود الشرعية لسياسة

(١) مجموعة الوثائق السياسية: د. محمد حميد الله، دار الإرشاد، بيروت، ط٣/ ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م، ص ١٦٥ .

الأعداء، وأنَّ الحرب خدعة، والواقع التاريخي بالأمس القريب يدلنا على أهمية التصارع بين القوى الدولية، ومن خلال هذا الصراع يعطى المسلمون فرصة ذهبية في الدعوة والعمل لانشغال كل طرف بالاتجاه الآخر، وما الصراع الكبير في الحرب الباردة بين المعسكر الغربي الرأسمالي بقيادة أمريكا، والمعسكر الشرقي الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي إلا دلالة على مثل هذا الفهم، فلما انهار الاتحاد السوفيتي، وتقسمت أقاليمه وخُرِّبَ اقتصاده، تفردت بعد ذلك أمريكا بالعالم كله، حيث تجرَّعَ المسلمون اليوم الويلات من هذا التفرد، فأين المسلمون اليوم من استغلال فرص التناقض بين المعسكرات المعادية ؟ فهذه الصين التي تربو على خُمس عدد سكان العالم، واليابان صاحبة القاعدة الصناعية الضخمة، وهذه ألمانيا التي وقفت على رجليها من جديد، فمن من دعاة المسلمين يستغل تناقضات المصالح والأفكار بين هذه القوى؟ [1] وتسخيرها لصالح الدعوة من خلال نشر الفكر الإسلامي وقيمه، وخدمة مصالح المسلمين العليا .

المسألة الثانية: لم يطالب الرسول ﷺ المسلمين من خزاعة بالهجرة؛ لأنَّه لاحظ أنَّه سيكسب من خزاعة، وهي مقيمة في ديارها أكثر من كسبه منها إذا هاجرت للمدينة، فقد كانت تعيش وسط قريش؛ ولذلك فهي في مركز خطير يسمح لها بأداء مهام كبيرة للدعوة الإسلامية، منها مدُّه بأخبار أعدائه المكيين، وقيامها بدور الحليف الذي يدافع عن الرسول ﷺ ويُثبط أعداءه في حرب الدعاية التي سبقت الهزيمة الكبرى التي منيت بها قريش في يوم الفرقان [2].

وكدليل على ثقته فيهم، وتعبيراً عن روح المودة نحوهم، يعطيهم حقوق المهاجرين، مع

(١) ينظر: الفقه السياسي للوثائق النبوية: د. خالد سليمان الفهداوي، دار عمار، الأردن، ط١/ بدون تاريخ، ص ١٣٠ .

(٢) نشأة الدولة الإسلامية: د. عون الشريف قاسم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣/ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ٥٢ .

كونهم لم يهاجروا من ديارهم، ولا يستثنى من ذلك « إلا من سكن منهم مكة»، فقد أعطاهم النبي ﷺ منزلة لم يعطها أحداً من الناس، أن جعلهم مهاجرين بأرضهم، وكتب لهم بذلك كتاباً، ولا يتيسر تقييم أهمية هذا العرض إلا بنسبته إلى المكانة التي كانت للهجرة إلى المدينة في نظام الإسلام السياسي قبل فتح مكة، فقد كان النبي ﷺ يُشجع المسلمين خاصة في مكة وما جاورها للهجرة إلى المدينة، حتى يقوى مركز الإسلام فيها، وتزداد فعاليةُ المسلمين القتالية لمجابهة أعدائه من أهل مكة [1]، ومن غيرهم .

وتدل هذه الاتفاقية على أنَّ من مقتضيات السياسة الشرعية الأخذ بقوانين الموازنة السياسية بين المعسكرات والأحلاف، فقد يكون من مصلحة المسلمين إقامة تحالفات في المجال العسكري، أو الاقتصادي، أو التجاري مع أي من الكتل القائمة إذا كان ذلك مما يخدم المصلحة العليا للأمة وانتشار دعوتها، والحفاظ على كيانها وسيادتها، واستقلالها، وإن هذا الأمر ليس له علاقة بتماثل المعتقد لدى الطرفين .

ب- تجديد عمل وكالات الأنباء الإسلامية ودعمها بحيث تصبح فعالة، وتتصف بالشفافية والمصداقية والحرفية العالية، ورفد الدعاة بآخر أخبار المسلمين في العالم، وتهيئة برامج تتخصص بمناقشة واقعهم، والتحديات التي تواجههم، والمعوقات التي تعتريهم، حيث إنَّ للإعلام دورا فاعلا في تبليغ الدعوة للناس، فهو يساهم في تفعيل دور الدعاة؛ وذلك لأن الإعلام في زماننا الحاضر يعد قوة فعالة قادرة على تغيير قناعات كثير من الناس لا بل إن الإعلام في زماننا هذا أسقط دولا وحكومات بدون إطلاق رصاصة واحدة، فهو (قوة حضارية تتفاعل مع سائر القوى السياسية والاقتصادية والثقافية الأخرى، والدعوة إلى إنشاء وكالة الأنباء الإسلامية حتى تكون بديلا عن الوكالات الأوروبية والأمريكية الدولية

(١) المصدر نفسه: ص ٥٠ .

في استقاء أخبار العالم الإسلامي بوجه خاص، والمجتمعات الأخرى بوجه عام) [1].

ت- تفعيل التواصل بين الدعاة وتبادل الخبرات والتجارب، وآلية ذلك تتحقق من خلال عقد المؤتمرات والندوات النوعية الموسعة للدعاة، ولاسيما الشباب منهم، وعدم الاقتصار على الدعاة البارزين والمشهورين - كما اعتدنا ذلك - والخروج بورقة عمل منهجية لخدمة الدعوة؛ لأن اللقاء بين الدعاة ليس لقاء تعارف فحسب بقدر ما هو لقاء عمل بين دعاة يحملون هموم الأمة، وإن من المهم أيضا (تعزيز دور المراكز الثقافية الإسلامية في العالم كله للحفاظ على ذاتية الحضارة الإسلامية حيث يسعى الفكر الإسلامي إلى تعزيز روح التضامن بين البلاد الإسلامية، وتهيئة الجو لروح الوحدة، مع الاهتمام بإشاعة روح التعاون والمساواة التامة بين الدول الإسلامية في الحقوق والواجبات) [2].

ث- ومن أجل أخذ حيز واسع في الشارع، والتواصل مع الناس والتأثير بهم ينبغي تشكيل لجنة من الدعاة الكبار لفض المنازعات بالطرق السلمية عن طريق التفاوض والمناقشات الودية الأخوية، وتعزيز المبادئ الإسلامية والعمل بمقتضاها، مع احترام حقوق الإنسان وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحة، ففي ذلك تأثير بليغ في الناس .

ج- إنَّ المتغيرات الزمانية فرضت واقعا جديدا على الدعاة يتمثل بظهور جيل من الشباب المتأثر بالفكر المادي، والتقنيات الحديثة، ووسائل الاتصال المعاصرة التي قربت كل المسافات، وجعلت الشاب منعزلا عن هم توصيل الدعوة، وحمل الرسالة بسبب تأثر فكره بالنظرة المادية الضيقة للحياة، فكثير من الشباب لا يعرف معنى العمل التطوعي، ولا البذل ولا الكفاح من أجل الدعوة، وهذا يتطلب وقفة جادة من الدعاة لإيجاد معالجة معاصرة تنسجم مع هذه

(١) دور الإعلام في التضامن الإسلامي: إبراهيم إمام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١٦/ العدد (٦١) محرم- صفر- ربيع الأول ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١/ ٢٧١ .

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٧١ .

المتغيرات، حيث إن كثيرا من الناس سئموا من التنظير والكلام الجميل، والخطب البليغة والكلمات المسجوعة، وقديما قالوا «إنَّ الطفل إذا بكى لا تسكته القُبَل» ومن أجل ربط القول بالعمل ينبغي السعي إلى تفعيل النشاط الدعوي في الجوانب العملية، التي سأذكر جانبا منها فيما يأتي :

– تفعيل العمل الدعوي من خلال تقديم الخدمات الصحية للمرضى الفقراء بغض النظر عن الدين والمعتقد عن طريق إنشاء مستشفيات وصيدليات بإدارة إسلامية غير ربحية، وقد لاحظت بعض الجمعيات الخيرية الإسلامية المدعومة من قبل العلماء العاملين وصناديق التبرعات في المساجد في بعض البلدان الإسلامية حيث قاموا بهذا العمل الرائع، وكان له صداه وتأثيره الايجابي .

– العمل على إقامة دورات في التنمية البشرية يديرها كادر متخصص مؤمن بفكرة الدعوة الإسلامية من أجل تخليص الشباب من قاعات اللهو والقمار التي أصبحت وكرا للإفساد .

– تشجيع رجال الأعمال من المعروفين بالدين والصلاح على الاستثمار في ميدان تنمية الطفل المسلم كإنشاء روضة أطفال تعلم الطفل المسلم أصول التربية الإسلامية بغية غرس القيم والفضائل في أذهانهم .

– السعي من أجل ملئ الجانب الترفيهي في حياة المسلم من خلال تفعيل دور الفرق الإنشادية، وإقامة المهرجانات التي تدعى إليها الأسر المسلمة؛ كي يسد الباب أمام الترفيه المشوب بالمعاصي كالاختلاط ونحوه، والاستثمار في جانب السياحة الملتزمة كأن تكون مدينة سياحية للأسر المحترمة المحافظة كما حدث في تركيا – بعد صعود الإسلاميين إلى السلطة – حيث أنشئت منتجعات خاصة بالأسر المحتشمة حصرا حيث تساهم في التخفيف عن كاهل الأسر المحافظة أعباء عدم خروجهم إلى الأماكن المختلطة التي لا تليق بهم، وقد اجتذبت هذه الفكرة كثيرا من الأسر الملتزمة من كل أنحاء العالم الإسلامي، بالإضافة إلى أنَّ كثيرا من

غير الملتزمين يتصورون أنهم إذا التزموا بشعائر الدين، فإنهم سوف يدخلوا في قفص حديدي ضيق ونكد وحرمان في إطار نظرية «لا يجوز» «وهذا حرام» فنرى الشباب والشابات يريد أن يتمتع بشبابه وحيويته؛ لأنَّ الدين – بحسب تصوره – سوف يوصد الأبواب في وجهه – ثم يتوب في مرحلة المشيب، وهذا تصور خاطئ؛ لسببين:

أحدهما: هو أنَّ الإسلام ليس دينا منغلقا كما يتصور، بل يدعو الإسلام إلى التفاؤل والفرح والابتسامة وبث ثقافة الخير، والتمتع بالمباحات من الرزق .

والآخر: أنه أهدر عنفوان الشباب في غير طاعة الله في وقت كانت الدعوة بأمس الحاجة إلى طاقته مع احتفاظه بمتعته والترفيه المشروع الذي لا يتعارض مع الشرع .

ح – إقامة مركز صحفي إسلامي برعاية منظمة المؤتمر الإسلامي للتعريف بالإسلام، تضمن فيه مشاركة كل الدعاة العاملين على الساحة، ولا يقتصر على الدعاة المشهورين فحسب؛ لتسليط الضوء على مواطن الخلل في العمل الدعوي ومعالجته، ونقد أوجه القصور بعيدا عن المجاملات.

ذ – تجديد وسائل الدعوة من خلال تجديد لغة الخطاب الدعوي ومفرداته، فخطاب الحرب الباردة ليس كخطاب زمن العولمة، وسياسة انفراد القطب الواحد في المسرح السياسي الدولي، وكذا لغة الخطاب وأسلوبه ومفرداته لمرحلة ما قبل أحداث ١١/ أيلول[1] الشهيرة، والتي غيرت المسار السياسي الدولي بحسب تداعياتها، ومرحلة الثورات العربية، وما أطلق عليه بـ«الربيع العربي» تختلف في لغتها وخطابها عما قبلها من مراحل، حيث إنَّ على الداعية أن يواكب هموم الشارع وتطلعاته .

(١) وجدير بالذكر: هو أنه في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر/ أيلول نفدت ملايين من الكتب التي تتحدث عن الإسلام – سواء التي تناولت الإسلام بشكل ايجابي أم سلبي – من المكتبات الأمريكية خلال بضعة أشهر، والأمر يحتاج إلى إمكانيات هائلة لا وجود لها سوى لدى الدول الإسلامية .

ومن باب الحقيقة والإنصاف، فإنَّ المساجد ممثلة بدعاتها كان لهم دور بارز في الثأثير والالتفاف حول الجماهير، سواء في العمل الاغاثي، واحتضان الجماهير، كما حدث في مصر واليمن وليبيا إبان الثورة، وكذا في العراق حيث تحولت المساجد إلى خلية أزمة، وورشة عمل ميدانية؛ لرعاية شؤون المهجرين والمشردين في الداخل، أو النازحين من الخارج كالسوريين ونحوهم، لذا فإن من الصحيح تغيير مفردات الخطاب الدعوي من خلال الإتيان بموضوعات وأفكار ومفردات تتناسب مع حجم الحدث وجزالته، وبما يتناسب مع مواكبة مجريات العصر ومتغيراته .

ر- الاهتمام بالقطاع النسوي باعتبار أنَّ النساء أقدر على التأثير بالطفل والأسرة عموما، وفيما يتعلق بهذا الأمر، فإن التقصير باد للعيان، ويمكن تشخيصه لأول وهلة حيث إن حضور المؤتمرات والندوات والدورات وورش العمل المتخصصة بالدعوة، ومناقشة أحوال المسلمين مقصورة على الرجال فقط، ولا يحضرها الكادر النسوي إلا قليلا .

ز- الاهتمام بتربية الناشئين من أبناء الدعوة من الناحية التعليمية والأخلاقية والاجتماعية، وضرورة وضع منهج صحيح شامل للعمل الدعوي؛ لإنشاء القدوة الصالحة والأسوة الحسنة، وإعداد حَمَلَة الدعوة على هذا المنهج، بالإضافة إلى تعليمهم فقه الأولويات، وفقه الواقع نظريًا وتطبيقيًا، وهو ما سعى القرآن الكريم إلى لفت أنظار المسلمين عليه حيث إنَّ خاصية البرنامج الدعوي في سورة إبراهيم «وهي سورة مكية» إذ قررت عناصر المنهج الدعوي، وبينت صفات الرسل والدعاة من بعدهم، ونبهت على معوقات الدعوة، وكيفية مواجهتها، وفصلت في وسائل الدعوة، وكيفية الإفادة منها في البلاغ عن الله سبحانه [1]، فهي تختلف من حيث أسلوب الدعوة وآلياتها كما هو مبين في سورة المائدة؛ لأنَّ لكل زمان أسلوبه

(١) ينظر: أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم: للأستاذ وسيم فتح الله، ١/ ٧٦، مصدر الكتاب: موقع الإسلام: http: / /www.al-islam.com .

في إعداد جيل الدعوة الناشئ .

وبالجملة: فإنَّ على الداعية الناجح أن يتدرج في وسائل الدعوة، وأن ينزل الناس منازلهم، وأن يقتدي بأساليب الدعوة التي قام بها أنبياء الله ورسله، [1] من خلال انتهاج منهج دعوي يواكب العصر الذي يعيشه، ويفقه المرحلة، ويفهم الواقع، فليس الخطاب الذي يطلق في زمان الركود والرقود كالخطاب الذي يصدر في عهد اليقظة والنهوض.. ولا يصح أن يكون الخطاب أيام الاستضعاف والهوان كالخطاب أيام الاستعلاء.. ولا الخطاب حال العزة والتمكين كالخطاب في حال الانهزام والتبعية .. ولا الخطاب في زمان الصحوة كالخطاب في زمان الغفلة.. ولكن لكل زمان خطاب يناسبه، ويفل حديده، ويسد ثغوره [2] .

ثانيا: تجديد وسائل الدعوة في ظل المتغيرات المكانية:

إنَّ من الملاحظ أنَّ أئمة الفقه والدين، ودعاة السلف الصالحين يُخَرِّجون الأحكام، ويستصدرون الفتاوى، ويصيغون خطاب الدعوة ومفرداتها بحسب ما يلائم المكان الذي هم فيه؛ لذلك كان للإمام الشافعي فقهان: فقه قديم بناه على بيئة أهل بغداد وحالهم وواقعهم، وفقه جديد بُني على بيئة مصر وحال أهلها وواقعهم، وما ذاك إلا لتغير واقع الناس في مصر عن حال أهل العراق، فبادر يخاطبهم بما يناسب حالهم وواقعهم، فالمكان والواقع قد يؤثران على الأحكام والمواقف والقرارات والأهداف والاستراتيجيات، وبأثرهم ينقلب المفضول فاضلا، والفاضل مفضولا، ولمصالحهما يصبح الراجح مرجوحا والمرجوح راجحا، وبفهمهما ينقض

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير – الاستشراق – الاستعمار (دراسة منهجية شاملة للغزو الفكري): للشيخ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، دار القلم – دمشق، ط٨/ ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م ،١/ ٧٠٦ .

(٢) ينظر: دعوة الجماهير ومكونات الخطاب: د.عبد الله الزبير عبد الرحمن: ص٨٩ .

القرار وتتبدل المواقف.. وفي كلٍ المقصد الأعلى هو السعي لتمكين دين الحق في الأرض،[1] ونشر الدعوة وإيصالها إلى الناس، وفيما يأتي سأبين أهمية مراعاة المتغيرات المكانية في الدعوة، مع بيان آليات تجديد وسائلها؛ لتواكب تغيرات المكان :-

١ - أهمية مراعاة المتغيرات المكانية في الدعوة :

إنَّ من خصائص الدعوة الإسلامية أنَّها رسالة عالمية عابرة للقارات تتجاوز الحدود الجغرافية والمساحات المكانية من خلال انسجامها مع كل الأمكنة، ومعالجتها لكل المشكلات التي قد تطرأ على كل بيئة ومكان وبما يناسبها، والعالم المعاصر الذي يمر بمشكلات مستعصية بدأ يتفهم مدى حاجته إلى الفكر الإسلامي ودعوته أكثر من ذي قبل، فلا بد أن نؤدي أمانة تبليغ دعوة الإسلام بكل الوسائل الممكنة، وننهج كل الطرق المشروعة التي تحقق مبدأ البلاغ المؤثر، في ظل المتغيرات المكانية جاعلين من قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2] شعارا ومنهاج عمل لكل مكان يحل فيه الدعاة .

وبناء على ذلك فإنَّ طريقة الخطاب الدعوي والوسائل المتخذة فيه، لها أثر في نجاح الدعوة الإسلامية وانتشارها، وكذا العناية باللغة وأسلوب الخطاب على وفق متغيرات المكان والبيئة المحيطة، وهو ما يتطلب مراعاة فقه الأولويات، وفقه الواقع، وتقديم الأهم على المهم، بل إنَّ الفاضل قد يصير مفضولا في بعض الأحيان إذا كان في ذلك خدمة للدعوة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ذات المعنى: «والمفضول قد يكون أنفع لبعض الناس لمناسبته لهم، كما قد يكون جنسه في الشرع أفضل في بعض الأمكنة والأزمنة والأحوال... فالمفضول تارة يكون أفضل مطلقا في حق جميع الناس... وقد يكون أفضل لبعض الناس، لأنَّ انتفاعهم به أتم... فقد ينتفعون بالمفضول؛ لمناسبته لأحوالهم الناقصة ما

(١) دعوة الجماهير ومكونات الخطاب: د.عبد الله الزبير عبد الرحمن: ص ٩٢ .
(٢) سورة النحل: آية ٢٥ .

لا ينتفعون بالفاضل الذي لا يصلون إلى أن يكونوا من أهله» [1].

٢- آليات تجديد وسائل الدعوة في ظل المتغيرات المكانية:

ومن باب التركيز على الأهم سأتناول آليات تجديد وسائل الدعوة في القارة الأوروبية؛ وذلك لاعتبارات عديدة منها أنَّ تجديد الدعوة في أوروبا له أهمية استراتيجية في واقع الوجود الإسلامي في العالم، وأن الفوارق والمتغيرات المكانية داخل بلدان العالم الإسلامي» بلاد الشرق «تكاد تكون محدودة، فالداعية في مصر أو الجزائر أو المغرب مثلا يواجه نفس البيئة التي يواجهها الداعية في العراق واليمن؛ للتشابه النسبي في الطبيعة الاجتماعية واللغوية والعادات والتقاليد، أما بالنسبة لأوروبا، فإن الوضع يختلف اختلافا جذريا عما هو موجود في بلاد الشرق الإسلامي، فيحتاج الداعية إلى تجديد وسائله الدعوية؛ لتتناسب مع متغيرات المكان والبيئة التي يعيش فيها، وفيما يأتي بيان لأبرز الوسائل التي يمكن للداعية توظيفها لخدمة الدعوة الإسلامية في البلاد الأوربية:

أ- الاستفادة من أجواء الحريات الموجودة في أوروبا، وتوظيفها بالشكل الصحيح لصالح الدعوة، وعدم فعل شيء يهدد الوجود الإسلامي المتنامي في أوروبا، والملاحظ أن بعض الدعاة ينقلون فكرة التشدد والغلو إلى البلاد الأوروبية متصورين أن هذا هو الإسلام الحق -بحسب تصورهم- وبعضهم قام بتوظيف أجواء الحرية الموجودة في الدول الأوروبية؛ لصالح أجندات حزبية وفئوية ومناطقية ضيقة حيث لا تكاد نشرة أخبار تمر إلا طالعتنا بأخبار مشاهير الغلو في فرنسا أو بريطانيا مثلا، وقد قدموا للقضاء؛ لغرض ترحيلهم أو نفيهم خارج البلاد لمخالفتهم القوانين؟.

(١) مجموع الفتاوى: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ط/ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ٢٢/ ٣٤٨.

إنَّ الداعية الناجح هو الذي يعمل بهدوء وذكاء، ولا يستفز الآخرين في بلادهم؛ كي يكون خير سفير للإسلام في بلاد الغرب لا أن يكون مثار جدل في الصحافة الغربية، ويثير عداوة الآخرين وردات فعل سلبية حيث شكل بعض المتطرفين الأوربيين أحزابا وتكتلات انتخابية تعِد الناخب الأوروبي بالمحافظة على هوية أوروبا المسيحية، والحد من هجرة المسلمين إليها .[1]

ب- تقديم الأهمّ على المهمّ: ينبغي على الداعية أنْ يراعي فقه الأولويات في الدعوة، ومن هنا قرر العلماء قاعدة ذهبية في مجال الدعوة، ولاسيما في البلاد الأوروبية وهي أنَّ «الدعوة إلى الإيمان قبل الأعمال والأحكام»[2]: أي أن تُقَدَّم الدعوة إلى الإيمان، بمفاهيمه وأصوله، على الدعوة إلى العبادات والمعاملات، من حلال وحرام في المأكولات، والملبوسات، وغيرها، وتطبيقُ هذه القاعدة هو الأصل في مقام الدعوة، وبخاصة لمن فقد الإيمان، أو حصل له

(١) وفيما يتعلق بواقع حرية الدعاة في أوروبا مقارنة بالعالم العربي أود تسجيل الملاحظة الآتية: وهي أنه من المؤسف أن نرى بعض دعاة الإسلام يُطاردون في بعض البلدان العربية حيث ملئت السجون بالإسلاميين، وسخرت أجهزة الأنظمة المستبدة من أمن سياسي وبوليس سري وأجهزة المباحث والمخابرات؛ لمراقبة وملاحقة الدعاة والملتزمين دينيا، ومتابعة تجمعاتهم ونشاطاتهم الدعوية في حين نجد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في دبلن عاصمة ايرلندا يمارس أنشطته من مؤتمرات وندوات ومحاضرات وغيرها من دون أية مضايقة، كما إن من المخجل والمعيب أن تُستقبل وزيرة الخارجية الإسرائيلية في بعض بلدان التطبيع العربي في حين يرفض عمدة لندن استقبالها؛ لجرائمها، ويستقبل الشيخ يوسف القرضاوي الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ويكرمه أفضل تكريم . ولمزيد من التفاصيل: ينظر: جريدة الراية القطرية بتاريخ ١٥/ ٥/ ٢٠٠٨م . وموقعها الالكتروني www.alraea.com

(٢) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر: عدنان بن محمد آل عرعور، وهو كتاب حائز على جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز للسنة والدراسات والإسلامية المعاصرة، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ص٥٧ .

فيه خلل أو ضعف [1]، فالخمار مهم جدا لكن التركيز عليه، وترك المسائل الكبرى يربك مسار الدعوة، والأولى بالدعاة الحث على ستر الرأس، وترك مسألة تغطية الوجه في البلاد الأوروبية تأخذ فاعليتها ومداها عن طريق التدرج في التطبيق، والتدرج هو سنة ربانية روعيت في أحكام كثيرة كالجهاد وترك الخمر وغيرهما [2]، والقضايا الكبرى التي يجب تركيز الجهود عليها هي السعي من أجل توسيع رقعة الوجود الإسلامي في البلاد الأوروبية، وكسب مسلمين جدد، وعدم تنفير غير المحجبات من الأوربيات من اللائي لديهن بدايات الهداية والميل إلى الدخول في الإسلام، وإن عدم التدرج في تطبيق شعائر الدين بالنسبة لهم، وعدم العناية بهم سوف يحدث ردة فعل عكسية لا يتمناها أي مخلص للدعوة، لذا ينبغي إدخال مفاهيم الإسلام إلى أفكارهم تدريجيا، وترسيخها في أذهانهم بمرور الوقت حيث يعد هذا وسيلة مهمة من وسائل الدعوة؛ وذلك لخصوصية المكان، ومراعاة للظروف الخاصة التي يعيشونها في مجتمعاتهم التي تختلف جذريا عن المجتمعات الشرقية من حيث اللباس والطعام والشراب والعادات والسلوكيات .

ث- توظيف العمل الرياضي والفني لخدمة الدعوة الإسلامية: ومن الوسائل التي ينبغي تفعيلها في البلاد الأوروبية هي توظيف النشاطات الرياضية، والفرق الشبابية والفنية لصالح الدعوة، حيث كان للمنشد سامي يوسف الأثر البالغ في الشباب البريطاني بسبب أعماله الفنية الهادفة، ومن لطائف الكرم الإلهي على الدعوة الإسلامية أن بعض المظاهر التي انتقدت كثيرا من قبل الدعاة قد تحولت لصالح الدعوة، ومن ذلك حالة الإقبال الهستيري من قبل كثير من شبابنا في تشجيع ناديي ريال مدريد وبرشلونة الاسبانيين لكرة القدم، حيث أقبل كثير من

(١) ينظر: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر: ص٥٨ .

(٢) ولمزيد من التفاصيل حول قضية للتدرج في التشريع والأحكام يراجع: الموافقات: للشاطبي، ٦/ ٤٠٦ .

الأسبان لدراسة الإسلام والتأثر به؛ لما رأوا من شغف المتابعة من الجمهور العربي؛ وشاء الله أن يرجع بعض أحفاد الأندلسيين الذين تنصروا بسبب الهجمة الصليبية التي خيرتهم بين الموت أو الهجرة أو اعتناق المسيحية، فرجع البعض إلى أصولهم، وبدؤوا يستكشفون تاريخهم من جديد، وهكذا بدأ ينمو الوجود الإسلامي ويتصاعد في اسبانيا، لذا فإن الداعية الذكي هو الذي يحول السلبيات إلى فعل ايجابي يخدم قضيته .

ج- عرض قضايا المسلمين بشكل علمي متوازن بعيدا عن التصعيد والإثارة: ومما ينبغي على الدعاة انتهاجه كوسيلة من وسائل الدعوة ابتعادهم عن الإثارة والتصعيد في الخطاب الدعوي؛ وذلك لأننا نعيش في عصر العلم والإقناع العقلي، ولا يمكن أن تقنع بالضجيج والصوت العالي من اعتاد على الأمور العلمية والتفكر، ولهذا فإن كثيرا من العلماء الغربيين اكتشفوا الإسلام من خلال البحث العلمي والإعجاز الرباني الموجود فيه [1]

ح- وضع استراتيجية لمستقبل الدعوة الإسلامية في أوروبا في ضوء الانتشار الإسلامي الكبير في أوروبا، فالمسلمون بلغ تعدادهم في أمريكا ما يزيد عن ٩ ملايين مسلم، وفي بريطانيا ما يزيد عن ٣ ملايين مسلم، وفي فرنسا ما يزيد عن ٣. ٥ ملايين، وفي ألمانيا ١. ٩ مليون مسلم، وفي بلجيكا حوالي ٨٥٠ ألف، وفي هولندا ما يزيد عن ٢٠٠ ألف [2]، أما في بروكسل، فتشير التقديرات إلى أنه عام ٢٠٢٠م -أي بعد سنوات قليلة- ستصبح نسبة المسلمين فيها أكثر من الثلث، وفي هذا الصدد يحذر الخبراء الأمريكيون المتخصصون في شؤون العالم العربي من تنامي حجم الوجود الإسلامي في البلاد غربية، وقد صرح برنارد لويس الأستاذ بجامعة برنستون والمتخصص في شؤون الشرق الأوسط في حوار مع صحيفة «دي فيلت» الألمانية أن

(١) ولمزيد من التفاصيل ينظر: الإسلام وحقائق العلم: محمود عبد الرؤوف قاسم، دار البشير، عمان، ط٤/ ١٩٩٥ م، ص٥٩، وما بعدها .

(٢) تعداد المسلمين في الغرب: مجلة البيان: ١٧٣/ ٥٤ .

المسلمين في أوروبا سيتحولون إلى أغلبية مع نهاية القرن الميلادي الحالي اعتمادا على الاتجاهات الديموجرافية، وحركات الهجرة الحالية، وقال برنارد لويس: إن أوروبا ستكون جزءا من المغرب العربي، وذكر من العوامل المؤيدة لذلك فإنَّ الأوروبيين يتأخرون في سن الزواج، ولا ينجبون سوى عدد قليل من الأطفال؛ لكن مسلمي أوروبا يتزوجون في سن مبكرة، وينجبون عددا أكبر من الأطفال [1] .

أما عن عدد المساجد وحجمها فإن الدعاة المخلصين يكسبون المعركة على الأرض من خلال النمو المتصاعد في المساجد المشيدة، ولعل آخر ما شيد من المساجد الكبيرة في أوروبا المسجد الكبير في فرنسا حيث يعد من إن أكبر المساجد في أوروبا، وهو في مدينة ستراسبورغ، وأقيمت إلى جواره مقبرة وقفية إسلامية؛ لدفن موتى المسلمين، وقد صمم المسجد مهندس ايطالي، كان قد صمم من ذي قبل مسجد روما الكبير. جدير بالذكر أن القانون الفرنسي العلماني لا يتيح للدولة القيام ببناء دور العبادة حتى للمسيحيين الكاثوليك [2]، ولكن ساهمت الحكومة الفرنسية ببناء مسجد للمسلمين احتوى على حرم للنساء، ومكتبة كبيرة، وكل ذلك بجهود المخلصين من الدعاة[3]....ليث شعري ماذا لو حصل المسلمون على الدعم اللازم من أبناء جلدتهم؛ لينشروا الدعوة، وماذا لو اتَّحَدَتْ صفوف الإسلاميين، ولم ينقلوا المناكفات والمهاترات الكلامية الموجودة في بلادنا إلى بلاد المهجر، وماذا لو رزق المسلمون في بلاد المهجر بدعاة موسوعيين من العيار الثقيل كمحمد الغزالي ومصطفى السباعي والصواف وعبد العزيز البدري وغيرهم من الدعاة الصادقين المواكبين للعصر بدعوتهم وخطابهم .

---

(١) صحيفة الوطن الكويتية: ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٤م .

(٢) جدير بالذكر أن الغالبية الساحقة من الفرنسيين يعتنقون الكاثوليكية أ وهي الدين الرسمي في البلاد .

(٣) ولمزيد من التفاصيل عن هذه الواقعة يراجع موقع القناة الفرنسية على الانترنت
www. France 24 enternational.com

خ – كما ينبغي على دول منظمة التعاون الإسلامي الشروع في تشكيل جماعات ضغط «لوبي» سياسي إسلامي؛ لخدمة الدعوة حيث إنَّ دول العالم تمارس ضغوطا سياسية؛ لحماية مصالحها، وأفكارها، ومن أمثلة ذلك في العلاقات الدولية: اللوبي الأرمني في فرنسا حيث ضغط الأرمن على الساسة الفرنسيين بورقة الانتخابات مقابل الاعتراف بما يسمى المجازر المزعومة التي يُظن ارتكابها من قبل العثمانيين ضد الأرمن في الحرب العالمية الأولى-بحسب زعمهم- وأصدر مجلس الشيوخ الفرنسي قانونا ينص على تجريم من ينكر تلك المجازر المزعومة، ومن أمثلة اللوبي الضاغط لخدمة القضايا الدينية والسياسية: اللوبي الإسرائيلي حيث يسيطر اليهود على مراكز صنع القرار في كثير من البلدان الغربية، ويعود ذلك إلى تنظيمهم لأنفسهم سياسيا واقتصاديا، وقد نجحوا في استصدار كثير من القرارات؛ لصالح قضاياهم سواء أكان في مجلس الأمن أم من خلال القوانين التي تقضي بتجريم من ينكر المحرقة التي تعرض لها اليهود على يد النازيين «الهولوكوست»، إذن فالمسلمون في الغرب بهم حاجة إلى تنظيم أنفسهم بما يخدم استمرار الدعوة، ويجب على الدول الإسلامية توفير الدعم اللازم لهم سواء الدعم السياسي أو الاقتصادي .

د- عدم إشغال المسلم الأوروبي بأمور ومسائل جانبية: إنَّ من أسباب انهيار الكيان الإسلامي في الأندلس اهتمام الدعاة بالأمور الجانبية، وتركهم للأمور النوازل العظام، ونسوا أو تناسوا أنهم على ثغر من ثغور الإسلام، واشتغلوا بالجزئيات وتناسوا الكليات حيث كانت حلقات العلم تملأ المساجد هناك، ومسائل فقه الفروع لا تنتهي، والمستعمر الغازي على أبواب حاضرة الإسلام؛ وأحدهم يدرس بعض الفروع الفقهية أو فروع الفروع التي لا علاقة لها بإعداد الأمة لمواجهة ما يراد بها، وكذا هو الحال إبان غزو المغول لبغداد وسقوطها على أيدي التتار عام ٦٥٦هـ، ولهذا فإن فهم المرحلة، وفقه الواقع أصل معتبر في الشرع، يؤيده تنزل القرآن على حاجات الناس والمناسبات، ويؤكده تغير الفتوى بتغير

الأزمنة والأمكنة والأحوال، بناء على اعتبار المرحلة والواقع .[1]

ذ- الاهتمام بجانب التطهير النفسي من براثن الكفر، وعدم التركيز على الأمور الشكلية:

إنَّ إرباك الداخل للإسلام بتفصيلات الفقه وجزئياته، وآراء الفقهاء ومذاهبهم وعدم مراعاة خصوصيته باعتباره حديث عهد بالإسلام يعد أحد أبرز أسباب التلكؤ في العمل الدعوي؛ لذا يجب عدم التعويل على الأمور الجانبية والقضايا الفرعية: مثل ختان الذكور لحديثي العهد بالإسلام من الأوربيين، وعدم إدخالهم في تفصيلات الكتب الفقهية القديمة حيث يجب تبسيط الدين لهم، وترغيبهم فيه .

ر- التركيز على سبل زيادة الإيمان عند حديثي العهد بالإسلام:

يُستحسن بالداعية ذكر بعض سُبل زيادة الإيمان التي تُعين على الإقبال إلى الطاعة، وأداء ما افترض عليه من الواجبات والأركان، والانتهاءِ عن المعاصي، وبما يسهل على الداعية الدعوة، وقبول المدعوين لها، فكلما ازداد الإيمان، ازداد العبد صلاحاً وإقبالاً إلى ربه، وكلما نقص وضعُف، اقترب العبد من السوء، وأعرض عن ربه، والوسائل التي تزيد الإيمان كثيرة، ومن أبرزها: الدعوة إلى التفكر في آلاء الله، وإلى التأمل في مخلوقاته : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2]، و﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[3] .

وبالجملة: فإنَّ فهم المرحلة والواقع وخصوصيات المكان يعد ضرورة شرعية؛ لتبليغ الدعوة، ومقتضى حضاري؛ لنشر رسالة الإسلام، وفي هذا الصدد يقول ابن القيم رحمه الله:

---

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: أضواء على أوضاعنا السياسية: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، دار القلم، الكويت، ط١/ ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ،١/ ٤٣ .

(٢) سورة آل عمران: الآيتان ١٩٠- ١٩١ .

(٣) سورة الذاريات: الآيتان ٢٠- ٢١ .

لا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع، والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما، والآخر: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر.. فالعالِم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله... ومن تأمل الشريعَة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم .[1]

ةةةةةة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين :-

وبعد: فإنِّي وبعد ما تقدم من مطالب تناولت فيها جوانب مهمة فيما يتعلق بتجديد وسائل الدعوة حيث ركزت فيها على محورين أساسيين لإنجاح الدعوة بالشكل المعاصر الذي يواكب العصر، وتتمثل بالجانب الزماني، والمكاني، وكيفية توظيفها لصالح الدعوة بالشكل الذي يحقق أعلى مستوى من الايجابيات، ويتحاشى السلبيات أو يقلل من الوقوع فيها؛ لأنَّ الخطأ دليل العمل، فليس العيب فيمن يعمل في المجال الدعوي، وتحدث في عمله أخطاء غير مقصودة ثم يقوم بتصحيحها؛ لأنَّ الخطأ سمة البشر، وكل تجربة لا بد أن تتخللها أخطاء، وإنما العيب فيمن لا يعمل ويبقى في إطار التنظير القولي فقط،

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ١/ ٦٩ .

ومن المعيب أيضا أن يعمل المرء ويخطئ، ولا يصحح مسار العمل ويتلافى الأخطاء، ويستمر في تكرار التجارب الفاشلة، ولا يطور من جهده ليواكب العصر، ولا يقتبس من التجارب الناجحة، والخطأ أيضا فيمن يبقى جامدا خامدا على منهج قديم عفا عليه الزمن، وغادره التاريخ؛ لأن الزمان وعقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء أبدا، وفي الختام أود تسجيل أهم التوصيات والملاحظات التي استنتجت من البحث ومن أهمها:

- ضرورة دعم المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية في الخارج، وإنشاء المزيد منها .

- السعي إلى إنشاء معاهد ومراكز أبحاث إسلامية بلغات متعددة، ولاسيما باللغتين الانكليزية والفرنسية، وإمدادها بكل الإمكانيات اللازمة؛ لأداء رسالتها العظيمة في الدعوة إلى الله، وتصحيح المفاهيم العالقة في أذهان الغربيين بسبب التشويش الإعلامي والحملات العدائية المضادة، إذ لا بد من معالجة ما علق في أفكارهم من تصورات خاطئة عن الدين الإسلامي والشعوب الإسلامية .

- ولا بد من القيام بدورات تدريبية للدعاة تتناول أحدث أساليب الدعوة، وتناول آخر دراسة منهجية في علم النفس الإنساني وعلم الاجتماع؛ لتنمية مواهب الدعاة وتجديد قدراتهم فيما يتعلق بمعرفة نفسية المخاطبين، وكذا ينبغي رفدهم بآخر الأبحاث العلمية فيما يتعلق بفن الخطابة والإلقاء، وأساليب التأثير، ودراسة توجهات الرأي العام، وتطلعاتهم، ومخاطبتهم بما يليق بأحوالهم، وبما يتناسب مع حيثيات الزمان والمكان والبيئة والظروف التي يعيشها الداعية والمدعوين .

- ومع انبثاق العديد من الفضائيات الإسلامية، فإنَّ الأمة بأمس الحاجة إلى وضع إستراتيجية إعلامية تأخذ على عاتقها توحيد الخطاب الدعوي، وتحديد الأهداف المنشودة، وتحييد من لا يشكل خطرا على الإسلام من ساحة المواجهة، وصب الجهود

وتركيزها في الاتجاه الصحيح، وذلك بوضع خطة برامج معاصرة تواكب الحدث بكل تحدياته وتفاصيله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

❊ ❊ ❊

ةةةةةةة ةةةةةةةة ةةةةةة

ـ القرآن الكريم .

١. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستِشراق - الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه (دراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، ط٨/ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢. أربع قواعد تدور الأحكام عليها: محمد عبد الوهاب التميمي، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، صالح بن محمد الحسن، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، ط/ بدون تاريخ .

٣. أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم: للأستاذ وسيم فتح الله، مصدر الكتاب: موقع الإسلام:

. http: / /www.al-islam.com

٤. أساليب الدعوة والإرشاد، د. محمد أمين بني عامر، منشور الكترونيا:

. http: / /www.alukah.net /Library /0 /29227 /#ixzz1eQKzobil

٥. الإسلام وحقائق العلم: محمود عبد الرؤوف قاسم، دار البشير، عمان، ط٤/ ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م .

٦. الأسلوب: لأحمد الشايب، (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) ، مكتبة النهضة، جمهورية مصر العربية، ط١٢/ ٢٠٠٣ م .

٧. إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية محي الدين عبد الحليم،

كتاب الأمة، العدد ٦٤، السنة الثامنة عشر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، يونيو - يوليو، ط/ ١٩٩٨م .

٨. أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩/ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٩. أضواء على أوضاعنا السياسية: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، دار القلم، الكويت، ط١/ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .

١٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٩٩١م .

١١. التدرج في دعوة النبي ﷺ: إبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤١٧هـ .

١٢. تفسير القرآن العظيم: لابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٩ هـ .

١٣. التلوث الفكري: حسن التل، دار اللواء للنشر، الأردن، ط١/ ١٩٩٥م .

١٤. التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته: علي بن إبراهيم الحمد النملة، الرياض، مكتبة التوبة، ط١٢/ ١٤١٩ هـ .

١٥. تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ٢٠٠١م .

١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م .

١٧. جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١/ ١٩٨٧م .

١٨. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٣هـ .

١٩. الدعوة الإسلامية: الوسائل والخطط والمداخل: د. طه جابر العلواني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط١/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

٢٠. الدعوة الإصلاحية: عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، دار التدمرية، ط٣/ السنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م .

٢١. دعوة الجماهير ومكونات الخطاب: د.عبد الله الزبير عبد الرحمن، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دول قطر، ط/ ١٤٢١هـ .

٢٢. دور الإعلام في التضامن الإسلامي: إبراهيم إمام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١٦/ العدد (٦١) محرم- صفر- ربيع الأول ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٢٣. دور شبكة الإنترنت في نشر الدعوة الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد ،٥١٦ بتاريخ ١١/ ٩/ ٢٠٠٨م، منشور الكترونيا.

http: //alwaei.com\index ph

٢٤. ديوان طرفة بن العبد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٥. سنن ابن ماجه: لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، بدون تأريخ.

٢٦. سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون تأريخ .

٢٧. السياسة الشرعية للأقليات الإسلامية: الأستاذ أحمد خميس: منشور الكترونيا /http://www.assakina.com/politics/٦٥٦٧. html#ixzz١e٢noumBX .

٢٨. شرح النووي على صحيح مسلم: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٢/ ١٣٩٢هـ .

٢٩. شرح ديوان الحماسة: لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ)، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٤٢٤ هـ .

٣٠. صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١/ ١٤٢٢هـ .

٣١. صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (المتوفى ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ بدون تاريخ .

٣٢. صحيفة الوطن الكويتية: ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٤م .

٣٣. العلم والدعوة: للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٠٨هـ .

٣٤. الفائق في غريب الحديث والأثر: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري

(المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، ط٢/ بدون تاريخ .

٣٥. الفضائيات الإسلامية: حسن السوداني، مجلة النبأ، عدد ٦٦، لشهر محرم، ١٤٢٣هـ .

٣٦. الفضائيات الوافدة وسلطة الصورة: ياسر خضير البياتي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٦٧ نيسان/ ٢٠٠١م .

٣٧.فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢١هـ .

٣٨. الفقه السياسي للوثائق النبوية: د. خالد سليمان الفهداوي، دار عمار، الأردن، ط١/ بدون تاريخ .

٣٩.في ظلال القرآن: للأستاذ سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٣٤/ ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م .

٤٠.القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢/ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٤١. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: دار صادر، بيروت، ط١/ بدون تاريخ .

٤٢. اللوبي الصهيوني والهيمنة على وسائل الإعلام: محمد نصر خوالدة، مجلة الحقائق، عدد(٢٥) مايو لسنة ٢٠٠٥ .

٤٣. مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة

النبوية، المملكة العربية السعودية، ط/ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٤. مجموعة الوثائق السياسية: د. محمد حميد الله، دار الإرشاد، بيروت، ط٣/ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م .

٤٥. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى ٤٣٠هـ)، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٩٩٦م .

٤٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت ط/ بدون تاريخ .

٤٧. مصنف عبد الرزاق: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (المتوفى ٢١٢ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢/ ١٤٠٣ هـ .

٤٨. المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى ٣٦٠ هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله ابن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسني، دار الحرمين، القاهرة، ط/ ١٤١٥ هـ .

٤٩. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة - مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط/ بدون تأريخ .

٥٠. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣/ بدون تاريخ .

٥١. منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر: عدنان بن محمد آل عرعور، وهو كتاب حائز على جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز للسنة والدراسات والإسلامية المعاصرة ،المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٦هـ -٢٠٠٦م .

٥٢. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام: د.حمود بن أحمد بن فرج

-21-

ةةةةةةةة ةةةةةةةة

ةة ةةةةةة ةةةةةة

(ةةةةةةة ةةةةةةةً)

ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةة ةةة

ةةةةةة ةة(ةةةةةة ةةةةةةةةةةة ةةةةةة ةةةةة)

الدكتور أحمد عبد الستار كامل

كلية الامام الاعظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ/ سامراء

ةةةةةةة

إنماز القرن العشرون بتطور سريع طال جميع ميادين الحياة بما فيها المعارف والعلوم، والتقنيات التي أصبحت تعالج وتتبادل عبر قنوات متطورة ومتنوعة للإيصال والمشاركة والمواكبة العصرية، وليست لغتنا العربية بمنأى عن هذا الوضع ومعايشته، لاسيما وأنها تحتل صدارة اللغات قياساً بعدد الناطقين بها، فهي لغةٌ لأكثر من (٣٠٠) مليون شخص، تتقدمها اللغة الإنجليزية والاسبانية لعوامل مهمة منها القوة والحضارة التي تكمن عند أهلها.

لقد استرعت قضية تقنية إدخال اللغة العربية في الحاسوب، أو تعريبه، منذ مطالع سبعينيات العقد الماضي، اهتمام العديد من الأخصائيين في تقانة المعلوماتيات والبرمجيات، وكذا اللسانيات من مختلف أقطار الوطن العربي وبلاد المغرب العربي تحديداً كما سيأتي.

ونظراً إلى كثرة الملحوظة في تعدد البحوث والمشاريع الإصلاحية التي عُنيت بالحرف العربي في العقود الأخيرة والتي بلغ عددها ما يقرب من (٣٠٠) مشروع بحسب بعض التقديرات، كما تعددت المؤتمرات والندوات والمناظرات التي عقدت للغرض نفسه . ولما كان علم الحاسوب النظري قسماً رئيساً، بل قسيم القسمين الباقيين من علم الحاسوب[1] مهتماً بدراسة اللغات الصورية، ونظريات الحوسبة المعروفة بـ(الخوارزميات) سعى هذا البحث إلى أن يكون محاولة لا تبعد كثيراً عما سبقها، في العمل على مواكبة العصر ارتقاءً بلغتنا والعمل على خدمتها، بمحاوره الخمس، الأول منها في، الدرس اللساني

(١) يقسم علم الحاسوب على ثلاثة أقسام:١.علم الحاسوب النظري بينا ميدانه٢.علم الحاسوب العملي(يدرس مهارات ترجمة اللغات الصورية...) ٣. علم الحاسوب التطبيقي (يهتم بتطبيقات الحاسوب كالتصميم والتصنيع ...) .

للحاسوب، والثاني في: الترجمة الآلية، فيما عمد الثالث الى: مصادر اللغة والحاسوب، والرابع ضم: دور التعريب في علم المصطلح، فيما جاء المحور الخامس في: الدور التعليمي للحاسوب للغة العربية، مسبوقاً بمقدمة تعريفية، ومشفوعاً بخاتمةٍ تظهر نتائج البحث وما انتهى إليه .

إنَّ المراقب والمتابع للمشهد اللغوي العربي المعاصر، وما يكتنفه من مواجهات وتحديات كبيرة، فاللغة العربية تلك القلعة الشامخة ،التي تحطمت على صخرتها جميع محاولات التآمر منذ أيام (سبيتا) عام ١٨٨٠م ودعوته الى إحلال العامية محل العربية الفصحى، واستبدال الحرف العربي باللاتيني[١]، انتهاءً بدعوة بعض المحسوبين على العربية ممن حاولوا التقليل والانتقاص من شأن العربية ومكانتها[٢] وحضورها .

وقبل الختام أقول: لقد أفادت هذه الصفحات من مصادرة متنوعة، ومشاريع متعددة، وهي بذلك تدعو بالمغفرة والرحمة للسالفين، وبمزيد من العطاء للخالفين، أملةً ان تكون قد أجادت عنهم الفهم، وأن يتسامحوا إذا اتكأنا عليهم في كثير من أشواط هذه الرحلة .

وفي الختام لستُ أدعي أنني بلغتُ بما قدمت في هذا البحث، منتهى مقاصده، وحسبي أني اجتهدتُ فيما سعيتُ والحمد لله رب العالمين .

❊ ❊ ❊

(١) الإشارة هنا الى سياسة التتريك على يد مصطفى كمال أتاتورك .

(٢) المقصودون هنا هم(سلامة موسى، وعبد العزيز فهمي، وعلي الوردي، واسماعيل مظهر) .

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةةةةة ةةةةةةةةة

إن صح هذا المصطلح على نمط التوليف بين اللغة والحاسوب، فمبادئ هذا العلم تقوم على تصورٍ نظري يضع في مخيلته أن آلة الحاسوب عقلاً بشرياً، محاولاً استكناه العمليات العقلية التي يقوم بها العقل الانساني لإنتاج اللغة وفهمها وإدراكها، لكنها تستدرك على هذه الآلة أنها جهاز أصمٌّ، لا يستعمل إلا وفق البرنامج الذي صممه الإنسان له، ولذلك ينبغي توصيف المواد اللغوية توصيفاً دقيقاً يستنفد كل الإشكالات التي يستطيع الانسان إدراكها، ويأتي الغرض من هذا التوصيف أن نصل به إلى مرتبة الكفاية في اللغات الحية، ليتوفر شرط الترجمة الرئيس، ولنبلغ بالترجمة الآلية مبلغ الفائدة العظمى من الحاسوب في توفير الوقت والجهد والمال[1] .

ولا يخفى ما شهدته الدراسات المعنية باللسانيات الحاسوبية العربية من تطور لافت، وبقي النجاح الذي حققه الكثير من الباحثين العرب في توصيف موضوعات لغوية مهمة، استعمل في الترجمة الآلية من جهة، وتعليم اللغة العربية من جهة أخرى[2] .

وتعد هذه الاتجاهات والمناحي هدفاً مهماً في توصيف النظام اللغوي للحاسوب، فهو تجاوز وصف العربية المتعارف عليه إلى استقراء المعطيات المدركة بالحس لدى العربي البالغ من العلم بالعربية حد الكفاية، حيث يمضي هذا التوصيف إلى استشفاف

(١) ينظر: اللسانيات التطبيقية، وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وليد العناني: ٥٤ – ٥٥ .
(٢) لعل أهم ما وضع في هذا السياق كتاب، العربية نحو توصيف جديد في ضوء علم اللسانيات الحاسوبية د.نهاد موسى، إذ جاء توصيفاً مستوعباً لأنظمة اللغة العربية المتعددة .

ما تنضوي وراءه تلك المعطيات، وما يستخفي في ثنايا تشكيلها من نواظم وأدلة تمكننا من تمثيل هذا النظام لذاكرة بيضاء[1] .

ومثل هذه الانماط من الدراسة تسعى إلى أن يتلمس للعربية ملامح توصيفٍ يُشخص المقولات اللغوية من أجل الاهتداء إلى تلك النواظم والادلة المسكوت عنها، وتكمن وسيلة هذا الاهتداء في التلطف لاستظهار (العمليات التلقائية) التي يقوم بها العقل العربي، في ممارسة الكفاية اللغوية تركيباً وتحليلاً[2] .

فالمعالجة اللغوية علمٌ فرعي من علوم الذكاء الاصطناعي، وتتداخل بشكلٍ كبير مع علوم اللغويات التي تقدم التوصيف اللغوي المطلوب للحاسوب.

وهذا العِلم يمكننا من صناعة برمجيات تتمكن من تحليل ومحاكاة فهم اللغات الطبيعية، والهدف الرئيس منه هو جعل التعامل مع الحاسوب يكون بلغةٍ أقرب إلى اللغة الطبيعية، والافادة منها لأجل هدف معلوم ومحدد مسبقاً، والعلم الذي له علاقة بمعالجة اللغة هو علم اللغة الحاسوبي، ولهذا يُعرّف بأكثر الطرق اختصارا بأنَّه: العلم الذي يهتم بدراسة طرق الحاسوب للمسائل اللغوية، والاشكالات العالقة الشائعة لمعالجة الحاسوب للغة المكتوبة والمنطوقة[3].

لعل القارئ الكريم قد اتضحت في ذهنه أهمية اللغة في ضوء تطور نظم المعلوماتية عبر مراحلها المتعددة، فالتطورات النوعية التي واكبت تطور الحاسوب خلال نصف القرن المنصرم[4]، أدت به في النهاية إلى مواجهة حاسمة مع منظومة اللغة على اتساعها، غير أنَّ

(١) العربية نحو توصيف جديد تعبر الناطقين بها: ١٩ .
(٢) ينظر: العربية نحو توصيف جديد تعبر الناطقين بها: ١٩ .
(٣) مجلة لغة العصر، المقال الأول: ٥ .
(٤) يمكننا بيان مراحل هذا التطور بإشارة سريعة توضحها الفقرات الثلاث الآتية :

سبل ذم هذه المواجهة وإطلاقها بصورة عابرة غير ممكن البتة؛ لأنَّ سبل الإثارة والتحدي على جهاز الحاسوب فرضت عليه هذه المواجهة مع اللغة ضرورة الارتقاء بكثيرٍ من خصائصها وقدراته حتى يتهيأ لهذا اللقاء المثير، ويستعد استعداداً كاملاً لسبل المواجهة[1].

إنَّ المناحي التي اشتمل عليها نظام الحاسوب كزيادة السرعة الحاسوبية، وسعة ذاكرته القوية، وطاقة تخزين وسائطه المغناطيسية والضوئية، وأساليب برمجته التي سعت إلى التخلص من طابعها القطعي الخوارزمي؛ لكونه لا يستطيع التعامل إلا مع المُدخلات الصريحة والظاهرة[2].

وتبقى كُلّ هذه التطبيقات التكنلوجية بحاجة ماسة إلى اللغة، بل أحدثت اللغة نظاماً متطوراً في منظومة الحاسوب، فنظام الجيل السادس الذي طورّته اليابان، لدليلٌ صارخٌ واضح على أثر اللغة وما احدثته فيه، حيث نلحظ منه عمق الترابط العضوي بين منظومة الحاسوب وتطبيقاته وعلاقته باللغة، فتطبيقات هذا النظام الأربعة للجيل السادس من الحواسيب المتمثلة بـ:

١. النظم الخبيرة.

٢. الترجمة الآلية.

أ- في الخمسينات والستينات استعمل الحاسوب كآلة لسحق الأرقام، مقتصراً في تطبيقاته على النواحي التجارية، والعمليات الحسابية، تنتج عنه (الفواتير، والحسابات المصرفية، . . .) .

ب- في السبعينات: تطور عمل الحاسوب ليصبح آله لمعالجة المعلومات، من حيث التمرين والحذف والإضافة، والتعديل .

ت- في الثمانينات تطور عمل الحاسوب من كونه آلة لمعالجة المعلومات، إلى نظام معرفي أدى به إلى المواجهة الحاسمة بين الحاسوب، ومنظومه اللغة، وأدى ذلك إلى توثيق وتأجيل العلاقة بين اللغة والحاسوب بصورة قل نظيرها، ومثيلها، ينظر: اللغة العربية والحاسوب، نبيل علي: ١٤٦ .

(١) اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، وليد الحاج: ٢٢ .

(٢) يُنظر: اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة: ٢٣ .

٣. النظم الذكية للإنسان .

٤. تطبيقات مساندة للحاسوب للتصميم والتصنيع[١] .

اثبتت هذه التطبيقات التكنلوجية مسيس حاجتها إلى اللغة، فالنظم الخبيرة بها حاجة إلى تخزين المصارف التي تؤسس عليها خبرتها، وبالتالي فهي بها حاجة إلى اللغة بوصفها أهمُّ وسيلة من وسائل نقل المعرفة وتمثيلها .

فضلاً عن النظم الذكية للإنسان الآلي فهي بطبيعتها تحتاج إلى قدرات لغوية تعمل على استيعاب الأوامر وتواصل مع العقل البشري .

❊ ❊ ❊

(١) قسمه العلماء المختصون على ثلاثة أقسام:
ا- علم الحاسوب النظري
ب- علم الحاسوب العلمي
ت- التطبيقي وعدوا القسمان الأوليان انهما على علاقة وشيجة باللغة .

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةة ةةةةة

تمثل الترجمة الآلية بحكم طبيعتها تطبيق لغوي صرف[١]؛ لأنَّ الترجمة بوصفها فنَّاً قديم يعود إلى الآف السنين، ودعت الحاجة إليه بسبب تعدد الحضارات والحاجة إلى نقل العلم والمعارف والآداب للاستفادة والاستزادة من التقدم العلمي والمعرفي والأدبي[٢] .

وازدهرت حركة الترجمة ازدهاراً ملحوظاً في العصر العباسي حيث يحكى أنَّ الخليفة العباسي المأمون كان يشجع على الترجمة تشجيعاً شديداً وكان يعطي كل من يترجم له كتاباً من اللغة اليونانية أو الرومانية أو غيرها ما يعادل وزن الكتاب ذهباً[٣] .

ومن الكتب الأدبية المشهورة في العهد الإسلامي كتاب (كليلة ودمنة) الذي عربه الأديب عبد الله بن المقفع عن الهندية؛ وهو يروي حكايات عن ألسنة الطيور والحيوانات فيها حكم ونصائح[٤].

فالترجمة بهذا الوصف تُعد مرحلة أساسية لعملية الاتصال المعرفي، وما يتصل بذلك من جوانب علمية وفنية وأخلاقية .

إنَّ الكلمة أو المصطلح المراد ترجمته يُقدمان على هيئة تحليلات وتقارير وبيانات ويتم

(١) يُنظر: اللغة العربية ووسائل الاتصال المحدثة: ٢٣ .
(٢) يُنظر: تاريخ الترجمات العبرية الحديثة: ١ – ١٢؛ وأثر الترجمة في الكتب المقدسة السابقة للإسلام: ٣ – ١٤؛ دراسات في الترجمة ؛ وحركة الترجمة في المشرق الإسلامي، رشيد الجميلي: ٩٠
(٣) مقدمة ابن خلدون: ٣ .
(٤) يُنظر: كتاب كليلة ودمنة: ٥٨ .

بعد ذلك نشرها عبر التدقيق اللغوي والمنهجي؛ لأنَّ الكلمات والمصطلحات لا تُستمد معانيها من طبيعتها المادية، بدعوة أنَّها سلسلة من المعاني على سبيل المثال، لكنها تستمدها من الأغراض التي تؤديها في نقل المضمون غير المادي وقيمة المصطلح، وتأسيساً على هذا تكون الترجمة في مجال العلوم داعماً مساهماً في العمل الجامعي بالنسبة للطلبة الجامعيين في مراحل التدرج وما بعد التدرج، وداعماً مهماً للمؤسسات المختلفة في عصر العولمة وسرعة تغير المصطلحات دون التغيير في روحها، فمن أهداف الاتصال استرجاع معاني الكلمات مع ربطها بالأثر المبحوث عنه، والمستهدف بخصوص المستفيدين من عملية الترجمة[1].

وبعد هذا الاستطراد الجانبي الذي أحسبه يقع من المنفعة بمكان، يمكنني أن أجمل أهم البحوث والدراسات التي عُنيت بحوسبة اللغة العربية؛ لأنَّ مثل هذا الإجمال أو العرض يعرض بصورة مباشرة تبصر هذه الدراسات في الظاهرة اللغوية من الجوانب التي تقتضيها المعالجة الحاسوبية، وهي معالجة تنشد أن تودع في الحاسوب ما يستودعه العقل الانساني من القواعد والمعطيات... أو هي كفاية أدائية منهجية تناظر كفاية الإنسان العربي العارف بلغته، القادر على تمييز المكتوب والمنطوق وتأليفها، وتبيِّنُ الاعرابات واجرائها، وفهم دلالات الألفاظ ووجوه استعمالها وتصحيح الاملاء، كما يرى باحث عربي بذلك[2].

وتنتظم هذه الوجوه في ثلاثة أضرب: الندوات، المؤلفات، والبرامج، ولعل ما يصدق به المقال في مسلك اللسانيات الحاسوبية ((الندوة التي عقدها المركز القومي للتنسيق

(١) ترجمة طائفة الأحمدية لمعاني القرآن الكريم إلى الألمانية دراسة وتقديم محمد أحمد منصور: ١ – ١٥ . ويُنظر: أصالة الحضارة العربية، معروف ناجي: ٤٣٠ .

(٢) يُنظر: اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة: ٢٦ – ٢٨ .

والتخطيط والبحث العلمي والتقني في المغرب العربي بالتعاون مع معهد الدراسات والأبحاث لشؤون التعريب في المغرب في عام (١٩٨٣م) وقد انتظمت ابحاث هذه الندوة في كتاب سُمي ((اللسانيات العربية التطبيقية والمعالجة الاشارية والمعلوماتية)).

وعرض الكتاب مشكلة تنوع الأداء المنطوق، كما أشار إلى تقنيات تأليف الكلام وتمييزه، وألمح كذلك إلى دور الحاسوب في الترجمة، وأهم المشاكل[1] أو المشكلات التي تعتور طريق هذه التقنيات الواعدة آنذاك وجاءت ندوة (استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) التي عُقدت في دولة الكويت عام (١٩٨٥م) فانتظمت فيها مباحث

(١) يظن البعض أن جمع مشكلة لا يجوز إلا على (مشكلات) وأن جمعها على (مشاكل) جمع خاطئ وهؤلاء لديهم شبهة أن (مشكلة) هي اسم فاعل من الرباعي، فيطرد فيها جمع التصحيح بالألف والتاء فنقول: ((مسائل مشكلات)) ولكن غاب عنهم أمران:
الأمر الأول: أن هذه الصفة قد صارت من الصفات التي غلبت عليها الأسمية فبعد أن كانت وصفاً لشيء الملتبس، صارت تستعمل اسماً من دون الحاجة إلى تقدير موصوف محذوف، وصارت بمعنى (العقدة) بدليل أنها أصبحت توصف كما توصف الاسماء فأنت تقول: ((هذه مشكلة معقدة)) وتضاف كما تضاف الاسماء فتقول: ما مشكلة زيدٍ؟ ولا يصح هنا تقدير موصوف، والصفة اذا اغلبت عليها الاسمية جاز جمعها جمع تكسير كالأسماء، فهي في ذلك مثل (مصيبة – مصائب)، وقد تقرر في باب جموع التكسير أن اسم الفاعل أو المفعول من الرباعي وما فوقه يجمع على (فعالل وشبهه) ويعضده قول ابن مالك: وبفعالل وشبهه انطقا... في جمع ما فوق الثلاثي ارتقى .
والمراد بشبه (فعالل) ما ماثله عدداً وهيئة وإن خالفه وزناً كمفاعل وفواعل وفياعل وأفاعل، أي: المفرد الذي زاد على ثلاثة يطر جمعه على مفاعل سواءً أكان مختوماً بالهاء كـ (مهلكة – مهالك) و(مشكلة – مشاكل) و(مكرمة – مكارم) يُنظر: شرح ابن عقيل: ٤ / ١٣٣ . الأمر الثاني: فضلاً عن ما تقدم فقد ورد الاستعمال الصحيح بهذا الجمع، فقد جاء في خزانة الأدب للبغدادي قول أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ:

لعمري لقد كُلفت وجداً بأحمد وأحببتُهُ دأب المحب والمواصل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها وزيناً لمن والاه ربّ المشاكل

قال البغدادي: المشاكل، جمع مشكلة؛ فينظر: خزانة الأدب: ٢ / ٧٣ .

عربية حاسوبية في اتجاه تمثيل النظام الصوتي للغة العربية حاسوبياً، ومن أهم بحوث هذه الندوة ما كتبه الدكتور محمد مراياتي ((معالجة الكلام اللغوي آلياً، تطبيق على اللغة العربية آلياً)) وكذلك ما خطه الدكتور يحيى هلال ((التحليل الصرفي للعربية حاسوبياً)).

وانتظم السجل العلمي لندوة (استعمال اللغة العربية في تقنية المعلومات) التي نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ العامة بالرياض عام (١٩٩٢م) حزمة عريضة ومتنوعة من مباحث هذا الموضوع حيث قدم محمد علي الزركان بحثاً جميلاً وممتعاً عنوانه ((اللسانيات وبرمجة اللغة العربية في الحاسوب)) عرض فيه الباحث نظاماً حاسوبياً على مستوى المعجم خاصة، استقرأ فيه مواضع اللبس في الكلمة المفردة، ومواضع في تباين المنطوق والمكتوب[1] وتمثيل الدلالة الصرفية لأوزان الأفعال حاسوبياً (محمد الخياط)، ومثله برمجة التعبيرات المسكوكة في اللغة العربية للباحث (محمد الحناش).

وقد انتظمت هذه البحوث انتظاماً جميلاً في أعمال الندوة المنتظمة في مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية عام (١٩٩٣م) والمنعقدة تحت عنوان (اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المقدمة)[2] .

❊ ❊ ❊

(١) فصل القول فيها كثير من علماء اللغة حول هل يمثل اسم الحرف العربي تمثيلاً صحيحاً مطابقاً لنطق اللسان بهذا الصوت، والحرف هو الرمز الدال على الصوت، والصوت هو حركة اعضاء النطق المسموعة. يُنظر: المدخل إلى علم الأصوات العربية: د. غانم قدوري الحمد: ١٦٦ .

(٢) يُنظر: مجلة التواصل الإنساني، مجلة دولية محكمة في اللسانيات العامة، ٣ / اعداد: أ. د. محمد الحماش.

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةة ةةةةة ةةةةةةة

*** ومن أهم المصادر والمراجع المتخصصة في هذا الموضوع :**

١. كتاب اللغة العربية والحاسوب د. نبيل علي، دار التعريب بالرباط ١٩٨٨ .

ويمثل هذا الكتاب دراسة بحثية لقضية اللغة (قمة علوم اللسانيات) والحاسوب (ذروة التقنيات الحديثة) واستشرف طموح المؤلف إلى (استخدام اللغات البشرية للتحاور مع الآلة)[١] فإنَّه احترس احتراساً حميداً بأن بحثه هذا ((لا يعدو أن يكون مجرد بداية ستحتاج إلى التوسيع والتفصيل والتعميق))[٢] .

٢. كتاب (الحاسوب واللغة العربية) للدكتور عبد ذياب العجيلي، الصادر عن جامعة اليرموك عام (١٩٩٦م) وقد عرض الباحث في كتابه مسائل متنوعة من اللغة العربية بلغة برولوج (Brolog) وهو جهد كبير يُتّوج تحت اتجاه الدراسات البينية المتعلقة باللغة العربية والحاسوب[٣] .

ولا يُنكر فضل بعض الشركات والمصانع والمنظمات الأخرى في خدمة هذا المجال وعلى سبيل الذكر ما عملت عليه شركة صخر لأنظمة المعلومات العربية في اتجاهاتها الثلاثة المتمثلة بالآتي:

١. المعالج الصرفي الآلي متعدد الأطوار الذي يقوم بتحليل الكلمات العربية آلياً إلى

(١) اللغة العربية والحاسوب: ١٤ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) اللغة العربية والحاسوب: ١٣ .

جذورها وموازينها الصرفية .

٢. المعجم العربي المميكن[١]: وهو يعمل على إمداد المعالج النحوي بكلمات الجملة يُعد تحديداً دقيقاً لأقسام الكلم لكل من مفرداتها وهو مطلب أساسي للمعالجات النحوية.

٣. المعالج النحوي متعدد الأطوار: ويقوم بإعراب الجمل وتشكيلها تلقائياً[٢] .

والسؤال المتبادر إلى الذهن هنا، بعد هذا العرض والاستطراد، هل يمكننا أن نسلم لكل ما سبق ذكره ونعطي تخويلاً دون أي اعتراض أو مأخذ حول هذه المحاولات التعريبية لهذه الآلة أو الجهاز المعروف بـ (الحاسوب)[٣] .

❊ ❊ ❊

(١) من الميكانيكية، أي: عمل آلي .

(٢) اللغة العربية ورسائل الاتصال الحديثة: ٣٤ – ٣٦ .

(٣) يُنظر: الحاسوب ومجاميع اللغة العربية: ندوة أقامها مجمع اللغة العربية الأردني لعام ١٩٨٦م: ١٢– ١٣.

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة

أقول: إنَّ الموقف الآن من تعريب الحاسوب ونظم المعلومات لا يخرج عن كونه صورة واضحة لنتائج ازمتنا اللغوية الحادة ولواقع مركزنا التقني والعلمي المُتأزم، لذا من الباحثين من سعى إلى تحديد ملامح الصورة العامة للوضع الراهن لتعريب الحاسوب أجملها بأمورٍ أربع هي:

١. استيعاب اللغة العربية في نطاق التقنيات المعجمة أصلاً لـ (الإنجليزية):

يتم في ظل هذا الوضع اتباع طرق عدة يمكن أن يوصف بعضها بالتعسفية التي تتمحور لإخضاع اللغة العربية لقيود فرضتها اللغة الانجليزية، حيث يغلب عليها الطابع الفني غير اللغوي مثل تبسيط اللغة العربية عن طريق تقليل عدد أشكال الحروف، وإغفال حركات التشكيل، وتجنب قواعد الإعلال والإبدال . . . الخ[١] .

وتحويل النصوص العربية إلى مقابلها الصوتي بالحروف اللاتينية أيضاً، وذلك لإعدادها للمعالجة الآلية، نحو ترجمة عنوانات الكتب، واسماء مؤلفيها إلى اللاتينية في نظم قواعد المعلومات البيلوغرافية[٢] .

---

(١) يذهب رأيي في هذا إلى أنها عملية مقصودة قد تكون امتداداً لدعوى سابقيهم ممن طالبوا بشيوع العامية بدل الفصحى أمثال:(سبيتا، وولهام سميث) أو لغة ومنطق الأقوى؛ لأن شأن اللغات من شأن اقوامها وقوتهم .

(٢) يُنظر: اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة: ٢٩، البيلوغرافية: يكاد يتفق المهتمون إن لم نَقُل يُجمعون على أنَّ أصل الكلمة يوناني مركب من كلمتين (bibiio) وتعني (كُتيب)، وهي صورة التصغير المأخوذة من (biblios) وتعني (كُتاب)، وكلمة (graphia) وهي اسم الفعل من (graphien)

٢. سطحية التعريب: إنَّ معظم الجهود التي انصبت على كيفية طباعة النصوص العربية واظهارها على الشاشات، وكنتيجة ضمنية لهذه السطحية اللغوية، طغى الجانب الفني على الجانب اللغوي، وظلَّ الحوار بين اختصاصي الحاسوب واللغويين شبه معدوم[١].

٣. الاعتماد على غير الأَكْفاء[٢] في اللغة العربية :

إنَّ معظم جهود نظم المعلوماتية ظل يفد إلينا من خارج الوطن العربي ولا سيما من الدول المهيمنة هيمنة كاملة بلغت جميع الأصعدة، كالولايات المتحدة الأميركية، وكندا، وبريطانيا، وفرنسا، على الرغم من ظهور بوادر عمل عربي من بعض الشركات والمؤسسات العربية الأخيرة، وكان لدولة العراق فضل السِبق بهذا إذ عملت ((المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمركز القومي للحاسبات الآلية في العراق)) عملاً عظيماً وعناية فائقة كتعريب نظم المعلوماتية، ومثلها معهد بحوث الالكترونيات بالمركز القومي بمصر وغيرها[٣].

٤. النظر الكبير إلى توسعة دائرة البحث العلمي؛ لأن غياب البحوث الأساسية في حقل لسانيات الحوسبة العربية ،لايزال دون المستوى المطلوب في حقل تطوير نُظم

بمعنى ينسخ أو يَكْتُب، وتعني في أصلها اللغوي (كتابة الكُتب)، أو نسخ الكُتب، وتطور معناها في القرن السابع عشر إلى مدلولٍ فكري عام هو (الكتابة عن الكُتب)، أو هي اصطلاحا: دراسة الشكل المادي للكُتب، أو المتضلع في معرفة الكُتب، أو هو علم وصف الكتب والتعريف بها ضمن حدود وقواعد معينة. ينظر: مدخل إلى علم البيليوغرافيا، صوفي عبداللطيف: ٢٦ . وقسمها على بيليوغرافيات عامة ومحددة.

(١) يُنظر: الحاسوب ومجاميع اللغة العربية: ٢٧ .

(٢) يُخطأ الكثير من المتحدثين بضبط حركة (كاف) هذه اللفظة فينطقها على الخفة بالكسر(الأكِفاء) وهذا الجمع يصدق على مكفوفي البصر، والصواب التسكين من (الكُفْءُ) وهو النظير أو المساوي ينظر: لسان العرب:١/ ١٣٩(كفأ) .

(٣) إن عملية تطوير الصناعة والمعادن وإنشاء دليل تعريف لصناعات متعددة ومتنوعة وباللغة العربية ينمي دور انتشار اللغة عند تسويقها إلى السوق العالمية والدول غير الضليعة بالعربية لغةً .

المعلوماتية وعلاقتها باللغة العربية تحت عنوان (اللسانيات العربية الحاسوبية)[1] .

ويمكن تقسيم مستويات اللغة العاملة تحت الأنشطة التي تندرج تحت معالجات اللغات هي ثلاث مستويات:

الأول: تعليمات الحاسوب الطبيعية: وهو المجال الذي يبحث في إيجاد طرق تسمح للحاسب بفهم التعليمات المعطاة إليه بلغة طبيعية؛ لأنَّ الهدف الأساس من معالجات اللغات هو جعل التعامل مع الحاسوب يتم بلغة أقرب ما تكون إلى اللغة الطبيعية، وتتحول اللغة هنا في هذا المستوى إلى صيغ من التعليمات والأوامر والأسئلة وطلب المساعدة... وبهذا نستطيع الاتصال مع الحاسوب بلغة طبيعية وجعل الأوامر التي تُلقى إليه بلغة طبيعية أيضاً[2].

الثاني: المصحح اللغوي: وهو المجال المنطقي أو القانوني اللغوي، ويختص بما إذا كانت عبارة غير صحيحة لغوياً، وإيجاد سبب الغرابة أو الخطأ وتحديد مكانهُ، ويتم ذلك عن طريق دراسة قواعد اللغة أو الصيغ العامة للجُمل في اللغة وتحويلها إلى صيغ منطقية رياضية يمكن للحاسوب التعامل معها[3]، واثبات صحة أو خطأ أي جُملة، أو ما يسمى بالنحو الصوري في علوم اللغة .

الثالث: محلل المعاني: وهو الأعمق والأصعب، ونعني به اكتشاف العلاقة بين البِنية السطحية للنص التي تم تمثيلها عن طريق النحو الصوري الرياضي والبِنية العميقة

(١) يُنظر: اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة: ٣٠ .

(٢) ينظر: اللغة العربية والحاسوب: ٤١، وهذا النشاط يمسى: النشاط النفعي، أو تفاعل الإنسان المباشر مع الآلة.

(٣) في هذا إشارة واضحة إلى التعريف القائل: إنَّ علم اللغة الحاسوبي هو دراسة الخوارزميات الحاسوبية لغرض فهم وتوليد الكلام باللغة الطبيعية، وهو الجزء التطبيقي لمعالجة اللغة، ويهدف إلى استخدام مفاهيم الرياضيات والهندسة في حوسبة اللغة، لأنَّ الرياضيات تُعرّف بأنَّها تجميع اللامحدود في معادلة محدودة .

للنص والتي تعني الفهم بكافة مراحله ومستوياته، والذي يعني أيضاً التمثيل الدلالي الرمزي للجُمل[١].

لأنّ فوائد حوسبة اللغة العربية فوائد جمة ؛لأنها تساعد كثيراً في تعليم اللغات سواءً على مستوى اللغة الأم أو اللغة الأجنبية، لما للحاسوب من مزايا عرض متعددة ومختلفة وطرق منهجية تعليمية تساعد على تجسيد الفجوة بين اللغة ومتعلمها[٢] .

والترجمة الآلية والابحاث الجادة من قبل اللغويين ومهندسي الحاسوب من أجل ادخال الحوسبة إلى الترجمة والمصطلح عليه (Mt Manhine Translation).

وهذا الأمر بطبيعته يعتمد على عوامل عدة لعل أهمها تطوير جهاز الحاسوب إلى درجة تمكنه من التعامل مع اللغات في هذا المجال فضلاً عن أعداد اللغات بشكل يتيح للحاسوب التعامل معها[٣] .

وتشكل الترجمة أكبر التحديات للحاسوب في مجال اللغات البشرية؛ لأن التعامل مع اللغة البشرية يعتمد على الملكة العقلية للبشر، وهذه ليست عملاً آلياً كما هو الشأن في الأمور الأخرى كعمليات التصنيع، التي أظهر الحاسوب مقدرة هائلة عليها[٤]؛ لأن تقنية اللغات الانسانية تتطلب جهوداً مشتركة يبذلها علماء اللغة والنفس والهندسة

(١) أعدّت المهندسة جيهان بركات عبدو كتاباً بعنوان: مبادئ أساسية في المترجمات، وهو كتاب يشرح المترجمات بلغة عربية ميسرة، وتناول المراحل الستة، وأهمها:
- المحلل اللفظي (Lexical Analyzer).
- المحلل القواعدي (Syntax Analyzer).
- محلل المعاني (Semantic Analyzer) .
ينظر: مبادئ أساسية في المترجمات: ١٥ .

(٢) يُنظر: اللغة العربية والفكر المستقبلي: عبد العزيز شرف: ٤٥ .

(٣) يُنظر: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية: ٤٦ – ٥٦ .

(٤) يُنظر: اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة: ٢٧ .

والحاسوب، فاختراع آلاتٍ قادرةٍ على التجاوب مع الناس بصورة طبيعية أو الحديث إليهم بصورة تلقائية أمر يتطلب فهماً عميقاً لبنية اللغة ورموزها، كما يفترض معرفة متخصصة بالآليات التي يتبعها الناس لأغراض التواصل بينهم (وهذا ميدان ومجال علم النفس) يتطلب منه دراية معرفية في معالجة الإشارة (وهذا ميدان المتخصصين في الهندسة الكهربائية) إلى معرفة جهود علماء الحاسوب الرامية إلى ايجاد هياكل لبناء نُظم حاسوبية متعددة الوسائط والأساليب لإنتاج الكلام الطبيعي[1] .

والغاية المرجوة من حوسبة العربية يتمثل في تقديم وصفٍ شامل ودقيق للنظام اللغوي للحاسوب تمكنه من مضاهاة الانسان في كفايته وأدائه اللغوي، فيصبح قادراً على تركيب اللغة وتحليلها، ويمثل الرسم الكتابي بالإملاء الصحيح، ومعرفة قواعد النظام فيكشف الأخطاء الإملائية، ويبني الصيغ الصرفية وتعريفها في سياق الكلام، وينشئ الجمل الصحيحة، ويعرب كما يعرب الإنسان المتعلم، ويصحح النطق إذا عثر به اللسان فإذا وردت مثلاً عبارة (صوت مجعز) يحولها إلى (صوت مزعج) .

وتغيير صفته إذا سمع قائلاً يقول: (سباح الخير) بدلاً من (صباح الخير) ...[2]، وما مشاريع ((المصحح الاملائي)) و((المُعّرب))، و((المحّلل الصرفي)) إلا نماذج لمحاكاة ما يتخزنه الإنسان من أدلة الكفاية اللغوية ونماذج وتطبيقيات تمثيل اللغة والحاسوب .

(١) تصدر لهذا القول التمازج بين العلوم الدكتور شحدة فارع في كتابه مقدمات في اللغويات: ٣٢٤ – ٣٢٥ .

(٢) يُنظر: اللغة العربية وتحديات العصر: نهاد موسى: ٥٩ – ٦٠، واللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة: ٣٢ – ٣٣ .

ةةةةةة ةةةةةة
ةةة ةةةةةةة ة ةةة ةةةة ةةةةةة

أمَّا عن دور الحاسوب في تعليم اللغة العربية الفصحى:

تعد الحاجة الماسة إلى دراسة تحليل اللغة العربية العظمى أمراً في غاية الأهمية، نظراً للحاجة إلى ذلك في فهم الكلام العربي المنطوق وتحويله إلى نص مكتوب أو ترجمته إلى لغة أخرى سواءً كان ذلك ترجمته فورية أم غير فورية[١] .

ومن هذه الأهمية يأتي ايضاً فهم اللهجات العامية وتحليلها فهو من الناحية العلمية لا يقل أهمية عن فهم الفصحى[٢]، من الناحية التأثيرية من جهة؛ ولأن الحاسوب يمكن أن يكون وسيلةً لتعليم الفصحى، وأن عملية فهم العامية واستنباط ما يقابلها من فصحى أمرٌ في غاية الأهمية، فالمتكلمون بالعامية أكثر ممن يتقنون اللغة العربية الفصحى[٣]، لذلك يمكن أن يكون الحاسوب وسيلة فعالة للقضاء على العامية في ضوء التصحيح الفوري للحن بالفصحى، أو استبدال العامية بالفصحى، أو تصحيح الأخطاء اللفظية في تشكيل أواخر الكلمات أو غير ذلك في المعالجات اللفظية للغة العربية، وكل هذا

(١) هناك فروق بين الترجمة الفورية، والتحريرية، والتتابعية، يُنظر: أحمد الرملي مركز ابن الاهرام:٥ .

(٢) تعد اللهجات العربية درساً لغوياً مهماً في بيان أصول دراسة اللغة العربية وربطها ربطاً واقعياً في واقع اللغة العربية في الناحيتين التاريخية والمعيارية والوصفية .

(٣) قد يصدق هذا التعبير في الوقت الحاضر، لكنه يحمل في طياته نفساً خطيراً لا يقل خطورة عن (سبيتا، وسميث) ودعواته، حتى تترسخ مبادئ الرجوع للعامية أولى وأكثر شيوعاً .

يحتاج إلى دراسات وابحاث للغة العربية وكيفية برمجة اصولها[١].

كما أن دراسة الأصوات العربية يمكن أن تُفهم من الحاسوب بصورة كبيرة، فإنّ الحاسوب يمكن أن يُكوِّن أصوات عربية صحيحة، وبهذا الصدد فإن تكوين مثل هذه الأصوات في غاية الأهمية نظراً؛ لأنه وسيلة لتعليم اللغة العربية الصحيحة نطقاً وتشكيلاً وتداولاً، وهو وسيلة للعودة إلى الفصحى بدل العامية[٢] .

ومما تجدر الاشارة إليه أنَّ بعض الباحثين يشيرون إلى أنَّ مخارج الحروف الشائعة اليوم في بعض البلدان العربية مثل (الضاد، والظاء، والجيم) وغيرها بعيد عن النطق العربي الصحيح كما وصفه علماء اللغة في القرنين الثاني والثالث الهجريين[٣]، فقد يكون الحاسوب وسيلة هامة في تصحيح هذا النطق واعادته إلى سالف عهده وإلى توحيد النطق الصحيح بين العرب جميعاً إذا ما أُحسن استخدام ذلك[٤] .

ويُعد كتاب الدكتور نهاد موسى استاذ اللسانيات العربية بكلية الآداب في الجامعة الأردنية المسمى ((العربية نحو توصيف جديد في ضوء علم اللسانيات الحاسوبية)) نواة لدراسة بحثية موسعة ضمن مشروع تمثيل متن النظم والإعراب والروابط في العربية . والترجمة الآلية والذي ترعاه مؤسسة التطبيقات التكنلوجية في واشنطن كما يذهب إليه

(١) الحروف العربية والحاسوب محمد خضر: ١٨٤ .

(٢) أدراك الغريبون الترابط الوثيق بين اللغة العربية والدين الإسلامي، ولعبوا دوراً بالغ الخطورة وأولهم الالماني المستشرق (ولهام سميث) الذي كان مديراً لدار الكتب المصرية، بدعوتهم إلى العامية وترك الفصحى فأخذوا يوجهون السهام إليها، وبذلوا الجهود الكبيرة لإضعافها وتدميرها، يُنظر في ذلك تفصيلاً / تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، نفوسة زكريا: ٢٠٨ .

(٣) وصف سيبويه ومن تبعه مخرج الضاد بأنَّه: من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء: من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، والجيم: من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك. ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٣، والمقتضب للمبرد: ١/ ١٩٣، وسر صناعة الإعراب لابن جني: ١/ ٢٢٥ .

(٤) يُنظر: الحروف العربية والحوسبة: ١٨٤ – ١٨٥ .

وليد الحاج[1] .

ولا يسع المجال لعرض دراسة وصفية للكتاب، لكن بوسعنا أن نضع القارئ الكريم على أهمية هذا المؤلف بمكانها الصحيح، غير أن أكثر ما يلفت النظر فيه ما جاء في بابه الثاني فقد خصصه المؤلف لعرض مستويات التوصيف في العربية حيث جاء في سبعة فصول، طرق أولها توصيف النظم سواء أكان على مستوى الأفقي أم النسقي، أم عن يمين أم عن يسار[2] . ثم تحدث عن توصيف الروابط مثل الواو،

(١) يُنظر: اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة: ٣٥ .

(٢) هو يرمي هنا بالإشارة إلى توصيف انماط التركيب العربي بكل تجلياته وتحققاته النظمية مثلاً الجلمة الفعلية (عاد العامل) تتألف هذه الجملة من فعل ماض مجرد مثبت صحيح لازم، وفاعل اسم ظاهر معرف بـ (ال) فإذا امتددنا بها نحو اليسار ستظهر لناً عدة انماط خطية أفقية يمكن تجريد كل منها في اطار كلي مثل:

الفعل	الفاعل	الجار	المجرور
عاد	العامل	من	المصنع

وقد يتخذ انماطاً نظمية نَسَقية على ترتيب مختلف مثل :

الفعل	الجار	المجرور	الفاعل
عاد	من	المصنع	العامل

وكذلك الحال اذا امتددنا نحو اليسار مثل:

الفعل	الفاعل	حرف العطف	المعطوف
عاد	العامل	و	المشرف

أو نحو اليمين مثل: قد + الفعل + الفاعل = قد عاد العاملُ

أو عن اليمين واليسار والوسط مثل :

ما	الفعل	إلا	الفاعل	النعت
ما	عاد	إلا	العامل	المحتاج

إذاً ظهر للباحث أشكال الترتيب الممكنة إذا مدّ الجملة بعناصر إضافية ليست من البناء الأصلي

وادوات الاستثناء، وأدلة تقسيم النص، وفي الثالث تطرق إلى توصيف الإعراب وقصد به توصيف موضوعات من درس النحو العربي كالحال، والتميز، والمجرور، والمجزوم...الخ، وجاء الرابع في توصيف البنية الصرفية متمثلةً بالمثنى، والمشتقات، والجذر، والاسم المنسوب ...الخ.

وجاء الفصل الخامس لتوصيف الأخطاء الشائعة في الفصول السابقة قاطبةً حيث شمل، النظم والإعراب، والبنية الصرفية .

أما السادس فتحدث عن توصيف المعجم، وتطرق عن المعجم الذهني وتوصيفه للحاسوب، في محاولة لرصد حياة اللغة عن طريق الاستقراء في سياقات مختلفة، وذلك للكشف عن خفيها وجليها في آن معاً .

وفي الفصل الأخير والمهم تحدث المؤلف عن توصيف اللغة وتمثيلها للحاسوب منطوقةً ومكتوبةً، في إشارة إلى بعض المشاريع اللغوية المستفادة من حوسبة العربية كتطوير برنامج الإعراب، والتصحيح الإملائي، والتحليل الصرفي ... الخ[1] .

وهو في غاية الروعة والصرامة والأكاديمية من حيث توخي الدقة، وحاز من حرارة الإبداع ما يمنحه نصيب القدح المُعلى بلا منازع، ويكفيه فيه الدعوى التي نحسبها من الصدق بمكان إلى محاولته الهادفة في هذا الكتاب للانتقال من وصف العربية إلى توصيفها في ضوء الأطروحة العامة للسانية الحاسوبية[2]، وقد فرق جميلاً بين الوصف والتوصيف عاداً اياه كالفرق بين التصوير والتمثيل، فالوصف: تخطيط اجمالي دالٌ دلالة كافية أو قريبة

للجملة، بما يحقق معاني اضافية لا تؤديها الجملة بعنصريها الرئيسين الفعل والفاعل . يُنظر: العربية نحو توصيف جديد: ١٠٢ – ١٠٦ .

(١) العربية نحو توصيف جديد: ١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه .

منها في الدلالة على ملامح صورة اللغة لمن يتعلمها من الناس، في حين أن التوصيف: تخطيط تفصيلي مسهب مضاف إلى الوصف، قد يهدي إلى خطى التدرج في اكتساب اللغة لدى الطفل وتعلمها لدى الناشئة، وقد يفضي إلى كشف بعض مسارب الحدس الخفي، لكنه يبقى ممثلاً للنموذج اللغوي المقتضي ابداعه في الحاسوب[1] . وخلاصة القول إنَّ الوصف للإنسان والتوصيف للحاسوب، فالإنسان حدسٌ وليس للحاسوب حدس، وللإنسان فهمٌ، وليس للحاسوب حتى الآن فهمٌ واستيعاب[2] .

ولعل هذا مضاد النظرية القائمة على جدلية العلاقة بين الحاسوب واللغة، وماذا يمكن أن يُقدم الحاسوب للغة، وما الذي يمكن أن تُسهم اللغة في تطور الحاسوب، أو بمعنى آخر أنَّه يدل على مدى تداخل العلاقة بينهما[3].

وختاماً فإنَّ الوصول إلى درجة (محاورة الآلة) أو التخاطب معها ،موضوعٌ شاقٌ استهوى عقول وافكار المهندسين واللغويين لعقودٍ خلت؛ لأن مسألة مخاطبة الآلة تمثل تحدياً لمقدراتنا، ورقماً صعباً لفهم عمليات ادراك الكلام وانتاجه، لكن الغاية المنشودة من حوسبة اللغة يتمثل في توصيف شامل ودقيق للنظام اللغوي عبر مصححات أسلفنا ذكرها بشيء من العرض والتفصيل .

❊ ❊ ❊

(١) يُنظر: العربية نحو توصيف جديد: ٤٦ – ٥٦ .

(٢) يُنظر: المصدر نفسه .

(٣) الحاسوب واللغة – العلاقة الجدلية: محمد كاجمان، نشر مقالاً فيه في ١٧ يوليو، ٢٠١٠م على موقعه الرسمي في شبكة الأنترنت.

ةةةةةةة

بعد الحمدِ والشكرُ لله رب العالمين، الذي أعانني ووفقني بِمَنِّهِ وكرمه، انتهي بنتائج صغيرة بحجمها عظيمة بنفعها، يكمن مفادها بالآتي :

١. تمثل حوسبة اللغة العربية ميداناً تجديدياً كبيراً للغة العربية درساً وتدريساً، لما لذلك من انعكاسات ايجابية ملحوظة على البحث العلمي من جهة، وعلى التطبيقات العامة لكل ما يتعلق باستخدام الحاسوب في التعامل مع اللغة العربية من جهة اخرى .

٢. أخذ البحث دوراً ايجابياً ملحوظاً للجهود المبذولة من جميع الدول والمؤسسات الجامعية منها والبحثية والهيئات والشركات والمعاهد العلمية فضلاً عن الندوات والمؤتمرات العلمية الهادفة في هذا الميدان نحو العراق والمملكة العربية السعودية ودول المغرب العربي .

٣. إنَّ جميع الجهود المذكورة في الفقرة اعلاه تعطي باعثاً مشجعاً للخوض والعمل والتفكير وعدم استصعاب الأمور أو المبالغة فيها الى حد اليأس والإعراض بقدر ما تمثل دعوة الى جميع الكفاءات العلمية لتوظيف مؤهلاتها العلمية في مجال حوسبة اللغة العربية.

٤ .يُظهر البحث أهمية اللغة العربية ودور علماءها من ذوي المكانة والدراية والاختصاص؛ لأن الحاسوبيين الذي عملوا على تنفيذ هذه المشاريع بمعزل عن اللغويين وقعوا في قصور لغوي، وعدم دقة في توصيف العربية، فالحاسوبي يتحدث العربية كلغة أم إلا أنه يخفى عليه من خصائص العربية ما لا يخفي على المتخصصين فيها .

اللهم ما أصبت فيه فمنك وحدك، وما اخفقت فيه فمن نفسي، وحسبي أني اجتهدت فيما قدمت والحمد لله رب العالمين .

ةةةةةةة ةةةةةةة

* أصالة الحضارة العربية: معروف ناجي، بيروت ـــ ١٩٧٥ م .

* تاريخ الترجمات العبرية الحديثة لمعاني القرآن الكريم ،دراسة نقدية: أ. د محمد خليفة بن حسن أحمد، النسخة الاصلية (د. ط)، (د. ت) .

* تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر: نفوسة زكريا، دار الثقافة، الاسكندرية،ط١ / ١٩٦٤م.

* ترجمة طائفة الأحمدية لمعاني القرآن الكريم إلى الالمانية: أ. د محمد أحمد منصور (د. ط) (د. ت)، النسخة الموصلية .

* حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة: رشيد الجميلي- دار الحرية / ١٩٨٦م (د.ط) .

* الحروف العربية والحوسبة: محمد خضر ندوة مجمع اللغة العربية الأردني - الموسم الثاني في التاسع عشر ،عمان، ٢٠٠١م .

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) تح: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخارجي: القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

* دراسات في ترجمة والمصطلح والتعريب، شحادة الخوري، دار المعرفة، بيروت- ط١، ١٩٩٧م .

* سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: عبد الله بن عبد الرحمن العُقيلي المصري

(٧٦٩هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

* العربية نحو توصيف جديد في ضوء علم اللسانيات الحاسوبية: نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ط١ / ٢٠٠٠م .

* الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (١٨٠هـ) تح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة – ط٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

* كتاب كليلة ودمنة: عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ) ترجمة لكتاب الفيلسوف الهندي بيدبا، مطبعة الاميرية بولاق، ١٩٣٧م، ط١٧، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م .

* لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .

* اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: وليد العناني، دار الجوهرة، عمان، ط١، ٢٠٠٣م .

* اللغة العربية والحاسوب: نبيل علي، بحث مقدم إلى ندوة مجمع اللغة العربية، الأردني في موسمه الثقافي التاسع عشر – عمان، عام ٢٠٠١م .

* اللغة العربية وتحديات العصر: أ. د محمود أحمد السيد، بحث مقدم إلى مؤتمر التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت / ١٩٨٢م .

* اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، وليد ابراهيم الحاج، دار البداية – عمان – ط١ / ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م .

* مجلة لغة العصر، عام ٢٠٠٩م، أفضل مقال في تكنلوجيا المعلومات.

* المدخل إلى علم أصوت العربية، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.

* مدخل إلى علم البيليوغرفيا، صوفي عبداللطيف، دار المريخ، الرياض، (د. ط)، ١٤١٥ه.

* المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد (٢٨٥هـ) تح: محمد عبد الخالق عضيمة – لجنة إحياء التراث – القاهرة (د. ط) ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

* مقدمة في اللغويات: شحادة فارع ورفاقه، دار وائل للنشر – عمان – ط١، ١٩٩٩م.

❊ ❊ ❊

-22-

ةةةةةةةة ةةةةةةةة

ةةةةةةةة

ةةةةةةةة

ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةة ةةة

ةةةةةةة ةة(ةةةةةةة ةةةةةةةةةة ةةةة ةةةةة)

إعداد

الدكتور عبد الباسط أحمد حسن

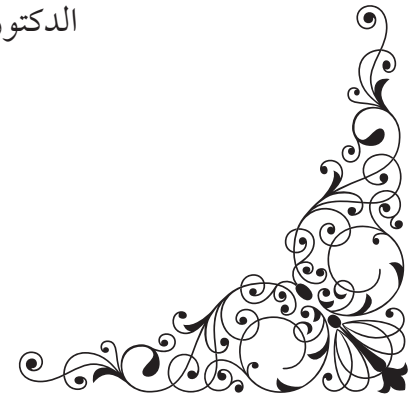

ةةةةةةة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدي رسول الله، وعلى آله وصحبه وَمَنْ والاه..

وبعد: فإنَّ من دواعي السرور والفخر أن أُشارك في المؤتمر العلمي العاشر الموسوم بـ(التجديد والاستجابة لروح العصر) الذي تنظِّمه كلية الإمام الأعظم (رَحِمَهُ الله) الجامعة، فقد عوَّدتنا على مثل تلك الملتقيات الفكرية العلمية، والحديث عن التجديد حديث ذو شجون لأنَّ التجديد مطلبُ شرعيٌّ، عقليٌّ، عرفيٌّ، يفرضه الواقع والفطرة، والإسلام باعتباره أقدس الأديان وآخرها تميز عن غيره من الملل والأديان لأنَّ من أبرز معالم هذا الدين أنَّه دين واقعي في طرحه، شمولي صالح لكل زمان ومكان، يلائم فطرة الله التي فطر الناس عليها، وسط في طرحه وسمته العامة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ سورة البقرة: ١٤٣، وقانونه العام (لا إفراط ولا تفريط) ومن أبرز ما دعا إليه ديننا الحنيف أنَّه دعا إلى العلم وأعلا من شأن أهله وأربابه ويكفينا فخراً أنَّ أول ما أُنزل على نبينا محمد ﷺ قوله تَعَالَىٰ:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ سورة العلق: ١، والآيات الكريمة والأحاديث النبوية في هذا الباب كثيرة ومعلومة لدى القاصي والداني.

ويطيب لي أن أشارك في هذا المؤتمر ببحث موجز أسميته: (الديانة النصرانية إشكالية المصطلح وعلاقته بالتجديد) حيث كان هذا البحث ضمن المحور العاشر لمحاور مؤتمركم الموقر، حيث بيّنت فيه أهم المصطلحات التي أُطلقت وتطلق على أتباع هذه الديانة وعلاقة هذه المصطلحات بالتجديد.

وبيَّنت أنَّ مصطلح النصارى وإنَّ كان القران الكريم قد سمَّاهم به وصرح بذكره في أكثر من موضع، إلا أنَّهم يتذمرون منه ويعدونه ذماً لهم، وذكرت أنَّ مصطلح المسيحيين

وإن كان ممن ينتمون إليه ليس لهم شرف صحبته ولا اتباعه، فيطلق عليهم لأنَّهم يعدونه لقباً مميزاً لهم لا بل يتشرفون به.

وتحدثت عن بقية المصطلحات كلٌّ في مكانه وموضعه.

وقد اقتضت خطة البحث أن تكون: من مقدمة وستة مطالب وخاتمة.

المقدمة.

المطلب الأول: التعريف بالألفاظ الواردة في البحث (الأديان، والتجديد).

المطلب الثاني: الإشكالية بين مصطلحي النصرانية والمسيحية.

المطلب الثالث: الإشكالية بين مصطلحي التبشير والتنصير.

المطلب الرابع: الإشكالية بين مصطلحي أهل الكتاب وأهل الذمة.

المطلب الخامس: الإشكالية بين مصطلحي أهل الإنجيل واليسوعيون.

المطلب السادس: حلول لإشكالية المصطلحات- نظرة تجديدية.

الخاتمة.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى، ويكشف عنَّا ما نحن فيه من البلوى، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

❊ ❊ ❊

ةةةةة ةةةةة
ةةةةةةة ةةةةةةةة ةةةةةةة
ةة ةةةةة (ةةةةةةة ةةةةةةة)

ةةةةً: ةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةةةةً:

أولاً: الأديان مفردها (دين) وتأتي مادة وكلمة (الدِّين) بكسر الدال المهملة المشددة، في المعاجم والقواميس اللغوية والنصوص الدينية على معانٍ عدة وإطلاقات مختلفة.

فتطلق كلمة الدين ويراد بها في المعنى العام اسم ويطلق على كل ما يتعبد الله تعالى به، ويطلق كذلك على معان عدة منها: السياسة، والملك، والحكم، والقهر، والغلبة، والتدبير، والحساب، والجزاء، والخدمة، والذل، والإكراه، والإحسان، والعادة، والعبادة، والسلطان، والخضوع، والاستعلاء، والطاعة، والقضاء، والمذهب، والشريعة، والملة.[1]

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكَريّا الأنصاري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ط ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ٢/ ٢٦٢، وكذا مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط٢/ ١٩٩٥م، ص٢٠١-٢٠٢، وكذا لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣/ ١٤١٤هـ، ٥/ ٣٣٨-٣٤٠، وكذا القاموس المحيط، للإمام مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة بيروت- لبنان، ط٨/ ٢٠٠٥م، ص١١٩٨، وكذا الكُلِيَّاتْ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت١٠٩٦هـ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١/ ١٩٩٨م، ٤٤٣-٤٤٤.

وقيل: يطلق على الإسلام بمفهومه العام، كقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾[1] ومعناه: الإسلام، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾[2] ومنه قوله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد». [3]

وقيل الدين هو التوحيد والمقصود به: هو اسم لكل ما يُعتقد أو لكل ما يُتعبَّد به حقاً أو باطلاً، وتبعاً لهذا التبايُن والاختلاف في تحديد معنى الدين لغةً أُثيرتْ مسألة عدم أصالة هذه الكلمة في اللغة العربية، وأنَّها دخيلة من لغاتٍ كالعبرية[4] أو الفارسية.

والمتصفِّحُ في اشتقاق هذه الكلمة ووجوه تصريفها يَستشفُّ من هذا الاختلاف الظاهر تقارباً شديدًا، بل توافقاً وانسجاماً في جوهر المعنى، إذ يَجِدُ أنَّ تنوعَ هذه المعاني مَردهُ إلى ثلاثة مضامين تكاد تكون متصلة بوصف أن الكلمة التي يُراد شرحُها ليستْ كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدق إنَّها تتضمنُ ثلاثة أفعال بالتناوب، هي الآتي:

١. إنَّ كلمة الدين تأتي مرةً مِن فعل متعدٍّ بنفسه: دَانهُ يَدينُهُ، وأحياناً من فعل متعدٍّ

(١) سورة آل عمران ٨٣.

(٢) سورة الصف الآية ٩.

(٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، كتاب الفضائل باب فضائل عيسى بن مريم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الجيل- بيروت، الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤هـ، رقم الحديث ٢٣٦٥ ص٨٥٢.

(٤) اللغة العبرية: لغة قريبة من العربية بل هي أقرب لغات الأمم إلى اللغة العربية وكثيراً ما يكون الاختلاف بينهما في كيفية أداء الحروف والنطق بها من التفخيم والترقيق والضم والفتح وغير ذلك واعتبر هذا بتقارب ما بين مفردات اللغتين فإن العرب يقولون لا والعبرانيين تقول لو فيضمون اللام ويأتون بالألف بين الواو والألف، وتقول العرب: قدس ويقول العبرانيون قدش، وتقول العرب: أنت ويقول العبرانيون أنا ..إلخ، ينظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد الزرعي ت٧٥١هـ، والمعروف بن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت ط٢/ ١٩٨٧، ١/ ١٩٧.

باللام: دَانَ لهُ، وتارة من فعلٍ متعدٍّ بالباء: دَانَ بهِ، وباختلاف الاشتقاق يختلف المضمون الذي تعطيه العبارة.- فإذا قلنا دانَهُ دِيناً قصدنا بذلكَ أنَّهُ مَلكهُ، وَساسَهُ وَقهَرهُ، وحاسَبهُ، وَجازاهُ وكافأهُ. فالدين هنا يأخذ معنى الجلال والمُلك والتصرف بما هو ميزة الملوك من الملك والتصرف. ومن ذلك: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[1] أي: يوم المحاسبة والجزاء، أو كحديث النبي ﷺ: كما تدين تدان[2]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «الكيِّسُ مَن دَانَ نَفسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعدَ المَوت»[3] أي: حَكَمَهَا وضبطها، والديَّان الحكم القاضي.

٢. وإذا قلنا دَانَ لهُ بمعنى أطاعهُ وخضعَ لهُ، فالدينُ هنا هو الطاعة والخضوعُ والعبادة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾[4] أي: مملوكون، وواضح أنَّ هذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطاوع له دَانهُ فدانَ لهُ أي: أجبرهُ على الطاعة فخضعَ وأطاعَ.

٣. وإذا قلنا دَانَ بالشيءِ، بمعنى أنهُ اتخذهُ دِيناً وَمَذهباً، أي: اعتقدهُ أو اعتادهُ أو تخلقَ بهِ. فالدينُ هنا هو المذهبُ والطريقة التي يلتزم بها الشخص نظريًّا أو عملياً، تقولُ العربُ: مازالَ ذلك دِيني ودِيدَني أي: عادتي، والمذهب النظري عندهم هو عقيدة

(١) سورة الفاتحة الآية ٤.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، والمعروف بـ"صحيح البخاري" للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق د. محمد محمد حجازي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة ط١/ ٢٠٠٨م كتاب التفسير سورة الفاتحة باب ما جاء في فاتحة الكتاب رقم الحديث ٤٤٧٤ ص٦١٨.

(٣) ينظر المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية- بيروت ط١، ١/ ١٢٥، وكذا سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي ت٢٧٩هـ دار إحياء التراث العربي- بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. ٤/ ٦٣٨.

(٤) سورة الصافات الآية ٥٣.

الشخص ورأيه الذي يعتنقه، ومن ذلك قولهم: ودِنتُهُ أي: وكلتهُ إلى دينه[1].

وتأكيدًا على هذه المعاني اللغوية فإنَّ كلمة الدين عند العرب تتضمن علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً، وحكماً وإلزاماً، وإذا وُصف بها إلى طبيعة العلاقة بين الطرفين كانت هي الطريقة المنظمة لتلك العلاقة، أو الشكل الذي يمثلها. وفي هذا السياق يبدو أنَّ محاولة تحديد مفهوم الدين لغة يضعنا أمام مجموعة مرادفات تصبُّ بشكل أو بآخر في الاتجاه نفسه، والذي ينصبُّ في نهاية المطاف حول لزوم الانقياد، ففي الاستعمال الأول هو الإلزام والانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له[2].

وتأكيدا لما سبق ذكره فإنَّ كلمة الدين بكل معانيها أصيلة في اللغة العربية، وإنَّ ما ادَّعاه بعض المستشرقين من أنها دخيلة معربة عن العبرية أو الفارسية لا يُعد صحيحاً. مع أنَّ هذه التحليلات الاشتقاقية كلها تصبُّ في الاتجاه نفسه، وتقرُّ بأصالة المعنى في اللغة لكنها لا تشفي غليلنا في معرفةٍ حقيقيةٍ لماهيَّة الدين كما هي في عرف المتدينين، فالبَوْن مازال شاسعاً برأي الدكتور عبد الله دراز بين المعنى اللغوي، والمعنى العرفي ذلك أنَّه ليس كل خضوع وانقيادٍ يسمَّى في العرف تديناً، فخضوع العبد لسيده وطاعة الابن لأبيه وإكبار الخادم لمسؤوله لا يجسِّد معنى الدين الذي نعنيه، كما أنه ليس كل اتجاه أو مذهب يسمَّى دِيناً.

(١) ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ت (٥٣٨هـ)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ١/ ٢٠٠.

(٢) ينظر: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. محمد عبد الله دراز دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ط١/ ١٩٩٠، ص٢٣-٢٥.

وصفوة القول إنَّ هذه المعاني اللغوية للدين على وفق ما تضاف إليه لفظة الدين، فإذا أضيفتْ لله تعالى تعني القهر والسلطان والعظمة والعزة وكل ما يدور في فلك هذه المعاني من التعظيم، ويكون الدين بالنسبة للفرد المتدين الخضوع والانقياد لمن دان له، ويكون المعنى فيما يخصّ قولنا «دَانَ بكذا» أي الشريعة والقانون الذي التزم به المتدين والتزم بالسير على قواعده.

ةةةةة: ةةةةة ةةةةةةة:

اختُلف في تعريف الدين في الاصطلاح اختلافاً واسعاً، بل تجد أنَّ آراء العلماء فيه متباينة في تحديد مفهومه الاصطلاحي، وظهر الاختلاف في تعريف مصطلح الدين هل بإطلاقه على الأديان السماوية وغيرها والسبب أن لكل دين نواحي خاصة به في الاعتقاد والعبادة والشعور فليس من السهل وضع حد معين لمعنى الدين، وسأبين تعريف الدين عند كل من الكُتَّاب المسلمين والغربيين على حده.

ويعرف علماء الإسلام الدين: بأنَّه «وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول»[1]. بأنَّه «وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل»[2].

ويلحظ على هذا التعريف أنَّه اقتصر على الأديان السماوية فقط. مع أنَّ كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له فهو دين، سواءً أكان سماوياً أو غير سماوي، بدليل قول

(١) التعريفات، للإمام علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت. ط١/ ١٩٨٣م، ص٦٢.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون للإمام محمد بن علي بن محمد بن حامد الفاروقي الحنفي التهانوي ت١١٥٨هـ، تحقيق د. لطفي عبد البديع الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٧٧، ٣/ ٣-٥ (مادة الدين).

الله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

وقوله تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[2] فسمَّى ما عليه مشركو العرب من الوثنية ديناً.

ويعرّفه التهانوي أيضاً بأنَّه: «ما شرعه الله تعالى على لسان الأنبياء لتبيين الأحكام»[3].

وعرّفه درّاز بأنه: «وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات»[4].

وعرَّفه محمد رشيد رضا في تفسير المنار بقوله: «الدين وضع الهي يحسن الله به إلى البشر على لسان واحد منهم- أي الرسول- لا كسب له فيه ولا صنع ولا يصل إليه بتلقٍ ولا تعلم»[5].

وعرَّفه مانع الجهني: جملة من المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً وعملاً[6].

وعرَّفه د. سعود الخَلَف بأنه: اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلاً وحباً، رغبة ورهبة.[7]

وهذا التعريف فيه شمول للمعبود سواءً أكان معبوداً حقاً، وهو الله تعالى، أم معبوداً باطلاً وهو ما سوى الله تعالى، كما يشمل أيضا العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٢) سورة الكافرون الآية ٦.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٣/ ٤.

(٤) الدين، د. محمد عبد الله درّاز ص٣٣.

(٥) مجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا، أُنشأت سنة ١٣١٥هـ بعنوان الشريعة والطبيعة والحق والباطل عام ١٣١٧هـ، ٢/ ٦٤١.

(٦) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة د. مانع الجهني، طبعة دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض، ط٤/ ١٤٢٠هـ، ٢/ ١٠٥٧.

(٧) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية سعود عبد العزيز الخلف أضواء السلف- الرياض ط١/ ١٩٩٧م، ص١٢- ١٣.

سواءً أكانت سماوية صحيحة كالإسلام، أم لها أصل سماوي ووقع فيه التحريف والنسخ كاليهودية والنصرانية. أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوسية، والبوذية، والوثنية وعموم الوثنيات.

كما يبرز التعريف حال العابد إذ لابد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع والطاعة ذلاً وحباً للمعبود حال العبادة وغيرها، إذ أن ذلك من أهم معاني العبادة الحقة. وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] ويبين التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معاً؛ لأنَّ ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة.

ةةةةة: ةةةةة ةةةةةةة:

عند النظر في المعاجم اللغوية والبحث عن لفظة التجديد وتصريفه نجد أن العلماء اتفقوا على أمر مهم وهو أن التجديد هو تصيير الشيء جديداً، فقال الجوهري: تجدد الشيء: صار جَديداً. وأَجَدَّهُ، واسْتَجَدَّهُ، وجَدَّدَهُ، أي صيَّره جديداً[2].

قال الرازي: جَدَّ الشيء يجد بكسر الجيم فيهما صار جدِيداً وهو نقيض الخلق وجَدَّ الشيء قطعه وبابه رد وثوب جَدِيدٌ وهو في معنى مجدود يراد به حين جده الحائك أي قطعه، وثياب جُدُدٌ بضمتين مثل سرير وسرر وتَجَدَّدَ الشيء صار جديداً وأجَدَّهُ وجَدَّدَهُ واسْتَجَدَّهُ أي صيره جديداً[3].

قال ابن منظور: الجدَّة هي مصدر الجديد والجمع أَجِدّة وجُدُد، «الجدّة هي نقيض

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط٤/ ١٩٨٧م، ٢/ ٤٥٤.

(٣) مختار الصحاح للرازي، ص١١٩.

البلى، ويقال شيء جديد، وتجدد الشيء صار جديداً وهو نقيض الخلق، وجدّ الثوب يجِدُّ (بالكسر) صار جديداً، والجديد ما لا عهد لك به[1].

ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة

هو إعادة رونق الدين وجماله وصفائه وإحياء ما اندرس منه ونشره بين الناس[2].

وقيل: هو الاجتهاد في إخراج القديم بقالب جديد، إما بإخراجه إخراجًا حديثًا أو بكشف ما في القديم من خفاء، بإبراز خفاياه وخباياه، أو بتصويره بصورة مقبولة واقعية[3]، وفي الحديث عنه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[4].

وقيل: التجديد هو الإحياء واعادة بعث الدين في النفوس وتذكير القلوب واحياؤها به[5].

وقيل: هو اجتهاد في فروع الدين المتغيرة، مقيَّد (محدود) بأصوله الثابتة، استناداً لقوله ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[6].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور الأنصاري، ٣/ ١١١، وكذا القاموس المحيط للفيروز آبادي ١/ ٢٧١.

(٢) ينظر: موقع المختار الإسلامي، مقالة بعنوان التجديد مفهومه وضوابطه، بقلم: حسن محمد شبالة.

(٣) مجلة المسلم المعاصر، بحث بعنوان: (التجديد في الفقه الإسلامي طرائقه وضوابطه) بقلم د. محمد عبد الرحمن المرعشلي، منشور في العدد ١١٠ لسنة ٢٠٠٣م.

(٤) سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث ٤٢٩١، ٤/ ١٠٩ وحكمه صحيح.

(٥) صحيفة الدستور الأردنية، مقالة بعنوان (مفهوم التجديد في الإسلام) د. عدنان علي رضا النحوي.

(٦) سبق تخريج الحديث آنفاً.

وقيل: هو الإحياء لما اندرس من معالم الدين، وانطمس من أحكام الشريعة وما ذهب من السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة).

وقيل: التجديد الوارد في الحديث المذكور سابقاً هو تجديد لفروع الدين (التي مصدرها النصوص الظنية الورود والدلالة) مقيداً بأصوله (التي مصدرها النصوص اليقينية الورود القطعية الدلالة). ويترتب على هذا أن التجديد المذكور في الحديث لا ينطبق على الوقوف عند أصول الدين وفروعه (التقليد)، ولا رفض أصول الدين وفروعه (التغريب)[1].

وقيل: هو تجديد وإحياء وإصلاح لعلاقة المسلمين بالدين والتفاعل مع أصوله والاهتداء بهديه؛ لتحقيق العمارة الحضارية وتجديد حال المسلمين ولا يعني إطلاقا تبديلاً في الدين أو الشرع ذاته[2].

وقيل: كلمة «تجديد» لها جاذبيتها، يستخدمها بعضهم على المستوى الفردي، كأن يعلن الإنسان عن نفسه أنَّه في لحظة معينة صار متجددًا ومتمتعًا بخلاص السيد المسيح خلال الإيمان به. ويستعملها بعضهم على المستوى الجماعي مثل حركات التجديد الليتورجي، كأن تعيد الكنيسة النظر في ليتورجياتها لتقدمها بفكر كنسي أصيل، وفي نفس الوقت تناسب الإنسان المعاصر.

ويرفض بعضهم هذا الاصطلاح تماماً بكونه يحمل ثورة على كل خبرة الكنيسة في الماضي وفكرها الأول، والتجديد في الاصطلاح المسيحي يُقسم إلى أربعة أقسام هي:

١. التجديد بالروح القدس: وهو قبول عمل السيد المسيح فينا، أي قبول عمل

(١) ينظر: صفحة الدكتور صبري محمد خليل خيري، مقالة بعنوان: (مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي) sabri.m.khalil@hotmail.com.

(٢) ينظر: موقع إسلام أون لاين. نت مقالة بعنوان: التجديد، بقلم د. سيف الدين عبد الفتاح.

الخلاص الذي ننعم به في المعمودية، حيث ننال الميلاد الروحي الجديد، ونصير أبناء الله.

٢. التجديد الذهني: إذ يتجدد الذهن بالتوبة. وقد ميَّز نيافته بين التوبة الشاملة حين يرفض الإنسان ماضيه الشرير لينطلق بالسيد المسيح ربنا في حياة جديدة، والتوبة اليومية خلال اعتراف المؤمن بضعفه وقبول نعم إلهية جديدة كل يوم.

٣. تجديد الخليقة: أي تجديد الكون كله، بمجيء السيد المسيح الثاني، فننعم بالسماء الجديدة والأرض الجديدة (رؤ١: ٢١).

٤. تجديد الكنيسة: هنا نقصد النمو المستمر، فالكنيسة كائن حيّ متطور، وليس كائنًا جامدًا. إنها تحمل تيار الروح القدس العامل فيها كحياة نامية متدفقة. هذا التيار الناري يحرق وينشط، خلاله نحافظ على الماضي بغير جمود، كما نبني عليه حلولًا للمشاكل المعاصرة الجديدة[١].

وعرف التجديد محرر قاموس الكتاب المقدس: غرس الحياة الروحية بمعونة الروح القدس وكلمة الله في نفس قد تلطخت بالآثام والمعاصي لتكون قادرة على إدراك الحياة الروحية والايمان بها، والتعلق الشديد بتلك الحالة الجديدة فيشرع الانسان بالإتيان بالأعمال الطيبة والخدمات المبررة والمقاصد الخيرية، والحاصل على التجديد يشعر بتوبة وتواضع ويفرح بمعرفة الله، ويُسَر بنعمة المسيح التي تجدد فيه العواطف والميول والمحبة لجميع البشر، لأن تلك العواطف صارت ملكاً لرب المحبة[٢].

---

(١) ينظر: كتاب الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر- القمص تادرس يعقوب ملطي، (التجديد في العهد الجديد) موقع الكنيسة الأرثوذوكسية في مصر St-Takla.org?.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين برئاسة جون ألكسندر طمسن، دار الثقافة- القاهرة ط١٠/ ١٩٩٥م، ص١٧٥-١٧٦.

وبعد هذه الجولة السريعة نرى أنَّ معنى التجديد في مجال الفكر أو في أي مجال من الأشياء على السواء هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بُلِيَ أو قَدِمَ أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره، وأن تعيده إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة، فتجدد الشيء أن تعيده (جديداً) وكذلك الفكر[1].

وعليه فإنَّ اختيار كلمة (التجديد) لاستخدامها على ما نحن فيه في موضوع التجديد في الفكر والأسلوب وقراءة النَّصِّ المقدس وصياغته بأسلوب عصري رشيق.

وقيل: أن المعنى الأدق للتجديد هو استخرج ما كان محجوراً عليه من أحكام ونظريات وأفكار في بطون الكتب ورفوف المكتبات، لإعادته إلى طاولة الدرس والبحث ثم إلى عقول الرأي العام، وليصل فيه إلى التجسيد العملي من حيث الاعتماد على النص المقدس والتفسير المتجدد والتحديث في الأسلوب والخطاب.

فإنَّ مفهوم التجديد يجب أن يرتبط بمفهوم الإبداع الفكري، أي بما يسمح لمنظومة فكرية أن تستعيد فاعليتها وقدرتها على الانتاج المبدع للمعاني الجديدة أو المتجددة، يتفق مع ما نهدف إليه في طرح هذا الموضوع الهام[2].

ويسأل الدكتور حسن الترابي عن التجديد فيقول: الفكر الإسلامي هل يتجدد؟ أليس الدين هدياً أزلياً خالداً لا مكان فيه للتجديد؟ ويجيب: «بلى، الذي يتجدد ويبلى إنما هو الفكر الإسلامي، والفكر الإسلامي إنما هو التفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدين الأزلية الخالدة، أما عقل الجيل من المسلمين الذي يضطلع بالتفكير في الإسلام فهو يتكيف بنوع وكمية المعارف العقلية والتجارب التي يحصلها في كل زمان، إذا

(١) الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، د. برهان غليون، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط١/ ١٩٩١، ص٧٢.

(٢) الاجتهاد والتجديد د. برهان غليون، ص٧٤.

ضاقت هذه المعارف ضاق وإذا اتسعت اتسع. وانَّه يتكيف وينفعل بالظروف الراهنة التي تحيط به، وبالحاجيات التي يحسها الناس وبالوسائل التي تتيحها له ظروف الحياة.

فالتجديد في الفكر الإسلامي هو التفاعل بين عقلنا المتكيف بهذه العلوم، المنفعل بهذه الظروف مع الهدي الأزلي الخالد الذي يتضمن الوحي والذي بيّنه رسول الله ﷺ»[1].

علماً أنَّ كل المفكرين المجددين في الإسلام أجمعوا على أنَّ منهجية التجديد في الفكر الإسلامي لا تطال الدين أو الشريعة المقدسة التي هي وحي رباني أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، وهي متجسدة في النص المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي لا يجوز أن يضاف إليه شيء أو ينتقص منه شيء. فالزيادة في الدين حرام لأنها غلوّ، وقد استشهد بعضهم بما جرى في العالم المسيحي حيث كان الغلو في الدين سبباً مباشراً لانتهاء سيطرة الكنيسة وتحول الناس إلى الإلحاد، وحين تراجعت الكنيسة تحت ضغط الظروف عن إضافاتها اللامعقولة إلى الدين، عاد العالم الغربي إلى المسيحية.

إذاً فالتجديد المعقول هو التجديد في الفكر الإسلامي وليس في الدين (بكونه نصَّاً مقدس) وهو تجديد لإحياء الدين، وإعمار الأرض بتجسيد تعاليم الدين[2].

في ختام هذا التمهيد الموجز عن تعريف التجديد في الفكر الإسلامي آمل أن أكون قد وفقت في إفادة القاري شيء انتفع به يوم لقاء الله، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

---

(١) الفكر الإسلامي هل يتجدد؟ د. حسن الترابي، مكتبة الجديد- تونس، ص٢٣.

(٢) ينظر: المنطق الإسلامي، أصوله ومناهجه، للسيِّد محمد تقي المدَّرسي، دار الجبل- بيروت، ط٢/ ١٩٨١م، موقع شبكة المعارف الإسلامية.

ةةةةة ةةةةة
ةةةةةةةةة ةةة ةةةةة ةةةةةةةةة
ةةةةةةةةة

ةةةةً: ةةةةةةةةة:

تعريف النصرانية لغةً واصطلاحاً

أصل لفظ النصرانية مشتق من الفعل الثلاثي (نَصَرَ) ومعنى النَّصر: إِعانة المظلوم، وقيل: نصَره على عدوّه ينصُره نصراً، وقيل: رجل نصراني وامرأة نصرانية مضافة إلى ياء النسب، وقيل: نسبة إلى نصرانة أو الناصرة، وهي قرية المسيح عليه السلام، وهي من أرض الجليل وتُسمى هذه القرية ناصرة ونصورية[1] ومنه تنصَّر، أي: دخل في النصرانية ودان بها.

تعريف النصرانية اصطلاحاً:

وهي في أصلها ديانة سماوية أُنزلت على سيدنا عيسى عليه السلام مكملة لرسالة سيدنا موسى عليه السلام ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، لكن التحريف دخل هذه الديانة كما حُرِّفت اليهودية من قبلها، وهذه الرسالة جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن للإمام الأصفهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ت٥٠٢هـ، تحقيق هيثم طعيمي دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان ط١/ ٢٠٠٨م، ص٥١٨. ولسان العرب لابن منظور، ٥/ ٢١٢- ٢١٣. ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود عبد العزيز الخلف، ص١٢١.

بمعتقدات وفلسفات وثنية[1].

وقيل: تطلق على الدين المنزَّل من الله على عيسى بن مريم عليه السلام وكتابها الإنجيل، وأتباعها يُقال لهم «النصارى» نسبة إلى بلدة (الناصرة) في فلسطين، وهي البلدة التي وُلد فيها المسيح، أو إشارة إلى صفة: وهي نصرهم لعيسى عليه السلام وتناصرهم فيما بينهم، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر، ثم أُطلق عليهم على وجه التغليب، ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[2] والنصرانية تعتبر امتداد لليهودية، لأنَّ عيسى أُرسل إلى بني إسرائيل مجدداً في شريعة موسى ومصححاً لما حرَّفه اليهود منها وليُحلَّ لهم بعض الطيبات التي حُرِّمت عليهم[3].

وعرَّفت دائرة المعارف الأمريكية، المسيحية فقالت: «هي الديانة التي أُسست في القرن الأول الميلادي على يد المسيح الناصري، وهي تدور حول هدف حياته ورسالته»[4].

ومع أنِّي سأوضح- فيما بعد- أنَّ المسيح عليه السلام ليس مؤسساً للنصرانية السائدة اليوم، لكن الأمر الذي قرره المحققون أذكره هنا وهو أنَّ الديانة المسيحية فعلاً تدور حول حياة المسيح ورسالته.

وقيل: هي الديانة التي أسسها يسوع الناصري، ومعنى كلمة المسيح أي المسوح بالزيت، وأول من أطلق هذه الكلمة هم وثنيو أنطاكية حوالي سنة ٤٢م وكانت هذه

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع الجهني، ٢/ ٥٦٤، وأطلس الأديان د. سامي بن عبد الله الملغوث، مكتبة العبيكان- الرياض، ط١/ ٢٠٠٧م، ص١٧٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

(٣) ينظر: معجم ألفاظ العقيدة د. عامر عبد الله الفالح، تقديم عبد الله بن عبد الرحمن جبرين، مكتبة العبيكان، ط١/ ١٩٩٧م، ص٤٠٨-٤٠٩، وأصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، موقع الشيخ على شبكة الإنترنت. ومنشور في موقع مجلة البيان- دبي، ص٩٣.

(٤) دائرة المعارف الأمريكية طبعة شيكاغو ط١/ ١٩٦٠، ٥/ ٤٣٥.

التسمية لهم من باب الشتم[1].

وقيل: سمُّوا بها أتباع يسوع وظلت هذه التسمية ملازمة لهم إلى يومنا هذا، علماً أنَّ المسيحية تعتبر امتداداً للديانة اليهودية، فإنَّ يسوع أعلن أنَّه المسيح المنتظر لدى اليهود، الذي أرسله الله لا لينقض بل ليتمم الشريعة اليهودية إلا أن المسيح جاء بالبشارة في الإنجيل، وفيها تغيير مهم في المذهب الأخلاقي والديني حيث تفوق هذا الدين على كل ما سبقه[2].

وقيل في تعريف النصارى: إنَّ هذه التسمية وهي (النصارى) أُطلقت على المسيحيين الأوائل نسبة إلى يسوع الناصري، ثم أصبح لها استعمالان مختلفان. فكان اليهود يُطلقون اسم الناصري على يسوع عينه، واسم النصارى على من يؤمنون به.

وأمَّا المسيحيون فيطلقون هذا الاسم على من يتقيد بتعليمات العهد القديم والجديد معاً، ويتمسكون بالختان والمعمودية ويقدسون يومي السبت والأحد، ويقيمون الفصح اليهودي والفصح المسيحي، ويكرمون موسى وعيسى[3].

وقيل: هي شريعة مكملة لشريعة موسى عليه السلام، وإعطاء تعاليم خلقية وتمييزها عن القوانين المغلظة التي فرضها الحاخامات على «الشعب المحتار» لا المختار، وبالتالي عُرفت المسيحية بأنها رسالة محبة وسلام[4].

وقيل: هي الرسالة التي أنزلها الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم الذي تنسب اليه

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٨٨٩.

(٢) معجم الحضارات السامية، هنري س عبودي، طبعة جروس برس- بيروت ط٢/ ١٩٩١م، ص٧٩٤-٧٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٤٧-٨٤٨.

(٤) مسيحية بلا مسيح، د. كامل سعفان، دار الفضيلة- القاهرة، ط١/ ١٩٩٤، ص١١.

شخصية يسوع الذي ولد في بلدة الناصرة بفلسطين، وقد كانت رسالته إلى بني إسرائيل امتداداً لشريعة موسى عليه السلام فصدَّقه قليلون ونصروه فسموا بالنصارى بينما كفر به الغالبية وحاربوا دعوته واضطهدوه اضطهاداً عظيماً بلغ ذروته إلى حد التآمر عليه لصلبه ولكن الله نجاه بأن رفعه إليه وشبه لهم بأنهم صلبوه[1].

وقيل: هي دين النصارى، الذين يزعمون أنَّهم يتبعون المسيح عليه السلام وكتابهم الإنجيل[2].

وقيل: هي إحدى الديانات السماوية التي يعتبر يسوع المسيح الشخصية الأساسية فيها، ويعتبر أتباعها من أكثر الديانات في العالم، وتشترك مع اليهودية في الإيمان بكتاب اليهودية المقدس «التوراة»[3].

لكن سرعان ما دب الشرك إلى هذه الديانة وشاع الاعتقاد فيما يعرف بالتثليث وغيره من المعتقدات المنحرفة.

وقيل: تطلق النصرانية على الدين المنزل من الله تعالى على عيسى عليه السلام وكتابها الإنجيل وأتباعها يقال لهم (النصارى) نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين، التي وُلد فيها المسيح، أو إشارة إلى صفة: وهي نصرهم لعيسى عليه السلام وتناصرهم فيما بينهم، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر، ثم أُطلق عليهم كلهم على وجه التغليب ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[4].

(١) النصرانية خواطر وأفكار، هالة شحاته عطيه، مركز التنوير الإسلامي- القاهرة، ط١/ ٢٠٠٨م، ص١١.

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د.سعود عبد العزيز الخلف، ص١٢١.

(٣) موسوعة أديان العالم، توماس جيتس جيفرسون، الدار المصرية القاهرة، ط١/ ٢٠٠٨م، ص٢٨.

(٤) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، عرض عقائدي وتاريخي ميسر، د. ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي للنشر- الرياض، ط١/ ١٩٩٢م، ص٦٤،

والذي أراه من هذه التعاريف هو: أنَّ النصرانية مصطلح أُطلق على الديانة المحرفة بعد عيسى عليه السلام ومن خلال هذا التحريف يتضح لنا خطأ من يعرف النصرانية بأنها الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام، فالدين الذي جاء به عيسى هو الإسلام والتوحيد، فالإسلام دين جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

ويُطلقُ عليهم في القران الكريم «النصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل»، وَهُمْ يُسمُّون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويُسمُّون ديانتهم بالمسيحية. علماً أن هذه التسمية لم ترد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، وهي تسمية لا توافق واقعهم لتحريفهم دين المسيح عليه السلام وتبديلهم التوحيد بالشرك، فالأولى أن يُطلق عليهم نصارى، أو أهل الكتاب.

لكن مع ذلك فهي في جوهرها الأصيل إحدى الديانات السماوية، أما الآن فتشترك مع اليهود في الإيمان بالكتاب المقدس بقسميه القديم والجديد، وهذا اللقب (النصرانية) مذموم ومكروه عندهم ولاسيما أنه مصطلح أطلقه القرآن الكريم على ديانتهم المحرفة وأطلقه المسلمون أيضاً عليهم بدلاً من المسيحيين التي تعني التشريف والتكريم لهم بالانتساب لهذا النبي الكريم ﷺ قال تعالى عنهم﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾[2].

لأنَّ عيسى عليه السلام لم يجئ بالنصرانية وإنَّما جاء بالإسلام والتوحيد الذي جاء به جميع

وكذا موقع الدرر السنية، بإشراف عليوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الأديان، قسم النصرانية (التعريف بالديانة).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٤.

الأنبياء- عليهم السلام- قال تعالى عن الحواريين ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

وتعد المسيحية المحرفة اليوم من أكثر الأديان الوضعية الحالية تعقيداً، وقد علَّمها عيسى عليه السلام لقومه ديناً يسيراً سهلاً، ولكن التعقيد طرأ عليها بعد ذلك، حتى أصبح عسيراً فهمها بل التناقض في كثير من مبادئها. وعيسى عليه السلام له آيات ظاهرة، وبيِّنات زاهرة، ودلائل باهرة (كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص) حيث خلقه الله تعالى من غير أب دلالة على كمال قدرته وعظمته، وقد أوحى الله إليه وهو في المهد، وأوحى إليه إبلاغاً في الثلاثين من عمره وخصَّه ربنا بخصائص حيث أنه ودون غيره من الأنبياء الذين أوحى الله إليهم وهم بالأربعين سنة، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام[2].

وقد اختلفوا في سبب تسميتهم بالنصرانية على أقوال:

- سمَّوا نصارى لتناصرهم فيما بينهم، حيث يُقال لهم الأنصار.

- وقيل لأنَّهم نصروا عيسى عليه السلام لما قال كما أخبر الله عنه﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

(٢) الملل والنحل، للشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت ٥٤٨هـ، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور دار المعرفة- بيروت ط٩/ ٢٠٠٨م، ١/ ٢٦٣، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد- الرياض ط٤/ ٢٠٠٨م، ص٢٦٧. وتاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية د. سعدون محمود الساموك ود. رشدي عليان، دار الكتب للطباعة- الموصل، ط١/ ١٩٨٨م، ص٩١. والمسيحية د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ط٨/ ١٩٨٤، ص٢٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

- وقيل سُمُّوا بذلك لأنَّهم نزلوا أرضاً يقال لها (الناصرة) وهي الآن (الخليل أو الجليل).

- وقيل النصراني هو الممتلئ نصراً، وسمُّوا بذلك لقول عيسى عليه السلام ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

- وقيل النصارى اسم لأصحاب عيسى عليه السلام سموا بذلك لأنَّهم نصروه أو لنصر بعضهم بعضاً.

وأُطلقت كلمة النصارى عليهم جميعاً على وجه التغليب، وقد سماهم القران الكريم نصارى على سبيل الذم، وهم يهربون من هذه التسمية، ويسمون أنفسهم مسيحيين؛ نسبة إلى المسيح عليه السلام وهو منهم براء. أما الذين اتبعوه، وآمنوا ببشارته بمحمد ﷺ فهم مسلمون، ويؤتون أجرهم مرتين. أما من كفر بمحمد فقد كفر بعيسى وبجميع الأنبياء- عليه الصلاة والسلام[2].

ومصطلح النصرانية قد ورد في السنة النبوية كثيراً منها قوله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[3].

وخلاصة الأمر:

يظن كثيرون خطأ أنَّ مصطلح النصرانية مرادف لمصطلح المسيحية من حيث الدلالة على الديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام من العقائد والشرائع والاخلاق التي آمن بها أتباعه

(١) سورة الصف: الآية ١٤.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٦٢، والمدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، د. عبد الرزاق محمد أسود، دار العربية للموسوعات- بيروت ط١/ ١٩٨١م، ١/ ٢٠١، وموجز الأديان في القران، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة- بيروت ط١/ ١٩٩٨م، ص٦٥.

(٣) صحيح البخاري، ٢/ ١٠٠، رقم الحديث ١٣٨٥.

الذين سماهم القران الكريم بالحواريين. وللمصطلح دلالات خاصة في الأديان:

أولاً: عند المسلمين: إنَّ مَنْ تتبع آيات القران الكريم لاحظ الآتي:

- كلمة نصرانية لم تستعمل بذاتها وإنَّما استعمل القران الكريم لفظة (نصارى) أو (أنصار) للدلالة على أتباع عيسى عليه السلام فجاءت خمس عشرة مرة في صيغة الجمع (نصارى) [1]، ومرة واحدة في صيغة المفرد (نصرانياً)[2]، وأربع مرات في صيغة الوصف (أنصار)[3].

إنَّ آيتين فقط من القران الكريم تشيران إلى أنَّ أتباع عيسى عليه السلام هم الذين اطلقوا هذه التسمية على أنفسهم وهما: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ ﴾ المائدة: ١٤، ادعوا لنفسهم أنهم أنصار الله وسموا أنفسهم بذلك[4]. وهذا التخريج يرجح أنَّ اشتقاق كلمة النصارى جاء من الوصف أنصار، مع أنَّ هناك آراء تبين أنَّ الكلمة اشتقت من أصل آخر.

وفي الآية الثانية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ﴾ المائدة: ٨٢.

---

(١) الآيات كما وردت في سورة البقرة (٦٢، ١١١، ١١٣، ١٢٠، ١٣٥، ١٤٠) وسورة المائدة (١٤، ١٨، ٥١، ٦٩، ٨٢) وسورة الحج (١٧).

(٢) سورة آل عمران: ٦٧.

(٣) سورة آل عمران (٥٢) وسورة الصف (١٤).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢/ ١٩٦٤م، ٦/ ١١٧، وينظر: تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، ط٢/ ١٩٩٩، ٦/ ٣٣.

قال الصابوني: نجد أنَّ الحادثة التي نزلت فيها الآية تشير الى النصارى في وقت معلوم وهو عصر النبي محمد ﷺ حيث أنَّ الآية نزلت في جماعة منهم آمنوا به ﷺ قيل هم النجاشي (ملك الحبشة) وأصحابه، ولكن يستبعد أن يكون هذا الوقت المتأخر هو بداية التسمية[1].

وقيل: أنَّهُ ما دام اطلاق هذه التسمية على أتباع عيسى عليه السلام ليس محدداً بوقت معلوم، فمن المحتمل ألا يكونوا قد عرفوا باسم خاص بهم يميزهم عن بني إسرائيل، إلا بعد مضي فترة زمنية على النصارى لا نعلم مداها.. ومما يقوي هذا الاحتمال عدة أمور هي:-

١. إنَّ النداء الذي وجهه عيسى عليه السلام لمن أرسل إليهم من مناصريه- بحسب ما جاء في سورة الصف- كان لبني إسرائيل فكفر منهم من كفر، وآمن منهم من آمن، وبقيت حقيقة أنَّ المؤمنين والكافرين من بني إسرائيل خاصة، ولم يذكر لهم في هذا السياق أو غيره اسم (آخر) يكون علماً عليهم غير لفظة (أنصار الله) كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٥٢.

علماً أنه وردت لهم أوصاف أخرى في القران الكريم منها قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٥٢، ومنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ آل عمران: ٥٣، ففي هذه النصوص جاء لفظ (المسلمون) و(الأنصار) و(الحواريون) و(الشاهدين). وليست التسمية بواحد منها بأولى من الثانية أو الثالثة إلا أن يعرف تأريخ الاصطلاح.

٢. الذي يقوّي احتمال أن تكون التسمية بالنصارى جاءت متأخرة بعض الوقت أنَّ

(١) مختصر تفسير القران العظيم للإمام ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ، للشيخ محمد علي الصابوني، دار القران- بيروت، ط١/ ١٩٨١م، ١/ ٥٣٩.

الأبحاث المعاصرة تفرق بين نصرانية مبكرة وبين نصرانية متأخرة باستعمال دلالة خاصة لدراسي تطور العقيدة النصرانية.

٣. أن كلمة نصارى تطلق ويراد بها الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ولم يخلطوا في إيمانهم ولم يقولوا بالتثليث ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، كما وتطلق أيضاً على الذين بدلوا في العقيدة الأصلية ووصفوا الله بما لا يليق به من الصفات، واعتقدوا في عيسى عليه السلام التجسيد والنبوة وقالوا فيه وفي أمه قولاً عظيماً ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة: ٣٠.

٤. ومنهم من جعل أصل تسمية النصارى بذلك نسبة إلى بلدة (الناصرة وهي من قرى الجليل في فلسطين) التي ولد فيها السيِّد المسيح عليه السلام.

٥. وقيل: إنَّ مصطلح نصراني أو ناصري مأخوذ من ناذر (ناذرايت أو ناصرايت) وتعني الناذر نفسه للإله أو المنذور للإله[١].

ثانياً: عند النصارى:

مما هو معلوم أن يسوع الناصري نسبة الى مدينة الناصرة في فلسطين السالفة الذكر، لكن عند التدقيق في العهد الجديد نجد أنَّ اللفظة قد استعملها كُتاب الأناجيل كثيراً[٢]

(١) ينظر: النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، محمد عثمان صالح ص١٤

(٢) استخدمها بطرس الحواري، واستخدمها بولس الرسول أو كما يسمى في الإنجيل شاؤول (محرف الديانة النصرانية ومؤسس الديانة المسيحية المحرفة)، واستخدمها الجنود الذين جاءوا للقبض على عيسى قبل صلبه، واستخدمها بيلاطس الحاكم الروماني الذي زعموا أنه صلب السيد المسيح وكتب على الصليب متهكماً (يسوع الناصري ملك اليهود) إنجيل يوحنا ١٩: ١٩.

كـ(متى، لوقا، ومرقسأ و«مرقص»، ويوحنا) وفي مناسبات شتى ومن أناس متباينين المشارب علماً أن العهد الجديد لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من صلب المسيح عندهم تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ومن هذه الاستعمالات المتكررة نستنتج أنَّ إطلاق اسم الناصري على (عيسى) وإطلاق اسم (الناصريين) على أتباعه كان في الاناجيل أمراً عادياً شائعاً، لأن هذا اللفظ استعمله الموافقون والمخالفون وأصبح مصطلحاً لازماً له ولأتباعه، إلى أن ظهر بولس وغيَّر مصطلح تسميتهم الى المسيحيين.

ثالثاً: عند اليهود:

ذكرت المصادر اليهودية عيسى وأمه بكل سوء وشتيمة وألصقوا به وبأمه كل ما لا يليق بهم بعدِّهم بشراً فضلاً عن كونه نبياً مرسلاً، وكان نعته بينهم بالناصري من باب السخرية والتهكم، أما التلمود[1] فقد تجاوز كل الحدود في التجاوز والتطاول على شخصه عليه السلام وكان ذلك بعد أن وجد اليهود لهم مأوى في الشرق وضعف السلطة الكنسية في الغرب أي ما يسمى عند أهل التاريخ (عصر النهضة أو التنوير).

كما أطلق اليهود على المسيح وأتباعه: ألقاب المهرطقين وخدام الوثن والجوييم «أي: الأغيار والأغراب» وكلها أوصاف يفهم منها الشتم والذم.

بل أنَّ اسم عيسى عليه السلام عندهم هو عيسى بن يوسف النجار حيث ادَّعوا زوراً أنَّ سيدتنا مريم عليها السلام قد عشقت رجلاً اسمه يوسف النجار فولدت منه عيسى- تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا- واتهموه بالسحر والشعوذة والضلال[2].

---

(١) التلمود: هو الشريعة الشفوية لليهود، جاء فيه عن يسوع وأتباعه: (الناصري: هو الذي يتبع تعاليم كاذبة يبتدعها رجل يدعو الى العبادة في اليوم الأول التالي للسبت)، ينظر تاريخ الديانتين، سعدون الساموك، ص٤٥-٤٦.

(٢) ينظر: فضح التلمود (تعاليم الحاخاميين السرية) ترجمة زهدي الفاتح، طبعة دار النفائس-

علماً أنه لا يرون في المسيح عيسى بن مريم هو المسيح المنتظر بل يصرحون أنَّه سيظهر من نسل داود أو يوسف عليهما السلام كما يدعون، وظلت هذه الفكرة مسيطرة عليهم حتى جاء بولس أو المعروف باليهودية شاؤول وحاول وضع خطة بعيدة المدى تهدف الى تحريف هذه الديانة مما سعى في خدمة مصالح اليهود وأهدافهم.

صفوة القول:

إنَّ النصرانية في أصلها دين منزل من الله تعالى، لكنها غيِّرت وبدِّلت وحرِّفت نصوصها، وتعددت أناجيلها، وتحوَّل أتباعها عن التوحيد إلى الشرك (وذلك باعتراف مؤرخي النصارى أنفسهم) ثم نسخت بالإسلام، فأصبحت باطلة؛ لتحريفها ولنسخها كاليهودية[1].

- ثانياً: المسيحية:

يظهر لنا من خلال التحليل اللغوي أنَّ مصطلح «مسيحية» مصطلح تشترك به أكثر من لغة بين عربية وعبرية وسريانية وهو اسم يدل على الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام ويرجع في نسبتها الى المسيح، والمسيح كما ورد في المعاجم اللغوية فعيل بمعنى مفعول يعني الممسوح بدهن البركة وهذا أشهر الأقوال فيه[2].

هو ذلك الشعار القائل: (ما جئت لأنقض، بل لأكمل) هذا هو موجز شريعة السيِّد المسيح عليه السلام، علماً أنه لم ينسخ شريعة موسى عليه السلام ولم ينشئ ويضع قوانين اجتماعية جديدة، بل كان همه الوحيد اعطاء تعاليم خلقية وتمييزها عن قوانين الدولة ومن ثم

بيروت، ط٢/ ١٤٠٣هـ، ص٧٣-٨٤.

(١) الموجز في المذاهب والاديان المعاصرة د. ناصر العقل وناصر القفاري ص٦٤.

(٢) ذكر الفيروز آبادي في القاموس المحيط في مادة «مسح» أن في اشتقاق اسم المسيح عيسى أكثر من خمسين وجهاً، ويظهر أن كل هذه الوجوه ترجع إلى التحليلات والتعليلات في اللغة العربية.

بقيت شريعة موسى مع التخفيف مما فرضه الحاخامات على الشعب المحتار، فحوا ما أحل الله لتقوى قبضتهم على أعناق (شعب صلب الرقبة) ومن ثم عرفت المسيحية بأنها رسالة المحبة والسلام[١].

وقيل: المسيحية تلك الديانة التي انفصلت عن مسيحية عيسى عليه السلام التي اتسمت بالبساطة حيث أعلن المسيح عليه السلام أنها ديانة توحيدية وكان يعلن فيها أنَّه عبد الله ورسوله، وأنَّه بُعث إلى خراف بني إسرائيل الضالة وأنَّه مجدد في رسالته لبني إسرائيل داعياً الى الأخلاق الكريمة والرحمة والمحبة والتعاطف[٢].

وقيل: ذلك الدين الذي ابتكره بولس حيث لم يكن مستمداً من أصول تعليم عيسى ولا من نظريات الحواريين وأفكارهم، حيث كان بولس من أهم أتباع الديانة المسيحية الأوائل وأكثرهم مسؤولية عن التغيير الذي أصابها في عقائدها، فقد أضاف إليها أشياء جذرية رسمت مستقبل طريق المسيحية الجديدة[٣].

وقيل: تلك الدعوة التي جاء بها عيسى عليه السلام وبشَّر بها في حياته، إلا أنَّها ابتعدت عن المسيحية التي يدين بها النصارى اليوم[٤].

وقيل: هي دعوة التوحيد التي دعا بها السيد المسيح أتباعه طول حياته، مؤيداً بالمعجزات التي أنعم الله بها عليه[٥].

---

(١) مسيحية بلا مسيح، د. كامل سعفان، ص١١.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنيبر، ترجمة شيخ الإسلام عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية- بيروت، ص٧.

(٣) المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل، الأستاذ ساجد مير، دار السلام للنشر- الرياض، ط١/ ٢٠٠٣م، ص٣٩.

(٤) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد الحاج، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط١/ ١٩٩٢م ص٧٥.

(٥) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل، د. هاشم جودة، مطبعة الأمانة- القاهرة ، ط١/ ١٩٨٠م،

وقيل: ذلك الدين الذي بدَّله وغيَّره بولس، حيث ابتدع الوهية المسيح عليه السلام ولم يره في حياته ولا بعد صلبه كما يعتقدون، وقد حوَّل رسالته من رسالة خاصة لبني إسرائيل الى رسالة عامة الى الأمم كلها، زاعماً لهم أنَّ ما هم عليه من عقائد لا يتعارض مع ما يدعو إليه.

وقد هلك من المسيح طائفتان: طائفة أحبته فغالت فيه وادَّعت له الألوهية وهم بولس وأتباعه إلى اليوم.

وطائفة أبغضته فكذبته ورمته بالسحر والجنون، ورموه وأمَّه بالفاحشة وهم اليهود ومن كفر بالمسيح.

وهناك طائفة أخرى ظلت على رسالة عيسى عليه السلام موحدة ملتزمة بتعاليمه مبشرة بمحمد ﷺ ولكنها اضطهدت وشردت واندثرت تعاليمها إلا القليل وتم ذلك لصالح الوثنية[1].

وقيل: دعي المؤمنون مسيحيين أول مرة في أنطاكية نحو سنة ٤٢- ٤٣م ويرجح أنَّ ذلك اللقب كان شتيمة، علماً أن تابعي كانوا أناساً سفلة عاميين.

وقد شاع هذا المصطلح بمعنيين:

١. المقر بالديانة المسيحية.

٢. المؤمن الحقيقي القلبي والمعنى الأخير أحسن من الأول، وقد امتد المسيحيون إلى كل أقطار المسكونة[2].

ص١١٩.

(١) نقض دعوى عالمية النصرانية، د. فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية- القاهرة، ط١/ ٢٠٠٤م، ص١٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس لفظ (مسيحي) ص٥٩٩.

وقيل: هي الديانة المحرفة في عالمنا المعاصر تُعَدْ أخطر الديانات الوضعية على وجه الأرض وأكثرها أتباعاً وأقواها دعايةً وحملةً وأجرءها على افتتان المسلمين في دينهم وغزوهم فكرياً وعسكرياً[1].

وقيل: هو ذلك الدين الذي بدأ به المسيحيون اليونانيون أتباع بولس يعرفون شيئاً عن ابن مريم عليه السلام مَنْ أمه؟ ومن أقاربه؟، وكيف وُلِدْ؟ وأين وُلِدْ؟ ومتى جاءته الرسالة؟ وما مدتها؟ وما أصولها وفروعها وأساسها الذي وضعه ابن مريم، وبماذا عَلَّم ابن مريم وبأي لغة تكلم؟ ومن تلامذته؟ والمعجزات التي جرت على يديه؟ أشياء كثيرة تتكلم عن مسيح بشرى اسمه عيسى بن مريم وليس عن عيسى النصراني الذي ترائى لبولس من السماء في عالم الرؤيا.

وخلاصة الأمر:

أولاً: عند المسلمين: إذا أمعنا النظر في المصطلح فإنَّنا لا نجد أثراً لتسمية المسلمين لأتباع عيسى عليه السلام «بالمسيحيين» أو لديانته «بالمسيحية»، بل ظلت التسمية ثابتة لهم في جميع كتب التراث الإسلامي «النصارى» ودينهم هو «النصرانية» لا غير.

يقول د. محمد عثمان صالح: أستطيع القول من غير تردد أن مفردات المؤلفين المسلمين كانت حتى مطلع العصر الحديث لا تعرف كلمة «مسيحية» ولا كلمة «مسيحيين» سوآءا كان ذلك في التاريخ أم العقائد أم كتب الملل والنحل أم الفرق أم الأديان أم غير ذلك من العلوم، وإنما غلب النصارى المسلمين في العصر الحديث وبالتحديد بعد الخضوع للاستعمار في تثبيت مصطلح مسيحية في أذهان المسلمين بدلاً من نصرانية، وفي تثبيت مصطلح مسيحيين بدلاً من نصارى؛ وذلك لنفس الدوافع التي حدث بأوائلهم أن

(١) مصادر النصرانية دراسة ونقداً، د. عبد الرزاق بن عبد المجيد الآرو، تقديم: د. محمد عبد الرحمن الخميس واللواء أحمد عبد الوهاب، دار التوحيد- الرياض، ط١/ ٢٠٠٧م، ص١٣.

يستبدلوا بكلمة نصرانية كلمة مسيحية[1].

ثانياً: عند النصارى:

من المعلوم أن عيسى عليه السلام يدعى في قومه بيسوع الناصري وأتباعه بالناصريين، لكنه من العجيب أنَّ العهد الجديد لم يترك أمر تسمية أتباع عيسى بالمسيحيين فقد ورد في سفر أعمال الرسل ١١: ٢٥- ٢٦، بوضوح أنَّ هذه التسمية قد ارتبطت ببولص (شاؤول) وعقائده وأفكاره المبتدعة التي أشاعها وسط أتباع عيسى عليه السلام وبين غيرهم من الأمميين، فالتسمية مرتبطة بأفكاره حول الأسرار المحيطة بالمسيح عيسى عليه السلام من زعم نبوته وتجسده وفدائه وصلبه وكونه المسيح المبشر به والمنادى بملكوت الله ومملكة السماء إلخ من هذه الأفكار التي صنعتها وصاغتها مخيلة «شاؤول» فهو أول من أطلقها على التلاميذ أو (الحواريون) كلمة مسيحيين.

فقد نجح بولس في مساعيه حيث تم له تحريف النصرانية وكان أكثر نجاحه في المنطقة الغربية من الامبراطورية الرومانية، حيث عاشت الفلسفات اليونانية والرومانية والوثنية التي تقبلت أفكاره بترحيب شديد ومما تقبلوه تغيير تسمية النصارى «بالمسيحيين» لأن ثقافة هذه المنطقة تقبل أن تنسب عظائم الأمور الى الابطال الذين يقومون بأعمال خارقة أو يقدمون تضحية جسيمة فكان من الطبيعي أن يتجول بولس في الشمال الغربي أن يتبنى لمن وافق أفكاره اسم «المسيحيين» لما فيها من شرف الانتساب والانتماء للمسيح «البطل» بدل النسبة الى قرية صغيرة وهي الناصرة. وشيئاً فشيئاً غلبت هذه التسمية الجديدة وأخذت في الذيوع والانتشار حتى أصبحت هي الوحيدة السائدة في الغرب ومن ثم اتجهت الى نصارى الشرق الذين تبعوا ديانة بولس، ولكن ليس من السهل أن

(١) النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشر، دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات. د. محمد عثمان صالح، طبعة مكتبة ابن القيم- المدينة المنورة، ط١/ ١٩٨٩م، ص٢٤.

نتصور أن ذلك حدث في مدَّة قصيرة بل أخذ عدداً من العقود والقرون.

ومما يجب أنْ يعلم أنَّ بعض نصارى الشرق المخالفين لتعاليم بولص احتفظوا باسمهم القديم حتى بعد القرن الرابع الميلادي حتى ميَّز بعض اللاهوتيين بين المسيحيين المتمسكين بأفكار بولص وبين غيرهم من الذين رفضوا هذه الأفكار، ويشير قاموس أكسفورد للكنائس المسيحية إلى أن هؤلاء الكتاب احتفظوا باسم «الناصريين» لمجموعة من أتباع عيسى عليه السلام من ذوي الأصل اليهودي الذين كانوا مقيمين في سوريا في القرن الرابع الميلادي، وكانوا متمسكين في التعاليم اليهودية في الجوانب التشريعية وفي معتقدهم ثبتوا على الأرثوذكسية، ومما يدل على هذا التميز أنها كانت متمسكة بنسخة من الإنجيل في اللسان الآرامي ويعرف عندهم «بالإنجيل العبري»[1].

ثالثاً: عند اليهود:

أصرَّ اليهود على تسمية عيسى عليه السلام وأتباعه بالناصريين وقد ظلت هذه التسمية ملازمة لهم على مدى قرون طويلة، ورفضوا أن يسموا عيسى عليه السلام وأتباعه بالمسيحيين لأن تلك التسمية متضمنة الانتماء الى المسيح المنتظر الذي يدعوه بـ(المسيا أو الماشيح) لأن هذه التسمية مقدسة عند اليهود بل تواردت النصوص أن المسيح المنتظر سيكون من نسل داود أو يوسف عليهما السلام.

فقد رفضوا هذه التسمية له عليه السلام ولن تكون هناك أي مجال للتنازل أو المساومة لأنها من المعتقدات الأساسية ولعل هذا هو السبب في رفض إطلاق اسم المسيحيين على النصارى؛ إذ أن معتقد اليهود الأساسي أنَّ المسيح المنتظر لم يأتِ بعد، وأنَّ عيسى عليه السلام

(١) النصرانية والتنصير، محمد عثمان صالح، ص٢٤.

ليس هو المسيح الموعود الذي أخبرت به أسفار العهد القديم.

وليس من المنطق أن يرفضوا تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح ويقبلوا تسمية أتباعه بالمسيحيين، وكان هذا هو الموقف اليهودي من عيسى عليه السلام وأتباعه حتى انطلاق عهد النهضة الأوربية ونشوء الحركة التجديدية في كل من الديانتين اليهودية والنصرانية، تلك الحركة التي أدت إلى نوع من التقارب والتفاهم بينهما ولا سيما بين الكنائس البروتستانتية واليهودية (المسماة التجديدية أو الإصلاحية).

وبعد ظهور حركات الإصلاح دعا الكثير من التيارات القوية في اليهودية الى التصالح والتقارب مع النصارى وقبولهم كأمر واقع، بل وضعوا مخططات خطيرة تقود النصارى في النهاية لاعتناق اليهودية أو الاقتناع بأفكارها كنبوءة التوراة في عودة اليهود إلى فلسطين، وإعلان قبول أن عيسى عليه السلام هو «مسيح» من ضمن مسحاء الرب، وأن عيسى عليه السلام ابن امرأة يهودية، وأن ما قام به هو محاولة تجديدية في اليهودية فتحقق لليهود ما كانوا يصبوا إليه، ولذا فلا بأس من تسميته «بالمسيح» وأتباعه بالمسيحيين، وهكذا أجاز الزعماء والرؤساء هذه التسمية من قبيل الهاء والمجاملة وقبلتها العامة من قبيل المجاراة والمتابعة[1].

صفوة القول: إنَّه قد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم (المسيحية). وأول ما دُعيَ النصارى (بالمسيحيين) في أنطاكية قرابة سنة (٤٢)م، ويرى بعضهم أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم.

ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السنة، كما أن المسيح بحسب

(١) ينظر: اليهودية، د. محمد بحر عبد المجيد، طبعة مكتبة سعيد رافث- القاهرة ، ط١/ ١٩٧٨م، ص١٦٩ وما بعدها.

الإنجيل لم يسمِّ أصحابه وأتباعه بالمسيحيين، وهي تسمية لا توافق واقع النصارى؛ لتحريفهم دين المسيح عليه السلام.

فالحقُّ والصواب أن يطلق عليهم نصارى، أو أهل الكتاب؛ لأن في نسبتهم للمسيح عليه السلام خطأ فاحشا؛ إذ يلزم من ذلك عزو ذلك الكفر والانحراف إلى المسيح عليه السلام، وهو منه بريء[1].

❊ ❊ ❊

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، ص١٦٥.

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةةةة ةةة ةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةة

أولاً: التبشير:

لو رجعنا إلى أصل اللفظة في اللغة العربية للفعل بَشَّرَ يُبَشِّرُ واسم المصدر منه (البِشَارَةْ) أو البِشْرَىْ، وهو في أصل استخدامه اللغوي يعني إيصال رسالة أو خبر ما يؤثر في بشرة الوجه تغيراً ملحوظاً، سواء كان تغير فرح تظهر منه على الوجه علامات السرور- وهو ما يعرف بالبشر- أو تغير حزن تظهر منه على الوجه علامات الانقباض، وهو ما يعرف بالكدر. فهي تعني الشيء وضده[1].

وقيل: التبشير هو مصطلح مسيحي يقصد به نشر الإنجيل بين مجموعة من البشر في محاولة لتنصيرهم. وتعرف الكنيسة الكاثوليكية التبشير بأنه: «عمل رعوي موجه إلى الذين لا يعرفون رسالة المسيح».

وطبقاً لوصايا العهد الجديد فإنَّ المسيح قد أوصى تلاميذه ومن خلالهم جميع المسيحيين أن ينشروا الديانة إلى كافة أصقاع الأرض، وهي كانت من كلمات المسيح الأخيرة «ما يجعلها تكتسب أهمية كبيرة». الكنيسة تعتبر التبشير «حق إلهي» وتصرّح: «من واجبها ومن حقها البديهي أن تبشر العالم أجمع بالإنجيل، باستقلالية تامة عن أي سلطة ونفوذ بشري، مهما كان، وأن تستخدم لذلك الأسلوب المناسب لكل مجتمع»[2].

وقيل: كلمة (التبشير) من الكلمات التي أطلقت على المنظمات الدينية النصرانية، التي

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص٤٤٧.

(٢) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) لفظة التبشير.

تستهدف نشر الديانة النصرانية في المجتمعات الإسلامية والوثنية والإلحادية[1].

والتبشير: هو حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية في الأمم المختلفة، في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب[2].

وعرفه محرر قاموس الكتاب المقدس بأنَّ هذه الكلمة تطلق في العهد الجديد على من يعظ ببشارة الخلاص، متنقلاً من مكان إلى آخر، لا يستقر في مكان مخصوص، إنما همه التجول يعظ بالإنجيل ويؤسس الكنائس باسم المسيح[3].

* والتعريف المختار هو: كلمة «تبشير» هي المصطلح الفنّي لتلك الحركة التي يقوم بها علماء النصارى ورهبانهم لنشر تعاليم الإنجيل بين المسلمين أو بين أصحاب الديانات الأخرى.

* تحمل كلمة «التبشير» في أصلها اللغوي معنى: البشارة بما هو خير، أو تبليغ ما هو خير للناس. فعندما يُطلق المنصّر على نفسه كلمة «مبشِّر»، وعلى كلامه اسم «التبشير»، يدعو المستمع إلى التفاؤل بما يسمع.

* فإذا علِمْنا أنّ الهدف من نشر تعاليم الإنجيل هو: تنصير المسلمين وغيرهم، كان من الأفضل والأحوط والأوْلى أن نُطلق على هذه الظاهرة كلمة: «تنصير» بدلًا من كلمة «تبشير» لأن هذه الكلمة أكثر دلالة على المطلوب.

* ثم تحوّل هدف التبشير داخل الشعوب المسلمة كما صرح بعضهم من إدخال المسلم إلى الديانة النصرانية، إلى أن يخرج المسلم عن دِينه، ولا ينبغي أن ينال شرف النصرانية.

---

(١) المكتبة الإسلامية على شبكة (إسلام ويب) مقالة بعنوان التبشير ومواجهته.

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود عبد العزيز الخلف، ص٣٧٩.

(٣) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، لفظة (مبشر) ص١٢٢.

وخلاصة القول:

إنَّ للتبشير دلالات في الأديان الثلاثة:

أولاً عند المسلمين: لم يقبل المسلمون هذا المصطلح فكرة ولا تطبيقاً، فرسالة نبي الله عيسى عليه السلام قد حُرِفَتْ، لا يمكن قبول هذا المصطلح إلا ممن يجهل معناه ومغزاه وخاصة بعد إدخال المحتلين لبلد المسلمين مثل هذه المصطلحات عمداً، فهذا المصطلح جاء إخفاء لمصطلح التنصير تلبيساً لعوام المسلمين حتى لا يدركوا المغزى الحقيقي لكلمة تبشير ومبشر.

ثانياً: عند النصارى: تدرج المصطلح ليبين دعوة الناس للنصرانية تحت عدة مسميات متلاحقة، فبدأ مصطلح تكريز ثم بعثة فإنجيل فبشارة فتبشير وبينهم مصطلح إرسالية أيضاً الذي عبر عن إرسال بعض المبعوثين لأداء مهمات نشر الإنجيل، ومثل مؤتمر كلورادو «مؤتمر تنصير المسلمين في كلورادو ١٩٧٨م» نقطة فاصلة في إخفاء المصطلح والتدليس به على غير المتخصصين ونشره بين كل الأوساط واستخدامه بدلاً من أي وصف آخر.

ثالثاً: عند اليهود: رفض اليهود مصطلح التبشير بالنصرانية جملة وتفصيلاً إذ لا يُعتبرون أن عيسى عليه السلام كان نبياً من الأساس، وأنَّ كل أتباعه لا يزيدون عن كونهم مهرطقين وكفاراً[1].

ثانياً: التنصير:

التنصير في مفهومه اللفظي اللغوي هو الدعوة إلى اعتناق النصرانية، أو إدخال غير النصارى في النصرانية، وفي الحديث عنه ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ

(١) النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير د. محمد عثمان صالح ص٤٢-٥١.

يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ..)[1]، والفطرة هنا هي الإسلام.

جاء في المعاجم اللغوية: «والتنصُّر أي الدخول في النصرانية، ونصَّره: جعله نصرانياً[2]، ومنه نَصْرَانَةُ وهي قرية بالشام، ويُقالُ لها ناصِرَةُ ونَصورِيَةُ أيضاً، يُنْسَبُ إليها النصارى، أو جَمعُ نَصْرانٍ، كالنَّدامَى جمعُ نَدْمانٍ، أو جمعُ نَصْرِيٍّ، كمَهْرِيٍّ ومَهارَى. والنَّصْرانِيَّةُ والنَّصْرانَةُ: واحدَةُ النَّصارَى. والنَّصْرانِيَّةُ أيضاً: دِينُهُمْ، ويُقالُ: نَصْرانِيٌّ وأنْصارٌ. وتَنَصَّرَ: دَخَلَ في دِينِهِمْ. ونَصَّرَهُ تَنْصيراً: جَعَلَهُ نَصْرانِيّاً[3].

ومنه تَنَصَّر الرجلُ: دخلَ فِي النَّصْرَانِيَّة. وَفِي المُحكَم: فِي دينِهم. ونَصَّره تَنْصِيراً: جعله نَصْرَانِيًّا[4].

وقد حصل للمفهوم اللفظي شيء من التطوير مع تطور النظرة إلى التنصير منذ بعثة عيسى عليه السلام فلم يكن هذا المصطلح حديث الإطلاق وليس هو ظاهرة جديدة، بل بدأ التنصير مع ظهور النصرانية، حيث كان مطلباً مهماً جاء به الإنجيل لنشر الدين النصراني وليس المسيحي.

التنصير اصطلاحاً

هو: دعوة الناس للدخول في النصرانية، فإن لم يدخلوا فيها فليخرجوا من دينهم وبخاصة المسلمون[5].

---

(١) ينظر: صحيح مسلم، ٨/ ٥٢، رقم الحديث ٦٨٤٩.

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٥/ ٢١٢.

(٣) ينظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي ، ١/ ٤٨٣.

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ) دار الهداية- القاهرة، ١٤/ ٢٣١.

(٥) أصول التنصير في الخليج، تأليف هـ. كونوي زيقلر، ترجمة مازن مطبقاني، نشر مكتبة ابن القيم في المدينة المنورة، ص٧.

وقيل: التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب. ويساعدهم في ذلك ثلاثة عوامل:

- **انتشار الفقر والجهل والمرض في معظم بلدان العالم الإسلامي.**
- **النفوذ الغربي في كثير من بلدان المسلمين.**
- **ضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنهم أو ييسرون لهم السبل رغباً ورهباً أو نفاقاً لهم**[1].

وقيل: التنصير يطلق على النشاط الذي تمارسه أفراد وهيئات ومنظمات أجنبية في الأراضي الإسلامية ضد العقيدة والمجتمع في الإسلام.

وقد طُرحت الكلمة ترجمة للمصطلح الأوربي (Missions) بديلاً عن كلمة (التبشير) وهو ما نختلف معه، وذلك لأسباب تتعلق بصحة ترجمة اللفظ وبمفهومه، وهي:

١. الترجمة الصحيحة لكلمة Mission هي (التبشير بالدين المسيحي) وليس التنصير.

٢. الهدف النهائي لذلك النشاط الهدام ليس إدخال المسلمين في النصرانية.

٣. لا مسوغ لعدم الرضا عن مصطلح التبشير خشية ظلاله الحسنة، لأن التبشير قد عبّر به القرآن الكريم عن الحسن والطيب، وعبرَّ به كذلك عن السوء والشر ومالا تحمد عقباه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١، وكقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة د. مانع بن حماد الجهني ٦٦٥/٢.

النحل: ٥٨-٥٩، وكقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لقمان: ٧، فالعبرة بمضمون البشارة وليس بظلال المصطلح.

٤. أن المستهدف بهذه الإرساليات والبعثات الدينية ليس المسلمين وحدهم، بل إن التبشير يمارس ضد طوائف النصارى الشرقيين من أرمن وقبط وأرثوذكس[١].

٥. كثير من أفراد البعثات التبشيرية قد انضم إليها لتحقيق أغراض ومآرب شخصية، مثل: السياحة والتجارة وغير ذلك[٢].

٦. التبشير هو إحدى مؤسسات التنصير وليس كلَّ التنصير؛ مما يجعل من قصر مصطلح التنصير على العمل التبشيري وتخصيصه به تمويهاً على المستهدفين بالتنصير وتحويل أنظارهم بعيداً عن نشاط المؤسسات التنصيرية الأخرى، التي ربما يفوق تأثيرها الهدَّام تأثير التبشير.

٧. أن كلَّ مبشِّر منصِّر، لكن ليس كلُّ منصِّر مُبشِّراً.

أما عن مفهوم التنصير في البيئة الإسلامية فقد صيغ المفهوم وتحددت وظيفته فيما يؤدي إلى إخراج المسلمين من دينهم وليس بالضرورة إدخالهم في النصرانية[٣].

وهذا المفهوم الحديث للتنصير يلمس أحد أبعاد العمل التنصيري، لكن هناك أبعاد أخرى لحقيقة التنصير لا يمكن الوقوف عليها إلا بإدراك طبيعة الصراع الكوني بين الديانات الكبرى من أجل استحقاق شرف ريادة الإنسانية وقيادتها، تلك القيادة التي

---

(١) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، علي بن إبراهيم الحمد النملة، مكتبة التوبة- الرياض، ط٢/ ١٤١٩هـ ص١٥.

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، د. فروخ الخالدي، المكتبة العصرية- بيروت، ط١/ ١٩٨٦م، ص٤٩-٥٠.

(٣) التبشير والاستعمار، د. فروخ الخالدي، ص٣٩.

تستمد مشروعيتها من امتلاك الحقيقة المطلقة المؤسَّسة على الوحي[1].

وقيل: هو الدعوة إلى دين النصرانية، ومحاولة نشر عقيدته في أنحاء العالم، بالوسائل والأساليب المتنوعة[2].

أولاً: عند المسلمين: التنصير عند المسلمين ارتبط بعدة مراحل، فكان دعوة إلى الله سبحانه عند ظهور نبي الله عيسى عليه السلام واعتبره المسلمون دعوة للوثنية بعد تحريف النصرانية بإدخال العقائد الفاسدة الوثنية فيها فكانت دعوة للزيغ والضلال والهوى والبعد عن توحيد الله وبعد ظهور النبي محمد ﷺ لم يعد هناك محل لدعوة التنصير لا بصورته الأولى ولا الثانية لأنَّ نبي الله عيسى عليه السلام بشر بالنبي محمد ﷺ وأمر أتباعه بإتباع النبي الخاتم عند ظهوره.

ثانياً: عند النصارى: لم يفرق النصارى في دعوة بني إسرائيل إلى النصرانية في حالتيها فاعتبروا أن بولس هو من فهم مضمون رسالة المسيح عليه السلام ودعا الناس إليها مع التأكيد على أن المسيح عليه السلام بُعث إلى القرى والمدن اليهودية تعريفاً لكلمة الشعب اليهودي أما بولس فقد وسع الدائرة جداً فادخل في النصوص ما ليس فيها، حتى يثبت أفكاره التي دسها في النصرانية وحرفها عن مضمونها الصحيح.

ثالثاً: عند اليهود: ظل اليهود على موقفهم من التنصير بوجوب تجنب النصارى وعدم الدخول في دينهم تكبراً عليهم واعتقاداً بنجاسة النصارى ولأنهم يعبدون وثناً ويقصدون عيسى عليه السلام - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- حيث كانوا يقتلون اليهود

(١) الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص٦.

(٢) النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، د. محمد عثمان صالح، ص٣١.

عمداً، وكانوا ربما يخالطونهم رياء ومداهنة[1].

أسباب التنصير

استغل المنصرون كل وسيلة ممكنة لنشر دينهم، وإشاعة باطلهم؛ صدا عن سبيل الله، وإرصاداً لمن حارب الله، وإضلالا لعباد الله، واستعبادا لعباد الله.استغلوا لأجل ذلك كل مرفق من مرافق الحياة، وكل حاجة من حاجات البشر، بل ربما أشعلوا نار الحرب، وأوقدوا، الفتنة لتفتح لهم الأبواب. فلم يمنعهم عقل عن استغلال آلام مريض، ولم يؤنبهم ضمير عن مساومة جائع على لقمته وما يسد رمقه، ولم تدفعهم رحمة لإنقاذ بائس أو شيخ فان أو عجوز حسيرة كسيرة، فمن لم يعلن كفره بربه وإيمانه بآلهتهم التي يعبدونها من دون الله.. فلن يلقى عنايتهم، ولن ينال أعطيتهم. لقد منحوهم كسرة الخبز، ليسلبوهم عقيدتهم، وناولوهم الكساء؛ ليهتكوا أعراضهم ويشيعوا فيهم الزنا والخنا، وعلموهم القراءة؛ ليتعلموا الكفر والإلحاد والزندقة، وبنوا لهم المعبد؛ ليقدسوا فيه الصليب ويعبدوا فيه الشيطان، ودعوهم إلى الحرية الزائفة؛ ليخرجوهم من عبودية الله فيقعوا في عبودية الهوى والشيطان، وصوروا لهم استحالة أن يغفر الله لهم وسولوا لهم أن القسيس يغفر الذنوب.

وأهم هذه الوسائل هي:

١. فرض النصرانية بالقوة.

٢. إشاعة الإلحاد والتبرج والتعري بين المسلمين.

٣. إثارة الفتن والحروب، والتخطيط للانقلابات العسكرية.

٤. إيقاظ اللغات واللهجات المحلية بدلاً من اللغة العربية الأم.

(١) النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، د. محمد عثمان صالح، ص٣١-٣٧.

٥. السيطرة على الإعلام بكل أشكاله وأنواعه.

٦. رعاية ومؤازرة طلائع الفساد ورؤوس الشر في البلاد الإسلامية.

٧. دراسة أحوال العالم الإسلامي وأوضاعه الداخلية.

٨. السيطرة على التعليم ومحاولة تغير المناهج بما يوافق مناهجهم الخاصة.

٩. بناء العديد من الكنائس والمراكز الثقافية التابعة لها.

١٠. التركيز على مظلومية المرأة المسلمة وأن الدين الإسلامي سلبها الكثير من حقوقها المشروعة.

١١. الإساءة إلى القران الكريم وإلى رموز الدين الإسلامي ومقدساته[1].

١٢. إرسال البعثات التنصيرية إلى بلدان العالم الإسلامي، والدعوة إلى النصرانية عن طريق توزيع المطبوعات من كتب ونشرات تعرف بالنصرانية، وترجمات للإنجيل، ومطبوعات للتشكيك في الإسلام، والهجوم عليه، وتشويه صورته أمام العالم.

١٣. اتجهوا أيضا إلى التنصير بطرق مغلفة، وأساليب غير مباشرة ولعل من أخطر هذه الأساليب ما كان: عبر التطبيب، وتقديم الرعاية الصحية للإنسان: وقد ساهم في تأثير هذا الأسلوب عامل الحاجة إلى العلاج، وكثرة انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة في البيئات الإسلامية، خصوصاً مع مرور زمن فيه ندرة الأطباء المسلمين، بل فقدانهم أصلاً في بعض البلاد الإسلامية.

١٤. التنصير عن طريق التعليم: وذلك إما بإنشاء المدارس والجامعات النصرانية صراحة، أو بفتح مدارس ذات صبغة تعليمية بحتة في الظاهر، وكيد نصراني في الباطن، مما جعل فئات من المسلمين يلقون بأبنائهم في تلك المدارس؛ رغبة في تعلم لغة أجنبية،

(١) ينظر: التنصير، تعريفه أهدافه وسائله حسرات المنصرين، للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، دار الكتاب والسنة- الرياض، ط١/ ١٩٩٩م، ص١٦ وما بعدها.

أو مواد خاصة أخرى، ولا تسل بعد ذلك عن حجم الفرصة التي يمنحها المسلمون للنصارى حين يهدونهم فلذات أكبادهم في سنِّ الطفولة والمراهقة حيث الفراغ العقلي، والقابلية للتلقي، أياً كان الملقي!!

١٥. الدعوة إلى النصرانية بإظهار مزاياها الموهومة، والرحمة والشفقة بالعالم أجمع.

١٦. إلقاء الشبهات على المسلمين في عقيدتهم وشعائرهم وعلاقاتهم الدينية.

١٧. نشر العري والخلاعة وتهييج الشهوات بغية الوصول إلى انحلال المشاهدين، وهدم أخلاقهم، ودك عفتهم، وذهاب حيائهم، وتحويل هؤلاء المنحلين إلى عباد شهوات، وطلاب متع رخيصة، فيسهل بعد ذلك دعوتهم إلى أي شيء، حتى لو كان إلى الردة والكفر بالله- والعياذ بالله- وذلك بعد أن خبت جذوة الإيمان في القلوب، وانهار حاجز الوازع الديني[1].

❊ ❊ ❊

(١) التحذير من وسائل التنصير، إعداد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية ص٩-١٤.

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةةةة ةةة ةةةةةة ةةة ةةةةةة ةةةة
ةةةةة

أولاً: أَهْلُ الْكِتَابِ:

أهل الكتاب: هو مصطلح قرآني ورد في أكثر من موضع من القران الكريم، ويطلق في الإسلام على اليهود والنصارى بالدرجة الأولى، والصابئة والمجوس بدرجة أقل، وأهل الكتاب هم أصحاب كتب مقدسة، تمييزاً لهم عن الوثنيين[1].

ويرى الجمهور أنَّ أهل الكتاب هم اليهود والنصارى فقط دون غيرهم، استناداً على الآية ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾، والتي تدل على أنَّ أهل الكتاب هم اليهود والنصارى فقط، وهو رأي الجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠هـ.

أمَّا المجوس، فمع أن بعض العلماء كابن حزم الظاهري ت٤٥٦هـ عدَّهم من أهل الكتاب، إلا أنهم ليسوا كذلك في تقدير جماهير الفقهاء[2].

وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم (المسيحية). وأول ما دُعيَ النصارى (بالمسيحيين) في أنطاكية حوالي سنة ٤٢م، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم.

---

(١) ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، موسوعة شبكة المعرفة الريفية (١٩٦٥م) لفظة أهل الكتاب.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، د. وهبة الزحيلي، هيئة الموسوعة العربية سورية- دمشق. لفظة (أهل الكتاب).

ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، كما أن السيِّد المسيح حسب الإنجيل لم يسمِّ أصحابه وأتباعه بالمسيحيين، وهي تسمية لا توافق واقع النصارى؛ لتحريفهم دين المسيح عليه السلام.

فالحقُّ والصواب أن يطلق عليهم نصارى، أو أهل الكتاب؛ لأنَّ في نسبتهم للمسيح عليه السلام خطأ فاحشاً؛ إذ يلزم من ذلك عزو ذلك الكفر والانحراف إلى المسيح عليه السلام، وهو منه بريء[1].

وقيل: هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ، فَيَدْخُلُ فِي الْيَهُودِ السَّامِرَةُ؛ لِأَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِالتَّوْرَاةِ وَيَعْمَلُونَ بِشَرِيعَةِ مُوسَى عليه السلام، وَيَدْخُلُ فِي النَّصَارَى كُلُّ مَنْ دَانَ بِالْإِنْجِيلِ وَانْتَسَبَ إلَى عِيسَى عليه السلام بِالِادِّعَاءِ وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ.

وقيل: أهل الكتاب يطلق على اليهود والنصارى معاً (أهل الكتاب) إشارة إلى أنَّ أديانهم سماوية منزلة من الله تعالى إليهم بكتاب. وأحيانا يطلق على أحدهما، والكتاب هو التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام. وقد ورد هذا الإطلاق في الكتاب والسنة.

ومع أنَّ اليهود والنصارى (أهل الكتاب) يكفِّر بعضهم بعضا إلا أنهم يجتمعون على الكيد للإسلام، والإضرار بالمسلمين. وقد ذكر الله عنهم ذلك في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ

(١) ينظر: موقع الدُّرَرُ السَّنيَّة، المشرف العام علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، موسوعة الأديان، قسم النصرانية.

عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

والذين كفروا من أهل الكتاب هم من لم يسلم من اليهود والنصارى.

وأهل الكتاب مكلفون بإقامة التوراة والإنجيل معا، لكنهم كفروا بهما، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة: ٦٨].

ومن إقامة التوراة والإنجيل: الإيمان بمحمد ﷺ حيث بشَّرت به هذه الكتب، واتباع الإسلام الذي نسخ ما قبله من الأديان[1].

وقيل: إنَّ المراد بأهل الكتاب هو ما ذَهَبَ إليه جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ (أَهْل الْكِتَابِ) هُمُ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِفِرَقِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَتَوَسَّعَ الْحَنَفِيَّةُ فَقَالُوا: إِنَّ أَهْل الْكِتَابِ هُمْ: كُل مَنْ يُؤْمِنُ بِنَبِيٍّ وَيُقِرُّ بِكِتَابٍ، وَيَشْمَل الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَمَنْ آمَنَ بِزَبُورِ دَاوُدَ، وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَشِيثٍ. وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ دِينًا سَمَاوِيًّا مُنَزَّلاً بِكِتَابٍ.

وَاسْتَدَل الْجُمْهُورُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ قَالُوا: وَلأَنَّ تِلْكَ الصُّحُفَ كَانَتْ مَوَاعِظَ وَأَمْثَالاً لاَ أَحْكَامَ فِيهَا، فَلَمْ يَثْبُتْ لَهَا حُكْمُ الْكُتُبِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى أَحْكَامٍ.

وَالسَّامِرَةُ مِنَ الْيَهُودِ، وَإِنْ كَانُوا يُخَالِفُونَهُمْ فِي أَكْثَرِ الأَحْكَامِ.

وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي الصَّابِئَةِ، فَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّهُمْ مِنْ أَهْل الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ أَوِ النَّصَارَى. وَفِي قَوْلٍ لأَحْمَد، وَهُوَ أَحَدُ وَجْهَيْنِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّهُمْ جِنْسٌ مِنَ النَّصَارَى.

وَالْمَذْهَبُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، وَهُوَ مَا صَحَّحَهُ ابْنُ قُدَامَةَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ: أَنَّهُمْ إِنْ وَافَقُوا

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة د. ناصر العقل ود. ناصر القفاري ص٦٥.

الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي أُصُول دِينِهِمْ، مِنْ تَصْدِيقِ الرُّسُل وَالإِيمَانِ بِالْكُتُبِ كَانُوا مِنْهُمْ، وَإِنْ خَالَفُوهُمْ فِي أُصُول دِينِهِمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْهُمْ، وَكَانَ حُكْمُهُمْ حُكْمَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ[1].

وقيل: أَهلُ الْكِتَابِ هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الذِّمَّةِ قَدْ يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ يَكُونُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ كَالْمَجُوسِ، فَالنِّسْبَةُ بَيْنَ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَأَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَعَمُّ مِنْ الآخَرِ مِنْ وَجْهٍ، وَأَخَصُّ مِنْهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، فَيَجْتَمِعَانِ فِي الْكِتَابِيِّ إذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ[2].

وقد أُطلق عليهم كذلك مصطلح أَهْلُ الأَمَانِ (الْمُسْتَأْمَنُونَ): والْمُرَادُ به الْمُسْتَأْمَنِين عِنْدَ الْفُقَهَاءِ: وهم مَنْ دَخَلَ دَارَ الْإِسْلَام عَلَى أَمَانٍ مُؤَقَّتٍ مِنْ قِبَلِ الْإِمَامِ أَوْ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ، عَلَى تَفْصِيلٍ يُذْكَرُ فِي مُصْطَلَحِه، وَعَلَى ذَلِكَ فَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الذِّمَّةِ: أَنَّ الأَمَانَ لأَهْلِ الذِّمَّةِ مُؤَبَّدٌ، وَلِلْمُسْتَأْمَنِينَ مُؤَقَّتٌ.

وقد أُطلق عليهم مصطلح (أَهْلُ الْحَرْبِ) والْمُرَادُ بِأَهْلِ الْحَرْبِ: هم الْكُفَّارُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ امْتَنَعُوا عَنْ قَبُولِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُعْقَدْ لَهُمْ عَقْدُ ذِمَّةٍ وَلَا أَمَانٍ، وَيَقْطُنُونَ فِي دَارِ الْحَرْبِ الَّتِي لَا تُطَبَّقُ فِيهَا أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ، فَهُمْ أَعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُعْلَنُ عَلَيْهِمْ الْجِهَادُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ عَامٍ.

وعَقْدُ الذِّمَّةِ: هو إقْرَارُ بَعْضِ الْكُفَّارِ عَلَى كُفْرِهِ بِشَرْطِ بَذْلِ الْجِزْيَةِ وَالْتِزَامِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ: أَنْ يَتْرُكَ الذِّمِّيُّ الْقِتَالَ، مَعَ احْتِمَالِ دُخُولِهِ الْإِسْلَامَ عَنْ طَرِيقِ مُخَالَطَتِهِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَوُقُوفِهِ عَلَى مَحَاسِنِ الدِّينِ. فَكَانَ عَقْدُ الذِّمَّةِ لِلدَّعْوَةِ إلَى

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية الصادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت، ط٢/ ١٤٢٧هـ، مطبعة دار السلاسل- الكويت ٧/ ١٤٠.

(٢) أحكام أهل الذمة للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢/ ٢٠٠٢م ٢/ ٧- ٩.

الْإِسْلَام، لَا لِلرَّغْبَةِ أَوْ الطَّمَعِ فِيمَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ مِنْ الْجِزْيَةِ. وَيَنْعَقِدُ هَذَا الْعَقْدُ بِإِيجَابٍ وَقَبُولٍ بِاللَّفْظِ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ، وَلَا تُشْتَرَطُ كِتَابَتُهُ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي سَائِرِ الْعُقُودِ، وَمَعَ هَذَا فَكِتَابَةُ الْعَقْدِ أَمْرٌ مُسْتَحْسَنٌ لِأَجْلِ الْإِثْبَاتِ، وَدَفْعًا لِمَضَرَّةِ الْإِنْكَارِ وَالْجُحُودِ[1].

الْجِزْيَة: بِالْكَسْرِ اسْم لما يُؤْخَذ من أهل الذِّمَّة وَالْجمع الجزي مثل اللِّحْيَة واللحى. وَإِنَّمَا سميت بذلك لِأَنَّهَا تجزي عَن الذِّمِّيّ أَي تقضي وتكفي عَن الْقَتْل فَإِنَّهُ إِذا قبلهَا سقط عَنهُ الْقَتْل.

والْجِزْيَة على نَوْعَيْنِ: أَحدهمَا: مَا تُوضَع بِالتَّرَاضِي وَالصُّلْح فَلَا يعدل عَنْهَا. وَثَانِيهمَا: مَا وَضعه الإِمَام بالغلبة على الْكفَّار وتقريرهم عَلَى أملاكهم. وَلِلْإِمَامِ أَن يوضع على الْفَقِير المعتمل فِي كل سنة اثْنَي عشر درهماً. وعَلى وسط الْحَال ضعفه وعَلى المكثر ضعفه. وَالصَّحِيح فِي معرفَة الْغَنِيّ وَالْوسط وَالْفَقِير عرف أهل بلد هُوَ فِيهِ فَمن عده النَّاس فَقِيرا أَو وسطا أَو غَنِيا فِي تِلْكَ الْبَلدة فَهُوَ كَذَلِك[2].

وقيل: إِنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ هُمُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ أُقِرُّوا فِي دَارِ الْإِسْلَامِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِالْتِزَامِ الْجِزْيَةِ وَنُفُوذِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ فِيهِمْ[3].

وأُطلق عليهم أيضاً مصطلح أَهْلُ الْعَهْدِ: وهُمُ الَّذِينَ صَالَحَهُمْ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى إِنْهَاءِ الْحَرْبِ مُدَّةً مَعْلُومَةً لِمَصْلَحَةٍ يَرَاهَا، وَالْمُعَاهَدُ: مِنَ الْعَهْدِ: وَهُوَ الصُّلْحُ الْمُؤَقَّتُ، وَيُسَمَّى الْهُدْنَةَ وَالْمُهَادَنَةَ وَالْمُعَاهَدَةَ وَالْمُسَالَمَةَ وَالْمُوَادَعَةَ. وكذلك أُطلق عليهم مصطلح الْمُسْتَأْمَنُونَ:

(١) ينظر: الخلاصة في أحكام أهل الذمة د. علي نايف الشحود ١/ ١٩٥- ١٩٧.

(٢) دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت في القرن ١٢هـ)، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١/ ٢٠٠٠م، ١/ ٢٧٣.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية الصادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت، ط٢/ ١٤٢٧هـ، مطبعة دار السلاسل- الكويت، ٧/ ١٠٤.

وهو في الأَصْل الطَّالِبُ لِلأَمَانِ، وَهُوَ الْكَافِرُ يَدْخُل دَارَ الإِسْلاَمِ بِأَمَانٍ، أَوِ الْمُسْلِمُ إِذَا دَخَل دَارَ الْكُفَّارِ بِأَمَانٍ[1].

والحديث عن أهل الكتاب وأحكامهم حديث موضعه كتب الفقه والتفسير كأكل ذبائحهم والزواج منهم لكن ما يهمنا من ذلك محاورتهم بالحسنى ودعوتهم لاعتناق هذا الدين حديث طويل قد تكلَّم القران الكريم عنهم كثيراً وفي مواضع عديدة حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾العنكبوت: ٤٦.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٦٤.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾البقرة: ٨٣، وأمرنا بإحسان القول إلى كل الناس أهل كتاب وغيرهم، وهذا ديدن الإسلام يأمر أتباعه بكل خُلُقٍ كريم وينهاهم عن كل خُلُقٍ ذميم[2].

ثانياً: أهل الذمة:

كثيراً ما يتردد على أسماعنا مصطلح فقهي مشهور ذكره العلماء رحمهم الله تعالى في

(١) المصدر نفسه ٧/ ١٠٧.

(٢) ينظر: رؤية شرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب للشريف محمد بن حسين الصمداني، راجعه وقدم له: الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، طبعة وزارة الأوقاف السعودية ص٢٦.

مصنفاتهم الفقهية أطلقوه على اليهود والنصارى ممن سكنوا أو وُلدوا في دار الإسلام مصطلح أهل الذِّمَّة أو أهل العهد أو المستأمنون، ومن خلال هذه المطلب سأُبين معنى هذا المصطلح، فقد عرفوه بما يلي:

أهل الذِمَّة: هم الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة الإسلامية من غير المسلمين من يهود ومسيحيين ومجوس، والذمة معناها العهد والأمان والكفالة، وسمي أهل الذمة ذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم. وأذَّمه: أي أجاره وتعهد بحمايته، وعقد الذمة عقد بمقتضاه يصير غير المسلم في ذمة المسلمين؛ أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد[1].

وقيل: الذِمَّة: لغة: العهد؛ لأنَّ نقضه يوجب الذم، ومنهم من جعلها وصفًا فعرفها بأنها وصف يصير الشخص به أهلًا للإيجاب له وعليه، ومنهم من جعلها ذاتًا، فعرفها بأنها نفس لها عهد؛ فإن الإنسان يولد وله ذمة صالحة للوجوب له وعليه، وهذا عند جميع الفقهاء[2].

وقيل: كل حركة يلزمك من تضييعها الذم يقال لها ذمة، وتجمع على (ذم) و(ذمام) و(ذمم) وهي لغة: العهد لأنَّ نقضه يوجب الذم، ومنه يقال: أهل الذمة للمعاهدين من الكفار.

وشرعاً: مختلف فيها فمنهم من جعلها وصفاً، وعرَّفها بأنها وصف يصير الشخص به أهلاً للإيجاب له وعليه، وهو اختيار فخر الإسلام عليه الرحمة، ولهذا عرفها: بأنها نفس لها عهد فإن الإنسان يولد وله ذمة صالحة للوجوب له وعليه بإجماع الفقهاء حتى يثبت له ملك الرقبة وملك النكاح[3].

---

(١) الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ) دار الحديث- القاهرة، د. ت ١/ ٢٢١.

(٢) التعريفات، للجرجاني، ص١٠٧.

(٣) الكُلِيَّاتْ، لأبي البقاء الكفوي، ص٤٥٤.

وقيل: هم المعاهدون من أهل الكتاب، ومن جرى مجراهم. والذمِّي: هو المعاهد الذي أعطي عهدا يأمن به على ماله، وعرضه، ودينه[1].

وقيل: وهم المواطنون غير المسلمين الذين يحملون جنسية الدولة، وسُمُّوا أهل العهد: وهم من ارتبطوا بالدولة الإسلامية بمعاهدة[2].

وقيل: الذِّمَّةُ فِي اللُّغَةِ: الْأَمَانُ وَالْعَهْدُ، فَأَهْلُ الذِّمَّةِ أَهْلُ الْعَهْدِ، وَالذِّمِّيُّ: هُوَ الْمُعَاهَدُ. وَالْمُرَادُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ الذِّمِّيُّونَ، وَالذِّمِّيُّ نِسْبَةٌ إلَى الذِّمَّةِ، أَيْ الْعَهْدِ مِنْ الْإِمَامِ- أَوْ مِمَّنْ يَنُوبُ عَنْهُ- بِالْأَمْنِ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ نَظِيرَ الْتِزَامِهِ الْجِزْيَةَ وَنُفُوذَ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ. وَتَحْصُلُ الذِّمَّةُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ وَمَنْ فِي حُكْمِهِمْ بِالْعَقْدِ أَوْ الْقَرَائِنِ أَوْ التَّبَعِيَّةِ، فَيَقَرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ فِي مُقَابِلِ الْجِزْيَةِ[3].

❊ ❊ ❊

(١) القاموس الفقهي سعدي أبو جيب، دار الفكر- دمشق، ط٢/ ١٩٨٨م، ص١٣٨.

(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي، طبعة دار النفائس- عمَّان، ط٢/ ١٩٨٨م، ص٩٥ وص٣٢٣.

(٣) الخلاصة في أحكام أهل الذمة، د.علي بن نايف الشحود ١/ ١٩٥.

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةةةة ةةة ةةةةةة ةةة ةةةةةةة
ةةةةةةةةةة

أولاً: أهل الإنجيل:

ورد هذا المصطلح في القران الكريم في سورة المائدة الآية ٤٧ بلفظ أهل الإنجيل، حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ سورة المائدة: ٤٧. فلابد من توضيح معنى الإنجيل ومن هم أهله؟ ، وهي كالتالي:

الإنجيل: كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام[١].

وقيل: وهو الكتاب المنزل على عيسى بن مريم عليهما السلام، وهو من النجل، وهو الأصل، الإنجيل: أصل لعلوم وحكم.

ويقال: هو من نجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، فالإنجيل: مستخرج به علوم وحكم، إلا أنَّ الإنجيل الاصلي قد فُقِدْ، وما هو مروي منه مقطوع الصلة بعيسى عليه السلام وليس من دليل علمي على صحته[٢].

وقيل: الإنجيل هو بمكانة القطب والعماد في النصرانية فهي تشتمل على أخبار شخصية المسيح عليه السلام من وقت الحمل الى وقت الصلب في اعتقادهم، وقيامه من قبره

(١) القاموس الفقهي سعدي ابو جيب، ص٢٨.
(٢) معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي، ص٩٢.

بعد ثلاث ليالٍ ثم رفعه بعد أربعين ليلة، كما تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم والصلب والفداء[1].

وقيل: الإنجيل كلمة يونانية معناها البشارة، أي الخبر المفرح أو السار ويُعْرَفْ بين المسيحيين باسم الإنجيل.

وقيل: كتاب الله الْمنزل على عِيسَى عليه السلام وَهِي كلمة يونانية مَعْنَاهَا الْبشَارَةوجمعها أناجيل[2].

وقيل: الإنجيل هو الكتاب السماوي الذي نزله الله سبحانه وتعالى على لسان عيسى عليه السلام ليكون الكتاب المقدس للدين المسيحي وليكون كلمة الله لرسوله المسيح ابن مريم عليهما السلام وأتباعه.

ولكن بحسب المفاهيم الإسلامية فإن ما يُسمَّى اليوم بالإنجيل لدى المسيحيين ليس كتاب الله الذي كان بين يدي نبي الله عيسى عليه السلام الذي كان يتألف بشكله الأصلي من الكتب الثلاث التي ذكرها القرآن الكريم هي التوراة التي بلَّغها موسى عليه السلام أو ما يسمى بالعهد القديم ومن الزبور والإنجيل كما بلغه عيسى عليه السلام.

والإنجيل بشكله الحالي نشأ مما تم تدوينه بعد عيسى عليه السلام مما بقي في ذاكرة أربع أشخاص ذوي قداسة خاصة عند المسيحيين، ولذلك لا يجد القارئ إلا القليل مما بلغه عيسى عليه السلام للناس[3].

ولذا جاءت آراء المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾.

---

(١) محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية في الرياض، ط١/ ١٤٠٤هـ، ص٤٨-٤٩.

(٢) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) لفظة الإنجيل.

(٣) ينظر: المعجم الإسلامي info@eslam.de.

قال الطبري: اختلفت الآراء في قراءة قوله: «وَلْيَحْكُمْ أهل الإنجيل». فمن قرأه: «وَلْيَحْكُمْ» بتسكين «اللام» على وجه الأمر من الله لأهل الإنجيل: أن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكامه، وكأنّ من قرأ ذلك كذلك، أراد: وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، وأمرنا أهْلَه أن يحكموا بما أنزل الله فيه. ومن قرأ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ ﴾ بكسر «اللام»، من «لِيحكم»، بمعنى: كي يحكم أهل الإنجيل. وكأنّ معنى من قرأ ذلك كذلك: وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، كي يحكم أهله بما فيه من حكم الله.

قال أبو جعفر: الذي نقول به في ذلك، أنَّهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأيِّ ذلك قرأ قارئ فمصيبٌ فيه الصوابَ.

وذلك أن الله تعالى لم يُنَزِّل كتابًا على نبيٍّ من أنبيائه إلا ليعمل بما فيه أهله الذين أمروا بالعمل بما فيه، ولم ينزله عليهم إلا وقد أمرهم بالعمل بما فيه، فللعمل بما فيه أنزله، وأمرًا بالعمل بما فيه أنزله. فكذلك الإنجيل، إذ كان من كُتُبِ الله التي أنزلها على أنبيائه، فللعمل بما فيه أنزله على عيسى، وأمرًا بالعمل به أهلَه أنزله عليه.

وإذ كان الأمر في ذلك على ما بيَّنَّا، فتأويل الكلام، إذا قرئ بكسر «اللام» من «ليحكم»: وآتينا عيسى ابن مريم الإنجيل فيه هدًى ونورٌ ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدًى وموعظة للمتقين، وكيْ يحكم أهلُ الإنجيل بما أنزلنا فيه، فبدّلوا حكمه وخالفوه، فضلُّوا بخلافهم إياه إذ لم يحكموا بما أنزل الله فيه وخالفوه. فأما إذا قرئ بتسكين «اللام»، فتأويله: وآتينا عيسى ابن مريم الإنجيل، فيه هدى ونورٌ ومصدقا لما بين يديه من التوراة، وأمرنا أهله أن يحكُموا بما أنزلنا فيه، فلم يطيعونا في أمرنا إياهم بما أمرناهم به فيه، ولكنهم خالفوا أمرنا،

فالذين خالفوا أمرنا الذي أمرناهم به فيه، هم الفاسقون[1].

قال القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ أَيْ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ لِيَحْكُمَ أَهْلُهُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ. فَهُوَ إِلْزَامٌ مُسْتَأْنَفٌ يُبْتَدَأُ بِهِ، أَيْ لِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ أَيْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَأَمَّا الْآنَ فَهُوَ مَنْسُوخٌ. وَقِيلَ: هَذَا أَمْرٌ لِلنَّصَارَى الْآنَ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّ فِي الْإِنْجِيلِ وُجُوبَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالنَّسْخُ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ فِي الْفُرُوعِ لَا فِي الْأُصُولِ، وَلِأَنَّ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إِلْزَامٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَهْلِ الإنجيل. لِأَنَّ اللَّهَ تعالى لَمْ يُنَزِّلْ كِتَابًا إِلَّا لِيُعْمَلَ بِمَا فِيهِ، وَأَمَرَ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، فصحتا جميعاً[2].

قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ أَيْ: وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ (فِيهِ هُدًى وَنُورٌ) لِيَحْكُمْ أَهْلُ مِلَّتِهِ بِهِ فِي زَمَانِهِمْ. وَقُرِئَ: (وَلْيَحْكُمْ) بِالْجَزْمِ اللَّامُ لَامُ الْأَمْرِ، أَيْ: لِيُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ مَا فِيهِ، وَلْيُقِيمُوا مَا أُمِرُوا بِهِ فِيهِ، وَمِمَّا فِيهِ الْبِشَارَةُ بِبَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْأَمْرُ بِاتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ إِذَا وُجِدَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الْآيَةَ الْمَائِدَة: ٦٨، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٧؛ وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴾ أَيِ: الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، الْمَائِلُونَ إِلَى الْبَاطِلِ، التَّارِكُونَ لِلْحَقِّ. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ت٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١/ ٢٠٠٠م، ١٠/ ٣٧٤.

(٢) تفسير القرطبي، ٦/ ٢٠٩.

الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النَّصَارَى، وَهُوَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ. ولَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى التَّوْرَاةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى كَلِيمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَدَحَهَا وَأَثْنَى عَلَيْهَا، وَأَمَرَ بِاتِّبَاعِهَا حَيْثُ كَانَتْ سَائِغَةَ الِاتِّبَاعِ، وَذَكَرَ الْإِنْجِيلَ وَمَدَحَهُ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِإِقَامَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا فِيهِ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، شَرَعَ تَعَالَى فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أَيْ: بِالصِّدْقِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أَيْ: مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ ذِكْرَهُ ومَدْحَه، وَأَنَّهُ سَيَنْزِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ نُزُولُهُ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ، مِمَّا زَادَهَا صِدْقًا عِنْدَ حَامِلِيهَا مِنْ ذَوِي الْبَصَائِرِ، الَّذِينَ انْقَادُوا لِأَمْرِ اللَّهِ وَاتَّبَعُوا شَرَائِعَ اللَّهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ سورة الْإِسْرَاءِ: ١٠٧، ١٠٨، أَيْ: إِنْ كَانَ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمِينَ، مِنْ مَجِيءِ مُحَمَّدٍ ﷺ (١).

قال الزحيلي رحمه الله: بيَّن تعالى أنَّ التوراة شريعة أنبياء بني إسرائيل، فقال: وأتبعنا على آثار أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، فهو آخر نبي لليهود، مصدقاً للتوراة التي تقدمته قولاً وعملاً أي: مقراً بأنه كتاب من عند الله وأنه كان حقاً واجب العمل به، يعمل بها فيما لم يغاير الإنجيل، قال عيسى عليه السلام: «ما جئت لأنقض الناموس (شريعة التوراة) ولكن لأكمل أو لأتمم» أي لأزيد عليها بعض الأحكام والمواعظ.لذا قال تعالى آمراً النصارى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ وقال هنا: وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ أي وأعطيناه الإنجيل فيه الهداية للأحكام العملية والضياء لأصول العقيدة، كالتوحيد ونبذ الشرك والوثنية، والإنجيل كالقرآن مصدق للتوراة، والله جعل الإنجيل

(١) تفسير بن كثير، ٣/ ١٢٦.

هادياً وواعظاً المتقين، لأنَّهم الذين ينتفعون به.

ويلاحظ أن تكرار جملة وَمُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ لمعنيين مختلفين، الأول: أن المسيح يصدِّق التوراة، والثاني: أن الإنجيل يصدِّق التوراة.

وأمَّا تكرار كلمة هُدىً فالمراد بها أولا: بيان الأحكام والشرائع والتكاليف، والنور: بيان التوحيد والنبوة والمعاد، وأما المقصود بها ثانيا: فهو أنَّ الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوة محمد ﷺ، فهو سبب لاهتداء الناس إلى رسالة الإسلام لاشتماله على البشارة بمجيء محمد ﷺ النبي الأخير كما يسمونه عندهم «البارقليط» الأعظم.

وأمَّا كون الإنجيل مختصاً بعظة المتقين فلاشتماله على النصائح والمواعظ والزواجر البليغة المتأكدة، وإنَّما خصها بالمتقين لأنَّهم هم الذين ينتفعون بها، كما في قوله تعالى عن القرآن (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ).

وبعد بيان خصائص الإنجيل أمر تعالى بالعمل به فقال: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ أي وقلنا: ليعمل النصارى بالأحكام التي أنزلها الله فيه، كما قال تعالى في أهل التوراة: وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها. والمقصود من الأمر بالحكم بما في الإنجيل بعد نزول القرآن: هو زجرهم عن تحريف ما في الإنجيل وتغييره، مثلما فعل اليهود بإخفاء أحكام التوراة.

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون أي المتمردون الخارجون عن حكم الله وشرعه.

وأوصاف الكافرون، الظالمون، الفاسقون هل هي واحدة أو متعددة؟ جعل بعضهم هذه الثلاثة صفات لموصوف واحد، وخصصها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

والأولى أن يُقال: من جحد حكم الله وأنكره فهو الكافر، ومن لم يحكم به وهو مقر

تارك فهو الظالم الفاسق[1].

ومما يستفاد من هذه الآية:

١. أنَّ التوراة الأصلية فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون (أنبياء بني إسرائيل) والربانيون والأحبار، والربانيون: العلماء الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم. والأحبار: العلماء المتقنون الذين يحكمون الشيء فهما ودراية، ويبينونه للناس بياناً حسناً.

٢. الإنجيل الأصلي فيه هدى ونور ومصدق للتوراة وهدى وموعظة للمتقين.

٣. القصد من الإشارة بالتوراة والإنجيل هو زجر اليهود والنصارى عن التحريف والتبديل، والتحذير من التفريط بالأحكام المقررة فيهما، وبيان التقائهما مع القرآن في الأصول والأحكام الأساسية، مما يوجب الإيمان بالقرآن وبالنبي محمد ﷺ وبرسالته التي ختمت بها الرسالات السماوية.

ثانياً: اليسوعيون:

اليسوعيون: نسبة إلى يسوع ومعناه (المسيح عيسى بن مريم عليه السلام).

يسوع: الصيغة العربية للاسم العبري [يشوع] لشخصين في العهد الجديد ومعنى الاسم [المخلص].

١. يسوع المخلص: وقد تسمى يسوع حسب قول الملاك ليوسف ومريم، ويسوع هو اسمه الشخصي أما المسيح فهو لقبه، وقد وردت عبارة (الرب يسوع المسيح) نحو ٥٠ مرة في العهد الجديد. ويسوع المسيح أو المسيح يسوع نحو ١٠٠ مرة، بينما وردت لفظة يسوع وحدها على الأكثر في الأناجيل، ويسوع المسيح، والرب يسوع المسيح كما ورد في

(١) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، ط٢/ ١٤١٨هـ، ٦/ ٢١١.

سفر أعمال الرسل.

٢. يهودي مسيحي يدعى أيضاً يسطس وكان عاملاً مع بولس ورفيقاً له في رومية[١].

ومن هذا المصطلح اشتقت تسمية الرهبنة اليسوعية (اليسوعيون) وهي واحدة من أهم الرهبنيات الفاعلة في الكنيسة الكاثوليكية، ومن أكبرها. تأسست على يد القديس إغناطيوس ديلويولا في القرن السادس عشر أيام البابا بولس الثالث في إسبانيا، كجزء من الإصلاح المضاد، وأخذت على عاتقها مهمة التبشير ونشر الديانة في العالم الجديد. مكثت الرهبنة اليسوعية من أقوى منظمات الكنيسة الكاثوليكية المؤثرة، واصطدمت أواخر القرن الثامن عشر ببعض السلطات الأوروبية ما دفع إلى حلّها عام ١٧٧٣م وهو القرار الذي ألغي عام ١٨١٤م على يد البابا بيوس السابع.

عند تأسيسها اعتبرت الرهبنة اليسوعية «الأكثر حداثة ودلالة، لقد جسدت الكفاءة والفاعلية اللتين ستصبحان سمتين مميزتين للحضارة الحديثة»، ولقد رفع مؤسسها إغناطيوس إلى مرتبة قديس عام ١٦٢٢م.

تتواجد الرهبنة اليسوعية في ١١٢ منطقة جغرافية موزعين على قارات العالم الست، ومركزها الرئيسي يقع في روما، وتتبع نمط الإدارة اللامركزية، وتدير أعدادًا كبيرة من المدارس، والجامعات، والمشافي، ودور العجزة، والمكتبات، وتهتم بالحوار المسكوني، والتطوير اللاهوتي، والعدالة الاجتماعية. يعرف المنخرطون في هذه الرهبنة باسم «جنود الله»، نظرًا لخلفية مؤسسها العسكرية، والطاعة التي توليها قواعد الرهبنة أهمية بالغة. في ١٣ مارس ٢٠١٣ انتخب أحد أعضاء هذه الرهبنة بابا باسم البابا فرنسيس[٢].

(١) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٧٠٩.

(٢) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) لفظة اليسوعيون وكذا الموسوعة العربية (اليسوعيون).

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةة ةةةةةةةةة ةةةةةةةةة- ةةةة ةةةةةةة

اشكالية المصطلح

١. التبشير: مصطلح استعمله النصارى للتبشير بديانتهم ودعوة الناس إليها، لأنه يُعَدُّ من أقدس الأمور التي يتعبدون بها، وهي أقرب ما تكون بالدعوة إلى الله تعالى عند المسلمين،مع فارق الدعوتين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ سورة يوسف: ١٠٨، وأرى والله أعلم أنَّ التعريف الراجح: يطلق اسم التبشير على الحملة التي تزعمتها الصليبية الأوربية فيما يعرف بتعليم الدين المسيحي ونشره، والتبشير هو أحد صور الغزو الفكري الذي يهدف إلى غزو عقول وقلوب المسلمين من خلال الأفكار والثقافات الغربية النصرانية. ومعناه الحقيقي: هو التنصير الرامي إلى زعزعة العقيدة الإسلامية في قلوب ونفوس المسلمين وتشكيكهم فيها، وبالتالي إخراجهم من الإسلام.

٢. التنصير: مصطلح أطلقه مخالفوهم من المسلمين عليهم من خلال ما قاموا به من أعمال ظاهرها خيرية إغاثية كجمعية الصليب الأحمر وغيرها، حيث ينفذون من خلال هذه النافذة الى دعوة الناس إلى دينهم، ولم يعد هذا الأمر خافياً على أحد، فنشاطهم في أفريقيا بلغ مداه والتنصير فيها على قائم على قدم وساق.

٣. النصرانية: مصطلح أطلقه القران الكريم عليهم في أكثر من موضع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾ سورة المائدة: ٨٢، واختلف أهل الأديان في إطلاق لفظ النصارى عليهم، قيل سموا بذلك من باب النصر والتناصر استناداً لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ سورة الصف: ١٤،

أو نسبة إلى بلدة الناصرة بفلسطين، أو من قولهم: تنصَّر أي دخل في النصرانية، وقيل: من لبس الصليب والتنصر. علماً أنَّ النصارى اليوم في العراق وغيره من البلاد يتذمرون من هذا المصطلح ويرفضونه ويعدُّونه من باب الذم والنقص، ويعانون بشدة من إطلاق هذا المصطلح عليهم ويجدون في ذلك تمييزاً عنصرياً أو مذهبياً أو تفرقة بين أبناء البلد الواحد؟.

فضلاً عن أنَّ الدستور العراقي جاء في المادة (١٤) منه: (العراقيون متساوون أمام القانون دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو القومية أو الأصل أو اللون أو الدين أو المذهب أو المعتقد أو الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي)[١].

وجاء أيضاً: أن المادة (٤١) منه أنَّ: العراقيون أحرارٌ في الالتزام بأحوالهم الشخصية، حسب دياناتهم أو مذاهبهم أو معتقداتهم أو اختياراتهم.

ونصت المادة (٤٢) منه: لكل فرد حرية الفكر والضمير والعقيدة.

المادة (٤٣): أولاً: أتباع كل دينٍ أو مذهبٍ أحرارٌ في:

أ. ممارسة الشعائر الدينية.

ب. إدارة الأوقاف وشؤونها ومؤسساتها الدينية.

ج. تكفل الدولة حرية العبادة وحماية أماكنها[٢].

٤. المسيحية: اختلفت آراء الباحثين في دلالة المصطلح على الأتباع فمنهم من يقول: أنها الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام وسميت بالمسيحية نسبة إلى صفة عيسى عليه السلام كونه ممسوح بدهن البركة وقيل غير ذلك[٣].

---

(١) ينظر: دستور جمهورية العراق، مجلس النواب- الدائرة الإعلامية، ط٥/ ٢٠١١م. ص١٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٣-٣٤.

(٣) سمي عيسى ابن مريم بالمسيح؛ لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برئ بإذن الله، وقال بعض السلف: سمي مسيحًا لمسحه الأرض، وكثرة سياحته فيها للدعوة إلى الدين. وعلى هذين القولين

ولسائل أن يسأل: هل يجوز تسميتهم بالمسيحيين؟

الأولى والأسلم أنْ نسميهم بما سماهم الله تعالى به وهو مصطلح (النصارى) لكن من يطالع كتب الفقهاء عليهم رحمة الله وفتاواهم يجد أن علماء الإسلام اتفقوا على أن تسميتهم بالمسيحيين خلاف الأولى، ولم يترتب على ذلك عقاب أو ثواب، لأنها من جزئيات الفروع في العقيدة الإسلامية، والذي أراه والله أعلم أن لا إشكال في تسميتهم بالمسيحيين لأسباب:

١. تشريفاً لهم ونسبة إلى عيسى عليه السلام: ونحن مأمورون شرعاً بالإحسان الى كل الناس في القول والفعل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ سورة البقرة: ٨٣، ولأن النبي ﷺ كَانَ: «يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُوَ الرَّجُلَ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ وَأَحَبِّ كُنَاهُ»[1]، كان يعجبه أن يدعى الرجل بأحب أسمائه إليه وأحب كناه.

٢. ومما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث تثبت لك الود في صدر أخيك: (أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه).

علماً أنَّ المسيحيين يطلقون علينا لفظ المحمديون وغيره، فأقول إنَّ المسلمين لا يجيزون إطلاق مثل هذه المصطلحات عليهم، لأنَّ الله تعالى قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ سورة آل عمران: ١٩، وسمانا مسلمين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى

يكون المسيح بمعنى ماسح، وقيل: سمي مسيحًا؛ لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص له، وقيل: لأنه مسح بالبركة عند ولادته، أو طهر من الذنوب فكان مباركًا، وقيل: أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالزيت، وقيل: لأن الله قد مسحه أي خلقه خلقاً حسناً، وعلى هذين القولين يكون مسيح ممسوح والأظهر الأول، والله أعلم. ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٢) صدرت في ربيع الأول لسنة ١٤٠٥هـ، فتاوى عن المسيح عليه السلام أجابت عنها اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

(١) الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط٣/ ١٩٨٩م. ١/ ٢٨٥ رقم الحديث ٨١٩ وحكمه ضعيف، كما ضعفه الألباني.

﴿ ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ سورة الحج: ٧٨، ثم إنَّ اسم الديانة شيء، واسم النبي شيء، ولا ينسب الدين إلى شخص أو عشيرة، مع العلم أن تسميتهم بالنصراني مما يسبب لهم مصدر إزعاج وقلق، خصوصاً نحن نعيش في وقت تتعالى فيه الأصوات لاحترام الأقليات ومنحهم حقوقهم الكاملة.

ولهم أن يختاروا الاسم الذي يختارونه لأنفسهم كما يحبونه طالما لا يخالف عقيدتنا، مع أننا تربطنا علاقات وطيدة بهم، كالتاريخ واللغة والمصير المشترك.

ولم يمنع أو ينفي من إطلاق اسم آخر عليهم طالما لا يصطدم مع أحكام ديننا واعطاءهم حقوقهم سبب من أسباب توطيد السلم الأمني والمجتمعي، كما يجب أن لا ننسى أن كسب رضا الاقليات وتحريم التعرض لهم أو إيذائهم هو مقصد من مقاصد الشريعة وهو الحفاظ على احترام أهل الذمة.

٥. اليسوعيون: أو قوم يسوع، واليسوعيون نسبة إلى يسوع وهو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ثم تكونت فرقة تسمت باسمه ونادت بعودة الناس الى نداء عيسى عليه السلام وتعاليمه ورسالته.

٦. أهل الإنجيل: مصطلح قرآني ورد في سورة المائدة الآية ٤٧ حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ ﴾، فقد آتى الله تعالى عيسى بن مريم الإنجيل، ليكون منهج حياة، وشريعة حكم.. ولم يتضمن الإنجيل في ذاته تشريعاً إلا تعديلات طفيفة في شريعة التوراة. وقد جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة، فاعتمد شريعتها- فيما عدا هذه التعديلات الطفيفة.. وجعل الله فيه هدى ونوراً، وهدى وموعظة «للمتقين» ويستفاد من هذه الآية: أي إنَّه خاص بهم، فليس رسالة عامة للبشر- شأنه في هذا شأن التوراة وشأن كل كتاب وكل رسالة وكلرسول، قبل هذا الدين الأخير- ولكن ما طابق من شريعته- التي هي شريعة التوراة- حكم القرآن فهو من شريعة القرآن. كما ورد في

موضوع القصاص. وأهل الإنجيل كانوا إذن مطالبين أن يتحاكموا إلى الشريعة التي أقرها وصدقها الإنجيل من شريعة التوراة[1].

٧. أهل الكتاب: مصطلح قرآني أطلقه القران الكريم على أتباع الديانتين اليهودية والنصرانية، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم (١٢) مرة كررت هذه الآية. وقد تكفلت كتب الفقه الإسلامي ببيان هذا الموضوع وأقسامه وما يباح فيه وما يمنع منه كـ(الزواج منهم وأكل ذبائحهم، الجلوس معهم وغير ذلك..؟

٨. أهل الذمة: وهو مصطلح نبوي، و «الذمة» كلمة معناها العهد والضمان والأمان، وإنَّما سموا بذلك؛ لأنَّ لهم عهد الله وعهد الرسول، وعهد جماعة المسلمين: أن يعيشوا في حماية الإسلام، وفي كنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين، فهم في أمان المسلمين وضمانهم، بناء على «عقد الذمة» بينهم وبين أهل الإسلام.

فهذه الذمة تعطي أهلها «من غير المسلمين» ما يشبه في عصرنا «الجنسية» السياسية التي تعطيها الدولة لرعاياها، فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم.

وقد نهى النبي ﷺ عن إيذاءهم والتعدي عليهم فقال: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)[2].

وفي لفظ النسائي من طريقه قال ﷺ: (مَنْ قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة) فقال: من أهل الذمة ولم يقل معاهداً وهو بالمعنى»[3].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، طبعة دار الشروق- بيروت- القاهرة، ط١٧/ ١٤١٢هـ، ٢/ ٩٠١.

(٢) صحيح البخاري كتاب أبواب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم. ٣/ ١١٥٥، رقم الحديث ٢٩٩٥.

(٣) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ت٣٠٣هـ، دار المعرفة ببيروت، ط٥/ ١٤٢٠هـ، ٨/ ٣٩٣ رقم الحديث ٤٧٦٣ وحكمه صحيح صححه شعيب الشيخ شعيب الأرناؤوط.

ويمكن القول بعد هذا كله:

- إنَّ إطلاق لفظ أهل الكتاب أو أهل الذمة على النصارى اليوم قد انتقى واقعاً لأن الجميع في القانون سواء.

- ثم إنَّ مصطلح التبشير والتنصير يستخدم عادةً بين الدعاة والأكاديميين أو في الإعلام أما في الواقع لا تستخدم مثل هذه الألفاظ أو المصطلحات في الدلالة عليهم.

- أما أهل الإنجيل فهو مصطلح قرآني له علاقة بسبب نزوله آنذاك أما اليوم فلا يوجد من يسميهم بذلك ولا تجد أحداً من المسلمين يعترف ولو بالشيء القليل من الإنجيل على اعتباره أنه كتاب مقدس منزَّل من عند الله تعالى.

- أما استعمال النصارى واليسوعيون في الدلالة عليهم لا تجد لها أذن صاغية في الواقع الذي نعيشه، لأنهم يتذمرون منها.

- ومما شاع على الألسنة استخدام مصطلح المسيحيين في الدلالة عليهم لأنهم وكما ذكرت سالفاً أنهم يفضلونها فأرى ذلك هو الراجح والله أعلم.

وبعد هذا الجهد المتواضع أجد نفسي قد أتممت الموضوع وبيَّنت أن أهم المصطلحات التي تطلق على أتباع الديانة النصرانية وهي ثمانية مصطلحات، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وأرى والله أعلم أنَّ أبرز هذه المصطلحات هي ما يتداوله النصارى أنفسهم هو مصطلح (المسيحيين) ما فيه من تقريب لوجهات النظر، وتوطيد للأمن والسلم المجتمعي.

وختاماً أسال الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

ةةةةةةة

في ختام هذا البحث الموجز الموسوم بـ(الديانة النصرانية إشكالية المصطلح وعلاقته بالتجديد) توصلت إلى ما يأتي:

١. وضحت معنى النصرانية ودلالتها العامة من حيث اطلاقها على التعاليم التي جاء بها عيسى عليه السلام على اعتبار أن ديانته مكملة لما جاء به موسى عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ آل عمران: ٥٠.

أمَّا الدلالة الخاصة لمصطلح النصرانية عند المسلمين فمن تتبع استعمال القران الكريم لمصطلح (أنصار، نصارى) يعلم لماذا اختار المسلمون وفضلوه على غيره لأنه يحمل معنى مقبولاً في الإسلام، وهو قول الحواريون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٥٢، أو تحمل معنى التشريف والانتساب الى قرية الناصرة التي ولد بها السيد المسيح عليه السلام.

٢. الذي يظهر من مصطلح (المسيحية) يتبين له أن هذا المصطلح له صبغة تاريخية دينية عقائدية مقدسة مأخوذة من المسيح أي: الممسوح بدهن البركة، أو مشتق من المسيح المنتظر الذي تنتظره اليهود الذي سيعيد مجد مملكة داود، أو نسبة لما أشاعه شاؤول والمعروف ببولص حول شخصية عيسى عليه السلام وأفكاره ومن ثم دعا بولص أتباعه بالمسيحيين الذين جذبتهم هذه التسمية.

٣. بيَّنت أنَّ المقصود بالتنصير هو الدعوة لدين النصرانية ومحاولة نشر عقيدتها في جميع أنحاء العالم بالوسائل والأساليب المستحدثة، وأن المسلمين أطلقوا هذا المصطلح

على الدين الذي جاء به بولص.

٤. عرفت التبشير ودلالته العامة وأنه يستخدم في التبشير بالخير والتبشير بالشر، ولكن اذا استخدمت في التبشير بالخير فإنَّا ليس بنا حاجة الى قرينة تقيدها.

وأما الدلالة الخاصة لهذا المصطلح عند النصارى فإن ما يقوم به المنصر في دعوته إنما يعتمد على بث البشارة بأخبار سارة فحواها الخلاص والمحبة والملكوت.

٥. عرفت بمصطلحين أساسيين أطلقهما علماء الإسلام وقررتهما لشريعة الغراء ألا وهما (أهل الكتاب وأهل الذمة) مع أن استخدام الدلالة عليهما هو من اختصاص كتب الفقه الإسلامي.

٦. بينت مصطلح قرآني مهم جاءت الآية الكريمة بذكره ألا وهو مصطلح (أهل الإنجيل) ودعوتهم إلى تحكيم شرع الله تعالى في ذلك الوقت والآية منسوخة ببعثة النبي ﷺ.

وختاماً أسال الله تعالى بمنه وكرمه أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا ويزدنا علماً وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

ةةةةةةة ةةةةةةة

* القرآن الكريم.

١. الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، د. برهان غليون، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط١/ ١٩٩١.

٢. الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، دار الحديث- القاهرة، د. ت.

٣. أحكام أهل الذمة للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢/ ٢٠٠٢م.

٤. الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله (ت٢٥٦هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط٣/ ١٩٨٩م.

٥. أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، موقع الشيخ على شبكة الإنترنت. ومنشور في موقع مجلة البيان- دبي.

٦. أطلس الأديان د. سامي بن عبد الله الملغوث، مكتبة العبيكان- الرياض، ط١/ ٢٠٠٧م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ) دار الهداية- القاهرة.

٨. تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، د. سعدون محمود الساموك ود. رشدي عليان، دار الكتب للطباعة- الموصل، ط١/ ١٩٨٨م.

٩. التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، د. فروخ الخالدي، المكتبة العصرية- بيروت، ط١/ ١٩٨٦م.

١٠. التحذير من وسائل التنصير، إعداد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.

١١. التعريفات، للإمام علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت. ط١/ ١٩٨٣م.

١٢. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر- الرياض، ط٢/ ١٩٩٩م.

١٣. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، ط٢/ ١٤١٨هـ.

١٤. التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، علي بن إبراهيم الحمد النملة، مكتبة التوبة- الرياض، ط٢/ ١٤١٩هـ.

١٥. التنصير، تعريفه أهدافه وسائله حسرات المنصرين، للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، دار الكتاب والسنة- الرياض، ط١/ ١٩٩٩م.

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ت٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١/ ٢٠٠٠م.

١٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه= صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي ت٢٥٦هـ، تحقيق:

محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة- القاهرة، ط١/ ١٤٢٢هـ.

١٨. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢/ ١٩٦٤م.

١٩. الخلاصة في أحكام أهل الذمة د. علي نايف الشحود (المكتبة الشاملة).

٢٠. دائرة المعارف الأمريكية، طبعة شيكاغو، ط١/ ١٩٦٠.

٢١. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود عبد العزيز الخلف، أضواء السلف- الرياض ط١/ ١٩٩٧م.

٢٢. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد- الرياض ط٤/ ٢٠٠٨م.

٢٣. دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت في القرن ١٢هـ)، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١/ ٢٠٠٠م.

٢٤. دستور جمهورية العراق، مجلس النواب- الدائرة الإعلامية، ط٥/ ٢٠١١م.

٢٥. رؤية شرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب للشريف محمد بن حسين الصمداني، راجعه وقدم له: الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، طبعة وزارة الأوقاف السعودية.

٢٦. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

٢٧. سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن

شعيب بن علي النسائي ت٣٠٣هـ، دار المعرفة ببيروت، ط٥/ ١٤٢٠هـ.

٢٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط٤/ ١٩٨٧م.

٢٩. صحيفة الدستور الأردنية، مقالة بعنوان (مفهوم التجديد في الإسلام) د. عدنان علي رضا النحوي.

٣٠. صفحة الدكتور صبري محمد خليل خيري، مقالة بعنوان: (مفهوم التجديد في الفكر الإسلام) sabri.m.khalil@hotmail.com

٣١. العقائد المسيحية بين القرآن والعقل، د. هاشم جودة، مطبعة الأمانة- القاهرة، ط١/ ١٩٨٠م.

٣٢. الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٣٣. فضح التلمود (تعاليم الحاخاميين السرية) ترجمة زهدي الفاتح، طبعة دار النفائس- بيروت، ط٢/ ١٤٠٣هـ.

٣٤. الفكر الإسلامي هل يتجدد؟ د. حسن الترابي، مكتبة الجديد- تونس.

٣٥. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، طبعة دار الشروق- بيروت- القاهرة، ط١٧/ ١٤١٢هـ.

٣٦. القاموس الفقهي سعدي أبو جيب، دار الفكر- دمشق، ط٢/ ١٩٨٨م.

٣٧. قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين برئاسة جون ألكسندر طمسن، دار الثقافة- القاهرة ط١٠/ ١٩٩٥م.

٣٨. القاموس المحيط، للإمام مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي

(ت٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة بيروت- لبنان، ط٨/ ٢٠٠٥م.

٣٩. كتاب الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر- القمص تادرس يعقوب ملطي، (التجديد في العهد الجديد) موقع الكنيسة الأرثوذوكسية في مصر St-Takla.org?.

٤٠. الكُلِيَّاتْ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت١٠٩٦هـ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١/ ١٩٩٨م.

٤١. لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت٧١١هـ) دار صادر- بيروت، ط٣/ ١٤١٤هـ.

٤٢. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٢) صدرت في ربيع الأول لسنة ١٤٠٥هـ، فتاوى عن المسيح عليه السلام أجابت عنها اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

٤٣. مجلة المسلم المعاصر، بحث بعنوان: (التجديد في الفقه الإسلامي طرائقه وضوابطه) بقلم د. محمد عبد الرحمن المرعشلي، منشور في العدد ١١٠ لسنة ٢٠٠٣م.

٤٤. محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية في الرياض، ط١/ ١٤٠٤هـ.

٤٥. مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ت٦٠٦هـ، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط٢/ ١٩٩٥م.

٤٦. مختصر تفسير القران العظيم للإمام ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ، للشيخ محمد علي الصابوني، دار القران- بيروت، ط١/ ١٩٨١م.

٤٧. المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، د. عبد الرزاق محمد أسود، دار العربية للموسوعات- بيروت ط١/ ١٩٨١م.

٤٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ، دار الجيل- بيروت، الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤هـ.

٤٩. المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل، الأستاذ ساجد مير، دار السلام للنشر- الرياض، ط١/ ٢٠٠٣م.

٥٠. مسيحية بلا مسيح، د. كامل سعفان، دار الفضيلة- القاهرة، ط١/ ١٩٩٤.

٥١. المسيحية د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ط٨/ ١٩٨٤.

٥٢. المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنيبر، ترجمة شيخ الإسلام عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية- بيروت.

٥٣. مصادر النصرانية دراسة ونقداً، د. عبد الرزاق بن عبد المجيد الآرو، تقديم: د. محمد عبد الرحمن الخميس واللواء أحمد عبد الوهاب، دارالتوحيد- الرياض، ط١/ ٢٠٠٧م.

٥٤. المعجم الإسلامي info@eslam.de.

٥٥. معجم الحضارات السامية، هنري س عبودي، طبعة جروس برس- بيروت ط٢/ ١٩٩١م.

٥٦. معجم ألفاظ العقيدة، د. عامر عبد الله الفالح، تقديم عبد الله بن عبد الرحمن جبرين، مكتبة العبيكان، ط١/ ١٩٩٧م.

٥٧. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي، طبعة دار النفائس- عمَّان، ط٢/ ١٩٨٨م.

٥٨. المفردات في غريب القرآن للإمام الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ت٥٠٢هـ، تحقيق هيثم طعيمي دار إحياء التراث العربي، بيروت-

لبنان ط١/ ٢٠٠٨م.

٥٩. المكتبة الإسلامية على شبكة (إسلام ويب) مقالة بعنوان التبشير ومواجهته.

٦٠. الملل والنحل، للشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة- بيروت، ط٩/ ٢٠٠٨م.

٦١. المنطق الإسلامي، أصوله ومناهجه، للسيِّد محمد تقي المدَّرسي، دار الجبل- بيروت، ط٢/ ١٩٨١م.

٦٢. موجز الأديان في القران، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة- بيروت ط١/ ١٩٩٨م.

٦٣. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، عرض عقائدي وتاريخي ميسر، د. ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي للنشر- الرياض، ط١/ ١٩٩٢م.

٦٤. موسوعة أديان العالم، توماس جيتس جيفرسون، الدار المصرية القاهرة ط١/ ٢٠٠٨م.

٦٥. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

٦٦. الموسوعة العربية الميسرة، موسوعة شبكة المعرفة الريفية (١٩٦٥م).

٦٧. الموسوعة العربية الميسرة، د. وهبة الزحيلي، هيئة الموسوعة العربية سورية- دمشق.

٦٨. الموسوعة الفقهية الكويتية الصادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت، ط٢/ ١٤٢٧هـ، مطبعة دار السلاسل- الكويت.

٦٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد

الجهني- طبعة دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض ط ٤/ ١٤٢٠هـ.

٧٠. موقع اسلام أون لاين. نت مقالة بعنوان: التجديد، بقلم د. سيف الدين عبد الفتاح.

٧١. موقع الدرر السنية بإشراف عليوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الأديان، قسم النصرانية (التعريف بالديانة).

٧٢. موقع المختار الإسلامي، مقالة بعنوان التجديد مفهومه وضوابطه، بقلم: حسن محمد شبالة.

٧٣. النصرانية خواطر وأفكار، هالة شحاته عطيه، مركز التنوير الإسلامي- القاهرة، ط١/ ٢٠٠٨م.

٧٤. النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد الحاج، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط١/ ١٩٩٢م.

٧٥. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشر، دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات. د. محمد عثمان صالح، طبعة مكتبة ابن القيم- المدينة المنورة، ط١/ ١٩٨٩م.

٧٦. نقض دعوى عالمية النصرانية، د. فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية- القاهرة، ط١/ ٢٠٠٤م.

٧٧. اليهودية، د. محمد بحر عبد المجيد، طبعة مكتبة سعيد رافث- القاهرة، ط١/ ١٩٧٨م.

٧٨. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا الأنصاري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ط ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

٧٩. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد الزرعي ت٧٥١هـ، والمعروف بن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت ط٢/ ١٩٨٧.

٨٠. الدِّين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. محمد عبد الله دراز دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ط١/ ١٩٩٠.

❊ ❊ ❊

-23-

ÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖ ÖÖÖÖÖ

ÖÖÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖ

ÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖ ÖÖÖÖ ÖÖÖ

ÖÖÖÖÖÖ ÖÖ(ÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖÖÖÖÖÖÖÖ ÖÖÖÖ ÖÖÖÖ)

إعداد

م.م عبد الوهاب أحمد حسن

ةةةةةةة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ الحديث عن التجديد في علوم الشريعة ومن أهمها علم العقيدة أمر به حاجة إلى رؤية ثاقبة وجرأة في الطرح، وقدرة على التحليل والنقد في آنٍ واحد.

ولا أزعم هنا بأني أمتلك كل هذه الخصال، فلست قادراً ولا مؤهلاً لذلك؛ وهذا في الوقت نفسه لا يعني عدم المحاولة وبذل الجهد في سبيل الوصول إلى الغاية والمقصود، وهو مراجعة بعض ما تحتويه كتب العقائد القديمة، ومحاولة عرضها عرضا يناسب عصرنا الذي يحتاج منا أن نفكر بأسلوبه المعاصر.

إنَّ من أهم ما امتاز به أسلافنا المراجعة والتدقيق والتجديد للعلوم التي اختصوا بتصنيفها، فتارة يختصرون المطوّل، وتارة ينظمون المنثور، وتارة يشرحون المتون، وتارة يضيفون الحواشي...

لقد تصدى علماء الأمة من سلفها لدعاوى المبطلين وشبهات المشككين بهذا الدين، فدحضوا حججهم، وردوا كيدهم وفنّدوا شبههم، وقاموا بأمر حق القيام، فحمى الله تعالى بهم دينه، وردَّ بهم أعدائه، فأثبتوا الحجة وأبانوا المحجة، وردّوا على الشبه التي أثيرت في عصرهم بما يناسب تلك الأفهام في تلك الأيام.

ونحن اليوم نواجه غزواً جديداً وشبهاَ حديثة، وأفكاراً معاصرة، ولكي نتمكن من تقديم عقيدتنا الإسلامية الأصيلة بثوبها الجديد لتواكب هذه التيارات الهدامة المعاصرة علينا تغيير بعض أنماط عرضنا لعقيدتنا التي هي في ذاتها لا تقبل التبديل ولا النسخ.

وقد اخترت مسألتين مما يجدر بنا نحن المتصدين لتدريس علم العقيدة والكلام أن نفكر في تجديد عرضها، وتناولها لنقدمها بأسلوب معاصر مستساغ، والقضايا التي تناولتها هي: أدلة وجود الله تعالى، وهي من أخطر القضايا الملحة في كل عصر وزمان، وقضية تحكيم العقل وجعله مقدماً وحاكماً على النص الشرعي الثابت.

من أجل ذلك أردت الإسهام في هذا المؤتمر المبارك، وأرجو أن يوفقني الله تعالى في قابل الأيام إلى إتمام هذا المشروع العظيم، وهو: تجديد علم العقيدة.

وبحثي هذا: (تجديد علم العقيدة) لا أريد به هدم القديم؛ بل توظيف القديم في خدمة الدين في عصرنا الحديث.

والتجديد الذي أعنيه لا يقصد به تناول أسس العقيدة والاجتهاد فيها؛ لأن أصول العقائد لا تتبدل ولا يطرأ عليها التغيير، فهي أصول ثابتة، إنما المراد صياغة القديم بثوبٍ جديد يناسب مدارك وأفهام المعاصرين.

وكل ذلك مبني على الإفادة من تراث علمائنا في إثبات العقائد والتدليل عليها، ودحض الشبه وإبطالها.

وقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة مطالب وخاتمة.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الثاني: مسألة إثبات وجود الله تعالى.

المطلب الثالث: مسألة تحكيم العقل.

الخاتمة وأهم النتائج.

***

ةةةةة ةةةة
ةةةةةة ةةةةةة

ةةةً: ةةةةةة ةةة:

الجديد ما يقابل القديم، ويطلق التجديد ويراد به: إعادة القديم إلى ما كان عليه.

قال ابن منظور: ((تجدّد الشيء يعني صار جديداً، وجدّده أي صيّره جديداً. والجديد نقيض البالي.

فيقال «بلى بيت فلان ثم أجدّ بيتاً من شعر» أي أعاد بناءه. ويقال «جدّد الوضوء» أي أعاده، «وجدّد العهد» أي كرّره وأكده))[1].

ومن معانيه التحديث، قال الفيومي: ((وجدد فلان الأمرَ وأجدّه واستجدّه إذا أحدثه))[2].

ولقد استعمل مصطلح التجديد في الفكر الإسلامي أخذاً من الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَة عَلَى رَأْسِ كُلِ مَائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدّدُ لَهَا دِينَهَا»[3].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور اسماعيل بن حماد، ٣/ ١١١، والصحاح للجوهري، (مصر: دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م)، ١/ ٤٥١، وينظر أيضاً: مختار الصحاح، الرازي محمد بن أبي بكر، ص٩٥.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ٢٠١٠م، ص٩٢.

(٣) ينظر: صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، برقم ٤٢٧٠ ورمز له الشيخ ناصر الدين الألباني بالصحة، ط١، ١٩٨٩م، ٣/ ٨٠٩، حديث رقم٣٦٠٦، وينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم ٥٩٩، وصحيح الجامع الصغير (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦م) حديث رقم ١٨٧٤.

ةةةةةً: ةةةةةةةة ةةةةةةةً:

والمعنى الاصطلاحي لا يبتعد عن اللغوي كثيراً، فيحمل معنى التكرار، والإعادة والتحديث.

قال العظيم آبادي: ((وإنما كان التجديد على رأس كل مائة سنة لانخرام العلماء فيه غالباً، واندراس السنن وظهور البدع، فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين، فيأتي الله تعالى من الخلق بعوض من السلف إما واحداً أو متعدداً)) انتهى. وقال القاري في المرقاة: ((أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم ويعز أهله ويقمع البدعة ويكسر أهلها)). انتهى.

فظهر أنَّ المجدد لا يكون إلا من كان عالماً بالعلوم الدينية، ومع ذلك من كان عزمه وهمته آناء الليل والنهار إحياء السنن ونشرها، ونصر صاحبها، وإماتة البدع ومحدثات الأمور ومحوها، وكسر أهلها باللسان أو تصنيف الكتب والتدريس أو غير ذلك، ومن لا يكون كذلك لا يكون مجدداً البتة وإن كان عالماً بالعلوم مشهوراً بين الناس، مرجعاً لهم)[1].

يقول الدكتور بسطامي محمد سعيد: ((والمراد بتجديد الدين: إحياء معالمه العلمية والعملية التي أبانتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف))[2].

ويقول الدكتور بسطامي: ((ومما سبق يتبيّن أن التجديد في أصل معناه اللغوي وفي استعماله النبوي يدل على الإحياء والبعث والإعادة، وأن هذا المعنى يكوّن في الذهن، كما بين بسطامي محمد سعيد، تصوراً تجتمع فيه معان ثلاثة يستلزم كل واحد منها الآخر:

الأول: أن الشيء المجدّد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً، للناس به عهد.

الثاني: أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي: ١١/ ٣٩١- ٣٩٢.

(٢) مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، (الكويت: دار الدعوة، ط١، ١٩٨٤م) ص٣.

الثالث: أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى))[1].

وبناءً على هذا المفهوم اللغوي بنى بعض العلماء المعاصرين تعريفهم لمفهوم التجديد. يقول الدكتور يوسف القرضاوي: ((إن التجديد لشيء ما، هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد. وذلك بتقوية ما وهِيَ منه، وترميم ما بلى، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى))[2].

ويقول جمال سلطان: ((إنَّ التجديد في مجال الفكر، أو مجال الأشياء على السواء، هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلى أو قدم إلى حاله الأولى))[3].

لكن الجدير بالملاحظة أن مصطلح التجديد في الساحة الفكرية الإسلامية قد شابه بعض الغموض، وعدم الضبط، لاكتسابه من خلال التداول العام معنى الإلغاء والتجاوز.

وإذا بحثنا عن الأسباب التي حمّلت مصطلح التجديد هذا المعنى، بل وجعلته المعنى المتبادر إلى الذهن عند إطلاقه عند بعض الباحثين، نجدها تنحصر في عنصرين:

١. عدم اشتهار مصطلح التجديد في تراثنا الإسلامي.

٢. بروز مصطلح التجديد في الفكر الإسلامي الحديث في مرحلة بدأت تتسرّب فيها المنهجية العلمانية إلى حياتنا الفكرية والمعرفية والقيمية والفنية، فشاع استعماله الحديث عند بعض مفكري الإسلام الذين يقتربون في نسقهم الفكري من القيم والمناهج الغربية. فأصبح بعضهم يتوجس من هذا المصطلح خيفة، لأن التيار العلماني استطاع تأميمه

(١) المصدر نفسه، ص١٤-١٥.

(٢) تجديد الدين في ضوء السنة»، للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة (جامعة قطر: العدد٢، ١٩٨٧م) ص٢٩.

(٣) تجديد الفكر الإسلامي، جمال سلطان، (الرياض: دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ) ص١٣.

وتعبئته بمضامين جعلته رمزاً لتجاوز الشريعة[1].

ةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةةةةةً:

ةةةةً: ةةةةة ةةةةةةة ةةة:

أصل كلمة العقيدة من العقد والشّدّ قال الجوهري: ((عقدت الحبل والبيع والعهد، فانعقد. وعقد الرُّب[2] وغيره، أي غلظ، فهو عقيد. وأعقدته أنا وعقدته تعقيدا))[3].

قال ابن فارس: ((العين والقاف والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شَدٍّ وشِدّةٍ وُثوق، وإليه ترجعُ فروعُ البابِ كلها))[4].

وقال الزبيدي: ((الذي صرح به أئمة الاشتقاق أنَّ أصل العقد نقيض الحل..، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم))[5].

والخلاصة: أن العقيدة هي ما انعقد عليه القلب، وصدّق به واطمأن اليه وأصبح يقيناً عنده لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك.

---

(١) يظهر هذا السبب في كتاب الغارة على التراث الإسلامي لجمال سلطان في فصل «دعوى التجديد وخطرها على التراث»، ص٧٦-٨٦.

(٢) الرُّب، بضم الراء هو: «الطلاء الخاثر، والجمع الربوب والربابُ. ومنه سِقاءٌ مَرْبوبٌ، إذا رَبَبْتَهُ، أي جعلت فيه الرُبَّ وأصلحته به. «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ت٣٩٣هـ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- لبنان، ط/ ٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ١/ ١٣١ باب ربب.

(٣) المصدر نفسه: (٣/ ١٥٧).

(٤) معجم مقاييس اللغة تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٤/ ٨٦، باب عقد.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (١٢٠٥هـ)، ٢/ ٤٢٦ مادة عقد.

ثانياً: تعريف العقيدة الإسلامية اصطلاحاً:

إن مصطلح عقيدة إسلامية لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة، ورغم ذلك شاع استخدامه، ولاسيما في العصور المتاخرة للدلالة على الأبحاث المتعلقة بمسائل الإيمان، ولا مشاحة في الاصطلاح ما لم يؤد إلى مفسدة، وقد عرف أهل العلم هذا المصطلح بعدة تعريفات منها: ما ذكره الآيجي بقوله هو: ((علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام))[1].

وعرفت: بأنها الحكم الجازم المطابق للواقع الحق[2]. ويمكننا عموما تعريف العقيدة الاسلامية: بأنها جملة من الأصول والحقائق الإيمانية التي جاء بها الشرع ودعا الإنسان الى التصديق والاعتقاد بها، والجزم بصحتها سواء أكان منشأ تلك الأصول السمع أم العقل أم الفطرة أم هذه جميعاً، إيمانا لا يرقى إليه شك ولا تزعزعه الشبهات.

ةةةة ةةةةة ةةةةةةة:

بعد تعريف كلٍ من لفظي التجديد والعقيدة، أخلص إلى معنى هذا اللفظ المركب: تجديد العقيدة فأقول:

هو إحياء الإيمان في النفوس، واليقين في القلوب، والعودة بهما إلى ما كان عليه الصحابة والتابعون، عن طريق الأدلة العلمية وتجديد طرق الاستدلال على الإيمان بالله تعالى لتجمع بين الثبات والمرونة من غير أن تمس أركان الإيمان وثوابته.

---

(١) المواقف في علم الكلام تأليف: عضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الآيجي ت ٧٥٦هـ، طبع عالم الكتب- بيروت، ص: ٧.

(٢) ينظر: شرح جمع الجوامع من حاشية البناني، عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي (ت١١٩٨هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط١/ ٢٠١١م، ١/ ١١٠.

ةةةةة ةةةةةةةة

وقبل الخوض في مسائل العقائد أود إيضاح أمر مهم وهو: لماذا التجديد؟

وللإجابة على هذا السؤال أقول:

- التجديد ضرورة، لأنَّ هذا الدين خالد، ومن عوامل خلوده ومتطلبات خلوده: التجديد.

- التجديد ضرورة؛ لأنَّ النصوص محدودة والوقائع والحوادث غير متناهية، فلزم أن يتجدد الفهم لهذا النصوص التي تقبل التجدد، وأعني بها هنا: غير القطعية، والتي يمكن لأهل العلم الاجتهاد فيها بالفهم والتأويل.

يقول الشاطبي: ((فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج الى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوصا على حكمها، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضاً اتباع للهوى، وهو معنى تعطيل التكليف لزوماً، وهو مؤدٍ إلى تكليف ما لا يطاق، فإذن لا بد من الاجتهاد في كل زمان، لأن الوقائع لا تختص بزمان دون زمان))[1].

- والتجديد ضرورة لأن تقادم الزمن وبعد الناس عن عصر الوحي يؤدي إلى تغير المفاهيم، ووقوع الإنحراف في الفهم والتطبيق.

- والتجديد ضرورة، لأن الصراع مع الباطل مستمر، وأساليب أعداء الدين متنوعة متجددة، فكان لابد من تجديد وسائل أهل العلم لتضارع وسائل أعدائهم وتوازيها.

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، ط/ ١، ١٩٧٥م: ٤/ ١٠٤.

- والتجديد ضرورة ليبقى هذا الدين صالحاً لكل زمان، وكي لا يوصف بالجمود والتخلف، فيستوعب كل المستجدات، وبمرونته يحتوي كل المتغيرات، فهو الدين الخالد، والشريعة الباقية.

ةةةةة ةةةةةةة:

ليس التجديد في الدين هو التبديل، ولا التلاعب بالثوابت، وحتى لا يفهم بعض الناس الدعوة إلى التجديد أنها تنَكّر لكل قديم، أو تنصل عن ثوابت الدين، أرى أن تكون هناك ضوابط وشروط للتجديد الذي ننشده، وهي باختصار:

١- لا يكون التجديد في قضايا العقيدة التي لا مجال للعقل فيها.

٢- لا يكون التجديد في الحقائق الإيمانية والأخبار الغيبية، فأركان الإيمان الستة، وأن الدين المرضي عند الله سبحانه هو الإسلام، والإيمان بالغيبيات واليوم الآخر، والجنة والنار، كلها أمور غيبية لا نقاش فيها.

٣- لا خلاف في الأصول والكليات ومقاصد الشريعة[1].

٤- لا يكون التجديد في الأخلاق والفضائل العامة، فهي ثابتة لا يطرأ عليها النسخ ولا التغيير.

٥- لا يكون التجديد في القطعيات كالحدود والمقدرات من الأحكام، كعدد الجلدات، وأنصبة الزكاة، وأحكام الميراث التي وردت النصوص بها.

٦- ومما يشترط للذي يتصدى للتجديد في العقيدة، أن يكون عالماً معروفاً بصفاء العقيدة، وسلامة الدين، والصلاح، فلا تُقبل دعوى التجديد ممن عُرف بالفسق والانحراف في الفكر، والابتداع في الدين مما يخالف فيه جمهور المسلمين.

(١) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي، للدكتور عدنان محمد أسامة، ط١/ ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي- الدمام/ السعودية، ص ٢٧.

٧- أن يكون التجديد مما يحتاج إليه المسلمون من أهل زمانه، ويعُم نفعه، ولا يقبل ممن يقدمه إرضاء لجهة ما، داخليةٍ، أو خارجيةٍ.

وفيما عدا ذلك فكل ما لم يكن قطعياً، ولا معلوماً من الدين بالضرورة، فهو محل اجتهاد ونظر. هذا فيما أرى والله أعلم، فما كان فيه من صواب فبتوفيق الله تعالى، وما كان فيه من خطأ وخلل فمن نفسي، والله ورسوله منه براء.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةةةةةة ةةةة ةةةة ةةةةة

تُعد قضية وجود الله تعالى أهم قضية شغلت الأفكار عبر القرون الماضية السالفة، وفي عصر يظهر من يشكك بوجود الإله، ومن ينكر هذه القضية.

وقد عني علماء الإسلام بهذه القضية عناية كبيرة وأقاموا الحجج والبراهين لإثباتها والاستدلال عليها.

وقد كانت تلك الأدلة والبراهين تناسب العصور الأولى والقرون التي مضت، والذي يقرأ الآن أساليب الأقدمين (رضي الله عنهم) يجدهم قد وفّوا وأدوا ما عليهم من إقامة الحجة وتبيين الحق للناس في زمانهم، ولكن أصبحت أساليب القدامى صعبة الفهم، معقدة العبارة، بعيدة عن شبهات العصر الحاضر، بل أصبح الكثير من طلاب العلوم الشرعية يصعب عليهم فهم العبارات في كتب الكلام لتعقيدها، إضافة إلى أن أدلة القدامى لإثبات وجود الله تعالى أصبحت لا تناسب شبهات الحاضر، ولا أفكار المعاصرين، نعم قد تكون الأفكار الإلحادية هي نفسُها، لكن أصبحت الأدلة الآن أبسط وأسهل مما كانت عليه سابقاً. والذي يعنينا في هذا البحث المختصر ذكر أهم أدلة أهل الكلام على وجود الله سبحانه في كتب العقيدة، ثم ذكر أسلوب بعض المعاصرين في التدليل على وجود الرب تعالى، وذكر بعض أدلة المعاصرين.

أهم الأدلة على وجود الله تعالى في كتب القدماء:

الدليل الأول: دليل الحدوث.

وقد بنى المتقدمون الاستدلال على وجود الله سبحانه بحدوث العالم، ودليل حدوثه:

أن العالم حادث، وكل حادث له محدِث، فالعالم له محدث[1].

ثم استدلوا على حدوث العالم بتغيره فقالوا: العالم متغير، وكل متغير فهو حادث، فالعالم حادث[2].

ويستند علماء الكلام في هذا الدليل على نظرية الحدوث، وهي: أنَّ العالم متغير من حال إلى حال وهو- العالم- مركب من جواهر وأعراض، أو أعيان وأعراض.

قال الباقلاني: ((الجوهر: الذي له حيز. والحيز هو المكان أو ما يقدر تقدير المكان عن أنه يوجه فيه غيره.

والعرض: هو الذي يعرض في الجوهر، ولا يصح بقاؤه وقتين، يدل على ذلك قولهم: عرض لفلان عارض من مرض، وصداع إذا قرب زواله، ولم يعتقد دوامه. ومنه قوله عز وجل: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾))[3].

ونلاحظ غرابة هذه الطريقة في الاستدلال عن كثير من أفهام المعاصرين، سواء كانت هذه الغرابة في الفكرة أو في الألفاظ والمصطلحات المستخدمة، ولهذا يجد مدرسوا مادة

(١) ينظر: المواقف للإيجي لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الشافعي (ت٧٥٦هـ)، ومعه: شرح المواقف، للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ط/ ١ بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٧م، ٨/ ٢، والمسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة لابن الهمام الحنفي تأليف كمال الدين محمد بن محمد بن ابي بكر بن علي بن أبي شريف (ت٩٠٥هـ)، ط/ ١ دار الكتب- بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص ١٧.

(٢) ينظر: شرح جوهرة التوحيد، المسمى: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد الجيزاوي الباجوري الشافعي، (ت١٢٧٦هـ)، تحقيق: د. علي جمعة محمد الشافعي، ط/ ١، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م، ص١٠٤.

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني البصري، (ت ٤٠٣هـ) تحقيق محمد زاهد الكوثري المتوفى ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة الدولية للطباعة القاهرة، ط/ ٤، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص٣٠.

العقيدة وعلم الكلام صعوبة في تبسيط هذه المعاني وتذليلها للطلاب والدارسين.

والدليل على أنَّ كل حادث لابد له من محدث يحدثه، قول الإمام الماتريدي: ((وَأَيْضًا أَن كل عين مُحْتَاج إِلَى آخر بِهِ يقوم وَيبقى من الأغذية وَغَيرهَا مِمَّا لَا يحْتَمل أَن يبلغ علمه مَا بِهِ بَقَاؤُهُ أَو كَيفَ يسْتَخْرج ذَلِك ويكتسب، فَثَبت أَنه بعليم حَكِيم لَا بِنَفسِهِ وَبِاللَّهِ النجَاة والعصمة.

وَأَيْضًا: أَنه لَو كَانَ بِنَفسِهِ لَكَانَ يبْقى بِهِ وَيكون على حد وَاحِد، فَلَمَّا لم يملك دلّ على أَنه كَانَ بِغَيْرِهِ، وَأَيْضًا لَا يَخْلُو كَونه بِنَفسِهِ من أَن كَانَ بعد الْوُجُود، فَيبْطل كَونه بِهِ لما كَانَ مَوْجُودا بِغَيْرِهِ، أَو قبله، وَمَا هُوَ قبله كَيفَ يُوجد نَفسه؟ مَعَ مَا لَو كَانَ بِهِ قبل الْوُجُود لتوهم أَن لايوجد، فَيكون عديماً فَاعِلاً، وَذَلِكَ محَال. وَيشْهد لما ذكرنَا: أَمر الْبناء وَالْكِتَابَة والسفن أَنه لَا يجوز كَونهَا إِلَّا بفاعل مَوْجُود فَمثله مَا نَحن فِيهِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق))[1].

ومعنى كلامه- رحمه الله- أن كل موجود يحتاج إلى موجِد يوجده، ولا بد أن يكون هذا الموجِد متقدماً في وجوده على الموجَد، ولا يُعقل أن يوجد الشيئُ نفسه، لانه كان عدما قبل وجودها، وهذا القول يعنى: أن ننسب إلى المعدوم إرادة وقدرة، وهذا محال. وتكون النتيجة عندئذ: الرجحان بدون مرجح، وهو محال، يقول الدكتور قحطان الدوري: ((فلو حدث حادث بلا محدِث، للزِمَ أن يترجح وجوده على عدمه بلا مرجِح، وهو مستحيل بالبداهة))[2].

الدليل الثاني: دليل الخلق والاختراع

(١) التوحيد محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية- الإسكندرية، ص ١٨.

(٢) العقيدة الإسلامية ومذاهبها، تأليف الأستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري، ط/ الثانية، سنة ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، عن: كتاب- ناشرون، بيروت- لبنان، ص٢٨١.

ويسمى: دليل العناية والاختراع، وملخص هذا الدليل: أن الله تعالى خلق الخلق وفق عناية خاصة ونظام محكم، وتوازن دقيق، وقد أبدع تعالى هذا الكون من غير سابق صنع مماثل فهو سبحانه المخترع لهذا الكون والمنشئ له وحده.

إنّ دليل الغائية والعناية من الأدلة القوية في إثبات وجود الخالق عز وجل. فالكون كما لاحظه أصحاب الدليل لم يخلقه الله تعالى مصادفة واتفاقاً، إن الله تعالى أودع الكون سننه التي يسير عليها، وجميع المخلوقات تسير على وفق نظام متكامل لا مجال فيه للفوضى أو الاضطراب، ولا مجال فيه للعبث أو الاتفاق فالإتقان الكامل، والعناية الشاملة لكل الموجودات تشهدان أنَّ لهذا الكون خالقا ومدبراً حكيماً، نَظَّم الكون وربط بين أجزائه المختلفة بحيث يكمل بعضها بعضا. وقَدَّر الخالق عز وجل كل شيء في هذا الكون تقديرا[1].

فهذه المخلوقات لابد لها من موجِد، أخرجها من عدَم، وأمدها من عُدم، وآثار هذا الخالق تدل عليه. وربما يكون هذا الدليل من أوضح الأدلة التي استخدمها المتكلمون، وأبسطها في زماننا هذا، وأقدرها على مجاراة العصر الحديث. وقد أكّد القرآن الكريم هذا المعنى وكرّره في ثنايا آياته، منها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١

(١) دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، تأليف: الدكتور صالح الرقب- الدكتور محمود الشوبكي، قسم العقيدة- كلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية- غزة، ط/ ١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص٢٦٠.

(٢) النبأ: ٦- ١٥.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾[1].

ويرى ابن تيمية أنَّ أدلة وجود الله تعالى منحصرة في دليلي العناية والاختراع، فقال: ((فقد بان من هذا أنَّ الأدلة على وجود الصانع تعالى منحصرة في هذين الجنسين: دلالة العناية ودلالة الاختراع، وأن هاتين الطريقتين هما بأعيانهما طريقة الخواص؛ وأعني بالخواص العلماء، وإنما الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل، أعني: أن الجمهور يقتصرون في معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس، وأما العلماء فيزيدون إلى ما يذكرون من هذه الأشياء بالحس ما يدركون بالبرهان أعني من العناية والاختراع))[2].

ةةةةةة ةةةةةة: ةةةة ةةةةة

وهذا الدليل يقوم على افتراض كون موجد العالم واجباً أو ممكناً أو مستحيلاً، لأنَّ كل أمر لابد أن يتصف بواحد من هذه الثلاث، وتسمى هذه: أقسام الحكم العقلي، وهو: الذي تكون وسيلة إثباته العقل، كإثبات أن الواحد أقل من الأثنين.

فموجد العالم لا يمكن أن يكون مستحيلاً، لأنَّ المستحيل هو ما لا يتصور وجوده مطلقاً، كتقدم وجود الولد على الوالد، فلا يتصور وجود المستحيل، بالتالي لا يمكن أن يكون موجد العالم مستحيلاً.

ولا يمكن أن يكون موجد العالم ممكناً، لأن الممكن لا يوجد إلا إذا وُجد سبب وجوده، ولأن وجود الممكن يتوقف على مرجح قائم قبله ليرجح وجوده، وهذا السبب

---

(١) الفرقان: ٦١-٦٢.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ط/ ١، سنة: ١٤٢٦هـ، ٢/ ١٩٣.

المتقدم إما أن يكون ممكنا أو مستحيلاً، فنقول فيه كما قلنا فيما قبله، فلزم أن لا يكون موجد العالم ممكناً.

ولـمّـا ثبت أنَّ موجد العالم ليس مستحيلاً ولا ممكناً، وجب أن يكون موجد العالم واجب الوجود، وهو الله تعالى، الذي لا يتصور في العقل عدمه[1].

وبعد ذكر هذه النماذج لأدلة وجود الله تعالى، سأذكر مثالاً معاصراً على إقامة الدليل على وجود الله سبحانه.

ةةةةةة ةة ةةةة ةةةة ةةةة ةةةة ةةةة:

ومن رواد هذا المنهج الشيخ الدكتور عبد المجيد الزنداني، الذي عرض العقيدة في الله تعالى عرضاً أبهر المسلمين قبل غيرهم، والمؤمنين قبل الملحدين، ذلك أنه اعتمد على أدلة سهلة ومشاهدة بطريقة يفهما أهل هذا العصر فيقول: ((ونعرف وجود الله بطريقين:

أولاً: عن طريق الأدلة المشاهدة في المخلوقات:

وتقوم هذه الأدلة على أسس عقلية لا يخالفنا فيها أحد، مهما كان دينه أو جنسه أو علمه أو مكانته وهذه هي الأسس:

ةةةةة ةة ةةةة ةةةةً:

فمن المستحيل أن يوجد فعل بدون فاعل، ومن المستحيل أن يفعل العدم شيئاً لأنَّه لا وجود للعدم.

ةةةةة ةةةة ةةةة ةةةة ةةةةة ةةةة ةةةة:

إن بين الفعل والفاعل علاقة قوية، فالفاعل هو المقدمة، والفعل هو النتيجة ولا يكون شيء في الفعل ليس للفاعل قدرة على فعله. فمثلاً: إذا نظرنا إلى مصباح كهربي

(١) ينظر: شرح المواقف للسيد الجرجاني: ٨/ ٤، شرح العقيدة النسفية لشيخنا الدكتور عبد الملك عبد الرحمن السعدي، طبع مكتبة دار الأنبار– بغداد/ العراق، ط/ ١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، ص٤٩.

عرفنا: أن لدى صانع ذلك المصباح زجاجاً، وأنَّ الصانع يقدر على تشكيل ذلك المصباح في الشكل الذي تراه (شكل كرة)، وأن لدى الصانع أسلاكاً من (التنجستن) ذلك لأنه من المستحيل وجود المصباح بزجاجة وأسلاك (التنجستن) التي فيه دون أن يكون له قدرة على تشكيل الزجاج والتنجستن في الشكل الذي تراه في المصباح.

وإذا تأملت جيداً إلى المصباح وتفكرت: ستجد الإحكام في الصنع يحدث عقلك أنَّ صانع المصباح حكيم، وسترى التصميم الكهربائي يشهد لك أن الصانع خبير بالكهرباء.

وإذا شاهدنا سيارة متحركة، تسير في الطرقات المعبدة، وتتحرك عند اللزوم، وتتوقف في المكان المعلوم، وتدور في المكان المعد للدوران عرفنا: أن سائق السيارة عاقل مفكر، وأنَّ له إرادة حكيمة أحكمت توجيه السيارة، وأنَّه على علم بطريقة قيادة السيارة، وأنه موجود. فلولا وجوده ما تحركت السيارة تلك الحركات المنظمة الدقيقة.

* هناك علاقة محكمة بين المصنوع والصانع، والفعل والفاعل.

* لا يكون شيء في المصنوع أو الفعل إذا كان الصانع أو الفاعل لا يملك قدرة أو صفة تمكنه من فعل ذلك الشيء في مصنوعه أو فعله.

* كل شيء في المصنوع أو الفعل يدل على قدرة أو صفة الصانع أو الفاعل.

* المصنوع أو الفعل مرآة لبعض قدرة الفاعل وبعض صفاته.

إذن: إذا تفكرنا في أي مصنوع أو فعل عرفنا منه بعض صفات صانعه أو فاعله وبعض قدرته.

وكذلك: إذا تفكرنا في المخلوقات عرفنا منها بعض صفات الخالق وبعض قدرته سبحانه.

وهكذا عرفنا بعضاً من قدرة الصانع والسائق وصفاتهما من الآثار المشاهدة لأفعالهما أمامنا، وبهذا كان الفعل مرآة لقدرة فاعله وبعض صفاته.

ةةةة ةةةةة ةة ةةةةة:

فنحن إذا شاهدنا مقتولاً في الشارع فإنَّ أحداً منَّا لا يدعو إلى إلقاء القبض على حجرة بجواز القتيل بتهمة القتل، لأنها لا تملك القدرة على الفعل، كما أن الواحد منا لا يزعم بأن حيواناً لا يعقل قد أطلق قمراً صناعياً يدور حول الأرض؛ لأن الحيوان لا يملك القدرة على إطلاق ذلك القمر. وهكذا يحكم العقل حكماً جازماً بأن ليس الفاعل من لا يملك القدرة على الفعل. وفاقد الشيء لا يعطيه.

ةةةة ةةةة ةةةةة:

١. فإذا طبقنا الأساس الأول: (العدم لا يخلق شيئاً) وشاهدنا ملايين الملايين من الأحداث تحدث كل يوم في هذا الكون الفسيح جزمت عقولنا بأنَّ لكل فعل منها فاعلاً لأن العدم لا يخلق شيئاً.

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٥، ٣٦].

٢. وإذا طبقنا الأساس الثاني: الفعل مرآة لبعض قدرة فاعلة وبعض صفاته وجدنا أن هذه الأفعال والأحداث:

* محكمة في نظامها تشهد أنَّها من صنع حكيم.
* موجهة في سيرها تشهد أنَّها من صنع مريد.
* عظيمة في تكوينها تشهد أنَّها من صنع عظيم.
* متناسقة في أعمالها مترابطة في خلقها تشهد أنها من صنع الواحد الأحد.
* خاضعة لنظام موحد تشهد أنَّها من صنع حاكم مهيمن.

فتجزم كل العقول بأنَّ خالق هذه المخلوقات: حكيم، عليم، خبير.. الخ.

الوجود:

(أ) وإذا شاهدنا هذا الملكوت البديع وجدناه دائماً في سيره، مستمراً في نظامه، فيشهد ذلك لكل صاحب عقل، أن حاكمه المهيمن على سيره، المسيطر على نظامه الثابت المتنوع لا شك موجود دائم.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ [العنكبوت:٦١] .

قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤].

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس: ٣١].

(ب) إنَّ الصفات السابقة، التي عرفنا أنَّها صفات لخالق الكون (حكيم، عليم، خبير، مريد، عظيم، واحد، أحد، حاكم، مهيمن)، إنَّ هذه الصفات لا تكون صفات لمعدوم إنَّما هي صفات لا شك للخالق الموجود الدائم.

٣. وإذا طبقنا الأساس الثالث: فاقد الشيء لا يعطيه نجد أنَّه:

((لا يوجد بين هذه المخلوقات من يتصف بأنَّه: الحكيم، العليم، الخبير، المريد، العظيم، الواحد، الأحد، الحاكم، المهيمن، الموجود، الدائم.

إذن: خالق الكون هو غير الكون المخلوق. هو: الحكيم، الخبير، المريد، العظيم، الواحد، الأحد، الحاكم، المهيمن، الخالق، الموجود، الدائم.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

وهكذا نجد أن الطريق الأول لمعرفة الله هو التفكر في مخلوقاته. فكلما ازداد الإنسان علماً بمخلوقات الله وأسرار خلقها ازداد إيماناً. لذلك حث الإسلام إلى التفكر وحض على العلم المفيد وأشار خاصة إلى العلوم الكونية التي تبحث في أسرار خلق الله))[1].

وبهذا الطرح السهل والعرض المبسط وجدنا العديد من مفكري الغرب والشرق يتسابقون إلى الإسلام، وجدنا الكثير من الشباب المفتون بالفكر الغربي يعود إلى دينه ويفخر بعقيدته التي تتحدث بلغة العلم والنظريات والتحدي العلمي والمعرفي.

ةةةة ةةةةةة ةة ةةةةة:

ومن أوضح أدلة وجود الله تعالى هو الخلق، فهل من خالق غير الله؟ هذا السؤال الذي كرره القرآن الكريم مراراً، يأتي العلامة الزنداني ليجدد طرحه بأسلوب علمي، فيقول: ((إذا تأملنا في شتى أرجاء الكون لا نجد إلا مخلوقات عاجزة لا علم لها ولا إرادة ولا خبرة ولا دوام ولا هداية، فعرفنا أنها مخلوقات محتاجة إلى خالق حكيم عليم خبير يختلف عنها في الذات والصفات، تحتاج إليه جميع المخلوقات، وهو الغني الصمد الذي ليس به حاجةٌ لأحد هو الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[2].

(١) كتاب توحيد الخالق للدكتور عبد المجيد عزيز الزنداني، دار ابن كثير- دمشق، ط/ ١، ١/ ٢٥.
(٢) الحج: ٧٣، ٧٤.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾[1][2]. وليس ذلك فحسب، بل تحدى الله تعالى كل الناس بهذا المخلوق الحقير- الذباب- بأنهم لن يخلقوا ذباباً، ومع ذلك: لو سلبهم الذباب شيئاً لا يستطيعون استرجاعه منه بعد أخذه، فهل بعد هذا التحدي من دليل على ضعف البشر وعجزهم؟!

فهاهم البشر لا يستطيعون خلق ذبابة وسيبقى هذا التحدي قائماً إلى قيام الساعة.ثم يأتي العلم الحديث ليثبت أنَّ الذباب إذا اراد أن يلتقط شيئاً فإنَّه أولاً يصب عليه من لعابه فيتحول إلى مادة أخرى تماماً، فإذا أراد إنسان استرجاع ما أخذ الذباب لا يستطيع لأنه قد استحال إلى مادة أخرى.

فكيف بما هو أكبر وأعظم شأناً؟

يقول الزنداني: ((نعم: والبشر يعجزون عن استرداد أي شيء يأخذه الذباب، لأنه بمجرد أخذه يصب عليه من لعابه، فيحوله من فوره شيئاً آخر لا تنفع استعادته.

إن الحياة التي وهبت، وتوهب على الدوام في الكائنات الحية، لا تكون إلا من الحي الدائم سبحانه))[3].

(١) النحل:٢٠.

(٢) كتاب توحيد الخالق، للدكتور عبد المجيد الزنداني ١/ ٣٢٦.

(٣) كتاب الإيمان للشيخ عبد الحميد الزنداني، من إصدارات جامعة الإيمان، في صنعاء، سنة ٢٠١٣، ص١٣.

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةة ةةةةة ةةةةة

أعطى الإسلام للعقل دوراً وأهمية عالية، ورفع من شأنه وجعله موصلاً الى الحق والإيمان، وذلك في عشرات الآيات التي ترفع من قيمة العقل، وتدعوا إلى إعماله في الآيات والكون.

وقد كان موقف أهل السنة وسطاً بين من حطَ من قيمة العقل وبين من بالغ في تعظيمه حتى جعله حاكماً على النص.

ومسألة العقل ودوره في التحسين والتقبيح من المسائل التي وقع الخلاف فيها بين أهل السنة والمعتزلة قديماً، وهي من المسائل المشتركة بين علم العقيدة وعلم اصول الفقه.

لم ينكر أهل السنة دور العقل، ولعل من أهم القضايا التي اختلف فيها أهل السنة مع المعتزلة هي قضية الحسن والقبح هل هما عقليان، أو شرعيان؟

ةةةةة ةةةةة:

وقبل الخوض في آراء الفرق في مكانة العقل أوجز القول في تعريف العقل في اللغة والاصطلاح فأقول:

تعريف العقل لغة:

يقول الخليل في معنى العقل: ((العَقلُ نقيضُ الجهلِ. عَقَلَ يَعْقِل عقلاً فَهُوَ عَاقِل. والمعقولُ ما تَعْقَلُهُ في فؤادك.. وعَقَلَ بَطَنَ المريض بعدما استَطلق، اسْتَمْسَكَ. وعَقَلَ المعتوهُ ونحوه، والصبيُ، إذا أدركَ وزكا. وعَقَلْتُ البعيرَ عَقلاً، شددتُ يَدَه بالعقالِ أي: الرباط.. وعقلتُ القتيلَ عقلاً، أي: وَدَيْتُ دِيَّتَه من القرابَةِ لا من القاتل.. والعقلُ في

الرجلِ اصطكاكُ الركبتين، وقيل: إلتواءُ في الرِجْلِ، والعَقَل ثوب تتخِذُهُ نساءُ الأعرابِ.. ويقال هي ضربان من البُرُود.. والعقل الحصن وجمعه العقول))[1].

وقال ابن فارس عن العقل: ((وهو الحابس عن ذميم القول والفعل))[2].

تعريف العقل اصطلاحاً:

عرف المتكلمون العقل تعريفات متقاربة منها:

قول الجويني: ((العقل علوم ضرورية))[3].

وقال القاضي عبد الجبار: ((العقل هو عبارة عن علوم مخصوصة))[4].

وقال الرازي عن العقل أنَّه: ((عبارة عن علوم كلية بديهية»، وقال أيضا: «العقل هو التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة))[5].

ومذهب أهل السنة أنَّ العقل قد يدرك قبح بعض الأشياء وحسنها، لكنَّه لا يحكم بوجوب الفعل بناءً على تحسين العقل وتقبيحه، أي: لا يكون الثواب والعقاب إلا بعد

---

(١) العين١/ ١٥٩ - ١٦٠، وانظر: معجم مقاييس اللغة ٤/ ٦٩- ٧٠، الصحاح ٥/ ١٧٦٩- ١٧٧١.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٦٩.

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام أبي المعالي الجويني، إمام الحرمين، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم، مطبعة السعادة- مصر، ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م، ص١٥، وينظر: المواقف في علم الكلام، للإيجي لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الشافعي (ت٧٥٦هـ)، ومعه: شرح المواقف، للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ط/ الأولى بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٧م، ص١٤٦.

(٤) المغني في ابواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، ط/ ١، ١٩٦٠م، دار الثقافة والإرشاد، مطبعة دار الكتب، ١١/ ٣٧٥.

(٥) المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ- الرياض، ص١٠٤.

ورود الشرع.

وقال المعتزلة إنَّ الحسن والقبح عقليان قبل ورود الشرع، ولو لم ينزل الشرع بقبح القبيح لوجب على العقلاء تركه، ويقولون: ((إنَّ الحسن والقبح صفة ذاتية في الأفعال، والشرع كاشف عن تلك الصفات))[1].

والذي عليه المعتزلة أنَّ الحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء، والحاكم بالحسن والقبح هو العقل، ولا فعل حسن أو قبيح إما لذاته، وإما لصفة من صفاته لازمة له وإما لوجوه واعتبارات أخرى، والشرع كاشف ومبيّن لتلك الصفات فقط[2].

فالعقل عند أهل السنة هو وسيلة المعرفة التي كرم الله تعالى الإنسان بها، وعرف الإنسان ربه من خلالها.

أما عند المعتزلة فوظيفة العقل تتعدى كونه وسيلة للمعرفة، بل هو أول واجبات المكلف النظر العقلي، والعقل عند المعتزلة يُعد أهم مظاهر اللطف الإلهي، لأنه بالعقل وحده يُعرف الله تعالى، كما يكون شكر المنعم واجب بحكم العقل قبل ورود الشرع، لذلك فان الثواب والعقاب على الأفعال التي يقترفها الإنسان في الدنيا يكونان واجبين عقلاً لا شرعاً، وكذلك فإن دليل العقل عندهم هو الأساس في معرفة الله تعالى[3].

وينقل ذلك الشهرستاني عن المعتزلة وأنَّ معرفة الله تعالى واجبة بالعقل، ومن فاته

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي ت(٤١٥هـ) تحقيق عبد السلام عثمان، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط/ ٣، سنة ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م، ص٣١٠.

(٢) ينظر: المغني في ابواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، ط/ ١، ١٩٦٠م، دار الثقافة والإرشاد، مطبعة دار الكتب ج٦- القسم الأول ص:٢٦-٣٤، ٥٩-٦٠، والعقل عند المعتزلة، لحسن زينة، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط/ ١، ١٩٧٨م، ص:٩٨-١٠٠.

(٣) ينظر: موسوعة الفلسفة الإسلامية، بحث الدكتور ابراهيم محمد تركي، طبع وزارة الأوقاف/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م، ص٧٢٢-٧٢٣.

ذلك فهو مخلد في النار: ((إنَّ العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع، وعليه يعلم أنَّه إن قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة. فأثبتنا التخليد واجبا بالعقل))[1].

ومن هنا كان للعقل دور كبير عند المعتزلة في إنكار بعض الغيبيات في أبواب العقيدة من ذلك: إنكار الجن والشياطين، وكثير من أحوال الآخرة في باب السمعيات، كالميزان وعذاب القبر وغرها.

يقول القرطبي: ((أنكر معظم المعتزلة الشياطين والجن، ودلّ كلامهم على قلة مبالاتهم وركاكة ديانتهم، وليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثباته))[2].

وقد أدَّاهُم هذا الإفراط في تقديس العقل وجعله حاكما على الشرع والنصوص، أن شجع الكثير من المعاصرين إلى سلوك نفس طريقة المعتزلة في تقديم العقل على النص، بل في رد كل ما خالف العقل، ولو كان من المسلمات والقطعيات، فوجدنا أسماءً كثيرةً اتخذت من العقل مركباً للطعن في الدين وردّ الشرع بحجة عدم موافقته للعقل.

ةةةة ةةةة ة ةةة ةةةة ة ةةةةةةةة:

أولاً: الدكتور محمد عمارة، في الترويج لمنهج الإعتزال في عرض النصوص على العقل، فيقبل منها ما وافقه، ويردّ ما خالفه، ثم يصرح بتأييده لمنهجهم فيقول: ((لقد أحبوا عرض النصوص والمأثورات على العقل، فهو الحَكَمُ الذي يميّز صحيحها، من

(١) الملل والنحل: ١/ ٧٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ ١: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م، ٢/ ٥٠.

منخولها، ولا عبرة بالرواة ورجال السند، مهما كانت حالات القداسة التي أحاطهم بها المحدّثون، وإنما العبرة بحكم العقل في هذا المقام))[1].

ولعلي أجد عذراً للدكتور محمد عمارة في حسن نيته، مع التأكيد على خطأه، ولكني لا أجد أي عذر لأؤلئك الذين انتهجوا نهج المعتزلة ويتحدثون الآن باسم العقل وتحريره من الأوهام التي يعنون بها: عموم الدين ومطلق الطاعات، فينكرون أي قداسة لغير العقل، وينفون أي سلطان إلا للعقل، يقول حسن حنفي: ((لا سلطان إلاّ للعقل، ولا سلطة إلاّ لضرورة الواقع الذي نعيش فيه))[2].

يقول الدكتور مصطفى محمد مصطفى: ((إنَّ توظيف التيار العلماني للمصطلح ضمن مفاهيم لا تتفق ودلالته اللغوية والشرعية ليس مبرراً لإقصائه من المنظومة الفكرية الإسلامية، بل المطلوب ضبط معناه في إطار التصور الإسلامي من خلال قواعد اللغة، وهدي النبي ﷺ، وأصول التشريع الإسلامي))[3].

وقال الدكتور مانع الجهني: ((بعد أن كاد الاعتزال ينتهى بِعَدِّه فكراً مستقلاً إلا ما تبنته منه بعض الفرق كالشيعة وغيرهم، عاد الفكر الاعتزالي من جديد في الوقت الحاضر على يد بعض الكتاب والمفكرين، الذين يمثلون المدرسة العقلانية الجديدة، وهذا ما سنبسطه عند الحديث عن فكر الاعتزال الحديث.

(١) تيارات الفكر الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، دار الهلال ودار المستقبل، القاهرة، ط/ ١، ١٩٨٢م، ص٧٠- ٧١.

(٢) التراث والتجديد، حسن حنفي، سنة: ١٩٩٢م، الموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط/ ٤، ص٥٧.

(٣) اصول وتاريخ الفرق، د. مصطفى محمد مصطفى، ص٢٩٢.

ةةةةة ةةةةةةةةةة ةةةةةة:

يحاول بعض الكتاب والمفكرين في الوقت الحاضر إحياء فكر المعتزلة من جديد بعد أن عفى عليه الزمن أو كاد.. فألبسوه ثوباً جديداً، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل... العقلانية، أو التنوير، أو التجديد، أو التحرر الفكري، أو التطور، أو المعاصرة، أو التيار الديني المستنير، أو اليسار الإسلامي.. وقد قَوَّى هذه النزعة التأثر بالفكر الغربي العقلاني المادي، وحاولوا تفسير النصوص الشرعية وفق العقل الإنساني.. فلجأوا إلى التأويل كما لجأت المعتزلة من قبل، ثم أخذوا يلتمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم، فوجدوا في المعتزلة بغيتهم فأنكروا المعجزات المادية.. وما تفسير الشيخ محمد عبده لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة أو الجدري الذي حملته الطير الأبابيل.. إلا من هذا القبيل.

وأهم مبدأ معتزلي سار عليه المتأثرون بالفكر المعتزلي الجديد هو ذاك الذي يزعم أنَّ العقل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة، حتى لو كانت هذه الحقيقة غيبية شرعية، أي أنهم أخضعوا كل عقيدة وكل فكر للعقل البشري القاصر))[1].

يقول الدكتور عواد بن عبد الله المعتق: ((أقول نعم زال اسمها، لكن كثيرًا من آرائها ما زالت باقية، إضافة إلى ما نلاحظه من دعوة بعض المعاصرين لإحيائها، بدعوى أنهم رواد الفكر الحر))[2].

وبهذه الحجة يدعو هؤلاء إلى إعادة النظر في كل الثوابت الدينية بحجة العصرنة، والحداثة، يقول الدكتور محمد حامد الناصر: ((العصرانية في الدين هي أي وجهة نظر في

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤/ ١٤٢٠هـ، ١/ ٧١.

(٢) المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، تأليف: عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ط/ ٢، ص ١٣٧.

الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي، والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة))[1].

ويتمادى العقلانيون اليوم ليطالبوا بترك النصوص التي أخرت الأمة- بزعمهم- فيقول حسن حنفي: ((إنَّ العقل هو أساس النقل، وأنَّ كل ما عارض العقل فإنَّه يعارض النقل، وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقل، ظهر ذلك عند المعتزلة والفلاسفة...لقد احتمينا بالنصوص فجاء اللصوص))[2].

ةةةةةةةة ةةةة ةةةةة:

هو أن تواكب مناهجنا المعاصرة في التصدي للفكر العصراني الذي يريد نسف أصولنا وثوابتنا، فنوجه التأليف في مناهج العقيدة المعاصرة إلى التأكيد على اهمية العقل ضمن دائرة الإسلام، والتحذير من الدعوات الحديثة التي تدعو إلى نفي القداسة عن كل شيء، ليصبح الفكر حرّاً، ونفي القداسة سيجرنا بالتالي إلى تقديس العقل وتأليهه.

ثم نأتي إلى دعوى العقلانية، فنسأل: أي عقل نحكم؟ عقول الفلاسفة؟ أم عقول الأطباء؟ أم عقول المهندسين؟ أم عقول المؤرخين؟ أم عقول الروحانيين؟ وكلٌ يرى أنَّه الأقدر على فهم أسرار النفس، والكون، والطبيعة!!

وبالتالي ما الذي يفضل ويميّز عقلاً على عقل؟ فستكون عندنا آلهة غير متناهية، وكلٌ يدعي أن عقله الأرجح، فبعقل نحكم ونحتكم؟؟

وبدل أنْ يكون الاحتكام إلى شرع واحد، سنجد شرائع لا تعدُّ ولا تُحصى، فيلزم حينئذ أن نرتضي عقلاً مؤيداً بوحي خارج عن نزغات البشر، وهو النبي ﷺ.

وأجيبوا: بأن العقل لا يهتدي إلى الأفعال المنجية من الآخرة ليأتي بها كما لا يهتدي إلى

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، نشر مكتبة الكوثر، الرياض- السعودية، ط/ ٢، سنة ٢٠٠١م، ص ٥-٦.

(٢) حسن حنفي، التراث والتجديد، ص٨٨.

الأدوية المفيدة للصحة من المسمومات المهلكة إلا بالطبيب العارف[1].

ثم إن العقول تتفاوت في إدراكها وحكمها على الأشياء، فما تراه حسناً قد يراه غيرك قبيحاً، وما تراه باطلاً، قد يراه غيرك حقاً، فلا يمكن أن تكون كافية مستغنية عن النبوة.

وقد ترى هذا الرأي اليوم ثم يترجّح لك غيره غداً، أو يثبت ضده مستقبلاً.

قال الكمال ابن الهمام: ((ولأن العقول تتفاوت، فالتفويض إليها يؤدي إلى الفساد والتقاتل والخراب، والنهي المخبر به النبي يحسم هذه المادة))[2].

وأما كلام بعض المعاصرين مثل حسن حنفي، فيُفهم منه إبطال ما خالف العقل ولو كان ديناً، وهذا مقتضى قول الفلاسفة الذين نفوا وجود الخالق، واكتفوا بالعقل.

قال الباجوري: ((القائلون باستحالة الإرسال، واحتجوا بأن الرسل إما أن يأتي بما وافق العقل فلا حاجة للخالق بإرسالهم، فيكون عبثاً وإما أن تأتي بما يخالف العقل فيترك فانتفت الفائدة من إرسالهم، وهذا قول البراهمة والكثير من الفلاسفة))[3].

ويرد الدكتور محمد رفعت زنجير على العقلانيين المعاصرين بقوله: ((وقضية تقديم العقل على النقل مطروحة من أيام المعتزلة، ونحن لا نرى إقحام العقل في تفاصيل قضايا الإيمان بالغيب، وصفات الله، والمتشابهات، لأنَّ العقل محدود العلم، وما يجهله أكثر مما يعرفه، فلا ينبغي له أن يتدخل فيما يجهله، لأنَّه سيقود إلى نتائج غير سليمة. ونضرب لذلك مثلاً: لو أنَّ إنساناً قبل عصر الطيران قال إنَّ البشر سيطيرون من شرق الأرض إلى غربها في يوم واحد، لاتهمه الناس بعقله، فالعقل لا يقول بإمكانية ذلك آنذاك، أما اليوم فمن أنكر ذلك فهو الذي يتهم بالخبل، فإذا كان العقل عرضة لتغيير أحكامه في أمور الدنيا تبعاً لمتغيراتها بين الأمس واليوم، فهو أكثر عرضة لتغيير آرائه بالنسبة للدين، يؤكد

(١) ينظر: المسامرة شرح المسايرة: ٢/ ٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٧٥.

(٣) ينظر: شرح الجوهرة للباجوري ص: ١٩٨،

هذا أن الله تعالى كلما بعث نبياً، وأصلح الناس، قام الناس بعد رحيل نبيهم بتغيير المنهج وتحريف الرسالة، وهم يعتمدون في ذلك على ما تكن به نفوسهم ويخطر في عقولهم، ولو أنهم التزموا بما أنزل الله إليهم ولم يحرفوا، أو يبدلوا، لبقي المنهج سليماً، وساد الإصلاح، فالعقل قد يضل، أو يتبع الهوى، وليست جميع العقول مستنيرة))[1].

فكم من رأي تحترمه العقول اليوم، وتستخف به غداً، وكم من أمر أنكرته العقول بالأمس، صار اليوم من المسلّمات؟!

والذي أريد قوله: أنَّنا بحاجة إلى التفريق بين التجديد، والفوضى، والتهاون، والتفريط، والذي يؤدي إلى الإنحلال، يقول الشيخ يوسف القرضاوي: ((في عالمنا الإسلامي ارتبط التجديد والمجددون باتجاهات مختلفة، ودعاوى باطلة من علمانية أو إلحاد خفي، لتجريد المسلمين من حقيقة دينهم، فهل هذا هو التجديد، وهؤلاء هم المجددون؟

تسمية هؤلاء بـ «المجددين» تسمية خطأ، هؤلاء مبددون لا مجددون، لأنهم لا يمتون إلى التجديد الحقيقي بصلة، فتجديد شيء يعني العودة به إلى ما كان عليه عند بدايته وظهوره لأول مرة، وترميم ما أصابه من خلل على مرّ العصور، مع الإبقاء على طابعه الأصيل، وخصائصه المميزة، وهذا ما نصنعه في أي قصر او بناء أثري عريق نريد تجديده، فلا نسمح بتغيير طبيعته، وتبديل جوهره، أو شكله، أو ملامحه، بل نحرص كل الحرص على الرجوع به إلى عهده الأول، أما إذا هدمناه وأقمنا مكانه بناءً شامخاً على الطراز الحديث، فهذا ليس من التجديد في شيء))[2].

---

(١) اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي، تأليف محمد رفعت زنجير، دار المنار- بيروت لبنان، ط/ ١، ٢٠٠١م، ص ١٦.

(٢) لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة- القاهرة- مصر، ط/ ١، سنة ١٩٩٢م، ص٨٨.

ةةةةةة
ةةةة ةةةةةة ةةةةةةةة

بعد هذه الجولة الممتعة في موضوع شائق، وشائك في الوقت نفسه، أود هنا أن ألخص أهم النتائج، وبعض التوصيات:

النتائج:

١- إنَّ التجديد في الدين من فروض الكفاية التي تقع على عاتق العلماء المخلصين.

٢- إذا تخلى المخلصون عن هذه المهمة قد يتصدى لها من ليس من أهلها، فيسيؤا في موضع الإحسان.

٣- التجديد لا يكون في القواعد والأسس والأصول.

٤- التجديد من مقتضيات خاتمية الرسالة والنبوة.

٥- التجديد في علوم العقيدة حاجة ملحة، على أيدي أهل العلم الثقات.

٦- إثبات صدق هذا الدين من خلال العلوم الحديثة، وإعجاز القرآن الكريم.

٧- لابد من إعادة النظر في بعض الأدلة الفلسفية التي استخدمها القدماء لإثبات وجود الله تعالى.

ةةةةةةة:

١- أرى أنَّ موضوع التجديد في علم العقيدة به حاجة إلى مؤتمر خاص، وحلقات علمية نقاشية كثيرة لإنضاجه، فأدعو كليتنا المباركة أن تأخذ على عاتقها إقامة مثل هذا المؤتمر.

٢- أوصي الإخوة الباحثين ببذل الجهد لإتمام ما بدأته، وإن قدّر الله تعالى لي ذلك فسأكمل هذا العمل.

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ةةةةةةة ةةةةةةة

- القرآن الكريم.

١- اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي، تأليف محمد رفعت زنجير، دار المنار- بيروت لبنان، ط/ ١، ٢٠٠١م.

٢- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام أبي المعالي الجويني، إمام الحرمين، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم، مطبعة السعادة- مصر، ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م.

٣- أصول وتاريخ الفرق، د. مصطفى محمد مصطفى.

٤- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني البصري، (ت٤٠٣هـ) تحقيق محمد زاهد الكوثري المتوفى ١٣٧١هـ= ١٩٥٢م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة الدولية للطباعة القاهرة، ط/ ٤، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٥- الإيمان للشيخ عبد الحميد الزنداني، من إصدارات جامعة الإيمان، في صنعاء، سنة ٢٠١٣.

٦- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط/ ١، سنة: ١٤٢٦هـ.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (١٢٠٥هـ)، مادة عقد.

٨- تجديد الدين في ضوء السنة»، للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة (جامعة قطر: العدد٢، ١٩٨٧م).

٩- تجديد الفكر الإسلامي، جمال سلطان، (الرياض: دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ).

١٠- التجديد في الفكر الإسلامي، للدكتور عدنان محمد أسامة، دار ابن الجوزي- الدمام- السعودية، ط١/ ١٤٢٤هـ.

١١- التراث والتجديد، حسن حنفي، الموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط/ ٤، سنة: ١٩٩٢م.

١٢- توحيد الخالق للدكتور عبد المجيد عزيز الزنداني، دار ابن كثير، ط/ ١.

١٣- التوحيد محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية- الإسكندرية.

١٤- تيارات الفكر الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، دار الهلال ودار المستقبل، القاهرة، ط/ ١، ١٩٨٢م.

١٥- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٦- دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، تأليف: الدكتور صالح الرقب- الدكتور محمود الشوبكي، قسم العقيدة- كلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية- غزة، ط/ ١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة، وصحيح الجامع الصغير (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦م).

١٨- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي

ت(٤١٥هـ) تحقيق عبد السلام عثمان، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط/ ٣، سنة ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.

١٩- شرح العقيدة النسفية لشيخنا الدكتور عبد الملك عبد الرحمن السعدي، طبع مكتبة دار الأنبار- بغداد/ العراق، ط/ ١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

٢٠- شرح جمع الجوامع من حاشية البناني، عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي (ت١١٩٨هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط١/ ٢٠١١م.

٢١- شرح جوهرة التوحيد، المسمى: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد الجيزاوي الباجوري الشافعي، ت(١٢٧٦هـ) تحقيق: د. علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط/ ١، سنة ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م.

٢٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ت٣٩٣هـ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- لبنان، ط/ ٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م: باب ربب.

٢٣- صحيح سنن أبي داود، (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٩٨٩م).

٢٤- صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، برقم ٤٢٧٠ ورمز له الشيخ ناصر الدين الألباني بالصحة، ط١، ١٩٨٩م.

٢٥- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، نشر مكتبة الكوثر، الرياض- السعودية، ط/ ٢، سنة ٢٠٠١م.

٢٦- العقل عند المعتزلة، لحسن زينة، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط/ ١، ١٩٧٨م.

٢٧- العقيدة الإسلامية ومذاهبها، تأليف الأستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري، عن: كتاب- ناشرون، بيروت- لبنان، ط/ ٢، سنة ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٢٨- عون المعبود على سنن أبي داود، تأليف: العلامة أبي عبد الرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، بيت الأفكار الدولية، ط/ ١.

٢٩- الغارة على التراث الإسلامي لجمال سلطان في فصل «دعوى التجديد وخطرها على التراث».

٣٠- لسان العرب، لابن منظور اسماعيل بن حماد الجوهري.

٣١- الصحاح (مصر: دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م).

٣٢- لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة- القاهرة- مصر، ط/ ١، سنة ١٩٩٢م.

٣٣- المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ- الرياض.

٣٤- مختار الصحاح، للإمام فخر الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت٧٢١هـ، تحقيق: محمود خاطر، الناشر مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، بيروت.

٣٥- المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة لابن الهمام الحنفي تأليف كمال الدين محمد بن محمد بن ابي بكر بن علي بن أبي شريف (ت٩٠٥هـ)، دار الكتب- بيروت، ط/ ١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ٢٠١٠م.

٣٧- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، تأليف: عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد- الرياض، ط/ ٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣٨- معجم مقاييس اللغة تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، باب عقد.

٣٩- المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، دار الثقافة والإرشاد، مطبعة دار الكتب، ط/ ١، ١٩٦٠م.

٤٠- مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، (الكويت: دار الدعوة، ط١، ١٩٨٤م).

٤١- الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ط٢/ ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

٤٢- الموافقات في أصول الشريعة، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، ط/ ١، ١٩٧٥م.

٤٣- المواقف في علم الكلام، للإيجي لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الشافعي (ت٧٥٦هـ)، ومعه: شرح المواقف، للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بمطبعة السعادة بمصر ط/ ١، سنة ١٩٠٧م.

٤٤- موسوعة الفلسفة الإسلامية، بحث للدكتور ابراهيم محمد تركي، طبع وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة- ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م.

٤٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ ٤، ١٤٢٠هـ.

-24-

ةةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةة ةةةةةة

ةةة ةةة ةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةة ةةةةةة
(ةةةةةة ةةة(ةةةةةةة ةةةةةةةةةة ةةةة ةةة ةةةةة)

بحث تقدم به

الدكتور عمر حسين غزاي

ةةةةةةة

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، أقام الله به الزلل، وسدد به الخلل، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فقد منّ الله –تعالى– على هذه الأمة إذ بعث فيها نبيا منها يتلو عليها آياته ويزكيها، ويعلمها الكتاب والحكمة حتى بلغ وبيّن وعلم وتمم، فوعى عنه أصحابه وفقهوا فأدّوا كما سمعوا، ثم توالى الأمر على هذه الشاكلة، وأخذ من كل خلف عدوله، حتى تأسست قواعد علوم الشريعة وأرسي بنيانها على اختلاف أنواعها وتباين أشكالها.

وكان من أهم هذه العلوم نفعا وأعلاها شأنا وأجلها قدرا: علم أصول الفقه، حيث أنه اختص في بيان الآلية والكيفية التي تستنبط فيها أحكام الشريعة، ووقف حائلا دون وقوع الفوضى في الاستنباط، وهو علم إسلامي أصيل منذ التأسيس والنشأة وحتى يومنا هذا، ومن يطالع تاريخ تدوينه ومراحل تكوينه يرى بوضوح أن الجمود قد طاله في مراحل مختلفة ومحطات متباينة، ولكن سرعان ما يهيئ الله عزوجل علماء أجلاء لإزالة الجمود عنه وبثّ روح التجديد فيه.

وقد لوحظ في الآونة الأخيرة: شيوع مصطلح التجديد شيوعا لم يسبق له نظير في تاريخ العلوم الإسلامية، منذ دعوة رفاعة رافع الطهطاوي (١٢٩٠هـ) لتجديد كل

العلوم إبان عودته من رحلته العلمية في فرنسا، ومن خلال كتابه: «القول السديد في التقليد والتجديد»، ثم بعد ذلك بدأت الدعوات تتوالى على لسان المعاصرين، والحقيقة أن جلّ هذه الدعوات تنظيرية ليس لها على أرض الواقع نصيب إلا من قبل القليل.

وكانت تراودني بين الحين والآخر فكرة الكتابة في هذا الموضوع؛ لما له من أهمية كون علم الأصول به حاجة إلى تجديد مباحثه وتنقية قواعده وعرضه بأسلوب سهل وميسر، ولا سيّما قد قصرت همم الطلب، وأصبح التخصص من سمات هذا العصر، وعلم الأصول بهذا الشكل به حاجة إلى التوسع في علوم مختلفة، وبقيت مترددا في تنفيذ هذه الفكرة حتى أعلنت كلية الإمام الأعظم -رحمه الله- الجامعة عن عزمها على عقد مؤتمرها العلمي العاشر تحت عنوان التجديد والاستجابة لروح العصر، فألزمت نفسي بتلبيّة دعوتها ببحث تحت عنوان: (**مراحل التجديد الأصولي ومظانه**) فشمّرت له عن ساعد الجد مع قلة في البضاعة وضعف في الخبرة؛ بعد التوكل على الله عزوجل مستكشفا أهم مراحل التجديد الأصولي من خلال تاريخ تدوينه، ثم بيان المواطن التي يمكن من خلالها التجديد، وهي كثيرة غير أني ألزمت نفسي بجانب تنقية كل أجنبي عنها وما لا ثمرة تحته؛ كي نتمكن بعد ذلك من عرضه بأسلوب عصري مع المحافظة على أصله والإبقاء على قواعده وأدواته ومنهجيته، ولكي يكون عمليا أكثر من كونه تنظيريا.

وإنني لا أدعي أني قد جئت بمبتكرات جديدة في هذا البحث، ولكنه الجمع والترتيب، وهما من جملة مراتب التأليف، فلعله يكون مفتاحاً لدراسات أكثر وأوسع استيعاباً.

وقد التزمت بالمنهج العلمي المتبع في إعداد هذا البحث، وأود أن أنبه إلى مسائل منهجية، وهي أني لم أعرف بالأعلام الذين ورد ذكرهم في نصّ البحث؛ لأن أغلبهم مشاهير أو قد استخدمت لهم مصدرا مكتفيا ببطاقة الكتاب، ففيها ما يغني عن التعريف بهم، وعلاوة على ذلك فقد ذكرت سنة وفاتهم عند أول ذكر لهم، كما أنني تجنبت التعريف

بالمصادر عند أول ورودها على خلاف المعتاد؛ خشية الإطناب؛ لأنه قد ذكر في قائمة المصادر، فلو عرّفت بها عند أول ورودها لوقع حشو لا طائل تحته ولا جدوى منه؛ إذ بإمكان القارئ الرجوع إلى بطاقاتها كاملة في قائمة المصادر.

وكانت خطتي في هذه الدراسة موزعة على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وهي كما يأتي:

مقدمة.

تمهيد في تحديد مفهوم التجديد الأصولي لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: في بيان مراحل التجديد الأصولي.

المبحث الثاني: في بيان مظان التجديد الأصولي.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث والتوصيات التي دعا لها.

وبعد هذا أقول: لقد استفرغت ما في وسعي؛ ليخرج هذا البحث بأبهى صورة وأجمل حلة فإن كان فيه من صواب فهو توفيق الله، وإن كان غير ذلك فأسأل الله -تعالى- أن يسدد خطاي.

وختاما: اللهم هذا الجهد وعليك التكلان، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

❊ ❊ ❊

ةةةةةة
ةة ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةةةةة

ةةةةةة ةةة:

التجديد مصدر الفعل: جدَّدَ يُجدِّد، فهو مُجدِّد، والمفعول مُجدَّد[1]، وَتَجَدَّدَ الشَّيْءُ صَارَ جَدِيدًا وَأَجَدَّهُ وَجَدَّدَهُ وَاسْتَجَدَّهُ أَيْ صَيَّرَهُ جَدِيدًا[2].

والجديدُ يستَويَ فيه الذُّكرُ والأنثى لأنه مفعُول بمعنى مُجَدَّد[3].

وهو نقيض الخَلَق والبِلى[4].

وبهذا يعلم أنَّ التجديد لا يعني الإتيان بالبديل، وإنما هو عرض القديم بصورة الجديد بعد أن يصيبه البِلَى ويخلق.

ةةةةةة ةةةةةة:

من المعلوم سلفا أنَّ التجديد مصطلح معاصر، لم يتعرض له السابقون، وهو مرتبط بقول النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا))[5].

والحقيقة أنَّ مصطلح التجديد لا يزال مفهومه غير مستقر، ولم تتفق كلمة المعاصرين

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٣٤٨.

(٢) مختار الصحاح، ص: ٥٤.

(٣) العين ٦/ ٨.

(٤) ينظر: لسان العرب ٣/ ١١١.

(٥) سنن أبى داود، كتاب: الملاحم، باب: مَا يُذْكَرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ، برقم: ٤٢٩٣، ج ٤/ ١٧٨. المستدرك على الصحيحين كتاب: الفتن والملاحم، برقم: ٨٥٩٢ ج ٤/ ٥٦٧. وسكت عنه الذهبي، قال في فيض القدير، قال الزين العراقي وغيره: سنده صحيح. ٢/ ٢٨٢، وقال الألباني في تعليقه على سنن أبي داود: صحيح.

على تعريف له، بل إنَّهم اختلفوا في مفهومه؛ نتيجة اختلاف مواقفهم منه ما بين رافض له ومغال فيه ومقتصد وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

وكان في طليعة المعرفين له الشيخ البوطي بقوله: هو تجديد الانضباط بقواعده وأحكامه، وإصلاح ما تصدّع من بنيانه، وتمتين ما وهى من دلائله، وسدّ ما تفتح من ثغرات في مفاهيمه، ونفض ما غشى عليه من غبار النسيان له والإعراض عنه، وعرض مضمونه بأسلوب أكثر جدة وأيسر فهماً[1].

وعرفه الدكتور الحسّان شهيد بـ: إعادة النظر في علم أصول الفقه ابتداءً من تأصيل الأصول حتى تكون قطعية، ومرورا بتنخيلها حتى تخلص علمية، وتعليل النظر فيها حتى تظهر قاصدة، وتكميل نقصها لتصبح وافية، وانتهاءا بتشغيلها حتى تصير مفيدة، وتنزيل أحكامها لتبدو عملية[2].

والحقيقة أن هذين التعريفين لا يعدان تعريفا له، بقدر ما هو تعداد لمحاله وبيان لمظانه، ولكن هذا لا يمنع من جعلهما بيانا لمفهومه العام، ويعتقد الباحث أنهما كانا موفقين في توضيح مفهوم التجديد الأصولي؛ وأنهما لم يتركا بابا من أبواب التجديد المعتبرة إلا وقد ضمّنه في هذا المفهوم.

ولعل أنسب التعريفات له وأكثرها سلامة هو: إعادة أصول الفقه إلى حالته المنهجية الطبيعية التي يستطيع معها الاستجابة لمقتضيات العصر ومتطلباته من حيث سلامة موازينه ومرونة رؤيته مع احتفاظه بأصالته وانضباطه[3].

---

(١) إشكالية تجديد أصول الفقه، ص:١٥٦.

(٢) نظرية التجديد الأصولي من الإشكال إلى التحرير، ص٣٩.

(٣) التجديد في أصول الفقه: مشروعيته وتاريخه وإرهاصاته المعاصرة، بحث منشور في العدد ١٢٥ / ١٢٦ في مجلة المسلم المعاصر، ص٩٣.

ةةةةة ةةةة
ةةةةة ةةةةةة ةةةةةة

إنَّ الباحث في جذور أصول الفقه ومراحل تدوينه يستطيع أن يشخص محطات التجديد التي أسهمت في تنميته وإبراز هويته، وإن مما لا ريبَ فيه أنَّ جذور هذا العلم وأسسه ممتدة مع جذور الفقه نفسِه، بل وسابقة عليه، إذ أنه لا يعقل أن يوجدَ فقهٌ دون أصول علميَّة تضبط أحكامه وتنظم عملية استنباطه وتحدد لنا مصادره.

ومن المقرر أنه قد شابه في بعض مراحل تدوينه ما يعطل حركته ويذهب رونقه، وبالمقابل فقد كانت هناك جهود كبيرة في تجديد حركته وإعادة الحياة إليه، ولعل أبرز مراحل تجديده ما يأتي:

ةةةة ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة:

لا ينازع أحد أنَّ هذا العلم انفرد المسلمون بتأسيسه وكان لهم السبق في اختراع مباحثه وضبط قواعده، ونعني بالابتكار والاختراع هنا: تدوين مباحثه وتحرير مسائله وصياغة قواعده، وهذا لا يعني أن العصور التي سبقت تدوينه كانت تعيش الفوضى عند استنباطها الأحكام لما يستجد من نوازل ووقائع، بل كانوا يراعون ذلك سليقة، والمراقب لحركة الاجتهاد منذ فجر ولادته يقطع جازما بأن ضوابط الاستنباط وقواعده كانت حبيسة أذهان المجتهدين، قال ابن خلدون -رحمه الله-:

((اعلم أن هذا الفن- يعني أصول الفقه- من الفنون المستحدثة في الملة، وكان السلف في غنية عنه، بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية. وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام خصوصاً، فمنهم

أُخِذ معظمها، وأما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر إليها، لقرب العصر، وممارسة النقلة، وخبرتهم به))[1].

وقد أكّد ذلك ابن القيم -رحمه الله- بقوله: ((كانوا -أي الصحابة- أبرَّ قلوبًا، وأعمق علمًا، وأقلَّ تكلُّفًا؛ لما خصَّهم الله -تعالى- به من توقُّد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم وسهولة الأخذ، وحُسن الإدراك وسرعته، وقِلَّة المعارض أو عدمه، وحُسن القصد، وتقوى الربِّ -تبارك وتعالى- فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فِطَرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة، وعِلل الحديث والجَرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا عن ذلك كله))[2].

ومن شواهد ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعو رضي الله عنه في عِدَّة المتوفى عنها زوجها وهي حامل، أنَّه قال: ((أَتَجْعَلُونَ عَلَيْهَا التَّغْلِيظَ، وَلاَ تَجْعَلُونَ لَهَا الرُّخْصَةَ، لَنَزَلَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ القُصْرَى بَعْدَ الطُّولَى))[3] فإنَّه كان يرى أنَّ قول الله -تعالى-: ﴿ **وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾[4] ناسخ لقوله -تعالى-: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾[5] بينما كان يرى علي وابن عباس

(١) مقدمة ابن خلدون، ص: ٢٦٢.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤/ ١١٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: سورة البقرة، باب: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}، برقم: ٤٥٣٢ ج ٦/ ٣٠. وكان يعني بسورة النساء القصرى: سورة الطلاق، وبالطولى: سورة البقرة.

(٤) سورة الطلاق، آية: ٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٣٤.

-رضي الله عنهما- الجمع بين الآيتين، فجعل عِدة المتوفى عنها زوجها أبعد الأَجَلين[1].

وفي هذا من المباحث الأصولية ما لا يخفى على من له أدنى حظ في هذا العلم.

وبقي الحال هكذا في عصر التابعين وتابعيهم: أصول الاستنباط معلومة لهم وحاضرة في أذهانهم غير أن ابتعاد الناس عن زمن الوحي واتساع الرقعة الإسلامية الذي أدى إلى اختلاط اللغة العربية بغيرها حتى فسدت الألسن، أسهما إلى حد كبير في تعسر عملية الاستنباط إلا على رزقه الله فهما ثاقبا وعلما راسخا، قال الحجوي: ((وأوجب عليه - أي الشافعي- القيام بهذا العمل: دخول الدخيل في لسان العرب، وامتزاج اللغة بلغة الأعاجم، وضعف المدارك عن فهم مقاصد الشريعة بسبب ذلك))[2].

فكانت الحاجة عندئذ ملحة إلى التجديد في هذا المجال، وقد تفطن إلى ذلك عبدالرحمن بن مهْدي فطلب من الإمام الشافعي-رحمهما الله- أن يضع له كتابًا فيه: معاني القرآن، ويجمع قَبُول الأخبار، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة[3].

فلبّى دعوته وبدأ بتدوين رسالته الشهيرة، وبهذا أصبحت الرسالة الأساس الأول لهذا العلم، فأعجب بها عبدالرحمن بن مهْدي إعجاباً شديداً، وقال: ((لما نظرت «الرسالة» للشافعي أذهلتني، لأنني رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح، فإني لأكثر الدعاء له))[4].

وأرجع الشيخ أحمد محمّد شاكر سبب تسميتها بالرسالة في عصره، لإرساله إياها لعبد الرحمن بن مهدي[5].

---

(١) شرح السنة للبغوي ٩/ ٣٠٥.

(٢) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي١/ ٤٧٣.

(٣) الرسالة للشافعي، ص٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) مقدمة الشيخ أحمد شاكر على الرسالة، ص١٢.

وبهذا يكون الشافعي هو واضع اللبنة الأولى في تأسيس هذا العلم، قال الفخر الرازي: ((كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه، ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معرضاتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع. فثبت أنَّ نسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة أرسطا طاليس إلى علم العقل))[1].

وأصبحت محطّ عناية العلماء ومحل إعجابهم، حتى قال المزني: ((قرأت كتاب «الرسالة» للشافعي خمسمائة مرة، ما من مرة منها إلا واستفدت فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى))[2].

والحقيقة أنَّ الشافعي لم يكتف في تدوين الرسالة، بل أتبعها بمؤلفات أخرى، قال الزركشي: ((الشافعي أول من صنّف في أصول الفقه، صنف فيه كتاب الرسالة، وكتاب أحكام القران، واختلاف الحديث، وإبطال الاستحسان، وكتاب جماع العلم، وكتاب القياس))[3].

وقد اشتمل كتاب «الرسالة» على أهم المباحث الأصولية لكنه لم يشتمل عليها كلها، وكان من بينها: مصادر التشريع وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، فأوضح أنواع البيان في القرآن، وأبان حجية السنة ومنزلتها في القرآن وتحدث عن الناسخ والمنسوخ، وعلل الأحاديث وأثبت حجية خبر الواحد، ونفى وقوع التعارض بين الكتاب والسنة، ثم أفاض الكلام عن الإجماع والقياس والاستحسان وما يجوز الاختلاف فيه وما لا

(١) المصدر نفسه، ص١٣ نقلا عن في مناقب الشافعي للرازي، ص٥٧.
(٢) الرسالة للشافعي، ص٤.
(٣) البحر المحيط في الاصول ١/ ١٨.

يجوز، فضبط أصول الخلاف، ووضع قواعد الاستنباط وأنار الطريق لمن بعده من العلماء لتأصيل مباحث هذا العلم وقواعده ومناهجه، وتبيان طرق الاجتهاد والاستنباط، ولعلّ هذا العمل الرائع هو الذي دعا الإمام أحمد بن حنبل أن يقول: ((كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي))[1].

ةةةةة: ةةةةة ةةةةة ةةةةةةةةة:

من يطالع رسالة الشافعي يعلم يقينا أنَّ الشافعي كان له الفضل في تأسيس هذا العلم، وكان الرائد الأول في تحديد مفاهيمه الأصولية وضبطها وإبرازها للعلماء؛ غير أنه لم يخض في جميع جوانبه ولم يأت على جميع مباحثه، وأبقى الباب مفتوحا لمن جاء بعده.

والأمر الذي يدعو للاستغراب أنَّ حركة التدوين في هذا العلم توقفت بعده أو أنَّه لم يصلنا شيء منها، وأيّا كان السبب؛ فإن الحاجة أصبحت ملّحة إلى تجديد هذا العلم عن طريق إكمال مباحثه والخوض في تفاصيله الدقيقة والاستدلال لقواعده بالقضايا المنطقية والعقلية؛ كي تصبح قواعده من المسلّمات.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بدأت تشع أنوار التجديد في تدوين هذا العلم والتأليف فيه من جديد، وكان لهذا النوع من التجديد في هذه المرحلة مدرستان:

مدرسة الفقهاء (الحنفية) وجلّ نقولات أصحابها عن عيسى بن إبّان إلا أنه لم يصلنا شيء من كتبه، وأما كتابا أبي الحسن الكرخي (٣٤٠هـ) والشاشي (٣٤٤هـ) فإنه يعوزهما الكثير، ويعدّ الإمام أبو بكر الجصَّاص -رحمه الله- (٣٧٠هـ) إمام هذه المدرسة، حيث أنه لم يصلنا مُؤَلَف متكامل المباحث قبل كتابه: «الفصول في الأصول»، وقد اعتمد في استنباط القواعد الأصولية على الفروع الفقهية المورثة عن أئمة المذهب، متجنبا البحوث

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٦١.

التنظيرية والمسائل الافتراضية التي لا يَنْبَنِي عليها أثرٌ فِقهي، فكان كتابه أمس بالفقه وأليق بالفروع، وامتازت قواعده بالعملية؛ حيث أنه أكثر لها من الشواهد والأمثلة.

ثم جاء بعده أبو زيد الدَّبُوسيِّ (٤٣٠هـ) فحقق تلك القواعد ووسع القول فيها واكتملت أصول المذهب وقواعده عند كتاباته في: «تقويم الأدلة» و«بذل النظر» وكانت جهوده رائدة في هذا الميدان، وعليها المعول حتى لا يكاد أصولي حنفي يدع الاستشهاد بها أو الاقتباس منها، قال ابن خلدون: ((وجاء أبو زيد الدبوسي من أئمتهم، فكتب في القياس بأوسع من جميعهم، وتمم الأبحاث والشروط التي يحتاج إليها فيه، وكملت صناعة أصول الفقه بكماله))[1].

ونستطيع القول: إنَّ الحنفية قد سبقوا غيرهم في مواصلة الطريق بعد الشافعي واكتملت مؤلفاتهم قبل غيرهم.

مدرسة المتكلمين (المالكية والشافعية والحنبلية) وإمام هذه المدرسة بعد الشافعي القاضي أبو بكر الباقلانيُّ، ت: (٤٠٣ هـ)، فهو أول من عمل على صياغة أصول الفقه صياغة محكمة منظمة ودافع عن قواعده ومباحثه بطرق منطقية وأسلوب فلسفي، نتيجة ولوج رؤوس الفرقة الكلامية في هذا العلم ومحاولة زجّه في متاهات الخلافات الكلاميّة، فاتَّسم تصنفه في الترابُطِ بموضوعاتِهِ، والاطِّراد والاستقرار في مصطلحاته؛ فاستقر علم أصول الفقه على شكله الموجود بيننا الآن أو كاد، ولم يصلنا من مصنفات الباقلانيِّ الأصوليَّةِ سوى جزء من كتابه: «التقريب والإرشاد الصغير».

ثم تلاه تلميذ كتاباته إمام الحرمين الجويني (٤٧٨هـ)، فأسهم في إتمام مباحث الأصول وصياغتها صياغة كلامية منطقية، فلخص تقريب الباقلاني في كتابه: «التلخيص»، ثم

(١) مقدمة ابن خلدون، ص٢٦٢.

صنف: «البرهان في أصول الفقه».

ثمّ تلاه تلميذه الغزاليُّ (٥٠٥ هـ)، فلخص آراء شيخه الجويني في كتابه: (المنخول من تعليقات الأصول)، ثم ألَّف بعده: (شفاء الغليل في بيان الشَّبَه والمُخِيل ومسالِكِ التعليل)، عُنِيَ فيه بمسالك العلة، وبالمباحث المقاصدية المتعلقة بضوابط المصلحة، والتعليل بالحكمة وغيرها، ثم كتب أخيرا: (المستصفى في الأصول).

إن كتاب (المستصفى) يعدّ حلقة مهمة في علم الأصول، به اكتمل بناؤه واستوى على سوقه، فما قبله من مؤلفات، اجتمعت فيه بأحسن عبارة وألطف ترتيب، وما بعده إنما هي اختصار له أو اقتباس منه، فهو عمدة كتب الأصول عند المتكلمين، وركنها الوثيق، وسندها المتين[1].

وبهذا تختلف أصول الحنفية عن أصول الشافعية والجمهور في أنَّ أصول الشافعية كانت منهاجًا للاستنباط، وحاكمة عليه، أما طريقة الحنفية فلم تكن حاكمة على الفروع؛ أي: إنهم استنبطوا القواعد التي تبيِّن مذهبهم وتؤيده؛ فهي إذًا مقاييس مقرَّرة لا مقاييس حاكمة[2].

وتعد هذه المرحلة بمدرستيها -مع اختلاف مناهجها وتباين طرقها- أهم مراحل التجديد في هذا العلم، حيث اتسمت بغزارة المادة الأصولية مع إتقان ترتيبها وحسن عرضها، فيها اكتمل بناؤه في نظرية محكمة منضبطة، واستوعبت مسائله، ونضجت استدلالاته، وانتقل من إرهاصات النشأة وطَوْرِ التكوين، إلى طَوْرِ النُّضْجِ، واكتمال المباحث، وإحكام الصياغة.

فأصبحت متممة لما سبقها، ولم يظفر أحد بعدها بجديد يضيفه إلى بنيان هذا الصرح،

(١) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، ص: ٥٥.

(٢) ينظر: أصول الفقه لأبي زهرة، ص٢٢.

وإنما هو التجديد من حيثيات أخرى كما سنبينه عند الحديث عليها في المراحل الآتية.

ةةةةة: ةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةةة:

بعد أن استقرت مدرستا الأصول كل حسب طريقة تدوينه لهذا العلم وتقريره لقواعده وإتمام ما ابتدأه الشافعي، ظهر فراغ كبير بينهما؛ حيث اهتمت مدرسة المتكلمين بدراسة القواعد مجردة عن فروعها، بينما لم تُخضِع مدرسة الفقهاء فروعهم الفقهية للأصول، كما أنه قد تبين أن لكل منهما مزايا اختصت به دون الأخرى.

عند ذلك أدرك علماء القرن السابع أنه لابدّ من الاستفادة من كلتا المدرستين فعملوا تأسيس مدرسة تجديدية تهتم بالتوفيق بين الطريقتين والتقريب بينهما.

وكان من أوائل المتصدرين لهذا العمل مظفر الدين الساعاتي الحنفي (٦٩٤هـ)، الذي جمع بين أصول البزدوي وإحكام الآمدي، وقد وصف ابن خلدون عمله هذا قائلا: ((وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الإحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين، وسمَّى كتابه بالبدائع، فجاء من أحسن الأوضاع وأبدعها، وأئمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءة وبحثاً))[1].

ومن أروع من كتب على هذه الطريقة تاج الدين السُّبكي الشافعي (٧٧١هـ) في كتابه: (جمع الجوامع) وقد اعتمد في تأليفه على ما يقرب من مائة مصنف[2]، وقد نال هذا الكتاب اهتمام العلماء فتناولوه دراسة وتدريساً وشرحاً وتحشية وتعليقا، ومن أفضل من شرحه الجلال المحلي.

ويمكن أن نلخص وجوه التجديد الأصولي عند أصحاب هذه المدرسة بما يأتي:

الجمع بين الأدلة العقلية والنقلية، وبين الفروع الفقهيَّة في دراسة القواعد الأصولية،

(١) مقدمة ابن خلدون، ص٢٦٢.

(٢) ينظر: جمع الجوامع بشرح الجلال المحلي المطبوع مع حاشية العطار ١/ ٣٥.

وعدم الاقتصار على أحدهما.

الجمع بين فائدتين؛ فائدة تعود على الفقه، وذلك بذكْر الفروع الفقهيَّة، وفائدة تعود على القواعد الأصولية، وذلك بتمحيص أدلتها ومناقشتها.

استيعاب ما أُلِّف على طريقتي المتكلِّمين والفقهاء.

سِمَة الاختصار في أغلب المؤلَّفات على هذه الطريقة[1].

ööööö: ööööö öööööööö ööö öööööööö öööööööö:

بعد انتشار مؤلفات الكتب الأصولية على طريقة المتكلمين واهتمامها بدراسة القواعد الأصولية مجردة عن آثارها الفقهية، وكثر الاستطراد فيها حتى أدرج ما لا جدوى منه ولا طائل تحته من المسائل الكلامية والقضايا المنطقية والمباحث الجدلية؛ حتى كادت أن تكون كتبه كتب فلسفة، وأصبحت القراءة فيها متعسرة، قال ابن الوزير: ((مما يزهد الكثير عن الأصول وينفرهم عن تذوق حلاوته هو عدم التطبيق له عند الدراسة))[2].

عند ذلك ظهرت طريقة جديدة متزامنة مع الطريقة السابقة.

وكان رائد هذه الطريقة شهاب الدين الزَّنْجاني الشافعي (٦٥٦هـ) في كتابه: (تخريج الفروع على الأصول)، وقد ذكر ذلك في ديباجته قائلا: ((وَحَيْثُ لم أر أحدا من الْعلمَاء الماضين وَالْفُقَهَاء الْمُتَقَدِّمين تصدى لحيازة هَذَا الْمَقْصُود، بل اسْتَقل عُلَمَاء الْأُصُول بِذكر الْأُصُول الْمُجَرَّدَة، وعلماء الْفُرُوع بِنَقْل الْمَسَائِل المبددة من غير تَنْبِيه على كَيْفيَّة استنادها إِلَى تِلْكَ الْأُصُول أَحْبَبْت أَن أتحف ذَوي التَّحْقِيق من المناظرين بِمَا يسر الناظرين فحررت

(١) ينظر: تاريخ علم أصول الفقه، أ. طاهر العتباني، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
www.monazh.com /portal /showthread

(٢) المصفى في أصول الفقه، ص٤٧.

هَذَا الْكتاب))[1].

وتميزت هذه الطريقة بذكر خلاف الأصوليين في المسألة، مع الإشارة إلى بعض أدلة الفِرَق المختلفة، ثم ذكر عدد من المسائل الفقهية المتأثرة بهذا الخلاف، والغاية منها هو: ربط الفروع بالأصول، ولا يذكر في الكتب المؤلَّفة على هذه الطريقة إلا المسائل التي اختلف العلماء فيها، والخلاف فيها معنوي له ثمرة، أما إذا كان الخلاف لفظيا فلا يرد فيها[2].

وقد تفطن لهذه المهمة أيضا جمال الدين الإسنوي الشافعيّ (٧٧٢هـ) بعد أن سبر كتب الأصول قديمها وحديثها، وقد تحدث عن ذلك بقوله: ((وَكنت قَدِيما قد اعتنيت بِهَذَا الْعلم وراجعت غَالب مصنفاته المبسوطة والمتوسطة والمختصرة من زمن إمامنا المبتكر لَهُ وَإِلَى زَمَاننَا حَتَّى صنفت فِيهِ بِحَمْد الله -تَعَالَى- مَا اجْتمع فِيهِ من قَوَاعِد هَذَا الْعلم ومسائله ومقاصده ومذاهب أئمته مَا أَظن أَنه لم يجْتَمع فِي غَيره مَعَ صغر حجمه بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا اشْتَمَل عَلَيْهِ فَإِن تَطْوِيل مبسوطاته إِنَّمَا هُوَ بِذكر أَدِلَّة أَكْثَرهَا ضَعِيف وَأما مسَائله ومقاصده فمحصورة مضبوطة ثمَّ إِنِّي استخرت الله -تَعَالَى- فِي تأليف كتاب يشْتَمل على غَالب مسَائله وعَلى الْمَقْصُود مِنْهُ وَهُوَ كَيْفِيَّة اسْتِخْرَاج الْفُرُوع مِنْهَا فأذكر أَولا الْمَسْأَلَة الْأُصُولِيَّة بِجَمِيعِ أطرافها منقحة مهذبة ملخصة ثمَّ اتبعها بِذكر شَيْء مِمَّا يتَفَرَّع عَلَيْهَا ليَكُون ذَلِك تَنْبِيها على مَا لم أذكرهُ))[3].

والإسنوي في تصنيفه هذا أراد أن فتح باب التفريع ليس لأصحاب مذهبه فحسب بل لجميع المذاهب الأخرى، وأن يحصل به المران على تحرير الأدلة وتهذيبها ومعرفة مآخذ تضعيفها وتصويبها.

(١) تخريج الفروع على الأصول، ص: ٣٤، ٣٥.
(٢) المهذب في علم أصول الفقه المقارن ١/ ٦٥.
(٣) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، ص: ٤٦.

والخلاصة أنَّ هذه المرحلة تميزت بلون خاص من ألوان التجديد، حيث أنَّ الدراسات الأصولية فيها قامت على ما يأتي:

ربط فروع المسألة بأصولها.

تمرين الباحث على كيفية استخراج الفروع من الأصول، والتفريع على الأصول.

استبعاد الخلافات اللفظية التي لا تنبي عليها آثار فقهية.

تنقيح المسائل الأصولية وتهذيبها مما لا طائل تحتها.

مقارنة الآراء الأصولية ومناقشتها في ضوء الفروع الفقهية، والترجيح بينها في بعض المواطن.

وهذا النمط من التأليف كان ضيق النطاق ولم يتوسع العلماء في التأليف به، ولو أنهم ساروا على ذلك لكانوا قد كفونا مؤنة تهذيب هذا العلم وتنقيته من كل دخيل وما لا جدوى فقهية تحته.

ةةةةة: ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةةةة:

من يطالع مراحل تدوين علم الأصول يكاد يجزم أن ساحة التجديد فيه أصبحت بعد القرن الخامس الهجري ضيّقة، واقتصرت دائرته على كيفية صياغة عرضه وتدوينه، ولم تسجل أي جديد بمعنى الجديد حتى القرن الثامن الهجري الذي أتحفنا بالإمام أبي اسحاق الشاطبي المالكي، الذي استطاع أن يتميز بمنهج قائم بذاته، من خلال عرض علم الأصول في ضوء المقاصد الشرعية، في كتابه الماتع: (الموافقات في أصول الشريعة)، وبذلك يعدّ المؤسس الحقيقي لعلم المقاصد وإنَّ نسبته إليها كنسبة الإمام الشافعي إلى أصول الفقه، رغم أن الإشارات إليها بدأت مبكرة، وكان في طليعة من أشار إليها إمام الحرمين الجويني بقوله: ((مَنْ لَمْ يَتَفَطَّنْ لِوُقُوعِ المَقَاصِدِ فِي الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَلَيْسِ عَلَى

بَصِيرَةٍ فِي وَضْعِ الشَّرِيعَةِ))[1].

إنَّنا هنا لا نريد أن نسترسل في تاريخ المقاصد وكيفية تطورها، ولكن الذي يهمنا أن نبين كيف استطاع الشاطبي أن يجدد في علم الأصول وأن يضيف إليه من خلالها الكثير، وأن يعتبرها أصل الأصول.

والمتفحص لكتابه يجد أن الجوانب التجديدية التي اهتدى إليها الشاطبي كانت في المجالات الآتية:

البناء الهيكلي، حيث أنه أعاد تبويب علم الأصول في منهج جديد، وقسمه إلى خمسة أقسام: (المقدمات ، المنهجية ، الأحكام ، المقاصد ، الأدلة الشرعية، الاجتهاد).

ةةة ةةةةةةة ةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةة ةةةةة:

مقاصد الشارع، وهي: (مقاصد وضع الشريعة ابتداء، مقاصد وضع الشريعة للإفهام، مقاصد وضع الشريعة للتكليف، مقاصد وضع الشريعة للامتثال).

ةةةةة ةةةةة.

صياغة مقدمات منهجية عملية تصلح لكل علوم الشريعة، تقوم على استبعاد كل ما لا يقوم على جانب عملي أو أنه أجنبي عن هذا العلم، وبحث المسائل المساعدة في علومها الأصلية[2].

ثم جاء -بعد ذلك- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، فأفاد من المباحث المقاصدية في تراث أهل العلم وجَمَّلَها وكَمَّلَها؛ فبدأ تصنيفه المقاصدي بالتطبيق في كتابه: (أليس الصبح بقريب؟) ثم في كتابه: (مقاصد الشريعة الإسلامية)، ثم طبق آراءه المقاصدية في كتابه: (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، وتعتبر إضافات الشيخ ابن عاشور

(١) البرهان في أصول الفقه ١/ ٢٩٥.

(٢) ينظر بتصرف: التجديد الأصولي، نحو صياغة تجديدية لعلم أصول الفقه، ص٥٤.

إلى علم المقاصد انطلاقة كبرى لعلم المقاصد، وامتدادا لجهود الإمام الشاطبي، وكان معاصرا للشيخ ابن عاشور علّالٌ الفاسيُّ، فوضع عَقِيبَهُ ما يمكن اعتباره الكتابَ الثانيَ في المقاصد في العصر الحديث، وهو كتاب: (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها)[1].

والإمام الشاطبي لم يرد بهذا العمل أن يكون بديلا عن علم الأصول، بل أراده أن يكون مرحلة مكملة تأتي بعد التمرس في علمي الأصول والفروع والتعمق فيهما، قال -رحمه الله-: ((وَمِنْ هُنَا لا يُسْمَحُ لِلنَّاظِرِ فِي هَذَا الكِتَابِ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ نَظَرَ مُفِيدٍ أَوْ مُسْتَفِيدٍ؛ حَتَّى يَكُونَ رَيَّانَ مِنْ عِلمِ الشَّرِيعَةِ، أُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، مَنْقُولِهَا وَمَعْقُولِهَا، غَيْرَ مُخْلِدٍ إِلَى التَّقْلِيدِ وَالتَّعَصُّبِ لِلمَذْهَبِ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ هَكَذَا؛ خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَيْهِ مَا أَوْدَعَ فِيهِ فِتْنَةً بِالعَرَضِ، وَإِنْ كَانَ حِكْمَةً بِالذَّاتِ))[2].

وقد أكد هذا المعنى ابن عاشور أيضا، ولم يجز التوسع فيها إلا لمن حاز قدرا كافيا من بقية العلوم الشرعية، قال -رحمه الله-: ((ثم يتوسع للناس في تعريفهم المقاصد بمقدار ازدياد حظهم من العلوم الشرعية؛ لئلا يضعوا ما يلقنون من المقاصد في غير مواضعه، فيعود بعكس المراد))[3].

ولا تزال أبواب التصنيف فيها مفتوحة إلى يومنا هذا ما بين دراسة لآراء بعض الأئمة في المقاصد، أو دراسة تأصيلية لبعض قضاياه، وعلى أية حال، فهو لا يزال بحاجة إلى تضافر جهود الباحثين؛ لحسم كثير من قضاياه غير المحسومة.

(١) ينظر: من تاريخ علم أصول الفقه بحث منشور على الشبكة العنكبوتية
(٢) الموافقات ١/ ١٢٤.
(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر ابن عاشور، ص:١٢٣.

ةةةةة: ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةةة ةةةةةةةة:

شهد هذا العصر دعوات للتجديد في مجالات العلوم المختلفة، وكان من بينها الدعوة إلى تجديد علم أصول الفقه أو التجديد فيه، ولم يكن بواعث هذه الدعوة واحدا، بل منها دوافع فكرية اجتماعية كانت أو سياسية، ومنها دوافع أكاديمية تدور في باب التصنيف والترتيب، وأخرى منهجية تعنى بتمحيصه وتحريره وإعادة هيكلته في ضوء مقتضيات العصر، وهناك دوافع مذهبية تنادي بالاتجاه إلى قواعد السلف وقد يكون باعثها التعصب، وهذه الدوافع قد تتداخل عند بعض دعاة التجديد[1].

وكان للمعاصرين تجاه دعوات التجديد الأصولي مواقف مختلفة، فمنهم من غالى حتى رفض كل ما فيه وأراد استبداله بجديد، ومنهم من وقف موقف الرافض لأيّ نقد أو إصلاح، وظهر موقف وسط بين هذا وذاك فأوجب الحفاظ على أصله وطالب بتنقيته من كل دخيل لا ثمرة تحته.

وهذه الدعوة الوسط مقبولة من حيث الجملة نؤيدها ولا ننكر عليها ونؤمن بضرورة القيام بها، وعند التحقيق يمكن القول: إنَّ دعوات التجديد ليس فيها جديد؛ لأنه ما من دعوة في هذا الاتجاه إلا وقد نبه عليه أحد العلماء السابقين ودعا لها.

ويمثل هذا التيار نخبة مباركة من العلماء المعاصرين منهم الشيخ عبدالله بن بيّه والشيخ يعقوب الباحسين والشيخ أحمد الريسوني وآخرون كثر، والغالب على هذه الدعوات أنها لا زالت في طور التنظير، ولم تخرج إلى طور التطبيق في غالبها، وقد ظهر أخيرا عمل مبارك بإشراف الشيخ أحمد الريسوني أجاد العاملون فيه في عرض علم

(١) التجديد في أصول الفقه : مشروعيته وتاريخه وإرهاصاته المعاصرة، بحث منشور في العدد ١٢٥ / ١٢٦ في مجلة المسلم المعاصر، ص١١٩.

الأصول بأسلوب عصري مع المحافظة على أصالته بعنوان: التجديد الأصولي، نحو صياغة تجديدية لعلم أصول الفقه، وهو من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

وأما التيار المغالي في هذه الدعوات فيتصدرهم الدكتور حسن الترابي، حيث زعم أنَّ حركة الإبداع قد توقفت في أصول الفقه وغدا مجرد مقولات نظرية عقيمة، ولم يكن مؤهلاً أصلاً لمعالجة القضايا التي يواجهها الناس في العصر الحديث؛ لأنه كان يدور في القضايا الفردية والخاصة، والقضايا المطروحة اليوم: قضايا عامة[1].

ويلتقي معه في هذه الدعوة من يسمون بـ: الحداثيين أو العصرانيين، ومن أبرز أقطابهم: محمد أركون ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي وجمال البنا ونصر حامد أبو زيد، وقد دعوا إلى اعتماد مقاصد زائفة وغير منضبطة بدلا عن علم الأصول، لإيجاد تشريعات بديلة تحت شعار: التحرر الفكري والتفتح الاجتهادي ومحاكاة العصر بخطاب ديني يتناغم مع لغته وخطاباته، وواضح أنها تلتقي مع الفكر الباطني الذي أغرق في المعاني والتعليل وعطّل ظواهر النصوص[2].

وقد حذّر الشيخ ابن بيّه من هذه الدعوة بقوله: ((وقد ظهرت في ثوب حداثي لا يريد التصريح بمراغمة الوحي، لكنه يتوكأ على المصلحة العقلية أو ما سمّاه بعضهم بالمقصد الجوهري الذي يلغي النصوص والمقاصد الأُخر))[3].

(١) التجديد في أصول الفقه : مشروعيته وتاريخه وإرهاصاته المعاصرة، بحث منشور في العدد ١٢٥ / ١٢٦ في مجلة المسلم المعاصر، ص١٢٠.

(٢) ينظر: أسباب الخطأ في فتاوى المعاصرين – دراسة تأصيلية تطبيقية، ص١٨٢.

(٣) مشاهد من المقاصد ص:٥٨.

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةةة ٌ
ةةةة ةةةةةةةة ةة ةةة ةةةةةة

من خلال عرض دعوات التجديد في أصول الفقه نستطيع أن نتبين مظانها، حيث أنَّ منها ما أريد لها أن تطال الدخيل في هذا العلم دون الأصيل، أو أن تطال منهجية من مناهج البحث فيه، ومنها ما اعتبرت أن هذا العلم لم يعد نافعا، فنادوا بتبديله وتغيير مضمونه.

وسنبين في هذه الدراسة المحال التي يجب أن تخضع للتجديد في علم أصول الفقه؛ كي نتمكن بعد ذلك من عرضه بأفضل أسلوب عصري مع المحافظة على أصله والإبقاء على قواعده وأدواته ومنهجيته، وهي بلا شكّ محل اعتزاز وافتخار، وفي هذا المعرض يقول شيخ فقهاء القانون عبد الرزاق السنهوري ((إنَّ الفقهاء المسلمين امتازوا على فقهاء الرومان، بل على فقهاء العالم أجمع باستخلاصهم أصول ومبادئ عامة في أصول استنباط الأحكام من مصادرها، وهذا ما سمّوه بأصول الفقه))[1].

ومظان التجديد في علم الأصول لا تقتصر على باب واحد، فهي أكثر من ذلك غير أني سأتناولها من باب، وهو: تنقية كتب أصول الفقه من كل مبحث دخيل وقاعدة افتراضية لا ينبي عليهما أثر فقهي؛ كي يتمكن هذا العلم من استعادة فاعليته وقدرته على الاستجابة لمتطلبات العصر.

(١) التجديد في أصول الفقه: مشروعيته وتاريخه وإرهاصاته المعاصرة، بحث منشور في العدد ١٢٥/١٢٦ في مجلة المسلم المعاصر، ص١٢٠.

إنَّ اختلاف المدارس الأصولية، واعتماد أصول الفقه على علوم مختلفة، وخوض المتكلمين مع اختلاف فرقهم في مباحثه، كل هذا أدّى إلى وجود مباحث دخيلة وقواعد افتراضية بعيدة كل البعد عن الغاية التي من أجلها وضع الأصول.

وقد تفطن لهذا الاستطراد كثير من العلماء سلفا وخلفا، وكان في مقدمتهم الإمام الغزالي حيث قال -بعد ذكره لمقدمته المنطقية-: ((وهذا النمط من الكلام دخيل في علم الأصول، فلا يليق فيه الاستقصاء))[1].

ثم جاء الشاطبي فأولى هذه القضية اهتمامه وعقد مقدمات الموافقات لها، وقد افتتح المقدمة الرابعة بقوله: ((كُلُّ مَسْأَلَةٍ مَرْسُومَةٍ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ لَا يَنْبَنِي عَلَيْهَا فُرُوعٌ فِقْهِيَّةٌ، أَوْ آدَابٌ شَرْعِيَّةٌ، أَوْ لَا تَكُونُ عَوْنًا فِي ذَلِكَ؛ فَوَضْعُهَا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ عَارِيَةٌ))[2].

ومن أجل هذا الغرض صنّف الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ) كتابا أسماه: «مزالق الأصوليين وبيان القدر المحتاج إليه من علم الأصول» وألزم نفسه فيه بالتنويه على كل ما يراه دخيلا على الأصول، وما لا فائدة تحته.

وكان لأحمد بن محمد بن علي الوزير (١٣٧٢هـ) جهود متميزة في كتابه القيّم: «المصفّى في أصول الفقه» حيث أنه قد بيّن كل ما يراه دخيلا على هذا العلم، ثم بدأ بعرض مسائله بعد طرح كل دخيل عليها، وكان في غاية الإنصاف مع الكتب الأصولية السابقة.

ةةةةةة ةةة ةةةة ةةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةة:

ةةةة: ةةةةة ةةة ةةةةةة ةة ةةةةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةة

ةة ةةةة ةةةة ةةةةة.

(١) المستصفى، ص: ١٨.

(٢) الموافقات ١/ ٣٧.

من المعلوم سلفا أنه ما من علم من علوم الشريعة أو علوم الآلة إلا وقد أدخلت بعض مباحثه في علم أصول الفقه؛ حتى قالوا: إنه العلم الذي تجتمع فيه العلوم.

ولا شكّ أن تداخل هذه العلوم بعلم الأصول أدّى إلى تحميل مباحثه ما لا منفعة فقهية تحتها؛ حتى أنك ترى بعض المدّونين فيه يعرض بعض مباحث علم الكلام أو المنطق أو علوم القرآن أو علوم الحديث، بإسهاب، وهكذا بقية العلوم، فضاعت بذلك مباحث الأصول الرئيسة بين تلك الاستطرادات، وطاله الجمود وغدت مصنفاته من أعقد المصنفات.

وقد بيّن ذلك الإمام الغزالي بقوله: ((وإنَّما أكثر فيه المتكلمون من الأصوليين لغلبة الكلام على طبائعهم، فحملهم حب صناعتهم على خلطه بهذه الصنعة، كما حمل حب اللغة والنحو بعض الأصوليين على مزج جملة من النحو بالأصول، فذكروا فيه من معاني الحروف ومعاني الإعراب جملا هي من علم النحو خاصة، وكما حمل حب الفقه جماعة من فقهاء ما وراء النهر كأبي زيد -رحمه الله- وأتباعه على مزج مسائل كثيرة من تفاريع الفقه بالأصول، فإنَّهم وإن أوردوها في معرض المثال وكيفية إجراء الأصل في الفروع فقد أكثروا فيه))[1].

ةةةةة: ةةةةة ةةةةة ةة ةةةةة ةة ةةةةةةة ةة.

إنَّ من أهم مباحث علم أصول الفقه مبحث الأدلة التشريعية، والذي يعنى به علم الأصول هو الأدلة التشريعية، وقد ذكر بعض الأصوليين استطرادا جملة من الأدلة التي لا يعتد بها من باب ردّها وإبطالها، وهذا بلا شكّ إثقال، فمبحث الإلهام سوّد فيه السمعاني

(١) المستصفى، ص: ٩.

في قواطع الأدلة[1] خمس صفحات وكذا الزركشي في البحر المحيط[2]، وبالمحصلة أنه غير معتبر شرعا، جاء في البحر المحيط في أصول الفقه: ((وَلَوْ ثَبَتَتْ الْعُلُومُ بِالْإِلْهَامِ لَمْ يَكُنْ لِلنَّظَرِ مَعْنًى، وَلَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ الْعَالَمِ دَلَالَةٌ وَلَا عِبْرَةٌ))[3].

وكذا الرؤى والمنامات لا يجب إبقاء الحديث عليها لا قبولا ولا ردا في كتب الأصول؛ وذلك أنها غير معتدّ بها، قال الشاطبي: ((فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَسْتَدِلُّونَ عَلَى الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ بِالْمَنَامَاتِ وَمَا يُتَلَقَّى مِنْهَا تَصْرِيحًا، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً؛ فَأَصْلُهَا الَّذِي هُوَ الرُّؤْيَا غَيْرُ معتبر فِي الشَّرِيعَةِ فِي مِثْلِهَا))[4].

وقد بيّن الزركشي علة عدم الاعتداد بها بقوله: ((وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَنَامَ لَا يُثْبِتُ حُكْمًا شَرْعِيًّا وَلَا بَيِّنَةً، وَإِنْ كَانَتْ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا، وَالشَّيْطَانُ لَا يَتَمَثَّلُ بِهِ، وَلَكِنْ النَّائِمُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ التَّحَمُّلِ وَالرِّوَايَةِ لِعَدَمِ تَحَفُّظِهِ))[5].

ةةةةة: ةةةةة ةة ةةةة ةةة ةةةةةةةةة ةةةةة ةةة ةةة ةةةة ةةةةة.

الواجب في كل علم من العلوم أن لا يذكر في مباحثه خلافا غير خلاف أهله، وبما أنَّ بعض مباحث أصول الفقه لها علاقة بغيرها من العلوم الأخرى؛ وجدنا كثيرا من الأصوليين عند تأصيليه لقاعدة ما يذكر جميع ما ورد فيها من خلاف حتى لو كان مع غير الأصوليين، فترى المقارنة واضحة بين الفرق الكلامية في قاعدة أصولية، ومن

(١) ينظر: ٢/ ٣٤٨ – ٣٥٢.
(٢) ينظر: ٨/ ١١٤ – ١١٨.
(٣) ينظر: ٨/ ١١٤.
(٤) الموافقات ١/ ١١٤، ١١٥.
(٥) البحر المحيط في أصول الفقه ٨/ ١١٨.

ذلك ما ذكره إمام الحرمين في الخلاف في صيغة الأمر ودلالته بين الأشاعرة والمعتزلة[1] ثم ذكر خلاف الشافعية المتكلمين مع الشافعي، قال رحمه الله: ((وأما جميع الفقهاء فالمشهور من مذهب الجمهور منهم أن الصيغة التي فيها الكلام للإيجاب إذا تجردت عن القرائن وهذا مذهب الشافعي رحمه الله والمتكلمون من أصحابنا مجمعون على اتباع أبي الحسن في الوقف ولم يساعد الشافعي منهم غير الأستاذ أبي إسحاق))[2].

بل ترى بعضهم انجر لذكر خلاف الأمم الأخرى، فالآمدي في أكثر من عشر صفحات يناقش فرق اليهود في إثبات النسخ ويبطل بها أقوالهم[3]، وهذا خلاف لا ثمرة تحته ومحله ليس أصول الفقه؛ ولهذا قال ابن السبكي: ((واعلم أنه لا يحسن ذكر هؤلاء المبعدين في وفاق ولا خلاف))[4].

وإذا جاز لنا أن نتسامح مع هذا الخلاف، فهناك نوع آخر لا ينبغي أن نصرف فيه الأوقات وهو خلاف ما لا قائل به أصلا، ومن ذلك الخلاف في الواجب المخير، حيث ذكرت معظم كتب الأصول أنَّ الواجب فيها معين عند الله -تعالى- دون الناس، قال ابن السبكي: ((وَهَذَا يُسمى: قول التراجم ينْسبهُ أَصْحَابنَا إِلَى الْمُعْتَزلَة، والمعتزلة إِلَى أَصْحَابنَا، فاتفق الْفَرِيقَانِ على فَسَاده، وَلست أرى مسوغا لنقله عَن وَاحِد من الْفَرِيقَيْنِ وَقد تعاضدا على إفساده.

وَقَالَ أبي -رَحمَه الله-: وَعِنْدِي أَنه لم يقل بِهِ قَائِل، وَلَا وَجه لَهُ، لرِوَايَة أَصْحَابنَا لَهُ عَن

(١) البرهان في أصول الفقه ١/ ٦٦.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٦٨.
(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٣/ ١١٥، وما بعدها.
(٤) الإبهاج في شرح المنهاج ٢/ ٢٢٨.

الْمُعْتَزلَة لمنافاة قواعدهم لَهُ))[1].

والأدهى من ذلك أن يفترض لهذه المذاهب المفترضة أدلة ثم يجاب عنها ، ولا شكّ أن مثل هذا أثقل كاهل هذا العلم وسوّد صفحات طويلة فيه، ولأنَّ كان العلماء بهم حاجة إلى مثل هذا عند التأسيس وبداية التدوين، فإننا اليوم في غنى عنه.

ةةةةة: ةةةةة ةة ةةةةةة ةةةةةةةةة ةةةةةةةة ةةةةةة.

يكثر وجود هذا النوع من القواعد والمباحث في الكتب الأصولية التي دوّنت على طريقة المتكلمين؛ وتعود هذه إلى الكثرة إلى منهجيتهم التي لم تراع الفروع الفقهية عند تأسيس القواعد الأصولية، فكان من الطبيعي أن تظهر عندهم قواعد افتراضية ليس لها آثار فقهية، وكان يلزم الأجيال اللاحقة أن تهذب هذه القواعد بعد عرضها على الفروع الفقهية.

ومن القواعد المفترضة في مباحث الاجتهاد: مسألة التفويض التي لا يكاد كتاب أصولي يخلو من ذكرها، ويراد بها تفويض الله الحكمَ إلى نبي أو عالم ليحكم بما شاء وكيفما اتفق دون الاستناد إلى مدارك شرعية[2]، قال السمعاني: ((واعلم أنَّ هذه المسألة أوردها متكلمو الأصوليين، وليست بمعروفة بين الفقهاء، وليس فيها كثير فائدة؛ لأن هذا في غير الأنبياء لم يوجد، ولا يوجد توهمه في المستقبل))[3].

ومن ذلك: نسخ الأمر قبل التمكن من الامتثال، وهي فرضية لا يوجد لها مثال شرعي واقعي، وقد صرح إمام الحرمين بفرضيتها بقوله: ((إذا فرض ورود أمر

(١) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ص: ٥٠٨.
(٢) شرح الكوكب المنير ٤/ ٥١٩ – ٥٢٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ٢/ ٢٣٧.
(٣) قواطع الأدلة في الأصول ٢/ ٣٣٩.

بشيء، فهل يجوز أن ينسخ قبل أن يمضي من وقت اتصال الأمر به زمن يتسع لفعل المأمور به))[1].

وعقد لها الغزالي مبحثا خاصا وأطال الكلام فيها[2]، وإذا أردنا أن ننقب في نصوص الكتاب والسنة، فلن نجد مثالا يسعفنا لهذه القاعدة المفترضة.

ومن القضايا الجدلية: التوسع في مفسدات العلة وما يتعلق بها من افتراضات وجدل، وحين ذكرها الغزالي حاول الايجاز فيها، ثم قال: ((فهي ليست فائدة من جنس أصول الفقه، بل هي من علم الجدل؛ فينبغي أن تفرد بالنظر ولا تمزج بالأصول التي يقصد بها تذليل طرق الاجتهاد للمجتهدين))[3].

وأنكر الحجوي استخدام الأصول أداة جدل من قبل المتأخرين قال رحمه الله: فتجد الرجل يستدل لنفسه بالعام، فإذا ما استدلَّ به خصمه ردَّ عليه، فقال: إن دلالته ظنية، وإنه لا يُعْمَل به قبل البحث عن المخصِّص، وإن كان عام دخله التخصيص. وتجده يستدل بالخاص، فإذا ما استدلَّ به خصمه رد عليه بأنه قضية عين لا عموم لها، ... وهكذا أكثروا من القواعد وعارضوا بعضها ببعض، ليتوصَّل كل واحد إلى أن يتمسَّك بما هو عليه لا يحيد عنه، ولم يبق عندهم استدلال إلّا الجدال، لا لظهور حقٍّ وإبانة باطل، وما اختلفوا إلّا من بعد ما جاءهم العلم سنة الله في الأمم[4].

ةةةةة: ةةةةةة ة ةةةةةة ةةةةةة ةةةة ة ةةةة ةةةةة ةةةة ةةةةة.

(١) البرهان في أصول الفقه ٢/ ٢٥٢.

(٢) ينظر: المستصفى، ص: ٩٠ وما بعدها.

(٣) الصدر نفسه ص: ٣٤٢.

(٤) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ١/ ٤٧٥.

يمتاز الفقه الإسلامي بأنَّ أحكامه عملية، وهذا هو طابعه العام، وبما أنه هكذا؛ فينبغي أن تكون أصوله عملية كذلك، وأن لا يكون الخلاف فيه لفظيا لا أثر تحته، وما كان العلماء يقصدون هذا النوع من الخلاف، ولكنه يقع في الغالب نتيجة عدم تحرير محل النزاع.

ويمكن تعريفه بأنه الخلاف الذى لو اطلع كل فريق فيه على معنى ما يقوله الآخر لقال به[1].

ولهذا الخلاف شواهد كثيرة في كتب الأصول، وقد أحسن الشيخ عبد الكريم النملة صنعا حين جمعها في مصنف مستقل تحت عنوان: الخلاف اللفظي عند الأصوليين.

ومن شواهد هذا الخلاف: الخلاف في تسمية العقل مخصصا، وكان ممن أورد ذكره إمام الحرمين، ثم قال بعد إيراده: ((وهذه مسألة قليلة الفائدة نزرة الجدوى والعائدة؛ فإن تلقي الخصوص من مأخذ العقل غير منكر، وكون اللفظ موضوعا للعموم في أصل اللسان لا خلاف فيه مع من يعترف ببطلان مذهب الواقفية، وإن امتنع ممتنع من تسمية ذلك تخصيصا فليس في إطلاقه مخالفة عقل ولا شرع، فلا أثر لهذا الامتناع، ولست أرى هذه المسألة خلافية في التحقيق))[2].

ولو عملنا على تنقية الكتب الأصولية من هذا الخلاف؛ لضاقت دائرة الخلاف -ولا شكّ بأن هذا مقصد شرعي- ولوفّرنا جهدا على طلبة العلم في هذا الميدان.

ةةةةة: ةةةةة ةةةةةة ةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة ةة ةةةةةة ةةةةةة ةة ةةةةةة ةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة.

(١) المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، ص: ١٩.
(٢) البرهان في أصول الفقه ١/ ١٤٩.

إنَّ التمثيل للقواعد الأصولية من الكتاب والسنة والفروع الفقهية واستبعاد الأمثلة الفرضية طريقة مأمونة الدخل؛ لأنها نابعة عن عمل وأثر تؤدي إلى معرفة ما لا تأثير له في الفروع من القواعد الأصولية، كما أنه يمكن التعرف من خلالها على نوعية الخلاف في المسائل الأصولية ودرجته، والمباحثة الدخيلة.

والحق أن من يطالع كتب المتكلمين يشهد بقلة النصوص القرآنية والنبوية مقابل الاستدلالات العقلية والمنطقية والجدلية حتى أن علم أصول الفقه في صورته عند المتكلمين، صار أشبه بالعلوم الفلسفية العقلية منه بالعلوم الشرعية مع أنه لم يكن كذلك عند الأوليين، الذين تعد رسالة الشافعي أصدق مثال لمنهجهم[1].

ويتحدث ابن الوزير عن تجربته مع الأصول، قال: ((ولقد درست الأصول، فما بدأت أتذوق حلاوته إلا منذ شرعت في دراسة علم الحديث وشروحه الفقهية، مثل: الروض النضير وسبل السلام وفتح الباري، ومثل العمدة -لابن دقيق- التي فاقت أخواتها من هذه الناحية التطبيقية للأصول الخاصة))[2].

وهذه الحقيقة التي صرّح بها ابن الوزير لا زال الكثيرون يتجرعون مرارتها بسبب الفصام النكد بين الأدلة الكلية وتطبيقاتها الجزئية، ولا سيما فيما يتعلق بقواعد دلالات الألفاظ وأنواع الواضح والمبهم التي يندر لها التمثيل من الكتاب والسنة، وإذا ذكر لها مثال فتجده مكررا تكاد أن تطبق عليه جميع كتب الأصول، وكأنَّ هذه القاعدة لا تنطبق على غيره من الأمثلة.

ومن أجل هذه المعاناة ألزم ابن الوزير نفسه في كتابه «المصفى في أصول الفقه» أن تكون الأمثلة والنماذج والتمارين للقواعد من الكتاب والسنة والقياس الصحيح

(١) ينظر: التجديد والمجددون في أصول الفقه، ص٥٧٠، ٥٧١.
(٢) المصفى في أصول الفقه، ص٤٧.

والإجماع؛ هادفا إلى تمرس الطلاب على تطبيق قواعد الأصول، ثم قال: فكم من عالم يدرس الأصول ثم لا يطيقه ولذلك يظل جامدا مقلدا. بل وذهب إلى أبعد من ذلك، قال رحمه الله: كنت أتخير الأحاديث التي تنفع الطلاب لا من ناحية التمرين والتطبيق فحسب، بل منها ومن الناحية الخلقية والأدبية[1].

ومن الأمثلة الفرضية التي يمكن الاستغناء عنها واستبدالها بأمثلة من الكتاب والسنة تمثيل الآمدي -رحمه الله- لاحتمالية صرف صيغة الأمر بعد الحظر إلى الوجوب بمثال فرضي، فقال: كما لو قيل للحائض والنفساء: إذا زال عنك الحيض فصلي وصومي[2].

وكان يمكنه الاستدلال لها[3] بقوله تعالى: {**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ**}[4]، ويمكن أن يستدل لها أيضا بقوله ﷺ: ((إِنَّمَا ذَلِكِ عِرْقٌ، وَلَيْسَ بِالحَيْضَةِ، فَإِذَا أَقْبَلَتِ الحَيْضَةُ فَاتْرُكِي الصَّلاَةَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَدْرُهَا، فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي))[5].

(١) ينظر: المصفى في أصول الفقه، ص٦٤.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢/ ١٧٨.

(٣) أخذت هذا المثال من كتاب السبيل إلى تصفية علم الأصول من الدخيل، بحث منشور في العدد ١٢٥ / ١٢٦ في مجلة المسلم المعاصر.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥.

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الحيض، باب الاستحاضة، رقم: (٣٠٦) ج ١/ ٦٩.

❊ ❊ ❊

ةةةةةةة

بعد هذه الرحلة العلمية الممتعة بثمارها، وبعد ذلك التطواف الحثيث، أوقفت مركبي لأحط الرحل عنه، وأبين أهم النتائج التي يحسن ذكرها، ولا يجمل بالباحث إهمالها؛ آملا أن يكون الاطلاع عليها سبيلا سهلا لمن أراد الوقوف على مضمون هذه الدراسة المتواضعة، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها ما يأتي:

إن التجديد بمفهومه الحق مقصد شرعي وضرورة واقعية في سائر العلوم، ولا سيّما علم الأصول.

إنَّ التجديد لا يعني هدم السابق وإقامة بديل مكانه، بل هو تنقية المجدد مما لا ثمار له مع إدراج الجديد النافع الذي لا يتناقض مع أصالته.

إنَّ التجديد الأصولي لم يقف عند مرحلة معينة، بل كانت له مراحل متعددة، وقد أضافت كل مرحلة من مراحله حلقة في سلسلة علم الأصول.

ضرورة مراجعة المدونات الأصولية وتهذيبها من كل مبحث وقاعدة ليس له جانب عمليّ، وأن نعرف أين تلتقي العلوم مع الأصول ومتى تفترق.

إنَّ بواعث الدعوات التجديدية ليست متفقة فمنها: الفكرية اجتماعية كانت أو سياسية، ومنها الأكاديمية، وأخرى منهجية تعنى بتمحيصه وتحريره وربما كان منها دوافع مذهبية باعثها التعصب.

إنَّ أصحاب الدعوات التجديدية المعاصرة ليسوا صنفا واحدا، فمنهم مغال فيها يريد جديدا لا تجديدا ومنهم رافض لأي جديد وجامد عند كل قديم ومنهم مقتصد فيها وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

ضرورة تفعيل علم الأصول وتجنيبه الفرضيات من خلال تطبيق قواعده على الفروع الفقهية والاستدلال لها بأمثلة من الكتاب والسنة.

إنَّ علم الأصول اليوم يحتاج إلى تفعيل الدعوات التجديدية أكثر من التنظير فيها وتشخيص محالها، فهي معلومة لدى الأئمة السابقين ومدونة دعواتهم إليها.

❊ ❊ ❊

ةةةةة ةةةةةة

* بعد القرآن الكريم.

الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفَّى سنه ٧٨٥هـ). تأليف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

الإحكام في أصول الأحكام. تأليف: أبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان.

إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول. تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

أسباب الخطأ في فتاوى المعاصرين – دراسة تأصيليّة تطبيقيّة. أطروحة دكتوراه تقدم بها: عمر حسين غزاي، إلى كلية الإمام الأعظم، بإشراف أ. د. أحمد عوّاد الكبيسي.

إشكالية تجديد أصول الفقه. تأليف: د. أبو يعرب المرزوقي ود. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

أصول الفقه. تأليف: الشيخ محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، بدون طبعة وسنة طبع.

إعلام الموقعين عن رب العالمين. تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

البحر المحيط في أصول الفقه. تأليف: أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

البرهان في أصول الفقه، تأليف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبي المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: (الأولى) ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

التجديد الأصولي، نحو صياغة تجديدية لعلم أصول الفقه، إعداد جماعي بإشراف د. أحمد بن عبد السلام الريسوني، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، توزيع مكتب الأردن – عمان.

التجديد في أصول الفقه: مشروعيته وتاريخه وإرهاصاته المعاصرة. تأليف: د. خليفة بابكر حسن، بحث منشور في مجلة المسلم المعاصر – لبنان، العدد ١٢٥ / ١٢٦ في ٢٩ كانون١/ ديسمبر ٢٠٠٧ ١١:٤٤ السنة: ٢٠٠٧م.

التجديد والمجددون في أصول الفقه – دراسة موسعة لجهود المجددين من علماء الأصول تنتهي إلى استخلاص منهج اصلاحي سديد للكتابة الأصولية. تأليف: أبي الفضل عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم، المكتبة الإسلامية – القاهرة، الطبعة: (الثالثة)، ١٤٢٨ه - ٢٠٠٧م.

تخريج الفروع على الأصول. تأليف: محمود بن أحمد بن محمود بن بختيار، أبو المناقب شهاب الدين الزَّنْجاني (المتوفى: ٦٥٦هـ)، تحقيق: د. محمد أديب صالح، الناشر: مؤسسة

الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨ه.

التمهيد في تخريج الفروع على الأصول. تأليف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، المحقق: د. محمد حسن هيتو، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ه.

تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، تأليف: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بدون طبعة وبدون تاريخ شرح المحلي على جمع الجوامع بأعلى الصفحة يليه – مفصولا بفاصل – «حاشية العطار» عليه.

الرسالة. تأليف: الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ – ١٩٤٠م.

رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تأليف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم

الكتب – لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م – ١٤١٩هـ.

السبيل إلى تصفية علم الأصول من الدخيل بقلم د. أسامة عبد العظيم، بحث منشور في مجلة المسلم المعاصر – لبنان، العدد ١٢٥ / ١٢٦ في ٢٩ كانون١/ ديسمبر ٢٠٠٧ ١١:٥٦ السنة: ٢٠٠٧م.

سنن أبي داود. تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي – بيروت.

شرح السنة، تأليف: محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

شرح الكوكب المنير، تأليف: تقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

العين، تأليف: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. تأليف: محمد بن الحسن بن العربيّ ابن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)،

الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: (الأولى)، ١٣٥٦.

قواطع الأدلة في الأصول، تأليف: أبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م.

لسان العرب. تأليف: محمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور، (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

مختار الصحاح، تأليف: زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: (الخامسة)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

المستدرك على الصحيحين. تأليف: أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: (الأولى)، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

المستصفى في علم الأصول. تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

مشاهد من المقاصد. تأليف: الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه، مؤسسة الإسلام اليوم، السعودية– الرياض، ودار وجوه للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م - ١٤٣١هـ.

المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم. تأليف: علي جمعة محمد عبد الوهاب، الناشر:

ةةةةةةة ةة ةةةةة ةةةةةةة
ةةةة ةةةةةة
ةةة ةةةةةةة ةةةةةةة

ةةة ةةةة ةةة ةةةةةةة ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةةة ةة(ةةةةةةة ةةةةةةةةةة ةةةة ةةةةة)

إعداد

أ.م.د. عامر خليل إبراهيم

ةةةة ةةةةة

يدور البحث حول الفجوة الكبيرة بين طلبة العلم وهدفهم في التمكن من العلوم الشرعية والتي حالت بينهم وبين أخذ دورهم الرائد في قيادة وتوجيه المجتمع باتجاه القمة والارتقاء في عصرنا هذا، وقد ركز البحث على أحد الجوانب المهمة التي يجب العمل على تحديثها وتطويرها، لتيسير العملية التعليمية، واكساب الطلبة المهارة المعرفية والوجدانية والاستنباطية التطبيقية فحمل البحث عنوان ((التجديد في آليات التفاعل وشرح النصوص بين الاستاذ والطالب)) وقد قسمت البحث على مقدمة ومبحثين أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية البحث وسبب اختياره، وامَّا المبحث الأول فقد جعلته تحت عنوان التجديد في آلية التفاعل الفعال بين الاستاذ والطالب.

ةةة ةةة ةةة ةةةةةة:

أما المطلب الأول فعنوانه توفير الاحتياجات الأساسية للطالب، وتناولت فيه ضرورة توفير الحاجات الفسيولوجية للطالب المتمثل في المكان والزمان لما لها من أهمية كبيرة في سير العملية التعليمية.

وضرروة توفير البيئة التعليمية الآمنة للطالب ليعبر الطالب عما يجول في خاطره من تساؤلات واجابات، ويستفهم عما اشكل عليه.

وضرورة توفير الاحترام المتبادل بين الطالب واقرانه واساتذته.

فتوفير هذه الاحتياجات الاساسية تدفع الطالب الى التفوق والابداع.

وأما المطلب الثاني فعنوانه التجديد في المهارات البدنية للمدرس، وقد دار هذا المطلب حول المهارات البدنية التي يجب أن يتحلى بها التدريسي ليشحن قاعته التعليمية بالتفاعل

الحيوي جامعاً تركيز وانتباه طلبتة الى المادة العلمية، وهذه المهارات تتمثل في:

١- الصوت: فالصوت هو الوسيلة الاروع في ايصال ما نريد أن نقوله الى الطرف الاخر، وحتى يتحقق لنا ما نريد فلا بد لنا من التحدث من طبقات الصوت المتعددة لاحداث التباين في الكلام، مع نبرات متنوعة، وبسرعة معتدلة بعيدة عن البطئ او السرعة غير المفهومه.

وبذلك نشد انتباه الطلبة للموضوع ونرفع تفاعلهم وحبهم له.

٢- لغة الجسد: ولها دور كبير في معرفة موقف الطلبة من الدرس ومن المادة ، وكذلك تلعب دوراً كبيراً في اضفاء المصدقية على ما يقوله الاستاذ أو العكس إذا لم تكن منسجة مع ما يقوله الاستاذ.

وأما المبحث الثاني:فقد جعلته تحت عنوان التجديد في آلية طرائق شرح النصوص وبيان مقاصدها. وقد قام على ثلاثة مطالب.

أما المطلب الأول فعنوانه طرائق التدريس، وقد دار هذا المطلب على انواع طرائق التدريس وضرورة اتقان التدريسي لها واختيار المناسب منها لكل موضوع يتيسر فهمه بها من قبل الطالب، بدلا من استخدام طريقة المحاضرة بشكل دائم في عرض الموضوعات كافة، الامر الذي يؤدي الى قتل التفاعل والحيوية، مع ولادة السآمة والملل.

وأما المطلب الثاني فعنوانه الخطوات التشغيلية للكتاب. وهذه الخطوات توصلت اليها عند دراسة نظرية الفورمات ووجدتها ضرورية جدا في بيان أهمية الكتاب وكيفية اكتساب مهارته المعرفية والوجدانية والتطبيقية وهذا الخطوات تتطلب قيام التدريسي بدور الخطيب وهو يبين لطلبته لماذا ندرس الكتاب ؟ ثم القيام بدور المدرس وهو يبين ماذا سندرس ؟ والقيام بدور المدرب وهو يدرب على كيفية التطبيق العملي، والقيام بدور القدوة في الالتزام بما ذكره، وثم كيفية تطبيق ما درسوه في الحياة.

وأما المطلب الثالث فعنوانه الوسائل التعليمية، وقد دار هذا المطلب حول أهمية الوسائل التعليمية في احداث التفاعل وتيسير العملية التعليمية فذكرنا فيه أهمية الوسائل التعليمية وأنواعها وفوائدها.

ثم الخاتمة وذكرنا فيها أمم النتائج التي توصلنا اليها

ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع

❊ ❊ ❊

ةةةةةةة

صلاح العالم وارتقاؤه يعتمد على تشريع يحكمه بالعدل والمساواة ويعيش افراده تحلت مظلته بالأمن والسعادة والهناء ، وما يطمح اليه الناس موجود بين ايديهم فمنعهم الكبر والتعصب والجهل أو الصورة المشوة له الناتجة من تطبيق خاطئ بسبب سوء فهم نصوصه .

وسوء فهم النصوص الشرعية يعود إمَّا إلى عدم استعياب المتلقي للصورة الكلية للنص، أو أن تفسيره له كان عن طريق مخزون معلوماته وأفكاره الخاطئة أو الناقصة .

ودواء الجهل وسوء فهم النصوص هو العلم، وحتى يفهم الناس أمور دينهم فلا بد من أعداد علماء ودعاة ومتخصصين في العلوم الشرعية يتصفون بملكة الافتاء والاستنباط وايجاد الحلول للتحديات قبل وعند وقوعها، وحتى يتحقق لنا هذا المخرج التعليمي الذي انحصر في زماننا على عدد قليل من طلبة العلم وجدت من الضروري أن نعيد النظر في آليات التعليم، فوقع اختياري على أحدى هذه الآليات الملحة في طلب التجديد والتطوير وجعلتها عنواناً لبحثي تحت مسمى: ((التجديد في آليات التفاعل وشرح النصوص بين الاستاذ والطالب)) وقد قسمته على مقدمة وثلاث

أما المقدمة فذكرت فيها أهمية البحث وسبب اختياره.

وأما المبحث الأول فقد جعلته تحت عنوان التجديد في آلية التفاعل الفعال بين الاستاذ والطالب. وقد قام على مطلبين:

أما المطلب الأول فعنوانه توفير الاحتياجات الأساسية للطالب.

وأما المطلب الثاني فعنوانه التجديد في المهارات البدنية للمدرس.

وأما المبحث الثاني:فقد جعلته تحت عنوان التجديد في آلية طرائق شرح النصوص وبيان مقاصدها. وقد قام على ثلاثة مطالب.

أما المطلب الأول فعنوانه طرائق التدريس.

وأما المطلب الثاني فعنوانه الخطوات التشغيلية للكتاب.

وأما المطلب الثالث فعنوانه الوسائل التعليمية.

ثم الخاتمة

وأهم المصادر والمراجع.

❊ ❊ ❊

ةةةةةة ةةةةة
ةةةةةةة ةة ةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة ةةة
ةةةةةةة ةةةةةة

الهدف من حضور الأستاذ والطالب والمنهج التعليمي داخل القاعة الدراسية هو إكساب الطلبة العلوم والقناعات والمهارات، وهذه الأهداف يحتاج تحقيقها الى تفاعل فعال بين الاستاذ والطالب والمادة العلمية وحتى نحدث هذا التفاعل فاننا بحاجة الى تحقيق المطالب الآتية:

ةةةةة ةةةة: ةةةة ةةةةةةةة ةةةةةةة :ةةةةة

حتى يتمكن الطلبة من العلوم الشرعية ويدركوا مقاصدها ويصلوا الى درجة الاستنباط والابداع في مواجهة التحديات كافة فلا بد من توفير الاحتياجات الأساسية للطلبة التعليم، وهي ما يأتي:

أولاً: توفير احتياجات الطلبة الفسيولوجية (المكان والزمان) فالمكان المناسب للتعليم من حيث التهوية والإضاءة والتدفئة والتبريد والجلسة المريحة وخلوه من كل ما يفوت مقصد التعليم، والزمان الذي يكون فيه الطالب في قمة نشاطه وحيويته مهم في احداث التفاعل الفعال واستيعاب المادة العلمية.

ثانياً: شعور الطالب في الآمان ليطرح ما عنده من التساؤلات والأجابات والأعتراضات من غير أن يتعرض لسخرية او استهزاء أو انتقاص أو عقوبة من قبل

الاستاذ أو الطلبة.

ثالثاً: شعور الطالب بالاحترام والآلفة المتبادلة بينه وبين الأستاذ والطالب[1].

أن توفير هذه البيئة التعليمية ضروري في تيسير التفاعل بين الاستاذ والطالب في استعياب المنهج الدراسي .

ةةةةةة ةةةةةة: ةةةةةة ةة ةةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةة:

الصفات البدنية للتدريسي لها أهمية كبيرة في إحداث التفاعل بينه وبين طلبته فتتيسر وصول المعلومات الى الطلبة باستيعاب عالٍ.

والصفات البدنية التي أقصدها هنا هي الصوت وحركة المدرس ولغة الجسد، وكما يأتي:

أولاً: الصوت[2]: صوت المدرس يلعب دوراً مهماً أما في ايقاظ الطلبة، وجعلهم في حالة انتباه وتركيز شديد، أو في نومهم وركودهم وخمولهم والشعور بالملل والسآمة.

لذلك على المدرس الانتباه لصوته، لانها وسيلة ايصال المعلومات والقيام بالآتي:

١-نبرة الصوت: الإنسان له طبقات متعدده يصدر منها الصوت ولا بد من استعمال هذه الطبقات، لأحداث التباين في الكلام الذي يشد انتباه الطلبة اليه، ويجعلهم أكثر تفاعلاً وادراكاً وفهماً للمادة العلمية.

٢-سرعة الصوت: الصوت السريع يجذب انتباه الطلبة ويجعلهم في تفاعل مع المادة العلمية على خلاف الصوت البطيئ الذي يبعث الملل في النفس، ولا بد من الموازنة فلا تصل في سرعتك إلى الإخلال ولا تصل في بطئك إلى الإملال.

(١) ينظر: هرم ماسلو في الاحتياجات الانسانية.

(٢) دراسة في علم الاصوات ، تأليف: د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب – القاهرة ط١ سنة ١٤٢٠ – ١٩٩٩م ص٥

٣-انفعالات الصوت: لا بد من اضهار المشاعر على الصوت وأن تكون متطابقة مع معانيه فمشاعر الفرح غير مشاعر الحزن.

٤-وضوح الصوت: **وهذا يتطلب القيام بالآتي:**

* إخراج الحروف من مخارجها.
* تجنب السرعة الفائقة.
* تجنب التركيز في الكلمة القادمة.

٦-تجنب اللزمات اللفظية: فالكلمة التي تتكرر تصبح نشازاً!

٧-الوقفات : اضغط على الكلمات الهامة

٨-قف قبل الكلمات الهامة وقف بعدها وقفة قصيرة.

٩- حجم الصوت: لا بد أن يكون حجم الصوت ملائماً للمساحة المكانية فلا يكون منخفضاً في القاعة الكبيرة، ولا مرتفعاً في القاعة الصغيرة، وابدأ بصوت منخفض ثم زد حجمه شيئاً فشيئاً[1].

ولا بد من القيام بالأتي للحفاظ على الصوت والخروج بصوت مؤثر:

١- مرن طبقات الصوت والاسترخاء والتحكم بالشهيق والزفير لأن أي اعوجاج أو تحدب أو انحناء أو تقعر في أجهزة الجسم ذات العلاقة بالصوت يؤدي الى إعاقة

(١) فن الالقاء ،تأليف: عبد الحميد حسين سليم ، الاسكندرية أمصر ، مطبعة دار النشر الثقافية، ١٩٧٧م ، ص:٢٧ ، طرق تدريس الالقاء ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، دار المعرفة، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص: ٩ . ٢. ، الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغة العربية ، مهارة تنويع الحافز، أنموذجا ، تأليف: د. حسن علي العزاوي و د. نجاح هادي كبة، مجلة كلية التربية (ابن رشد) ، ع: ٦، ٢٠٠٧م ، ص: ٢٠٤ ، وما بعدها ، تربية الصوت وفن الالقاء ،تاليف: سامي عبد الحميد نوري، بغداد ، مطبعة الأديب البغدادية ، من منشورات قسم الفنون المسرحية في أكاديمية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد ، ص: ٦٢٢ و١٦٧ - ١٦٨.

التنفس كما يؤدي الى توتر الاعضاء الخاصة بالصوت والنطق.

٢- المحافظة على الرقبة والذراعين والساقين في حالة استرخاء.

٣- اطرد زفيراً عميقاً بعد نهاية الجملة، ثم خذ شهيقاً أطول قبل البدء بجملة جديدة.

٤- هذب حاسة السمع، ويتم ذلك من خلال الاستماع الى تجويد القرآن الكريم، والمثابرة على استماعه، ومن ثم ترداد ذلك، للوصول الى جودة عالية في الاداء الصوتي.

٥- حافظ على النظام الغذائي، وعدم شرب المرطبات والماء الباردة والمثلجة، حيث تحدث خدوشا في القصبة الهوائية، وتؤثر على التهاب الاوتار الصوتية الموجودة في الحنجرة والقصبة [١].

ثانياً: حركة المدرس: لحركة المدرس ووقوفه دوراً مهماً إما في تفاعل الطلبة واستيعابهم للمادة، أو في تشتيت تركيزهم وضعف انتباهم.

لذلك ينبغي المدرس محاضرته بوقفة صفرية منتصب القامة مفتول اليدين، ثم تكون حركاته ووقفاته داخل الصف محسوبة في دعم المادة العلمية وزيادة ايضاحها واحداث التفاعل [٢].

ثالثاً: لغة الجسد: ونعني بها التواصل مع الطلبة بطريقة غير لفظية، ولها أهمية كبيرة في جذب انتباه الطلبة واحداث التفاعل، وادراك مدى سير العملية التعليمية باتجاه اهدافها، ولا بد أن تكون لغة جسد المدرس متناسقة مع المادة التي يعرضها، لان اي تنافر بين المادة ولغة الجسد يؤدي الى صعوبة التصديق. فلغة الجسد تقرأ عند حدوث تناقض بين الكلام

(١) ينظر: المصادر السابقة، دروس في المسرح ٢(الصوت والتنفس)، اعداد: محمد قانصوه (منشور على الانترنيت).

(٢) ينظر: المصادر السابقة

والنبرة والجسم كالآتي:

لغة الجسد ٥٥٪

نبرة الصوت ٣٧٪

الكلام ٧٪

ولغة الجسد تكون في الوجه والعينين والحاجبين وايماءات الرأس واستعمال اليدين والجذع والقدمين

فالحركة الصحيحة، والنظرات، والتواصل البصري، والاهتمام بالمتحدث، وحركة اليدين والأصابع، وتوزيع الابتسامة، وطبيعة وقوف المعلم داخل القاعة الدراسية كلها متغيرات وعوامل تُساعد على التفاعل الفعال الذي ينعكس على حب المادة العلمية والتمكن منها[1].

❊ ❊ ❊

(١) ينظر: المرجع الأكيد في لغة الجسد، تأليف: باربارا بيز، مكتبة جرير الطبعة الاولى سنة ٢٠٠٨ ، ص٦ وما بعدها، أهمية لغة الجسد Body Language....د.ناهض موسى مقال على النت، والمصادر السابقة.

ةةةةةة ةةةةةة
ةةةةةة ةة ةةةة ةةةة
ةةة ةةةةةة ةةةةة ةةةةةة

المنهج الدراسي في كل مرحلة دراسية يحقق هدفاً من اهداف الارتقاء المعرفي والوجداني والمهاراتي للطالب وصولاً الى ملكة التمكن والاستنباط والمرونة والطلاقة في ايجاد الحلول ومواجهة التحديات ونهضة الأمة.

وحتى يستوعب الطالب مقاصد المادة العلمية ويدرك مراميها ويفهم نصوصها فهماً عميقاً فلا بد من القيام بالمطالب الآتية:

ةةةةةة ةةةةة: ةةةةة ةةةةةة:

طرائق التدريس متنوعة ومتعددة وعلى الاستاذ اختيار الطريقة المناسبة للمادة العلمية حتى تسهل وتتيسر المعلومة لدى الطالب نظراً للتفاعل الكبير الذي تحدثه الطريقة المناسبة والملائمة للموضوع، إما اختيار الطريقة غير المناسبة والملائمة للمادة، أو البقاء على الاسلوب التقليدي اسلوب المحاضرة بالصوت الرتيب غير المناسب للمادة، فانها تؤدي الى تشتت التركيز والانتباه وتعسر وصول المادة العلمية الى مدرك الطلاب.

وبذلك نلاحظ من الضروري جدا أن يتقن التدريسي طرائق التدريس الفعال ليكتسب قدرة تطويرها ومرونة اختيار المناسب منها في عرض مادته العلمية لطلبته

وطرائق التدريس هي[1]:

- التعليم التفاعلي:

تعتمد استراتيجية التعليم التفاعلي على إسلوب التفاعل بين الطالب والمحاضر والمادة العلمية ويمكن تطبيق هذا المفهوم من خلال عدة وسائل منها التعليم التعاوني والتعليم الإلكتروني والعصف الذهني.

ةةةةةةة ةةةةةةةة:

هي إستراتيجيات يعمل فيها الطلاب على شكل مجموعات صغيرة في تفاعل إيجابي متبادل يشعر فيه كل فرد أنه مسئول عن تعلمه وتعلم الاخرين بغيه تحقيق أهداف مشتركة.

وتتميز هذه الإستراتيجية بمميزات عدَّة مثل:-

١- زيادة معدلات التحصيل وتحسين قدرات التفكير عند الطلاب.

٢- نمو علاقات إيجابية بينهم مما يحسن إتجاهات الطلاب نحو عملية التعلم وزيادة ثقة الطلاب بأنفسهم.

٣- تنمية روح التعاون والعمل الجماعي بين الطلاب.

ةةةةةةة ةةةةةةةة:

وسيلة تدعم العملية التعليمية وتحولها من طور التلقين إلى طور الإبداع والتفاعل وتنمية المهارات وتهدف إلى إيجاد بيئة تفاعلية غنية بالتطبيقات تجمع كل الأشكال

(١) ينظر: مهارات التدريس الفعال، تأليف زيد الهويدي، دار الكتاب الجامعي- العين سنة ٢٠٠٢ ص ٢٢٥- ٢٢٩، مهارات التدريس، تأليف: حسن حسين زيتون، عالم الكتب – القاهرة سنة ٢٠٠١ ص ٥٦٥ – ٥٧٨، الاتجاهات الحديثة في تخطيط وتطوير مناهج المرحلة الاولى ، دار الفكر العربي – القاهرة سنة ٢٠٠٥م ص ٨٠- ٨٩.

الإلكترونية للتعليم والتعلم حيث تعتمد على تطبيقات الحاسبات الإلكترونية وشبكات الإتصال والوسائط المتعددة في نقل المهارات والمعارف وتضم تطبيقات عبر الويب وغرف التدريس الإفتراضية حيث يتم تقديم محتوى دروس عبر الإنترنت والأشرطة السمعية والفيديو ويمكن الطالب من الوصول إلى مصادر التعليم في أي وقت وأي مكان.

ةةةةة ةةةةةة:

هي طريقة حديثة لتطوير المحاضرة التقليدية، فهي تشجع التفكير الإبداعي، وتطلق الطاقات الكامنة عند المتعلمين في جو من الحرية و الأمان، ويسمح بظهور كل الأراء والأفكار حيث يكون المتعلم في قمة التفاعل في الموقف التعليمي،حيث يقوم المحاضر بعرض المشكلة، ويقوم الطلاب بعرض أفكارهم ومقترحاتهم المتعلقة بحل المشكلة، وبعد ذلك يقوم المدرس بتجميع هذه المقترحات ومناقشتها مع الطلاب، ثم تحديد الأنسب منها، ويعتمد هذا الإسلوب على إطلاق حرية التفكير، وإرجاء التقييم، والتركيز على توليد أكبر قدر من الأفكار، وجواز البناء على أفكار الأخرين.مثل التمهيد للدرس. تقوم بسرد السؤال وتترك الطلاب يعصفو أفكارهم للوصول الى المعلومة او الاجابة.

ةةة ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةة ةة:

* المحاضرة
* القصة
* النقاش
* الدراما
* الندوة
* المناظرة
* البيان العملي

* الاثارة الحسية
* الالعاب والالغاز
* الذكاءات المتعددة
* الخرائط المعرفية
* الاستقراء
* حل المشكلات
* الاكتشاف

ومما يجب الانتباه إليْهِ القيام بما يأتي:

السير من المعلوم إلى المجهول .

التدرج من البسيط إلى المركب .

التدرج من المحسوس إلى المعقول .

ةةةةةة ةةةةةة: ةةةةة ةةةةة ةةةةة ةةةةةة ةةةةةة:

من خلال دراسة نظرية الفورمات وأثرها في التعليم أدركت ثلاث خطوات تشغيلية فعالة للمادة العلمية واضاف الدكتور خضر شكر التدريسي في كلية طب الجامعة المستنصرية خطوة رابعة، وهذه الخطوات التشغيلية تلعب دورا كبيرا في استعياب الطالب للمادة واكتساب مهارة تطبيقها والاستفادة منها على أرض الواقع.

والخطوات التشغيلية تقوم على أن يمارس الأستاذ أربعة أدوار في تدريس المادة وكما يأتي:

١- دور الخطيب: وهنا يقوم الاستاذ ببيان فوائد المادة العلمية وأهميتها ولماذا يدرسونها؟ مستخدماً دور الخطيب في مخاطبة المشاعر وتأجيجها واشعال رغبة دراسة

المادة وحب تعلمها ووقوفه يكون في المنتصف او الجانب الأيمن امام الطلاب.

٢- دور المدرس: وهنا يبدأ الاستاذ بشرح التعريفات والمبادئ والنظريات المتعلقة في المادة .

٣- دور المدرب: وهنا يبدأ الاستاذ بعرض خطوات التطبيق العملي للمادة خطوة خطوة ويبدأ الطلاب بالتطبيق ، ويقيس الطالب قبل تطبيقه ويقيس مهارته بعد اجراء التطبيقات.

٤ - دور القدوة: وهنا يبدأ الاستاذ بتعليم طلابه بتطبيق ما تعلموه في حياتهم التي يعيشونها ويجرون موائمة بين ما درسوه وبين الحياة التي تحتاج الى العلم الذي يحملونه لتنهض الامة خلقيا وعلميا.

ööööö ööööö: ööööööö öööööööö:

الوسيلة في الاصطلاح: ما يستعمله المعلم والمتعلم من أجل تحقيق الهدف الذي يسعى إلى بلوغه كل منهم بأسهل طريق وأقل جهد وأسرع وقت[1].

يمكن القول إن الوسيلة التعليمية : هي كل أداة يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعلم والتعليم ، وتوضيح المعاني والأفكار ، أو التدريب على المهارات، أو تعويد التلاميذ على العادات الصالحة ، أو تنمية الاتجاهات ، وغرس القيم المرغوب فيها، دون أن يعتمد المعلم أساسا على الألفاظ والرموز والأرقام . وهي باختصار جميع الوسائط التي يستخدمها المعلم في الموقف التعليمي لتوصيل الحقائق، أو الأفكار، أو المعاني للتلاميذ لجعل درسه أكثر إثارة وتشويقا ، ولجعل الخبرة التربوية خبرة حية، وهادفة،

(١) برنامج التربية (ط رائق التدريس والتدريبالعامة)، تأليف: توفيق مرعي وآخرون منشو ا رت جامعة القدس المفتوحة،الاردن، ط ١٩٩٣،١-ص١٠، ينظر: موديول الوسائل التعليمية وتكنلوجيا التعليم، اعداد: د. حسنية محمد حسن المليجي، كلية التربية-جامعة اسيوط سنة ٢٠٠٦،ص١٥٤

ومباشرة في الوقت نفسه .

ةةة ةةةةةةةة ةةةةةةةة ةة ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة

يقصد بعملية التعليم توصيل المعرفة إلى المتعلم ، وخلق الدوافع، وإيجاد الرغبة لديه للبحث والتنقيب ، والعمل للوصول إلى المعرفة ، وهذا يقتضي وجود طريقة، أو أسلوب يوصله إلى هدفه . لذلك لا يخفى على الممارس لعملية التعليم والتعلم ما تنطوي عليه الوسائل التعليمية من أهمية كبرى في توفير الخبرات الحسية التي يصعب تحقيقها في الظروف الطبيعية للخبرة التعليمية ، وكذلك في تخطي العوائق التي تعترض عملية الإيضاح إذا ما اعتمد على الواقع نفسه[١] .

وتنبع أهمية الوسيلة التعليمية ، وتتحدد أغراضها التي تؤديها في المتعلم من طبيعة الأهداف التي يتم اختيار الوسيلة لتحقيقها من المادة التعليمية التي يراد للطلاب تعلمها، ثم من مستويات نمو المتعلمين الإدراكية، فالوسائل التعليمية التي يتم اختيارها للمراحل التعليمية الدنيا تختلف إلى حد ما عن الوسائل التي نختارها للصفوف العليا ، أو المراحل التعليمية المتقدمة ، كالمرحلة المتوسطة والثانوية[٢] .

ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةةة :

للوسائل التعليمية أهمية كبيرة في تيسير العملية التعليمية تتجلى فيما يأتي:

-تقليل الجهد.

(١) ينظر: - ،.طرائق التدريس العامة (المألوف -والمستحدث)، تأليف: عواد جاسم محمد التميمي دارالحو ارء،العرتق، سنة ٢٠١٠ ص١٣٦

(٢) ينظر: برنامج التربية (ط رائق التدريس والتدريبالعامة) ص١٠.

-اختصار الوقت من المتعلم والمعلم.

- تتغلب على اللفظية وعيوبها.

-تساعد في نقل المعرفة ، وتوضيح الجوانب المبهمة.

-تثبيت عملية الإدراك.

-تثير اهتمام وانتباه الدارسين.

-تنمي فيهم دقة الملاحظة .

- تثبت المعلومات .

- تزيد من حفظ الطالب .

- تضاعف استيعابه .

- تنمي الاستمرار في الفكر .

- تقوّم معلومات الطالب ، وتقيس مدى ما استوعبه من الدرس .

-تسهل عملية التعليم على المدرس ، والتعلم على الطالب .

ـ تعلم بمفردها كالتلفاز ، والرحلات ، والمتاحف . . . إلخ .

ـ توضيح بعض المفاهيم المعينة للتعليم .

ـ تساعد على إبراز الفروق الفردية بين الطلاب في المجالات اللغوية المختلفة، وبخاصة في مجال التغيير الشفوي .

- تساعد الطلاب على التزود بالمعلومات العلمية ، وبألفاظ الحضارة الحديثة الدالة عليها .

- تتيح للمتعلمين فرصا متعددة من فرص المتعة ، وتحقيق الذات .

- تساعد على إبقاء الخبرة التعليمية حية لأطول فترة ممكنة مع التلاميذ .

– تعلم المهارات ، وتنمي الاتجاهات ، وتربي الذوق ، وتعدل السلوك [1].

ةةةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةةة:

للوسائل التعليمية دور مهم في تيسير فهم المعلومات وتحليلها وتبسيطها ، ولكي تؤدي الوسائل التعليمية الغرض الذي وجدت من أجله ، وبشكل فاعل ، لا بد من مراعاة المواصفات الآتية :

– أن تتناسب الوسيلة مع الأهداف التي سيتم تحقيقها من الدرس .

– دقة المادة العلمية ومناسبتها للدرس .

– أن تناسب الطلاب من حيث خبراتهم السابقة .

–ينبغي ألا تحتوي الوسيلة على معلومات خاطئة ، أو قديمة ، أو ناقصة ، أو متحيزة ، أو مشوهة ، أو هازلة ، وإنما يجب أن تساعد على تكوين صورة كلية واقعية سليمة صادقة حديثة أمينة متزنة .

– أن تعبر تعبيرا صادقا عن الرسالة التي يرغب المعلم توصيلها إلى المتعلمين .

– أن يكون للوسيلة موضوع واحد محدد ، ومتجانس ، ومنسجم مع موضوع الدرس، ليسهل على الدارسين إدراكه وتتبعه .

– أن يتناسب حجمها ، أو مساحتها مع عدد طلاب الصف .

– أن تساعد على اتباع الطريقة العلمية في التفكير ، والدقة والملاحظة .

– توافر المواد الخام اللازمة لصنعها ، مع رخص تكاليفها .

– أن تناسب ما يبذل في استعمالها من جهد ، ووقت ، ومال .

---

(١) ينظر: طرائق التدريس العامة للتميمي ص ١٣٩–١٤٠، موديول الوسائل التعليمية وتكنلوجيا التعليم،ص١٥٤، الوسائل التعليمية، تأليف: أحمد خيري كاظم وجابر عبد الحميد جابر دار الفكر– الاردن ط ١ سنة ٢٠٠٧ ص ١١ وما بعدها.

- أن تتناسب ومدارك الدارسين ، بحيث يسهل الاستفادة منها .

- أن يكون استعمالها ممكنا وسهلا [1].

ـ أن يشترك المدرس والطلاب في اختيار الوسيلة الجيدة التي تحقق الغرض ، وفيما يتعلق بإعدادها يراعى الآتي :

اختبار الوسيلة قبل استعمالها للتأكد من صلاحيتها .

إعداد المكان المناسب الذي ستستعمل فيه ، بحيث يتمكن كل دارس أن يسمع ، ويرى بوضوح تامين .

تهيئة أذهان الدارسين إلى ما ينبغي ملاحظته ، أو إلى المعارف التي يدور حولها موضوع الدرس ، وذلك بإثارة بعض الأسئلة ذات الصلة به ، لإبراز النقاط المهمة التي تجيب الوسيلة عليها .

ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةةة:

للوسائل التعليمية إذا أحسن استخدامها فوائد كثيرة منه :

ـ تقدم للتلاميذ أساسا ماديا للإدراك الحسي ، ومن ثم تقلل من استخدامهم لألفاظ لا يفهمون معناها .

ـ تثير اهتمامهم كثيرا .

ـ تجعل ما يتعلمونه باقي الأثر .

ـ تقدم خبرات واقعية تدعو التلاميذ إلى النشاط الذاتي .

ـ تنمي فيهم استمرارية التفكير ، كما هو الحال عند استخدام الصور المتحركة ،

(١) ينظر: موديول الوسائل التعليمية وتكنلوجيا التعليم، ص١٥٥، طرائق التدريس العامة للتميمي ص ١٤٠-١٤١، معلم القرن الحادي والعشرون(أسس أعداده وتأهيله)،تأليف: هادي مشعان ربيع،وطارق عبد أحمد الدليمي، مكتبة المجتمع العربي ،الاردن، ط ١، ٢٠٠٩،ص١٦٥-١٦٨

والتمثيليات ، والرحلات .

ـ تسهم في نمو المعاني ومن ثم في تنمية الثروة اللغوية عند التلاميذ .

ـ تقدم خبرات لا يمكن الحصول عليها عن طريق أدوات أخرى ، وتسهم في جعل ما يتعلمه التلاميذ أكثر كفاية وعمقا وتنوعا[1] .

ةةةةة ةةةةةةة ةةةةةةة:

يصنف خبراء الوسائل التعليمية ، والتربويون الذين يهتمون بها ، وبآثارها على الحواس الخمس عند الدارسين بالمجموعات الآتية[2]:

ةةةةةةة ةةةةة : ةةةةةة ةةةةةة:

مثل : ـ الصور المعتمة ، والشرائح ، والأفلام الثابتة .

ـ الأفلام المتحركة والثابتة .

ـ السبورة .

ـ الخرائط .

ـ الكرة الأرضية .

ـ اللوحات والبطاقات .

ـ الرسوم البيانية.

ـ النماذج والعينات .

ـ المعارض والمتاحف .

ةةةةةةة ةةةةةة : ةةةةةة ةةةةةة:

(١) ينظر : المصادر السابقة

(٢) ينظر: ينظر: موديول الوسائل التعليمية وتكنلوجيا التعليم،ص١٥٤ الوسائل التعليمية، تأليف: أحمد خيري كاظم وجابر عبد الحميد جابر دار الفكر- الاردن ط ١ سنة ٢٠٠٧ ص١٢٦ وما بعدها

وتضم الأدوات التي تعتمد علة حاسة السمع وتشمل : ـ

ـ الإذاعة المدرسية الداخلية .

ـ المذياع «الراديو» .

ـ الحاكي «الجرامفون» .

ـ أجهزة التسجيل الصوتي .

ööööööö ööööööö : ööööööö ööööööö ööööööö:

وتضم الأدوات والمواد التي تعتمد على حاستي السمع والبصر معا وتحوي الآتي:

ـ الأفلام المتحركة والناطقة .

ـ الأفلام الثابتة ، والمصحوبة بتسجيلات صوتية .

ـ مسرح العرائس .

ـ التلفاز .

ـ جهاز عرض الأفلام «الفيديو» .

❊ ❊ ❊

ööööööö

بعد تشخيص أهمّ آليات التفاعل الفعال داخل القاعة الدراسية بين الاستاذ والطلاب توصلت إلى النتائج الآتية:

ضرورة استشعار المدرس بأمانة ومسؤولية تمكين الطلبة من العلوم الشرعية، وعلوم الآلة، والعمل على تطوير وتجويد قدراته المهنية والبدنية بأحدث الطرق والوسائل التي تيسر تدفق المعلومات الى مدارك الطلاب، وفهمها فهماً عميقاً.

ضرورة العناية الفائقة في الصوت والتخلص من نمطيته الرتيبة لما له من أثر فائق في اضفاء الحيوية والطاقة للكلمة، وشد انتباه وتركيز الطلبة.

ضرورة أن تكون حركات ووقفات الأستاذ مدروسة ومتناسقة للكلمات وداعمة له بعيدة عن العشوائية المشوشة للانتباه والتركيز.

ضرورة الانتباه الى لغة الجسد واستثماره في توضيح وتفسير اكلام .

استعمال طرائق متعددة ومتنوعة في التدريس المناسبة في تيسير وتوضيح المادة العلمية وايقاظ التفعال وجذب الانتباه والتركيز بدلاً من اتباع طريقة واحدة في التدريس فقط

ضرورة استعمال وسائل تعليمية متعددة ومتنوعة تشوق الطالب وتجذب انتباه وتبسط له المادة.

ضرورة تنفيذ الخطوات التشغيلية للكتاب لتحقيق مقصوده.

ööööööö ööö

الاتجاهات الحديثة في تخطيط وتطوير مناهج المرحلة الاولى ، دار الفكر العربي – القاهرة سنة ٢٠٠٥م.

الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغة العربية ، مهارة تنويع الحافز ، أنموذجا ، تأليف: د. حسن علي العزاوي و د. نجاح هادي كبة، مجلة كلية التربية (ابن رشد) ، ع: ٦ ، ٢٠٠٧م.

برنامج التربية (ط رائق التدريس والتدريبالعامة)، تأليف: توفيق مرعي وآخرون منشو ا رت جامعة القدس المفتوحة، الاردن، ط ١٩٩٣،١ .

تربية الصوت وفن الالقاء ،تاليف: سامي عبد الحميد نوري، بغداد ، مطبعة الأديب البغدادية ، من منشورات قسم الفنون المسرحية في أكاديمية الفنون الجميلة، جامعة بغداد.

دراسة في علم الاصوات ، تأليف: د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب – القاهرة ط١ سنة ١٤٢٠ – ١٩٩٩م.

دروس في المسرح ٢(الصوت والتنفس)، اعداد: محمد قانصوه (منشور على الانترنيت).

طرائق التدريس العامة (المألوف –والمستحدث)، تأليف: عواد جاسم محمد التميمي

دارالحو ارء،العرتق، سنة ٢٠١٠ طرائق التدريس العامة (المألوف -والمستحدث)، تأليف: عواد جاسم محمد التميمي دار الحوارء،العراق، سنة ٢٠١٠

طرق تدريس الالقاء ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، دار المعرفة ، ط١، ١٩٨٨م.

فن الالقاء ،تأليف: عبد الحميد حسين سليم ، الاسكندرية أمصر ، مطبعة دار النشر الثقافية ، ١٩٧٧م.

المرجع الأكيد في لغة الجسد، تأليف: باربارا بييز، مكتبة جرير الطبعة الاولى سنة ٢٠٠٨.

مهارات التدريس، تأليف: حسن حسين زيتون، عالم الكتب – القاهرة سنة ٢٠٠١

مهارات التدريس الفعال، تأليف زيد الهويدي، دار الكتاب الجامعي- العين سنة ٢٠٠٢.

موديول الوسائل التعليمية وتكنلوجيا التعليم، اعداد: د. حسنية محمد حسن المليجي، كلية التربية-جامعة اسيوط سنة ٢٠٠٦.

هرم ماسلو في الاحتياجات الانسانية.

الوسائل التعليمية، تأليف: أحمد خيري كاظم وجابر عبد الحميد جابر دار الفكر- الاردن ط ١ سنة ٢٠٠٧.

❊ ❊ ❊